

د. سامی بن فحاس الصقار

امارة اربل

في

العصر العباسي

ومؤرخه ابن المستوفي

طبعة

دار الشواف

0020552



Bibliotheca Alexandrina

أما إريل في العصر العباسي

دار الشواف للنشر والتوزيع

الرياض - العليا - شارع الثلاثين - شرق بنده ت ٤٦٢٢٦٣٠ - ٤٦٢٢٦٦٧ فاكس : ٤٦٢٢٨٦٦
Riyad - Olaiya, Thalatheen St , (East to Panda) Tel 4622630 - 4622667 - Fax . 4622866

أمارة إربل في العصر العباسي ومؤرخها ابن المستوفي

تأليف

الدكتور شامي بن فؤاد الصقار

أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب

بجامعة الملك سعود

الرياض

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

دار الشواف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

۱۵۰ ————— ۱۵۱

إلى السيدة العلوية العظيمة ، التي وقفت دائماً إلى جانبي ، تساعدني وتشجعني ، وتأخذ بيدي في جميع الأوقات والظروف ، طيلة حياتي ، إلى أعز مخلوق عندي ، والذتي الحبيبة «الحاجة أم سامي» أهدى هذه الأطروحة ، عربوناً لحبي وامتنانني ، وقضاءً لبعض مالها عليّ من الحقوق ، ورجائى بأن لا تحسب اغترابي عنها من العقوق .. (١)

سامي بن السيد خماس الصقار

مدينة كمبرج (بريطانيا) في ذي القعدة من سنة ١٣٩٤هـ
الموافق لشهر تشرين الثاني من سنة ١٩٧٤م

(١) لم تسعد رحمها الله برؤية الأطروحة منشورة ، إذ توفاهما الله إلى رحمت الواسعة في ٦ ذي الحجة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٨/١٠/١٩٧٨م

شكر وامتنان

أرى من واجبي قبل ازجاء شكري إلى الأحياء ، أن أذكر بكل تقدير وإجلال ، المستشرق البريطاني الراحل ، والباحث العظيم ، بروفيسور أرنولد آبري ، الذي كان له - بتشجيعه إياي - الفضل الأول في عودتي إلى ميدان الدرس ودخول الجامعة من جديد ، بعد طول انقطاع ، علاوة على حسن اختياره لعملتي «تاريخ إربل» ، إذ لولا تشجيعه ومساعدته الثمينة ، لما تجرأت على طرق أبواب جامعة كمبرج . كذلك علي أن أذكر المرحوم بروفيسور محمد عبد المعيد خان ، الأستاذ في الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن في الهند ، ومدير عام «دائرة المعارف» فيها (وهي الدائرة التي تتولى نشر كتب التراث الإسلامي) . فلقد كان من حسن حظي أن ألقاه خلال سنتي الأولى في كمبرج ، وقد خصني - رحمه الله - بالكثير من عطفه ومعونته . وإنني أبتهل إلى الله العلي القدير ، أن يدخله في رحمته ويجزل له الثواب ، إنه سميع الدعاء .

أما الأحياء - أطال الله أعمارهم - ممن أمدني بالرعاية والعطف ، فهم كثيرون . وأخص بالذكر منهم أستاذي الكريم والمشرف على أطروحتي ، بروفيسور روبرت سارجنت ، رئيس قسم الدراسات العربية بجامعة كمبرج ، فقد كان لي خير مرشد وأحسن معين ، وإنني لن أنسى توجيهاته القيمة ومساعداته الثمينة ، وأنتهز هذه الفرصة كي أقدم إليه أجزل الشكر وأعظم الامتنان . كذلك أخص بالشكر الدكتور بدويل سكرتير معهد الشرق الأوسط بجامعة كمبرج ، والأستاذ ريكس سميث ، المدرس في الجامعة المذكورة ، وبقية المدرسين وموظفي المكتبات فيها ، وهيئة الإدارة في كلية «شرشل» ولا سيما الدكتور بيتز سكواير ، على ما قدموه لي من عون ولطف ومساعدة ، خلال وجودي في كمبرج .

كذلك أتقدم بالشكر وببالغ الامتنان إلى أستاذي الجليل وصديقي القديم ، بروفيسور قسطنطين زريق ، الأستاذ بجامعة بيروت الأميركية على عطفه وحسن توجيهه ، وإلى الدكتور إحسان عباس ، الأستاذ في الجامعة المذكورة ، على أفضاله الكثيرة ، ولا سيما تكرمه بمراجعة بحور المقطوعات الشعرية الواردة في «تاريخ إربل» للتأكد عما إذا كنت قد أصبت في تعيين تلك البحور ، وكذلك على تطفه بإعازتي - خلال زيارتي لبيروت - نسخته المصورة من كتاب «عقود الجمان» لابن الشعار الموصلي .

وأرى من واجبي أيضاً ، أن أعبر عن خالص شكري إلى صديقي الدكتور يحيى

الجبوري ، الأستاذ بجامعة بغداد ، لتفضله بمراجعة القسم العربي من أطروحتي ، وإلى الدكتور يوسف ضياء قوارجي ، عميد معهد الدراسات الإسلامية في جامعة أرضروم بتركيا ، لتكرمه باستنساخ بعض التراجم الواردة في مخطوطة كتاب «عقود الجمان» آنف الذكر ، الموجودة في المكتبة السليمانية باستانبول ، وإلى صديقي العزيز الدكتور عبد الله المهنا ، المدرس بجامعة الكويت ، لتفضله باستنساخ مقدمة رسالة «ثالث القمرين في بيتي الريقمتين» المنسوبة إلى ابن المستوفى ، والموجودة في دار الكتب المصرية ، علاوة على الطافة الكثيرة التي خصني بها خلال وجودنا معا في كمبرج ، مدة تزيد على خمس سنوات .

وأخيراً وليس آخراً ، أتوجه بالشكر وبالإمتنان العظيم إلى جميع الأصدقاء والأقارب ، الذين كانوا لي خير مشجع ومعين للمضي في الدراسة والبحث ، سواءً فيما بينهم تجاهي من عطف وتشجيع ، أو بما يسروه لي من وسائل العيش ومتطلبات البحث . فإنهم - جزاهم الله كل خير - لم يخلوا على بشيء منها ، ولا سيما الكتب التي كانوا يوافوني بها كلما احتجت إلى شيء منها . فإلى هؤلاء جميعاً أقدم شكري وعظيم امتناني ، داعياً الله - سبحانه وتعالى - أن يجزيهم عني بأحسن الجزاء ، وأن يجعلهم على الدوام في خير عميم ، إنه سميع الدعاء .

مدينة كمبرج (بريطانيا) في ذي القعدة من سنة ١٣٩٤ هـ

الموافق لشهر تشرين الثاني من سنة ١٩٧٤ م .

سامي بن السيد خماس الصقار

بسم الله الرحمن الرحيم

تصديـر

هذا الكتاب أعد بالأصل ليكون جزء من رسالة الدكتوراه التي تقدم بها المؤلف إلى جامعة كمبرج . وقد كتب الأصل باللغة الإنكليزية . وتم الفراغ منه في أواخر عام ١٩٧٤ ميلادية ، ونال بالفعل درجة الدكتوراه في العام المذكور . (١)
ولقد رأى المؤلف ألا يحرم القارئ العربي من الاطلاع على هذا الكتاب ، فعمد إلى ترجمته إلى اللغة العربية . وها أن الترجمة قد تمت بتوفيق من الله ، ويسر المؤلف أن يقدم الكتاب هدية متواضعة إلى القراء العرب ،
والله من وراء القصد .

(١) يلاحظ القارئ أن الكتاب تم تصنيفه في عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، لكن هناك إشارات إلى بعض المصادر والمراجع التي ظهرت بعد هذا التاريخ ، وسبب ذلك أن المؤلف رغم حرصه على إخراج الكتاب بشكله الأصلي دون تغيير ، إلا أنه وجد من المفيد إضافة بعض الاستدراكات .

فهرس الموضوعات

ص	الإهداء
٥	شكر وامتنان
٧	تصدير
٩	المقدمة
١٩	

القسم الأول - إربل (٢٧ - ١٩٢)

٢٧	الفصل الأول - إربل وتاريخها
٢٧	١ - اسمها وموقعها
٣٠	٢ - إربل في التاريخ
٣٠	أولاً : إربل قبل الإسلام
٣١	ثانياً : إربل في العصور الإسلامية
٣١	١- تاريخ إربل حتى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م
٣٦	٢- إربل تحت حكم الخليفة والغزو المغولي
٣٨	٣- تاريخ إربل حتى نهاية الحكم العثماني
٤١	الفصل الثاني : إمارة آل بكتكين بإربل
٤٣	١ - زين الدين علي كوجك
٤٨	٢ - نواب زين الدين في إربل
٤٨	أ/ سرفتكين الزيني
٤٩	ب/ مجاهد الدين قايماز
٥٠	٣ - إربل تحت حكم زين الدين يوسف
٥٣	الفصل الثالث : مظفر الدين كوكبوري حاكم إربل :
٥٣	١ - ترجمة كوكبوري
٥٨	٢ - طموحه السياسي ونشاطه العسكري
٦٦	٣ - أقارب كوكبوري

٦٩	الفصل الرابع : إنجازات كوكبوري الثقافية والعمرانية والخيرية :
٦٩	١ - دور كوكبوري في تطوير إربيل (اتساع المدينة وبعض مرافقها)
٧٣	سور إربيل
٧٤	مقابر إربيل
٧٤	مواضع متفرقة بإربيل
٧٥	٢ - برّه بالفقراء وأهل العلم ..
٧٨	٣ - مهرجان إربيل - الاحتفال بالمولد النبوي الشريف
٨١	٤ - المؤسسات الدينية والخيرية بإربيل
٨١	أ / مساجد إربيل
٨٣	ب/ ربط إربيل
٨٤	ت/ المؤسسات الخيرية والاجتماعية بإربيل
٨٤	١) دار الزمنى
٨٤	٢) دار العميان
٨٥	٣) دار الأيتام
٨٥	٤) دار اللقطاء
٨٥	٥) دار الأرامل
٨٥	٦) دار الضيافة
٨٦	ج / بيمارستان إربيل
٨٦	٥ - مآثر كوكبوري خارج إربيل
٨٦	أ / فكاك الأسرى
٨٧	ب/ العناية بالحجاج وأهل الحرمين
٨٩	ت/ مؤسسات دينية في دمشق
٩١	الفصل الخامس : الحياة الثقافية بإربيل
٩١	١ - لمحة عامة
٩٤	٢ - مدارس إربيل
٩٤	أ/ مدرسة القلعة
٩٤	ب/ مدرسة الربض

٩٥	ت/ المدرسة الفقيرة
٩٥	ث/ المدرسة المجاهدية
٩٥	ج/ المدرسة المظفرية
٩٦	٣ - دار الحديث المظفرية بإربيل
٩٩	٤ - إربيل تجتذب أهل العلم والدين (أبرز الواردين إلى إربيل)
١٠٨	٥ - ظهور طبقة مثقفة إربيلية
١١٢	٦ - شعراء إربيل
١١٦	٧ - انتشار الأربالة في العالم الإسلامي
١٢١	٨ - مشاركة الأربالة في وجوه النشاط الثقافي
١٢٦	٩ - هل كان بإربيل مكتبة عامة ؟
١٢٩	الفصل السادس - حكومة الولاية الأربيلية
١٣٠	١ - إقليم إربيل (أهم المدن التابعة له «شهرزور والكرخيني إلخ..»)
١٤٠	٢ - الجهاز الحكومي لولاية إربيل
١٤٢	أ/ وزراء إربيل
١٤٤	ب/ المستوفون في إربيل
١٤٥	ت/ كتاب إربيل وحجائها
١٤٩	ث/ قضاة إربيل
١٥٠	ج/ ديوان المظالم
١٥٠	ح/ ديوان الوقوف
١٥١	خ/ ديوان الأمراء
١٥١	د/ وظائف متنوعة أخرى
١٥٢	٣ - جيش إربيل ودوره في الحروب الصليبية
١٥٥	الفصل السابع - علاقات إربيل الخارجية
١٥٧	١ - العلاقات بين إربيل وبغداد
١٦١	٢ - العلاقات بين إربيل والموصل
١٦٤	٣ - علاقات إربيل بالأيوبيين

١٦٨	٤ - علاقات إربيل بالبلاد الأخرى
١٧١	الفصل الثامن - الأوضاع الدينية والقومية والاقتصادية في إربيل
١٧١	١ - الحياة الدينية في إربيل
١٧١	أ/ المذهب الشافعي في إربيل
١٧٥	ب/ نصارى إربيل
١٧٩	٢ - الأوضاع القومية في إربيل
١٨٠	الوجود العربي بإربيل
١٨٥	٣ - الحياة الاقتصادية والشؤون المالية لإربيل
١٨٧	ضرب النقد في إربيل
١٨٩	٤ - إربيل في نظر الشعراء

القسم الثاني - ابن المستوفي (١٩٣ - ٢٨٦)

١٩٣	الفصل الأول - حياة ابن المستوفي
١٩٣	١ - اسمه ونسبه
١٩٤	٢ - أسرته
١٩٥	٣ - مولده ونشأته
١٩٧	٤ - رحلته
١٩٨	٥ - وظائفه
٢٠١	٦ - تدينه وأخلاقه
٢٠٥	٧ - مذهبه الديني
٢٠٨	٨ - هجرته إلى الموصل ووفاته بها
٢١١	٩ - عقب ابن المستوفي
٢١٣	الفصل الثاني - دراسة ابن المستوفي وشيوخه
٢١٣	١ - دراسته
٢١٥	٢ - مدرسه وشيوخه
٢١٩	٣ - من أجاز لابن المستوفي ومن قرأ عليه
٢٢٩	٤ - سماعات ابن المستوفي

- ٥ - مصادر ثقافته الأخرى ٢٣٥
- ٦ - زملاء ابن المستوفي ٢٣٦
- الفصل الثالث - مكانة ابن المستوفي العلمية** ٢٣٩
- ١ - تضلعه بالحديث النبوي الشريف ٢٤٠
- ٢ - ابن المستوفي اللغوي الأديب ٢٤٥
- ٣ - ابن المستوفي الناقد ٢٤٩
- أ / قدرته على التمييز بين الشعر الأصيل والمنتحل ونسبته الصحيحة ٢٥٠
- ب / قدرته على التمييز بين الجيد والضعيف وبين الصحيح والمفلوط من الشعر ٢٥٣
- ت / قدرته على كشف التشابه في المعنى بين ما يروى له وبين الشعر المراد محاكاته (أي السرقات الشعرية) ٢٥٥
- ٤ - ابن المستوفي الشاعر ٢٦٠
- ٥ - ابن المستوفي المؤرخ (انظر القسم الثالث من هذه الدراسة) ٢٦٥
- ٦ - مجلس ابن المستوفي ٢٦٥
- ٧ - مصنفات ابن المستوفي ٢٦٨
- ٨ - تلاميذ ابن المستوفي ٢٧٣
- ٩ - الشعر الذي قيل في ابن المستوفي ٢٧٧

القسم الثالث - ابن المستوفي المؤرخ وكتابه (٢٨٧-٢٨٠)

«تاريخ إربل»

- الفصل الأول - «تاريخ إربل» وصفه وموضعه بين كتب التاريخ** ٢٨٧
- ١ - تمهيد ٢٨٧
- ٢ - التعريف بكتاب «تاريخ إربل» ٢٩٥
- أ / اسم الكتاب ٢٩٦
- ب / حجم الكتاب ٢٩٧
- ٣ - مادة «تاريخ إربل» ٣٠٣
- أ / الحقبة التي يتناولها الكتاب ٣٠٣

٣٠٧	ب/ محتويات «تاريخ إربل»
٣٠٧	أولاً . طوائف أصحاب التراجم
٣٠٩	ثانياً . وصف مجمل للتراجم
٣١١	ثالثاً : ترتيب التراجم
٣١٧	الفصل الثاني - أسلوب ابن المستوفي في «تاريخ إربل»
٣١٧	أولاً - الشروط التي فرضها ابن المستوفي على نفسه
٣١٨	١/ الاستطراد
٣٢٠	٢/ الورد إلى إربل
٣٢١	٣/ رواية الشعر
٣٢٢	٤/ غرابة الأسماء
٣٢٢	ثانيا : منهج ابن المستوفي
٣٢٣	١/ الوعي التاريخي
٣٢٤	٢/ الاهتمام بالسند وبرواة الأخبار
٣٢٧	٣/ الحرص على ذكر التواريخ
٣٢٨	٤/ الأمانة والدقة
٣٣٣	٥/ صراحة المؤلف
٣٣٦	٦/ الحرص على إدراج النصوص
٣٣٧	٧/ التعريف بالمواضع الجغرافية
٣٣٨	٨/ سهولة لغة الكتاب
٣٣٩	٩/ الميل إلى الاختصار والإيجاز
٣٣٩	١٠/ حياد المؤلف
٣٤١	الفصل الثالث - مصادر ابن المستوفي
٣٤١	١ - الأشخاص
٣٤٤	٢ - الكتب
٣٤٩	٣ - الحواشي والتعليقات
٣٤٧	٤ - الإجازات والإشهادات والخطوط

٣٤٨	٥ - الرسائل
٣٤٩	٦ - النقوش الجدارية والكتابات على الحيطان
٣٥١	الفصل الرابع - أهمية «تاريخ إربل»
٣٥١	أولا : أهمية كمصدر للمؤرخين
٣٥٨	ثانيا : مزايا «تاريخ إربل»
٣٥٨	١/ أهمية التراجم الواردة فيه
٣٦٠	٢/ الكتاب حصيلة لقاءات شخصية
٣٦١	٣/ الكتاب يضم نصوصا أدبية مهمة
٣٦٣	٤/ الكتاب غني بالشعر
٣٦٥	٥/ الكتاب يلقي الضوء على بعض أحوال عصره
٣٧٦	٦/ الكتاب دليل ساطع على وحدة العالم الإسلامي
٣٨١	الفصل الخامس - الخاتمة
٣٨٩	ثبت المراجع العربية
٤٣٧	ثبت المراجع الأجنبية
٤٤٣	فهرس الصور واللوحات

المقدمة

أولاً :

إن موضوع هذا البحث ، هو كتاب «تاريخ إربل» ومؤلفه ابن المستوفي وهذا يتطلب - بطبيعة الحال - التعريف بمدينة إربل التي يدور حولها الكتاب ، وإلقاء بعض الضوء على تاريخها ، ولاسيما في الفترة التي عاشها المؤلف . والكلام على «تاريخ إربل» لا يتم إلا بالتعريف بملكها مظفر الدين كوكبوري الذي ألف الكتاب في عهده ، بل أنه (أى الكتاب) يكاد يكون ثمرة من ثمرات الازدهار الذي شهدته هذه المدينة بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها هذا الملك ، ليجعل منها مثابة لأهل الفضل والعلم . ولذا فسوف أتناول في القسم الأول من بحثي هذا المواضيع الآتية .

١ - الفصل الأول ، ويتناول إربل وتاريخها . فأتحدث أولاً عن اسمها وموقعها ، فاذكر الأسماء التي عرفت بها في القديم والحديث . ثم التعريف بموقعها الجغرافي ، وبعد ذلك أتناول تاريخ إربل منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، فأركز بصفة خاصة على إربل في العصور الإسلامية ، منذ الفتح حتى دخولها تحت حكم الاتابكة في سنة ٥٣٦هـ / ١١٣١م .

٢ - وفي الفصل الثاني أتحدث عن إمارة «آل بكتكين» الذين أقطعت إليهم إربل . ولاسيما عن مؤسس هذه العائلة زين الدين علي ، ثم نوابه في حكم إربل . وأخيراً حكم ولده زين الدين يوسف الذي انتهى بوفاته في سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م .

٣ - وأتناول في الفصل الثالث سيرة مظفر الدين كوكبوري والعصر الذهبي لإربل . فأبدأ بترجمته بشيء من التفصيل ولاسيما طموحه السياسي ونشاطه العسكري ، ودوره في أحداث عصره حتى وفاته في سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م . وبذلك انتهى وجود الإمارة الإربلية بعودتها إلى حظيرة الخلافة ببغداد .

٤ - ويتناول الفصل الرابع إنجازات كوكبوري الثقافية والعمرانية والخيرية . وهنا أتحدث عن دوره في تطوير إربل وتوسيعها ، وأشير إلى بعض مرافقها . ثم أتناول اهتمام كوكبوري بالفقراء وأهل العلم وبره بهم وعنايته بأحوالهم . وأتحدث عن مهرجان إربل في عهده ، وهو الاحتفال الضخم بالمولد النبوي الشريف الذي لم

يكن له مثيل في أى بلد إسلامي آخر . وأعقب ذلك بالحديث عن المؤسسات الدينية بإربيل ، وخصوصا المساجد والربط . ثم أتكلم عن المؤسسات الخيرية والاجتماعية ، كالمستشفى ودور الزمنى والعميان وملاجئ الأرامل والأيتام .

٥ - وفي الفصل الخامس أتناول الحياة الثقافية بإربيل بصورة عامة أولا ، ثم أذكر المدارس التي أنشئت بها ودار الحديث المظفرية . وبعد ذلك أشرح الأسباب التي جعلت إربيل تجتذب أهل العلم والدين من كل مكان ، فأذكر الأسماء البارزة لمن ورد بها . ثم أتحدث عن ظهور طبقة إربيلية مثقفة ، وانتشار بعض أفرادها في سائر أنحاء العالم الإسلامي ومشاركتهم في مختلف وجوه النشاط الثقافي . وقد خصصت زاوية لشعراء إربيل . وختمت الفصل بالتساؤل عما إذا كانت إربيل قد حوت مكتبة عامة أم لا ؟ وخلصت في الإجابة عليه إلى ترجيح وجودها .

٦ - ويتناول الفصل السادس حكومة الولاية الإربيلية . وقد بدأت بلمحة جغرافية لغرض الإحاطة بالمدى الذي اتسعت إليه الولاية ، مع ذكر أهم المدن والقلاع التي كانت تابعة لها . وثبتت على ذلك بالكلام على الجهاز الحكومي لإربيل ، ذاكرًا وزعماء ومستوفيها وكتابها وحجابها وقضاتها وأرباب الوظائف العامة فيها . وختمت الفصل بفقرة عن جيش إربيل ودوره في الحروب الصليبية بصورة خاصة .

٧ - أما الفصل السابع ، فقد خصصته للعلاقات الخارجية التي كانت قائمة بين إربيل من جهة ، وكل من مركز الخلافة ومملكة الموصل والأيوبيين وملوك الأطراف المجاورين من جهة أخرى ، كي أبرز الدور الذي لعبته إربيل في النشاط السياسي والعسكري الذي ساد المنطقة في ذلك العصر .

٨ - ويتناول الفصل الثامن الأوضاع الدينية والقومية والاقتصادية بإربيل ، وأى شيء آخر لا مكان له في الفصول السابقة . وهنا قصرت حديثي على انتشار المذهب الشافعي بإربيل ، وعلى الوجود النصراني فيها ، لأن تفاصيل الحياة الدينية في الواقع قد عولجت في فصول سابقة عند الكلام على المؤسسات الدينية والخيرية ، وفي فصل الحياة الثقافية وما إلى ذلك ، وليس من المنطق تكرارها . أما بالنسبة للأوضاع القومية ، فقد أشرت بصفة خاصة إلى اختلاط القوميات في إربيل ، مع

إبراز الوجود العربي فيها ، حيث بدا ذلك واضحاً في استعراب أهلها وظهور عدد كبير من العلماء والأدباء العرب من بين أهلها وفي مقدمتهم صاحبنا ابن المستوفي «العربي اللخمي» . وفي الفقرة المتعلقة بالحياة الاقتصادية ، توهت بالازدهار الاقتصادي لإربل ووفرة المال بيد حكامها ، مما مكنهم من إنشاء الكثير من المؤسسات داخل الإمارة وخارجها والإنفاق بسخاء على أهل العلم ومساعدة الفقراء والعجزة والمحتاجين . وذكرت شيئاً عن ضرب النقد بإربل . وختمت هذا الفصل بفقرة لم أجد لها مكاناً في أى موضع آخر ، وهي «إربل في نظر الشعراء» .

ثانياً :

لقد خصصت القسم الثاني من هذا البحث للمؤلف ابن المستوفي ، وينقسم إلى ثلاثة فصول .

١ - الفصل الأول يتناول اسم المؤلف ونسبه وأسرته ، ثم ولادته ورحلاته والوظائف التي تقلدها . كما يتناول أخلاقه وسلوكه الديني ، مع محاولة لإلقاء الضوء على المذهب الذي كان يقلده . وأخيراً لجوءه إلى الموصل ووفاته فيها .

٢ - أما الفصل الثاني فيتناول دراسته وشيوخه الذين درسوه ، ثم الشيوخ الذين قرأ عليهم وأجازوه ، وأخيراً الشيوخ الذين سمع منهم بصورة عارضة . كما يتناول الفصل الإشارة إلى المصادر الثقافية الأخرى التي استمد منها المؤلف ثقافته كالكتب والمجالس الأدبية .

٣ - ويتناول الفصل الثالث مكانة ابن المستوفي العلمية ، فأحدث عن اهتمامه الكبير بالحديث النبوي وبروزه فيه ، وعن منزلته الأدبية واللغوية ، ومكانته كناقد ، وسعة اطلاعه ، ومردداً للشواهد على ذلك بشيء من التفصيل . ثم أنه بشاعريته التي كفلت له مكانة حسنة بين الشعراء . وأحدث في هذا الفصل أيضاً عن مجلس ابن المستوفي الذي كان أهل العلم والأدب يرتادونه . وأعقب بذكر مؤلفاته التي بلغت العشرين عدداً . ثم أتكلم عن تلاميذه أو الذين ظننت أنهم كذلك .

هذا وقد أرجأت البحث في موضوع تقييمه كمؤرخ إلى القسم الثالث من هذه

الدراسة ، عندما أتناول «تاريخ إربل» بالتفصيل ، لأنه في اعتقادي هو الموضوع المناسب لتقييم مكانة المؤلف بين المؤرخين .

ثالثا :

خصصت القسم الثالث من دراستي للحديث عن «تاريخ إربل» ومكانة ابن المستوفي كمؤرخ ، وهو في خمسة فصول :

١ - تناولت في الفصل الأول «تاريخ إربل» ، وصفه وموضعه بين كتب التاريخ وقد مهدت إليه بالكلام عن التاريخ عند المسلمين ، والفنون التي ألفوا فيها ، ولاسيما كتب التراجم والتواريخ المحلية التي «تاريخ إربل» يعتبر واحداً منها ، ثم عرفت بالكتاب ذاكراً اسمه والاختلافات التي تعرض لها هذا الاسم ، وعدد أجزائه ، وهنا جئت بالأدلة المؤكدة على تعددها . وعقبت على ذلك بالحديث عن مادة الكتاب ، كالحقبة التي يتناولها ، ومحتوياته من التراجم ، فتكلمت عن طوائف أصحابها ، ووصفت تلك التراجم بإيجاز . ثم تعرضت لنظام ترتيبها الذي لم يتبع فيه المؤلف أية قاعدة ثابتة .

٢ - ويتناول الفصل الثاني أسلوب ابن المستوفي في «تاريخ إربل» فتكلمت أولاً عن الشروط التي فرضها المؤلف على نفسه ، كتاريخ الواردين إلى إربل ، وخروجه أحيانا على تلك الشروط ، لا سيما على سبيل الاستطراد . وثبتت على ذلك بذكر المنهج الذي اتبعه المؤلف ، وهنا أبرزت الوعي التاريخي الذي يتمتع به ، وتصرفه كمؤرخ مسؤول . وأشارت إلى اهتمامه بالسند ورواة الأخبار ، وحرصه على إيراد التواريخ في كل مناسبة يتيسر له تاريخ وقوعها . وتناولت بعد ذلك أمانته ودقته وصراحته ، وهى الصفات التي ينبغي توافرها في المؤرخ . وتحدثت كذلك عن حرصه على إدراج النصوص مما أغنى الكتاب بمادة تاريخية ثمينة ، ثم تعريفه بالمواقع الجغرافية ، وميله إلى الاختصار .

٣ - وتناولت في الفصل الثالث المصادر التي اعتمدها ابن المستوفي في «تاريخ إربل» ، سواء أكانت الرواية الشفوية عن أشخاص - وقد ذكرت بعضا منهم والنقل عن الكتب المعتمدة ، أو باستنساخ الحواشي والتعليقات التي يجدها مسطورة في

بعض الكتب ، أو النقل عن الأجازات والاشهادات والخطوط ، أو الرجوع إلى الرسائل الواردة إليه أو المتبادلة بين بعض الأشخاص ممن لهم علاقة بموضوع الكتاب . كذلك استفاد المؤلف من النقوش الجدارية والكتابات التي دأب البعض على تسطيرها على الحيطان ، ولاسيما حيطان المساجد والأماكن العامة .

٤ - أما الفصل الرابع فقد خصصته للبحث في أهمية «تاريخ إربل» ، ولاسيما كمصدر اعتمده المؤرخون ، وهنا تعرضت للكتب التي نقلت عنه ، وخصوصا المهمة منها ، مثل «عقود الجمان» لابن الشعار و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ، و«تكملة المنذري» ، و«كتاب الروضتين» وذيله لأبي شامة و«ذيل مرآة الزمان» لليونيني و«الوافي» للصفيدي وغيرها .

وثبتت على ذلك ببحث مزايا هذا الكتاب ، وهنا تناولت أهمية التراجم الواردة فيه ، وكون ما ورد فيها هو حصيلة لقاءات شخصية بالدرجة الأولى ، مما يجعل للمعلومات التي تضمنتها قيمة خاصة . كما أن المؤلف ترجم لطوائف من الناس عديدة ولم يقتصر على فئة معينة أو أهل بلد مخصوص . وعلاوة على ذلك فالكتاب يضم نصوصا أدبية مهمة منقول بعضها عن كتب مفقودة ، أو عن روايات شفوية أو رسائل شخصية أو تعليقات خاصة . فضلا عن ذلك فالكتاب غني بالشعر ، إذ حرص مؤلفه على رواية الكثير منه حتى بلغ عدد الأبيات الواردة فيه ٢٥٠٠ بيت ، بعضها لا يتوقع العثور عليه في أي مرجع آخر ، لأن المؤلف رواه عن قائله مباشرة ، وأن بعضه قد نظم لتلك المناسبة . والكتاب أيضا يلقي الضوء على بعض الأحوال في عصر المؤلف ، فتضمن إشارات عديدة إلى الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية والأدبية والاجتماعية ، ويتناول بعض الأمور الدينية أيضا . وهو يبرز دور المدن الصغيرة في النشاط الثقافي في تلك الأيام ، كما يشير إلى دور الأكراد - على ضئالته - في الحياة العامة لمنطقة إربل . وينفرد الكتاب ببعض الأخبار ، ومنها قصة بناء الحجرة النبوية المطهرة في عهد المسترشد ، مما لم أجد له ذكراً في أي مرجع ذي علاقة . ثم أنه يلقي بعض الضوء على خطط مدينة إربل وعمرانها . وأخيراً فالكتاب دليل واضح على الوحدة الروحية والثقافية التي كان العالم الإسلامي يتمتع بها في عصر المؤلف ، رغم التمزق السياسي الذي انتابه

واستحكام العداء بين حكامه الذين كانوا في نزاع مستمر . وهذا واضح من سعة الرحلات التي قام بها العلماء في ذلك الزمان من مشرق العالم الإسلامي ومغربه على السواء ، ومن الترحيب الذي كانوا يلقونه أينما حلوا وحيثما ارتحلوا ، الأمر الذي ساعد إلى حد كبير على ازدهار الحياة الثقافية وتقدمها بنتيجة تبادل الأفكار وانتشار الكتب وسرعة تداولها بسبب تلك الرحلات .

هـ - جعلت الفصل الخامس خاتمة للبحث ، تضمنت خلاصة موجزة جداً لما قلته عن «تاريخ إربل» وأسميته بين كتب التاريخ ، والمزية التي انفرد بها بتاريخ أحوال مدينة خاملة الذكر صغيرة كإربل .

ولقد راجعت في إعداد هذه الدراسة مئات المراجع على اختلاف أنواعها وتباين مواضيعها ، مما هو مدون في ثبت المراجع ، لكن «تاريخ إربل» كان هو مرجعي الأول . فلقد اعتمدت عليه - قبل أى كتاب آخر - في رسمي لصورة إربل في عهد ابن المستوفي ، لأنه في اعتقادي هو المصدر الموثوق لمعرفة أشكال تلك الصورة وألوانها .

رابعاً :

ويتناول القسم الرابع من هذه الدراسة النص المحقق من «تاريخ إربل» ومقدمتي له . وقد تناولت في هذه المقدمة الظروف التي جعلتني أختار موضوع تحقيق «تاريخ إربل» ، ثم ذكر المخطوطة ووصفها المادي ، وورقها وخطها وأسلوب إملائها وترتيب أوراقها ، وما فيها من حواش وتعليقات .

وحيث أن ورقتها الأولى ليست أصلية ، فقد وجدت من المفيد التعرض لموضوع نسبتها إلى ابن المستوفي ، وسقت الأدلة المستفادة من خلال نصوصها على تأكيد صحة تلك النسبة ، كي لا أُدع مجاًلاً للشك والارتياح في كون الكتاب الذي نحن بصدده هو «تاريخ إربل» . وكذلك شرحت الأسباب التي حملتني على الاعتقاد بأن المخطوطة منقولة عن مسودة وليس عن نص نهائي للكتاب ، مدللاً على ذلك بعدم انسجام بعض المعلومات الواردة فيه مع بعضها الآخر ، أو مع ظروف التأليف ، وتكرر ورود بعض التراجم بدون مبرر واضح ، ثم عدم ترتيبها وفق أى نظام ثابت معروف .

ثم تناولت منهجي في تحقيق النص ، والجهد الذي بذلته في تثبيته لاسيما وأن المخطوطة نسخة فريدة لا أخت لها ، مما جعل مهمة التحقيق شاقة . وتحدثت عن سبب اهتمامي بالإكثار من الحواشي ، وبيّنت أن غرضي من ذلك هو إيضاح كل ما يحتاج إلى إيضاح ، والتعريف بأصحاب الأسماء الواردة في المتن من أشخاص ومدن وكتب أو أحداث ، تسهيلا على القارئ ، علاوة على كون مثل هذا التعريف - في اعتقادي - هو جزء من التحقيق الصحيح . وأشارت إلى الفوائد الجمة التي حصلت عليها من وراء ذلك التحقيق الدقيق ، إذ أعانني على جمع المعلومات المتناثرة هنا وهناك من أجل إعداد مادة الأطروحة ^(١) وكتابة تاريخ إربل في عهد المؤلف ، بشكل لا يمكن العثور عليه في أي مرجع آخر قديم أو حديث .

ويجدر بي أن أذكر هنا بأنني قمت بتحقيق الجزء الثاني من «تاريخ إربل» كله بالشكل المشار إليه آنفا (أي إغناؤه بالحواشي والتعليقات الدسمة) ، حتى صار معداً للنشر في أي حين . ولقد بذلت كل ما في وسعي لإخراجه بما يرضي أهل العلم والاختصاص ويرضى ضميري قبل كل شيء . وأرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة عن الجهد الذي بذلته بهذا الصدد أداءً للواجب الذي أليت على نفسي أدائه ، ومن الله التوفيق .

سامي بن السيد خماس الصقار

كمبرج (بريطانيا) في ١/ذي القعدة سنة ١٣٩٤ هـ

الموافق ١٦ / تشرين الثاني ١٩٧٤ م

(١) لعل من الضروري أن أشير إلى أن هذه الدراسة هي في الأساس أطروحة للدكتوراة ، نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من جامعة كمبرج في بريطانيا ، في سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م . أما تحقيق «تاريخ إربل» فقد كان عملا مستقلا . وقد تم بحمد الله نشره من قبل وزارة الإعلام العراقية في عام ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ضمن سلسلة كتب التراث ، وبلغ عدد صفحات الجردن حوالي (١٧٥٠) صفحة

القسم الأول - إربل

الفصل الأول - إربل وتاريخها

١ - اسمها وموقعها :

قبل الكلام على تاريخ إربل ، لابد من ذكر شيء عن اسمها فاقول ، إن إربل هي أربيل الحالية ، أو كما يسميها الأكراد «أرويل» ، لأنهم يقلبون الباء واواً ، فيقولون مثلاً عن «الماء - آب» : (آو) وهم أيضاً يسمونها أولير أو هولير . والظاهر أن هاتين التسميتين كانتا سائدتين عند زيارة «بكنغهام» لإربل ، وقد نقل بكنغهام أن أحد الرجال الأجانب سماها "HARPEL" سنة ١٨١٦ (رحلة بكنغهام ص ٩٦ - ١٠٠) . أما اسمها في التاريخ الإسلامي وكتب الجغرافيين المسلمين فهو «إربل» (بكسر الهمزة أو فتحها ، وقد ضبطها شيخ الربة ص ١٩٠ بالفتح) . أما اسمها السامي القديم فهو «أربا - إيبلا ، أربيللا ، أربائليو ، أربيلم ARBELA, ARBA, IL, ARBA-ILU, URBILUM وسماها المؤرخ بليني PIINY أربيليتس ARBELITIS^(١) والمعروف أن هذا الاسم معناه «مدينة الآلهة الأربعة إذ كانت إربل مدينة مقدسة فيها بعض المعابد التي تضم الآلهة «عشتار ISHTAR وهي الزهرة VENUS ، كما تضم الشمس وإلهة خاصة بمدينة إربل تسمى «شريل» . إلا أن الإله الرابع غير معروف ، ولعله كان إله القمر ، إذ عُرف عن قدماء العراقيين عبادتهم له أيضاً .

ومما لا شك فيه أن إربل قديمة جداً ، إذ ورد ذكر «أربيلم» في مدونات «ولكي» ملك سومر الذي عاش حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد . كما ورد ذكرها في المدونات البابلية -

(١) هذا وقد نقل الفارسي مؤرخ مكة المكرمة في كتابه «العقد الثمين» أن أحد أبناء إسماعيل (عليه السلام) كان اسمه أيضاً «أربل» (العقد ج ١ / ص ١٣٦) . كما أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو زار قرية في فلسطين تقع بين عكا وطبرية تحمل هذا الاسم أيضاً (سفر نامه - الترجمة العربية ، ص ٥٢) . والغريب أن الدكتور طليعات في كتابه «كوكبوري» ص ١٨٩ - يقول - نقلاً عن الموسوعة البريطانية فيما يزعم - بأن «إربل» قد اتخذت اسمها هذا عن معركة وقعت سنة ٣٣١ قبل الميلاد ، بين الاسكندر الكبير وداريوس ، ثم يقول «وتتفق الدائرة - أي الموسوعة الإسلامية - مع دائرة المعارف البريطانية في أن اسمها (أربلا) منذ أن حدثت وقعة الاسكندر الأكبر» . أقول وهذا يوهم بأن هذا الاسم لم يكن معروفاً قبل وقوع تلك المعركة وهذا غير صحيح . ويبدو أن السيد طليعات قد أخطأ ترجمة ما قرأ في الموسوعتين المذكورتين .

الآشورية بعدئذ بصيغة «أربا - ايلو» وقد نصب فيها الآشوريون علاوة على أصنام الآلهة سالقة الذكر ، صنما للإله آشور (وهو كبير الآلهة) وجعلوا من إربل عاصمتهم الدينية ، فأصبحت بمثابة القلب بالنسبة لعواصمهم الأخرى . وكان ملوكهم يؤثرونها بعناية خاصة ، إذ كانوا علاوة على سلطانهم الدنيوى ، يشغلون منصب الكاهن الأعظم . وبلغ من تقديسهم لمعابد إربل أن كان الملوك يحجون إليها ، ولا سيما قبل الإقدام على حملاتهم العسكرية ، طلبا للنصر والبركة . وكانت الآلهة «عشتار» هي الأثيرة عندهم . وعشتار هذه تعتبر من أعظم الإلهات في الديانات القديمة ، إذ شُيّدت لها المعابد واستطالت عبادتها أمداً طويلاً بين سكان العراق القدامى وغيرهم كالفنقيين والحثيين والآراميين والفلسطينيين وعرب الجنوب . بل وانساب «عشتار» إلى أساطير اليونان ومنها إلى أنحاء أوربا الأخرى . وقد بلغ من حرمة العراقيين لها أنهم كانوا يسمون «إربل» في الملونات المسماة E-KASHAN-KALAMA أى «بيت سيدة الأقاليم» ، ولذا يمكن القول بأن إربل كانت أشبه بمدينة «دليفي» اليونانية بالنسبة لهم . ويبدو أن حرمة هذه المدينة صانعتها من الخراب لفترة طويلة رغم كثرة الحروب التي تعرضت لها ، ووقوعها على طريق الجيوش المتقاتلة .

هذا والجدير بالذكر أن لإربل أهمية أخرى هي وقوعها على الطريق السلطاني الذي كان يسلكه سعاة البريد منذ أيام هيرودوت ، وأن بعض خطوط هذا الطريق لازالت مستعملة في وقتنا الحاضر . وعلاوة على ذلك ، فإن إربل تقع في وسط إقليم مهم يسمى «حدياب أو اديابين Adiabene» نسبة للزابين (يقول السيد طليمات ص ١٩٤ عن هذا الإقليم بأن الجغرافيين العرب سموه «أرض إربل» دون أن يشير إلى المصدر الذى لم أوفق فى الاهتداء إليه) ، أو «أثوريا Autria» أو «ARBELITIS» نسبة للمدينة نفسها ، وقيل «حزة» (ذكر ياقوت فى بلدانه ٢/٢٦٣ أن حزة كانت من قبل قسبة كورة إربل) . وهذا الإقليم سهل متبسط يحده شمالا الزاب الأعلى ، وجنوبا الزاب الأسفل ، وغربا نهر دجلة ، وشرقا هضبة الجبال الممتدة حتى حدود أذربيجان الإيرانية (يقول السيد طليمات ص ١٩١ «ويقوم إقليم إربل على هضبة (صناعية) خصبة شبه مستوية» . أقول ويبدو أنه قد توهم فى ترجمة ما قرأه فى الموسوعة البريطانية من أن (مدينة) إربل مشيدة على تل اصطناعي ، فظن أنه الإقليم) . وقد كانت هذه المنطقة على حظ كبير من الرفعة فى أيام

الأشوريين والفرس من بعدهم ، حتى أن الاسكندر عندما دخل إربل بعد هزيمته للفرس ، وجد في خزاناتها أثاثاً وكنوزاً ملكية طائلة وغنم فيها أموالاً كثيرة . وحيث أن هذا الإقليم كان متاخماً لحدود عدد من الدول ، فقد كان عرضة للتنازع بينها . من ذلك مثلاً دول السلوقيين والفرس والأرمن والرومان (انظر مقال السيد فؤاد جميل - مجلة سومر مج ٢٥ لسنة ١٩٦٩ ص ٢١٩ ، رحلة بكنفهام ص ٩٦ - ١٠٠ وكتاب AINSWORTH ص ٢٦٢ ، وفيما يتعلق باسم إربل انظر مخطوطتنا ورقة ٢٥ أ ، بلدان ياقوت (مادة إربل) ومراسد ابن عبد الحق ٤٢/١ ، والمشارك صقعا لياقوت ص ١٩ وبلدان أبي الفداء ص ٤١٢ - ٤١٣ ، وكتاب القزويني) . وهي في الوقت ذاته مركز تجاري لأهل المنطقة كلها .

وتقع إربل الحالية إلى الشمال الشرقي من بغداد ، في سهل منبسط ، على خط العرض ٣٦ درجة شمالاً وخط الطول ٤٢ درجة شرقاً . وترتفع عن سطح البحر بحوالي ١٣٠٠ قدم . وهي على الطريق الذي يربط بين بغداد والموصل ماراً بركوك . وتبعد عن الموصل بحوالي ٤٠ ميلاً . وهي الآن مركز اللواء يعرف باسمها ويشمل أراضي إقليم «حدياب» أنف الذكر ، ويمتد حتى الحدود الإيرانية شرقاً ، وتبلغ مساحته ١٥٣١٥ كيلو متراً مربعاً ، بينما تبلغ مساحة مركز قضاء إربل ١٤٨٤ كيلو متراً مربعاً (وقبل الانتهاء من هذه الدراسة أعلنت الحكومة العراقية اتخاذ إربل عاصمة لإقليم كردستان الذي منحه الحكم الذاتي ، وأنها أصبحت مقراً لإدارة الإقليم المذكور) وتشير الإحصاءات التي تمت سنة ١٩٦٥ م إلى أن نفوس هذا اللواء بلغت ٢٥٦٢٩٣ نسمة يسكن حوالى ٩٠ ألفاً منهم مدينة أربيل نفسها (المجموعة الإحصائية السنوية لسنة ١٩٦٩ - وزارة التخطيط ببغداد ص ٤٧ و ٤٨ و ٦٧ و ٨٦ و ٨٧) . أما تخمينات عام ١٩٧٠ ، فتقدر عدد سكان اللواء بحوالى ٤٢١ ألفاً . ولعله من المفيد هنا أن نعود إلى اللواء ونذكر بأن سكان إربل - وفقاً لإحصاءات سنة ١٩٢٠م - بلغوا حوالى ١٠٦٠٠٠ نسمة ، منهم ٩٦١٠٠ مسلم و ٤٨٠٠ يهودي و ٤١٠٠ مسيحي و ١٠٠٠ من أتباع ديانات أخرى (مفصل جغرافية العراق لطف الهاشمي ص ٨٦ - ٨٧) .

للاستزادة عن هذا الموضوع راجع «بلدان ياقوت» ١/٨٧ و «المشارك وضعاً» له ص ١٩ ، «الموسوعة البريطانية» ط ١١ ج ٢/٣٢٣ ، الموسوعة الإسلامية «ط ١٩٢٧ ج

٢٨/٢ و ٥٢١ ، «دائرة معارف البستاني» ط ١٨٧٧ ج ٢/٧٦٥ و ٧٧١ ، «بلدان أبي الفداء» ط باريس ص ٤١٢ - ٤١٣ ، «نخبة الدهر» ص ٩٦ و ١٩٠ و ٢٥٥ ، «صبح الاعشى» ٣٦٦/٤ ، «تاريخ الكرد» لأمين زكي ص ٤ و ١٢٦ و ١٦٧ ، كتاب "AINSWORTH" ص ٣١ و ١٦١ ومجلة «العربي» الكويتية - العدد ١٩٦ لشهر آذار ١٩٧٥ ص ٧٠ - ٨٦ ، وفيه استطلاع عن «إربل» الحديثة ، انظر أيضا «شرح نهج البلاغة» ج ٣ ص ٨١ .

٢ - إربل في التاريخ :

أولاً - إربل قبل الإسلام :

كما سبق وأشرنا إلى أن أول ذكر لإربل يعود إلى حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، وأنها كانت منذ البداية مدينة مقدسة ، إلا أنها تدين بازدهارها إلى الآشوريين الذين جعلوها كعبتهم وأحاطوها بعنايتهم . وقد بلغ من عنايتهم بها أن جلبوا إليها المياه بأقنية خاصة محفورة تحت الأرض من مسافات بعيدة (راجع مقال الأستاذ فؤاد سفر عن تلك القنوات ، وهو بعنوان «أعمال الإرواء التي قام بها سنحاريب في نينوى وأربيل» في مجلة سومر مج ٣ لسنة ١٩٤٧ ص ٧٧ - ٨٦) . وقد كانت إربل محجاً لملوكهم الذين كانوا يقضون فيها أياما عديدة للتعبد وطلب البركة . وكانت تذكر على الدوام إلى جانب عواصمهم الكبرى كآشور ونيوى (جغرافية العراق ص ٤٦٠) . ولقد ورد ذكرها في بعض الوثائق الآشورية التي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد (موسوعة إسلامية ٢/٥٢١) . ويشير البستاني (٢/٧٦٥) إلى احتمال أن تكون إربل هي «بيت اربيل» المذكورة في الإصحاح العاشر من سفر «هوشع HOSIA» من أسفار العهد القديم ، غير أنه ليس لديه دليل يؤيد ذلك . وعلى كل حال يمكن القول بأنه لم يكن لإربل دور سياسي مهم في التاريخ القديم ، وإنما كانت علاوة على مركزها الديني ، مفترقا لطرق القوافل مما ضمن لها البقاء رغم تقلب الأحوال . ولكن هذا لا يعنى أنها لم تقم بأى دور سياسي ، ذلك أن اسمها "ARBELITIS" أطلق على البلاد الآشورية كلها بعد تدهور نينوى ، إذ ازدهرت إربل حتى ليقال أنها أصبحت قاعدة لمملكة صغيرة استطاعت الصمود والاحتفاظ باستقلالها في عهد البارثيين ، خلال النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد . أما في العهد الساساني ، فقد صارت إربل مقراً لبعض الحكام الذين

كانوا يتمتعون باستقلال ذاتي في بعض الأحيان (انظر كتاب AINSWORTH ص ٢٦٢)

وحيث أن عرض تاريخ إربل القديم ليس من أغراض هذه الدراسة ، فيكفي أن أقول بأن اسمها اقترن بمعركة حربية حاسمة من معارك التاريخ ، هي تلك التي دحر بها الاسكندر الكبير جيوش الفرس ، وكانت بقيادة دارا ، في سنة ٣٣١ ق م (موسوعة بريطانية ، مادة «أربيل» ، موسوعة البستاني ٧٧٢/٢ ، كتاب FIEY ص ٤٠ ، كتاب FRASER ص ١٨ و ١٩٣) ومنذ ذلك الحين تقلبت الأحوال بإربل ، ولكنها كانت في الأعم الأغلب خاضعة لمن يتولى حكم العراق ، ولاسيما حكم المنطقة الشمالية منه .

كذلك من المستحسن أن أشير هنا إلى أن النصرانية قد تسربت إلى إقليم إربل وترسخت قواعدها فيه ، حيث أقيمت سنة ٥٠٠ م مطرانية كلدانية بها ، تضم الموصل وإربل . وبذلك انتهت عبادة عشتار التي استمرت أكثر من ٢٠٠٠ سنة . وعاش في إربل بعض الكتاب النصارى ، ومنهم «ميشحا زخا» الذي ألف كتابا بالسريانية عرف باسم «تاريخ إربل» ، ويرجح أن يكون ذلك في منتصف القرن السادس الميلادي (انظر مقال السيد فؤاد جميل سالف الذكر ، ومجلة «النجم» الموصلية) .

ثانياً - إربل في العصور الإسلامية :

١ - تاريخ إربل منذ الفتح حتى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م :

في سنة ١٨هـ / ٦٣٩ م دخلت منطقته إربل في الحكم الإسلامي ، ألا أن كتب الفتوحات لم تشر إلى إربل بالذات . ويرجع امين زكي (تاريخ الكرد ص ٣ و ١٣١ و ١٣٢) بأن فتح هذه المنطقة كان سنة ١٨هـ / ٦٣٩ م على يد عياض بن غنم الذي فتح إقليم الجزيرة وبعض قلاع الموصل . وقد عينه الخليفة عمر بن الخطاب - رض - أول عامل مسلم على تلك البلاد (فتوح البلاذري ١٧٢/١ وتاريخ الإسلام ٣٦/٢) . إلا أنني أرجح أن الفتح كان على يد عتبة بن فرقد السلمي الذي ولى الموصل سنة ٢٠هـ / ٦٤٠ م ، لأن عتبة هو الذي عبر دجلة إلى الجانب الشرقي وحارب أهل نينوى وفتح المرج وقراه وأرض باهذري وباعذري وحيثون وبانعاثا وغيرها من حزة (قال ياقوت في بلدانه ٤٨٨/٤ عن مرج الموصل أنه يقع إلى جانبها الشرقي ، وهو موضع بين الجبال فيه

مروج وقرى حسنة . كذلك انظر «بلدان ياقوت» ٤٧٢/١ و ١٩٣/٢ و ٦٨٣/٤ فيما يتعلق بالمواضع التي فتحها عتبة) . وهذه المناطق هي ألصق بإربل ، بل إنها تقع ضمن إقليم إربل ، وأن عتبة قد استمر في فتوحاته شرقي دجل حتى وصل أرمية . وكان من نتائج ذلك الفتح أن ألحقت شهرزور بالموصل وظلت كذلك إلى أيام الرشيد عندما فصلت عنها (فتوح البلاذري ٣٣١/١ - ٣٣٤) .

ويبدو أن إربل بعد انتشار الدين النصراني في منطقتها ثم تبعه الإسلام ، زالت عنها حرمتها الدينية ولم يبق لها ذلك المركز الممتاز . ولذلك انزوت في زوايا النسيان ، ولم يعد لها ذكر في الكتب لقرون عديدة إلا أن سهولها شهدت سنة ١٣٢٢هـ / ٧٤٩ م معركة حاسمة أخرى ، هي معركة الزاب التي أذنت بانتهاء الحكم الأموي وبداية عهد بني العباس (ذكر ياقوت في بلدانه ٩٠٤/٢ عن يوم الزاب هذا أنه كان بين مروان بن محمد وعبد الله بن علي عم السفاح العباسي وأن المعركة وقعت على الزاب الأعلى بين الموصل وإربل . انظر «كامل ابن الأثير» ٣١٩/٥ و «تاريخ الإسلام» ٢٠٣/٥ و ٢٠٤ و «شذرات» ١٨٣/١) . وقد استمر ذكرها مطويا حتى أن المؤرخ الطبري مثلاً لم يذكرها ولا مرة واحدة . وقد ورد ذكرها لأول مرة على لسان الجغرافيين المسلمين من قبل ابن خرداذبه وقدامة بن جعفر ، وهما من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين على التوالي وذلك عند حديثهما على التقسيمات الإدارية في العراق . فذكرا بأن إربل هي إحدى طسوج حلوان الخمس (المسالك والممالك ص ٦ و ٢٣٥) وقد اعتبرها من أعمال العراق . وبعد ذلك صار يشار إليها على أنها من أعمال الجزيرة والموصل بالذات (جاء في «نخبة الدهر» ص ١٩٠ على أنها حصن عظيم ، وأنها كانت من قبل تعد في بلاد السواد ثم أضيفت إلى الموصل ، ثم أفردت وصارت مملكة قائمة بنفسها ، لها حصون منيعة وهي بين الزابيين . واعتبرها أبو الفداء في بلدانه ص ٤١٢ - ٤١٣ ط باريس ، من إقليم الجبال) .

وقد استقرت كتب التاريخ الإسلامي ، فلم أجد لها إلا ذكراً عابراً سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨ م عندما وقعت معركة بالقرب من إحدى قرأها تسمى «حزة» بين عسكر الموصل ومساویر الخارجي (كامل ابن الأثير ١٢٧/٧ ، وقد توهم المحقق فسماها «حرة» بالراء المهملة ، والصحيح بالزاي وفقاً لما ذكره ياقوت في بلدانه ٢٦٣/٢ ، وقال أنها بليدة قرب

إربل وقد كانت قصبة كورة إربل قبل) . إلا أن ذكرها أخذ يتردد في ثنايا الكتب منذ أواسط القرن الخامس الهجري . ولعل من المفيد إدراج هذه الإشارات ، لأنها تلقي بعض الضوء على تطور مركز إربل وارتباطاتها السياسية .

أ / أول إشارة عثرت عليها كانت سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥ م ، إذ ذكر ابن الأثير (كامل ٢٦٢/٩) أنه قتل في تلك السنة عيسى بن موسى الهذباني صاحب إربل ، قتله ابنا أخ له وسارا إلى قلعة إربل فملكها ، وكان سلار بن موسى أخو القتيل نازلا على قرواش ابن المقلد صاحب الموصل ، لنفرة كانت بين سلار وأخيه . وعندها سار قرواش معه إلى إربل فملكها وسلمها إلى سلار .

ب / وذكر ابن الأثير (كامل ٣٧٥/٩) في حوادث سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م اختلاف قرواش والأكرد الحميدية والهذبانية . وكان للهذبانية قلعة إربل وأعمالها . وكان صاحب العقر حينئذ أبو الحسن ابن عيسكان الحميدي ، وصاحب إربل أبو الحسن ابن موسك الهذباني . وقد أعان الأول أبا علي بن موسك أخا أبي الحسن المذكور على أخذ إربل من أخيه ، فملكها منه وأخذه أسيراً . وهنا تدخل قرواش في الأمر محاولاً إعادة الأمور إلى مجراها السابق مما أدى إلى مالبسات لا حاجة لذكرها ، ويكفي أن نقول أنها عمقت الوحشة بين الأكرد وقرواش (يقول أمين زكي في تاريخه ص ١٤٨ حاشية ، بأن إربل كانت من مناطق الأكرد الهذبانية) .

ت / وأشار ابن الأثير أيضاً (كامل ٤٣٩/٩) في أحداث سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م إلى وجود ابن موسك صاحب إربل داخل قلعة الموصل عندما حاصرها البساسيري وقريش ابن بدران ، وأنه طلب الأمان عندما اشتد الحصار فحصل عليه له ولبن في القلعة ، وبعد خروجهم منها هدمها البساسيري وعفى أثرها .

ث / كذلك ذكر ابن الأثير (كامل ١٠ / ١٥٩) في حوادث سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ، مرور بركيارق السلجوقي بإربل في مسيره من نصيبين إلى اذريجان ، لملاقاة عمه تتش . وقد انهزم في تلك المعركة .

ج / وأشار ابن الأثير أيضاً (كامل ١٠ / ٢٦٢) في حوادث سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م إلى مرور السلطان محمد السلجوقي بإربل في طريقه من تبريز إلى الموصل لأخذها من جكرمش صاحبها .

ح / وجاء في حوادث سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م (كامل ابن الأثير ١٠ / ٢٩٢) إن السلطان محمد أنف الذكر وافق على إبقاء جكرمش على الموصل شريطة أن يقدم إليه الأموال المتفق عليها ، لكنه نكث عن ذلك مما حمل السلطان على إقطاع الموصل لجاولي الذي سار من بغداد فأخذ البوازيج أولا ، ثم توجه إلى إربل مما حمل صاحبها أبو الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني (قال أمين زكي في تاريخه ص ١٥٠ بأن أبا الهيجاء كان حاكما لإربل وأنه قاتل جيوش السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي عند زحفها على الموصل سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م) على مكاتبة جكرمش للاتفاق على مدافعة جاولي ، واجتمعت عساكر إربل والموصل في قرية باكلبا ، وهي من قرى إربل ، ولكن جاولي هزمهم (بلدان ياقوت ١/٤٧٧ وكامل ابن الأثير ١٠ / ٢٩٤) . ويبدو أنه لم يحتل إربل ، إلا أنه أسر أولاد أبي الهيجاء ، ثم أطلقهم بعد مساومات ، لا فائدة من ذكرها .

خ / وفي حوادث سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م ذكر ابن الأثير (كامل ١٠ / ٣٢٠) بأن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي طلب إلى أمراء شمالي العراق بالمسير إلى الموصل وأخذها من جاولي ، وكان بينهم أبو الهيجاء صاحب إربل .

د / وأشار ابن الأثير أيضا (كامل ١٠ / ٢٤٠) إلى قيام السلطان سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م بمكاتبة عدد من الأمراء - ومن بينهم أبو الهيجاء المذكور - ليلحقوا بالملك مسعود والأمير مودود صاحب الموصل ، لقتل الفرنج وذكر ابن القلانسي أنه اشترك مع مودود في حصار الرها سنة ٥٠٤ هـ (ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٤) .

ذ / وجاء في أحداث سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م (كامل ابن الأثير ١٠ / ٣٧٨) إشارة إلى انضمام أبي الهيجاء صاحب إربل إلى الجيوش التي تحالفت ضد البرسقي .

ر / وذكر ابن الأثير (كامل ١٠ / ٤٤٧) في حوادث سنة ٥٢٠ هـ / ١٢٦ م بأن عز الدين مسعود لما استقر في ولاية الموصل ، قبض على الأمير بابكر بن ميكائيل - وهو من أكابر الأمراء - وطلب منه أن يوعز لابن أخيه أن يسلم قلعة إربل إلى الأميرين فضل وأبي علي ابني أبي الهيجاء ، وكان ابن أخيه قد أخذها من أبيهما سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م . وقد تم تسليم القلعة إليهما فعلا . وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٣١ ب) «البابكرية» حكام إربل ، ولكنه لم يذكر الزمن الذي حكموا خلاله . أما آل أبي الهيجاء ، فهي عائلة كردية كبيرة تردد ذكرها في كتب التاريخ ، من ذلك مثلا ما ذكره ابن الأثير

(كامل ١١ / ٨ و ٧) من وجود علي بن أبي الهيجاء صاحب قلعة اشب المتوفي سنة ٥٢٨ هـ ، كما ذكر ولده أحمد ، وأحمد هذا هو والد «علي بن أحمد المعروف بابن المشطوب» من أمراء صلاح الدين ، وقد توفي سنة ٦٦١ هـ (ذيل المرأة لليونيني ٢ / ٢٢٤) - وقد ذكر ابن الجوزي (منتظم ٣ / ١٠) وصول ابن «الهيح» الكردي إلى الموصل ومعه عساكر كثيرة لمناصرة الخليفة المسترشد في حصاره للموصل سنة ٥٢٧ هـ . وذكر ابن الأثير (اتابكية ص ٢٥٥) أنه كان في عسكر شيركوه بمصر قطب الدين خسرو بن تليل ، وهو ابن أخي أبي الهيجاء - صاحب إربل وقد طأب عند وفاة شيركوه بالوزارة لنفسه ، لكنها صرت إلى صلاح الدين (ذيل اليونيني ١ / ٤٣ و ٥٠١ - ٥٠٢ والروضتين ١ / ١٦٠ و ١٨١ وتاريخ الكردي لزكي ص ١٥٠ - ١٥٤ والعراق في العصر السلجوقي لحسين أمين ص ٢٤٢) . أما فضل بن أبي الهيجاء أنف الذكر فقد ذكره أسامة بن منقذ (ص ٦٥) من «كتاب الاعتبار» وطبعة حتى ص ٨٧ وعباس العزاوي في مقاله عن إربل (مجلة المجمع ص ٤١٣) .

ز / وذكر ابن الأثير (كامل ١٠ / ٤٥٠ والباهر ص ٢٠) في حوادث سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م : أن عسكر الخليفة المسترشد عزم على كبس عسكر السلطان محمود الذي كان يحاصر بغداد ، فغدر به أبو الهيجاء الكردي صاحب إربل ، وخرج وكأنه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان . ولما رأى الخليفة خروج أبي الهيجاء على هذه الصورة أجاب إلى الصلح . هذا وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٩٥ ب و ١٧٤ أ) بين حكام إربل أبا الهيجاء بن أبي علي الذي كان حيا سنة ٥٢٥ هـ .

يتضح مما تقدم بأن إربل كانت منذ أوائل القرن الخامس الهجري ، أمانة توالي على حكمها بعض العوائل الكردية من آل موسك وآل أبي الهيجاء والبابكرية . ولكنها في سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م دخلت تحت حكم أتابكة الموصل ، وقد تولاهم نيابة عنهم آل بكتكين حتى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م عندما مات كوكبوري وعادت إربل إلى حظيرة الخلافة . وبالنظر لأهمية هذه الفترة فسنفرد لها فصلا خاصا يأتي في موضعه إن شاء الله ، ثم نتبعه بفصول أخرى عن كوكبوري نفسه وحكومته ومختلف مظاهر الحياة في إربل في عهده .

٢ - إربيل تحت حكم الخليفة والغزو المغولي :

استمر الحكم الذاتي لولاية إربيل - كما أسلفنا - حتى وفاة كوكبوري سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، وعندها تسلم جيش الخليفة المستنصر بقيادة إقبال المستنصري الحكم فيها (الحوادث الجامعة ص ٤٥ و ٣٠٩ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٥) . وقد حاول أيوب بن الكامل وإسماعيل بن العادل (كان الأول في آمد والثاني في سنجار) ، أن يأخذا كل منهما لنفسه ، ولكن عسكر الخليفة سبقهما إليها ، ويبدو أن بعض ممالك كوكبوري لم يسلموا القلعة دون قتال ، وقد قال ابن الشعار بأن جيش المستنصر أخذ المدينة عنوة (عقود الجمان - مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ١٩ والحوادث الجامعة ص ٣٣ و ٤٨ ومراة السبب ٨ / ٦٨٠) . وقد تولى حكمها الأمير باتكين نيابة عن الخليفة ، وقد استوزر ابن المستوفي لمساعدته في تدبير شؤون الولاية ولقد مدحه ابن المستوفي بقصيدة (سنذكرها إن شاء الله ضمن شعر ابن المستوفي) انظر «عقود ابن الشعار» مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٩ . أقول أن تعيين باتكين حاكما لها يدل ولاشك على اهتمام الخليفة بإربيل ، ذلك أنه كان حاكما على البصرة بحربها وخراجها لمدة ٢٣ سنة . وقد عرف بالإصلاح وحب العلم ، فبنى بالبصرة المدارس والربط وعمر المساجد والمستشفيات ، وكان حسن السيرة جيد السياسة ، وهو على مستوى عال من رجال الحكم . ولولا أهمية إربيل لما فرط به الخليفة ونقله من البصرة ثاني مدن العراق . إلى إربيل (كامل ابن الأثير ١٢ / ١٧٥ وفيه تصحيف اسمه إلى «ملتكين» ، الحوادث الجامعة ص ٣٣ - ٤٨ و ١٨٠ - ١٨٢ ، شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٢ / ٣٧٠ و ٢ / ٣٨٢ ، «وفيات» ٢ / ١٧٢ ، مراة السبب ٨ / ٦٩٩ ، تاريخ ابن الساعي ص ٧٥ - ٧٦ ، معجم ابن الفوطي ٢ / ٧١٦ استطرادا) .

والجدير بالذكر ، أن المغول عندما بدأ تسربهم إلى العراق أخذوا في مهاجمة إربيل ، وقد هاجموا عدة مرات في سني ٦١٧ و ٦٢٨ و ٦٣٢ - و ٦٣٤ و ٦٣٥ هـ (١٢٢٠ و ١٢٣٠ و ١٢٣٤ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ م) . وكان المسلمون يتصدون لهم في كل مرة . وفي سنة ٦٣٤ هـ بالذات جهز الخليفة جيشا لمحاربتهم فانهزموا أمامه . كما خرج إليهم باتكين حاكم إربيل ، بجيشه في بعض المرات واضطروهم إلى العدول عن احتلاء إربيل . غير أن باتكين هذا غادر إربيل في سنة ٦٣٤ أو ٦٣٥ هـ (١٢٣٦ أو ١٢٣٧ م) ، ورجع إلى بغداد حيث توفي معزولا سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م (وفيات ٢ / ١٧٢ وكامل ابن الأثير

١٢ / ٣٢٥ و ٣٢٧ والحوادث الجامعة ص ١٨٠ - ١٨٢ ، مرآة السبب ٨ / ٦٩٩ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٨٦ و ١٤٥) . وكانت نتيجة هذه الهجمات المغولية ، ولاسيما عندما تمكنوا في سنتي ٦٢٨ و ٦٣٤ هـ من احتلال ربض إربل واستباحته وقتل أهله والاعتداء على حرماته ، ونهبهم ما فيه من أموال ، وخاصة في المرة الثانية (في معهد الدراسات الإسلامية في بغداد مخطوطة برقم ٨٠ - لقصيدة في سبي إربل وكرمليس (فهرس مخ المعهد ص ٩) ، ولكنني لم أستطع الاطلاع عليها لأرى عما إذا كان لها علاقة بالحوادث المذكورة آنفاً . ولابن المستوفي قصيدة في رثاء إربل نظماً بهذه المناسبة وقد نقلها ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٩ ، وسوف نذكرها ضمن ترجمة ابن المستوفي إن شاء الله) ، مما دفع أهل إربل إلى الهجرة منها ، وكان من المهاجرين صاحبنا ابن المستوفي ، إذ هاجر إلى الموصل (المرجع السابق وذيل الروضتين ص ١٦٥ وعبر الذهبي ٥ / ١٣٦ وكامل ابن الأثير ١٢ / ٣٢٥ و ٣٢٧) .

ومع ذلك فقد استمر حكم الخليفة لإربل ، إذ عين سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م حاكماً لها الشريف محمد بن نصر الهاشمي المعروف بتاج الدين ابن الصلايا . فقام هذا بتجديد سورها وعمارة ما خرب من دورها ، إلا أن المغول عادوا فحاصروها مرة أخرى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وعندها سقطت بمساعدة بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل ، الذي اتهمه أبو الفداء بمصانعة هولاكو . وقد لقي ابن الصلايا مصرعه على يد المغول في السنة المذكورة بسعاية من بدر الدين المذكور ، على ما يقال (الحوادث الجامعة ص ٨٤ و ٩٨ و ١٠٩ - ١١٣ و ١١٩ و ١٣١ و ١٦٨ و ٢٣٦ و ٢٦٠ و ٣٢٠ و مرآة السبب ٨ / ٦٩٩ وتاريخ أبي الفداء ٣ / ١٩٨ وذيل اليونيني ١ / ٨٧ و ٩١ وطبقات السبكي ٨ / ٢٦٣ و ٢٧٤ عمدة الطالب لابن عتبة ص ٣١٧ ، معجم ابن القوطي ٢ / ٨٢٥ وحاشية ٣ / ٢٧٤ ، وعبر الذهبي ٥ / ٢٣٦ وشذرات ٥ / ٢٨٤ ومختصر الدول ص ٤٣٥ وكشف الغمة للإربلي ص ١٤٠ و ٢٤٩ و ٣٢٤ وتاريخ الكرد لزكي ص ١٦٢ - ١٦٦ والعراق بين احتلال للعزوي ١ / ٢١٣) . وعندها عين المغول أميراً كردياً على إربل هو مبارز الدين كك وضموا إليه حبتون (تاريخ الكرد لزكي ص ٣٨٤) . وفي سنة ١٢٦٨م نقل البطريك النسطوري مقره من بغداد إلى إربل (الحوادث الجامعة ص ٣٥٤ والموسوعة الإسلامية ١ / ٥٢٢) وفي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤م عين رجل نصراني اسمه مسعود البرقوطي - وهو من إحدى

قرى إربل - واليا على الموصل ، وفي سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧م عزل البابا عن إربل حيث أضيفت إلى الموصل تحت حكم مسعود البرقوطي أنف الذكر (الحوادث الجامعة ص ٣٦١ و ٣٩٨) .

ويذكر زكي (تاريخ الكرد ص ١٦٧ - ١٦٨) بأن فتنا ضد المغول قد وقعت بإربل ، كما أن نصارى الجيش المغولي من حامية إربل ثاروا سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م بقيادة رئيسهم زين الدين بالوا ، وبتأييد من العرب والكراد ، ضد المغول (ذكر FIEY ٧٧/١ وقوع ثورة في منطقة إربل ضد المغول سنة ١٢٦١م) واستمرت ١٢ سنة ، ولكن المغول تمكنوا من القضاء عليها . وذكر ابن عنبه (عمدة ص ٣٤٨) أن الأمير عماد الدين ناصر بن ركن الدين محمد الدلقندي فتح إربل في أيام السلطان اليلخاني خدابنده وحكم بها . والمعروف أن هذا السلطان حكم بين ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م و ٧١٦ هـ / ١٣١٦م ففعل لفتح القلعة هذا صلة بإخماد الثورة سالفة الذكر . شذرات ٦/٤٠ ، العراق بين احتلالين ١/٤٠٠ - ٤٢٢) . وذكر زكي أيضا وقوع حركات أخرى ضد المغول في المنطقة الواقعة بين إربل ومراغة ، وقد استعمل المغول القسوة والإرهاب في إخمادها . ويبدو أن إربل بقيت في هذا العهد مركزاً إدارياً لأحد الألوية ، وقد ضربت فيها بعض المسكوكات خلال عهد السلطان أبي سعيد الذي حكم بين ٧١٧ هـ / ١٣١٧م و ٧٣٧ هـ / ١٣٣٥م ، كما ضربت باسم السلطان أحمد بهادر في سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨م (العراق بين احتلالين للعزاوي ١/٤٤٧ و ٥٢١ و ٥٣٦ و ٣٠٨/٢) .

٣ - تاريخ إربل حتى نهاية الحكم العثماني :

وعندما ظهر تيمورلنك وزحف غربا ، كانت إربل من بين أهدافه . فقام سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٤م حاكمها - واسمه علي - وبقية حكام المنطقة بتقديم الولاء إليه (العراق بين احتلالين ٢/٢١١ وتاريخ الكرد ص ١٧٠) . إلا أن سكان المنطقة انتفضوا على تيمورلنك سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠١م بسبب الظلم الواقع عليهم ، مما حمله على ضربهم بقسوة (تاريخ الكرد ص ١٧١) . ثم تعاقبت الدول الأجنبية على حكم العراق (ويضمنه إربل) مثل

أ / دولة «قرة قوينلي» التي حكمت بين ٨١٤ هـ / ١٤١١م و ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م ، وقد تردد ذكر إربل في أحداث السنوات ٨٣٧ و ٨٣٩ و ٨٦٩ هـ (١٤٣٣ و ١٤٣٥ و ١٤٦٤م) انظر العراق بين احتلالين (٣/٢١ - ١٩٩ و ٨٧ و ٩٦ و ٢٢٧ و ٢٣٧) .

ب / دولة «أق قسوينلي» التي حكمت بين ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م و ٩١٤هـ / ١٥٠٨م ،
(المصدر السابق ٣/ ٢٠١ - ٢٢٢) .

ت / دولة الصفويين التي احتلت العراق في ٩١٤هـ / ١٥٠٨م و ٩٤١هـ / ٥٣٤م
(المصدر السابق ٣/ ٣٢٥ - ٣٦٢) .

وبعد حروب عدة بين الصفويين والعثمانيين ، تمت الغلبة للعثمانيين سنة ٩٢٠هـ /
١٥١٤م ، مما مهد السبيل أمام بني عثمان لفتح العراق ، وبذلك أصبحت منطقة إربل
خاضعة للحكم العثماني ، وقد تظل ذلك استيلاء نادر شاه على إربل سنة ١١٥٦هـ /
١٧٤٣م وهو في طريقه لحصار الموصل ، إلا أنه أخلاها بعد أن عجز عن فتح الموصل
(العراق بين احتلالين ٣/ ٣٥٢ ، تاريخ الكرد لزكي ص ١٦٩ - ١٧٧ و ٢٢٩) . والظاهر
أنها بقيت في هذا العهد تتمتع ببعض الأهمية ، إذ وجدت فيها في عهد السلطان
سليمان إمارة (حاكمية) يتولاها الأكراد الصوريون ، غير أنه انتزعها منهم لوليها
اليزيدية ، ثم أودعت بعد ذلك إلى أمير العمادية (العراق بين احتلالين ٤/ ٦٥ و ٢٥٠ -
٢٥٢) . وفي سنة ١١٦٠هـ ١٧٤٧م عُين أحد الباشوات حاكما عليها (المصدر السابق
٥/ ٢٣٨١) . وفي سنتي ١١٦٤ و ١٢١٩هـ (٧٥٠ و ١٨٠٤م) ورد ذكر لواء بأسم إربل
(المصدر السابق ٦/ ٣٤ و ٤٩ و ١٦٢) . كما ذكر عسكر إربل في سنتي ١٢٢٤ و
١٢٣٣هـ (١٨٠٩ و ١٨١٧م) (المصدر السابق ٦/ ١٨٩ و ٢٥٠) . إلا أن مكانة إربل
تدهورت بعض الشيء وأُنزلت درجتها سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م فصارت قضاءً تابعاً للواء
كركوك (المصدر السابق ٨/ ١٦٧ - ١٦٩ وموسوعة البستاني ١/ ٧٧١) . والحقيقة أن
إربل كانت في الغالب قضاءً تابعاً لإيالة شهرزور ، التابعة بدورها لولاية الموصل . وقد
طغى اسم شهرزور على اسم إربل في خلال العهد العثماني ، إذ كانت إيالة شهرزور
هذه إحدى إيالات العراق (العراق بين احتلالين ٤/ ٣٧ و ٨٥ تاريخ الكرد ص ٢١٢ و ٢١٤
و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٢) . هذا ويقول زكي (تاريخ الكرد ص ٢٤٣) بأن محمد باشا
الرواندي الذي كانت له إمارة صغيرة في بعض أنحاء شمالي العراق ، استولى سنة
١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م على إربل لفترة قصيرة لم يذكر مداها . وما عدا ذلك فقد كانت إربل
جزءاً من الدولة العثمانية ، وبقيت كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (الموسوعة
الإسلامية ٢/ ٢٨ ط ١٩٢٧) ثم احتلها الإنكليز في أعقاب هذه الحرب في سنة ١٩١٨م

(العراق بين احتلالين ٢٠٩/٧) ، إلا أن مصيرها الذي كان مترتباً بمصير ولاية الموصل ، ظل معلقاً إلى أن قررت عصبة الأمم سنة ١٩٢٥ إبقاء هذه الولاية (وبضمنها إربل) ضمن المملكة العراقية الوطن الأم . أما الآن فهي مركز لأحد ألوية العراق ، كما أسلفنا ، (انظر كتاب مشكلة الموصل لفاضل حسين ، وتاريخ الوزارات العراقية للحسني ٢٤/٢ وتاريخ الكرد لزكي ص ٢٨٤ - ٢٨٥) .

الفصل الثاني

إمارة آل بكتكين^(١) بإربل

سبق وأن بينا في الفصل السابق أن إربل كانت إمارة منذ أوائل القرن الخامس الهجري ، وأنه توالى على حكمها بعض العوائل الكردية من القبائل الهذبانية ، وقد برز من هؤلاء آل موسك وآل أبي الهيجاء وآل ميكائيل أو البابكرية (معجم ابن الفوطي ٣٧٠/١ وكامل ابن الأثير ٣٧٥/٩ و٣٧٦ و٤٣٩ ومخطوطتنا ورقة ٩٥ب و١١٧٤) . وذكر لنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٥أ و٧٧ب و١٧١ب) متوليا عليها اسمه عز الدين إلياس بن عبد الله ، ولكنه لم يذكر سنى توليه . كذلك يمكننا القول بأنه كان لهذه الإمارة نوع من الاستقلال الذاتي المحدود ، الذي كان يخضع لحماية بغداد حيناً ، والموصل حيناً آخر . ويقول زكي (تاريخ الكرد ص ١٥٢ - ١٥٤) أن أبا الهيجاء بن عبد الله كان حاكماً لإربل وأشييب وملحقتهما ، وأنه كانت تابعا اسما لعماد الدين زنكى ، وعند وفاته اختلف ورثته في الأمر مما أدى إلى تدخل عماد الدين في هذه الإمارة - التي يصفها بأنها كردية - فاستولى عليها عام ٥٢٧هـ / ١١٤٢م (كذا) وأخضع قلاعها ، أقول لقد فات أمين زكي بأن إربل فُتحت سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ، وأن أبا الهيجاء هذا تولى سنة ٥٢٨هـ ، وأن سرفتكين الزيني كان نائبا لزين الدين علي بإربل في سنة ٥٢٣هـ / ١١٣٨م ، فكيف يكون استيلاء زنكي على إمارة إربل قد تم في سنة ٥٣٧هـ ؟ !!

وعلى كل حال ، فإن إربل كانت في بعض الأحيان تابعة لبغداد رأسا كما يستفاد من وجود جيشها إلى جانب الخليفة في قتاله للسلطان محمود . والذي أريد أن أنبه إليه بهذه المناسبة ، هو أن مجرد أن يكون لإربل جيش باسمها له من الدلالة على تمتعها بقدرة غير قليل من الحكم الذاتي . وعلاوة على ما تقدم فقد كان لحكامها بعض مظاهر الاستقلال ، إذ ذكر ابن خلكان (٤٤١/١) نقلا عن الجزء المفقود من «تاريخ ابن المستوفي» بأن الحسين بن علي الشاعر الطغرائي - الذي قتل سنة ٥١٢ أو ٥١٤هـ / ١١١٩م أو ١١٢٠م - قد تولى الوزارة بمدينة إربل . إلا أن الحكم الذاتي لإربل لم يترسخ

(١) ضبطها ابن خلكان (٢٧٧/٣) بالشكل المثبت أعلاه ، وقال انه اسم تركي ، ولم يذكر معناه . وجاء في القاموس التركي أن «بك» BEG, BEY هي «الأمير» وتكنى TEKEN في اللغة التركية القديمة هي الرئيس والحاكم والسيد (انظر أيضا قاموس SIR GERARD CLAUSON)

إلا بعد قيام حكم الأتابكة في الموصل سنة ٥٢١هـ أو ٥٢٢هـ / ١١٢٧ أو ١١٢٨م واستيلائهم على إربل في رمضان من سنة ٥٢٢^(١) . (وفيات ٧٩/٢ والباهر لابن الأثير ص ٣٤ والروستين ١/٣٠ ومجلة دعوة الحق المغربية - شهر يناير سنة ١٩٧١م ص ١٦٩ - ١٧٢) وعلى قلاع الأكراد الحميدية (الباهر ص ٤٨ ، ٥٧ - ٥٨ و ١٣٥) . وقد اعتبر المرحوم العزاوي هذه السنة تاريخاً لتأسيس إمارة إربل (مجلة مجمع دمشق مج ٢١ عدد ٩ و ١٠ ص ٤٠٤) ، أقول وقد جاء في منشور وجهه صلاح الدين إلى صاحب الموصل وغيره سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م ، قوله بأن إربل من أنعام البيت الأتابكي على البيت الزيني مذ « ٧٠ عاماً » (الروستين ٢/١٦٤ ، وكوكجوري لطيمات ص ٩١) وهذا معناه أنها كانت لهم في سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م ، وهذا ما لا يمكن تأييده تاريخياً ، في حين أن زكي (تاريخ الكرد ص ١٥٢ حاشية) يرى أن الدولة الأتابكية (كذا) فرع إربل تأسست سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م ، ثم يقول بأن الأيوبيين (كذا) قضوا عليها سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م . أقول والذي لا شك فيه أنه توهم فظن أن إمارة إربل تأسست سنة ٥٣٩هـ ، وهي السنة التي عُين فيها زين الدين على كوجك واليا على قلعة الموصل ، في حين أن زين الدين هذا قد ولي إربل قبل ذلك لأن مملوكه سرفتكين كان نائباً عنه فيها سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م (الباهر لابن الأثير ص ٧٢ والكامل له ٢٨/١١ - ٣٩ وابن خلكان ١٠/٢ - ١٢) . كذلك توهم أمين زكي في حكاية كون الأيوبيين هم الذين قضوا على إمارة آل بكتكين .

هذا وفي الوقت نفسه لا يمكن قبول قول المرحوم العزاوي بأن الإمارة المذكورة قد تأسست في سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م ، لأن ابن المستوفي يذكر وجود أبي الهيجاء بإربل في سنة ٥٢٥هـ / ١١٣٠م (مخ ورقة ٩٥ ب) ، وهذا يتفق وما ذكره ابن واصل (مفرج الكروب ١/٩٧) من أن إربل وأعمالها كانت لأبي الهيجاء الكردي الهذباني وورثته من بعده ، ثم تغلب عليها السلاجقة إلى أن صارت للسلطان مسعود بن محمد (وهو يومئذ صاحب مراغة قبل أن تصير إليه السلطنة) وله نائب في إربل ، فسار إليها زكي سنة ٥٢٦هـ / ١١٣١م ونازلها وهاجم البلد فامتنعت عليه القلعة ، ثم حصلت مفاوضات بينه

(١) ويؤيد هذا التاريخ ابن شاطر الكتبي في «عيون التواريخ» إذ يتحدث عن مسير زكي بن أقي سنقر إلى إربل ويحصاره لها يسيراً ثم استيلائه عليها في أوائل شهر رمضان من سنة ٥٢٢ (عيون التواريخ ، بغداد ١٩٧٧م ، ج ١٢ ص ١٩٧) . وفي ذلك يقول ابن واصل أن زين الدين على كوجك استولى على إربل وأعمالها وكانت لأبي الهيجاء الكردي الهذباني (مفرج الكروب ج ١ ص ١٩٧) .

وبين مسعود أدت في النهاية إلى التنازل عن إربل إلى زنكي الذي أقطعها إلى زين الدين (كوكبوري لطيمات ص ٢٣ - ٢٤) .

ولنلق الآن نظرة عجل على حكام إربل من آل بكتكين ونوابهم ، علما بأنه ليس هدفي هنا أن أكتب تاريخ آل بكتكين أو أترجم لهم ، ويكفي القارئ أن يرجع إلى سلسلة المقالات القيمة التي نشرها المرحوم عباس العزاوي في «مجلة المجمع العربي بدمشق» عن إمارة آل بكتكين (مج ٢١ لسنة ١٩٤٦ ص ٤٠٤ - ٤١٨ و ٥١٥ - ٥٢٩ ومج ٢٢ لسنة ١٩٤٧ ص ٥٥ - ٦٤ و ١٣٨ - ١٤٩ و ٢٢٣ - ٢٣١) .

١ - زين الدين على كوجك :

قائد تركماني كان من أقرب المقربين للأتابكة ، والركن الركين لسواتهم ، بل أن نصيحته لعماد الدين زنكي هي التي فتحت عليه أبواب الخير والشهرة وحملته إلى سدة الملك ، بعد أن كان تابعا لأمرأء الأقاليم إذ أشار عليه زين الدين بأن ينقل انتماؤه من هؤلاء الأمرأء إلى السلطان محمود السلجوقي رأسا ، ويدخل في خدمته أملا في الحصول على مركز سام يتفق وهمة وكفأته ، وهكذا كان (أتابكة ابن الأثير ص ٢٨ - ٣٠) . فضلا عن ذلك فإن الصداقة التي كانت تربط بينهما منذ الصغر - وكانا من سن متقاربة - جعلت الثقة بينهما متبادلة إلى أبعد الحدود . وقد أسند زنكي قيادات جيوشه إلى زين الدين علي ، وكان يصحبه معه في غزواته وغيرها ، فكان معه في البصرة ، وكان معه عند حصار البيرة وحصن فنك ، وعند حصار الرها (أتابكة ابن الأثير ص ٢٧ و ٧٢ و ٧٣ و ١١٨) . ولم يفارقه إلا عندما قُتل نائب عماد الدين في الموصل ، وعندها أسند إليه منصب النيابة إلى جانب محافظة قلعة الموصل وذلك في سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م علاوة على إمارة إربل التي كانت له . وقد برهن زين الدين على كفأة عالية معا عزز مكانته في الدولة ، حتى تمكن منها تمكنا عظيما ، ولاسيما بعد مقتل عماد الدين سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م (الباهر لابن الأثير ص ٨٢) . وقد ترسخت أقدامه في الحكم في عهد سيف الدين غازي ابن عماد الدين الذي أقره على ولاية قلعة الموصل وإمارة إربل وزاد في إقطاعه شهرزور التي كانت لسيف الدين نفسه أيام أبيه ، وأعلى مكانته وأسند إليه القيادة العامة لجيش الموصل ، حتى صار زين الدين صاحب الكلمة المطلقة ، خصوصا وأنه استطاع استرداد عدة مدن مثل دارا ونصيبين وكانتا لبني ارتق (الباهر

لابن الأثير ٩٠ - ٩٤) . والحقيقة أن مجرد كونه نائب القلعة يجعله صاحب أكبر مركز في الدولة بعد الملك ، فهو «نائب الملك» (اتابكة الموصل للجميل ص ٢٣٧) .

وفي عهد قطب الدين - الذي تولى الحكم سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م - زاد اقتطاع زين الدين ، إذ صارت إليه سنجار ، وصار النائب المطلق ، بل كان الملك لا يبرم أمراً إلا بموافقته . وبلغ من القوة أن تدخل في النزاع بين ملوك الأتابكة أنفسهم ، كما حصل في النزاع الذي وقع بين قطب الدين وعمه نور الدين (الباهر لابن الأثير ص ٩٦ - ٩٧) . بل صار يتدخل حتى بين السلاطين السلاجقة أنفسهم ، من ذلك مثلاً أنه في سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م ألقى في شهرزور القبض على سليمان شاه - الذي كان هو السلطان الرسمي المعترف به من قبل الخليفة ، وكان قد انهزم أمام الملك السلجوقي محمد - وحمله زين الدين إلى الموصل فحبسه في قلعتها . ثم عاد في سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م فشارك في دعم سليمان شاه هذا وتنصيبه سلطاناً (الباهر لابن الأثير ص ١٠٨ - ١٠٩ و ١١٥ والكامل له ٧٧/١١ والمنتظم ١٩٢/١٠) .

والجدير بالذكر أن زين الدين كان يتولى قيادة الجيش الأتابكي الذي سار سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م لنجدة الملك محمد بن السلطان محمود الذي كان يحاصر بغداد في عهد الخليفة المقتفي . وقد راسل الخليفة زين الدين واستماله إلى أن تغيرت نيته في القتال ، مما ساعد على تثبيط الملك محمد . وقد ذكر ابن الأثير أن زين الدين هذا وعسكر الموصل لم يكونوا جادين في القتال رعاية للخليفة والمسلمين (الكامل ١٤١/١١ والباهر ص ١١٣ - ١١٤) . وقيل أيضاً في هذا الصدد أن نور الدين ابن زنكي أرسل إلى زين الدين يلومه على اشتراك جيشه في قتال الخليفة ، وزاد على ذلك ابن الجوزي (المنتظم ١٧١/١٠ - ١٧٥) قائلاً بأن نور الدين أمر كوجك بأن يرمي نفسه بين يدي الخليفة حتى يرضى . ويبدو أن زين الدين قد فاز برضى الخليفة العباسي ، خصوصاً وأنه بعث إلى الخليفة المستنجد سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م يعتذر عن اشتراكه في حصار بغداد ، ويطلب الإذن له في الحج . فأرسل إليه الخليفة وفداً مؤلفاً من يوسف الدمشقي أستاذ المدرسة النظامية وسليمان بن قتلмыш يطيبان قلبه نيابة عن الخليفة ويعرفانه الإذن في الحج . وقد حظي زين الدين عند وروده إلى بغداد في تلك السنة بمقابلة الخليفة الذي أكرمه وخلع عليه (المنتظم ١٩٦/١٠ وكامل ابن الأثير ٩٩/١١ والباهر له ص ١١٥) .

وفى سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٣م شارك زين الدين - وهو على مقدمة جيش الموصل - فى واقعة حارم ضد الصليبيين، وأبلى بلاء عظيما (الباهر لابن الاثير ص ١٢٣ - ١٢٤ ومراة السبط ٨/ ١٩١ و ٢٣٢ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٧٢) ثم تآلق نجمه وزادت قوته حتى تمكن من ان يقبض على الوزير جمال الدين الاصفهاني وزير الموصل ويسجنه فى القلعة (اتابكية ابن الاثير ص ٢١١ - ٢١٣).

ولقد كان زين الدين أثيرا عند الاتابكة نافذ الأمر، سواء لدى حكام الموصل أو حكام الشام. وخير دليل على ذلك أن نور الدين صاحب الشام أقطعه حران سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م وسماه «الاسفهلار»، كما أنه بعث إليه ببعض الجوارى عند فتحه الرها (تاريخ القلانسي ص ٣٥٨ و اتابكية ابن الاثير ص ١٥٧ وكوكبورى لطليمات ص ٣٤. أما الاسفهلار فهى لفظ فارسى قديم أصله «سيهسالار» ومعناه قائد عام الجيش، كما فى القاموس الفارسى). والحقيقة أن زين الدين خدم الاتابكة باخلاص تام من أيام عماد الدين، ثم ابنه سيف الدين غازى الذى أقره على ولايته وزاد فى اقطاعه مكافأة له على اخلاصه، إذ كان له دور كبير فى استدعاء سيف الدين من شهرزور وتنصيبه ملكا على الموصل، وبذلك أحبط محاولات الملك السلجوقى الب ارسلان الذى كان يحاول السيطرة على الموصل (اتابكية ابن الاثير ص ١٥٣ - ١٥٦). وخدم بعده اخاه قطب الدين موبود الذى كان لزين الدين يد كبرى ايضا فى توليه الحكم (المصدر السابق ص ١٦٥ - ١٧٤). والحقيقة أن نور الدين ابن زنكى - رغم قوته وصلاته الطيبة مع زين الدين لم يستطع أن ييسط نفوذه على الموصل ألا بعد وفاة زين الدين (المصدر السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٨). فلقد كان من ابرز رجال الدولة الاتابكية وقائد جيوشها، وكان بتحالفه مع الوزير جمال الدين الاصفهاني، غدا الأمر النافذ فى الدولة. حتى أن صلاح الدين - وفقا لابن خلكان ١٤١/٦ - لم تحدثه نفسه بمحاولة الاستيلاء على الموصل إلا بسبب وفاة زين الدين.

وعلى كل حال فإن زين الدين كبير وطعن فى السن واستولى عليه الهرم وضعفت قوته واصابه العمى والصمم، فتقاعد سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٨م عن نيابة الاتابك قطب الدين صاحب الموصل، وتخلّى عن كل اقطاعاته (يعتقد كاهن انه حصل لقاء هذا التنازل على حق الحكم الوراثى لابنائه فى إربل، ولم يذكر المصدر. الموسوعة الاسلامية ١/ ١٦٠ ط

١٩٦٠م)، فوزعها على أولاد قطب الدين مكتفيا بإربيل حيث كان بيته وأولاده وخزائنه. وقد كان له من الاقطاع سنجار وحران وتكريت وشهرزور وقلعة عقر الحميدية وقلع الهكارية كلها، علاوة على قلعة الموصل وإربيل. وقد توفي بإربيل في تلك السنة. (الباهر لابن الاثير ص ١٣٥ والكامل له ٢١٨/١١ وابن خلكان ٢٧٠/٣).

لقد عُرف زين الدين بحسن السيرة والعدل في الرعية وحب الخير وكرم اليد، علاوة على الفطنة والشجاعة والذكاء، وكان اداريا ناجحا اطمأن الناس اليه وأمنوا فازدادت العمارة بالموصل في عهده. وقد بنى المدارس والربط والجسور والقناطر. وبنى بالموصل جامعا على هيئة مدرسة سميت فيما بعد بالمدرسة الكمالية. وعندما ادى فريضة الحج احسن إلى الناس في الطريق وأكثر من الصدقات. وقد قيل أنه مات ولم يخلف شيئا لأنه أنفق امواله في أبواب البر والاحسان. ووصفه ابن الاثير بالكرم وكثرة العطاء، وقد مدحه الحيص بيص فاكرمه الف دينار، وذكره اسامة بن منقذ وذكر ثناء عماد الدين عليه واطرائه لشجاعته ووصفه له بأنه يخاف الله ولا يخافه - أى لا يخاف زنكى - (اتابكية ابن الاثير ص ٢٠٥ و٢٤٤ و امرأة السبط ٢٧٣/٨، ابن خلكان ٣٩٦/٤، الاعتبار ص ١١٦ وطبعه حتى ص ١٥٦ - ١٥٧، العراق في العصر السلجوقي لحسين أمين ص ١٩٠) والغريب أن ابن الجوزي (المنتظم ١٩٦/١٠) ذكر خلاف ذلك، فقال انه عندما حج لم يفعل شيئا يذكر به على كثرة ماله.

وزين الدين هذا من أصل تركماني، كان يجيد التركية وفقا لما ذكره ابن الاثير (اتابكية ص ٢٠٥ و ٢٤١ - ٢٤٤) وابن خلكان (٢٧٠/٣) وأكد العزاوي (مجلة المجمع ص ٤١٣ - ٤١٤). والغريب أن بعض المؤرخين الأجانب توهموا فظنوه كرديا (انظر FIEY ٧٤/١ ومقال STRECK في الموسوعة الاسلامية). وكان من بداية أمره من المحسوبين على البيت الاتابكي، وليس من مماليكهم - على ما اعتقد - رغم أن بعض النصوص التاريخية قد توحى بخلاف ذلك، إذ توهم المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ٤١٣) والأستاذ طليمات (كوكبوري ص ١٥) فظنا بأنه من مماليك قسيم الدولة والد عماد الدين زنكى، ويبدو أنهما استندا إلى ما قاله ابن الاثير (الباهر ص ١٥) من أنه لما قُتل قسيم الدولة اقسنقر في سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م لم يخلف غير ولد واحد هو عماد الدين زنكى، وكان عمره عشر سنوات «فاجتمع عليه مماليك والده وأصحابه، وفيهم زين

الدين على، وهو صبي أيضاً. وقال ابن الفوطى (معجم ١/٧٢٧ - ٧٢٨) انه «اجتمع عليه ممالك أبيه، وفيهم زين الدين على كوجك» ونقل أسامة بن منقذ (الاعتبار ص ١١٦) عن زكى تسميته لزين الدين هذا بأنه «أحد غلمانه» ومن الطبيعي أن هذه الاشارات أوحى للمؤرخين بأنه زين الدين كان مملوكا. والحقيقة انه لو كان مملوكا بالمعنى الصحيح لما عُرف اسم ابيه ولا اسم جده على الاطلاق، إذا جرت العادة أن يُنسب الممالك إلى آباء مجهولين يسمون «عبد الله» لعدم امكان معرفة آبائهم الحقيقيين. أما صاحبنا فهو «ابو الحسن على بن بكتكين بن محمد» الملقب بكوجك (ابن خلكان ٣/٢٧٠ وشذرات ٤/٢٠٩)، بل انه هو نفسه كان يملك عدداً من الممالك المنسوبين اليه أمثال سرفتكين الزينى ومجاهد الدين قايمان نائبه على إربل وتبر أو طبر نائبه فى تكريت (معجم ابن الفوطى ٣/٢٧٦).

أما إذا سلمنا بأنه كان يعتبر مملوكا للاتابكة، فإن معنى «المملوك أو الغلام» هنا لا تعنى بالضرورة «الرق» مطلقاً^(١) فلقد قال صلاح الدين للقاضى الشهرزورى، عندما كلفه باقناع صاحب قلعة دمشق ليسلمها اليه بأنه هو (أى صلاح الدين) من ممالك الملك الصالح ابن نور الدين. بل أن أهل حلب قالوا مرة لصلاح الدين نفسه إنه «أحد غلمان نور الدين» (كامل ابن الاثير ١١/٢٧٥ والسلوك ١/٨٠ والروضتين ١/٢٣٧ والاتابكة للجميلى ص ١١٢ و١١٣). وواضح أن صلاح الدين لم يكن مملوكا لأحد أو غلاما رقيقا، وانما المعنى هنا هو المحسوبية والتبعية، ولا شك أن المؤرخين القدماء قد استعملوها بهذا المعنى. (وللاستزادة من أخبار زين الدين، تراجع علاوة على ما سبق، «الروضتين» ١/٤١ و٤٧ و٤٩ و٦٦ و١٢٣ و١٢٤ و١٣٢ و١٣٥ و١٣٧ و١٣٩ و١٥٢ و«معجم ابن الفوطى» ١/٧٢٧ - ٧٢٨ و«تاريخ ابي الفداء» ٣/٢١ و٢٩ و٣٦ و٤٤ و«الوفيات» ٣/٢٧٠ والعقد الثمين» للفارسي ٢/٢١٢ و«المنتظم» ١٠/١٦٥ و١٦٩ - ١٧١ و«زبدة

(١) ذكر ابن حاتم فى كتابه «السمط الغالى الثمن» أن شريف مكة قبض سنة ٦٤٦ هـ على والى المدعو «ابن المسيب» واحتاز أمواله، واتهمه بالخروج على ولى أمره سلطان اليمن من آل رسول. وقد أعلن شريف مكة انما هو فعل ذلك حرصا على مصلحة السلطان الذى إليه أمر مكة «وأنا غلامه فيها»، أى أن الشريف يعتبر نفسه غلاماً للسلطان فى مكة المكرمة أى تابعاً له. وليس معنى أنه من ممالكه طبعاً.

العصرة» ص ٢٠٧ و ٢١١ و ٢٢٥ و ٢٤٢ و ٢٤٧ و ٢٨٨ و «العصر السلجوقي» لحسين أمين ص ١٥٩ و ٣٤٢ و ٣٤٧، و«نجوم ابن تغرى بردى ٣٨٤/٥ ومخطوطتنا ورقة ١١٨.

٢ - نواب زين الدين فى إربل:

يتضح مما قدما أن زين الدين علي كانت له اقطاعات كثيرة، وكان مقامه بالموصل حيث كان نائب الملك والقائد العام لجيوشها، ولذلك كان له نواب يحكمون باسمه فى اقطاعاته. ومن هؤلاء الأمير يوزان نائبه فى شهرزور (الباهر لابن الاثير ص ١٠٨ - ١٠٩ والكامل له ٧٧/١١. هذا وقد ذكر ابن الاثير فى حوادث سنة ٥٧٢ هـ عصيان صاحب شهرزور المدعو شهاب الدين محمد بن يوزان. انظر الباهر ص ١٧٨ والكامل ٢٩٠/١١ وفي المرجع الأخير تصحف اسم الاب إلى «يزان») وتبر صاحب تكريت، وقد مر ذكره. والذى يهمنا هنا أمر إربل التي كان لزين الدين فيها نائب ايضا لأنه لم يكن يحكمها بنفسه رغم انها كانت مقر اقامة أولاده وفيها بيته وخزائنه، كما اسلفنا، إذ أثر البقاء فى الموصل يمارس وظائفه الأخرى، وهى أكثر أهمية ولا شك من حاكمية إربل، اما نوابه فيها فهم:

١/ سرفتكين الزينى:

من المعلوم أن زين الدين تولى إربل سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م، وليس من المعروف من هو أول نوابه فيها. الا اننا نعرف بأن أول نوابه الذين ذكرتهم كتب التاريخ هو مملوكه سرفتكين الزينى. وكان سرفتكين هذا من أهل الخير، إذ بنى عدة مساجد بإربل وقراها، وانشأ أول مدرسة فيها - كما سنرى - وبنى سور مدينة فيد فى الحجاز واثراً صالحاً، كل ذلك من ماله الخاص. وقد توفى سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م وفقاً لما ذكره ابن خلكان (١٠/٢ - ١٢) الا أن ابن المستوفى ذكر وجوده حياً سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م (مخ ورقة ٢٠٤ ب)، والحقيقة ان أخباره محدودة، وليس لدينا عنه الكثير، سوى انه عتيق زين الدين علي، وان ابن المستوفى سماه مرة «الحاجب» (مخ ورقة ١٢٦ ب و ١٤٦ ب و ٢٠٤ ب)، هذا وقد ترجم ابن الشعار لهارون بن الحسين بن كرجى، وقال انه كان ينوب عن سرفتكين هذا عند غيابه عن إربل (مخطوطة عقود الجمان، ج ٩ ورقة ١٥٧).

ب/ مجاهد الدين قايمان:

يبدو ان سرفتكين استمر في نيابة إربل حتى سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م عندما عين زين الدين نائباً غيره في إربل، هو عتيقه الآخر مجاهد الدين قايمان الخادم، الذي استمر يحكم إربل حتى بعد وفاة زين الدين - كما سنرى - وصيا على ولديه، كوكبورى أولاً، ومن بعده يوسف، حتى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م عندما اعتقله صاحب الموصل (مفرج ابن واصل ١٥٣/٢ وعبر الذهبى ٢٨٠/٥ وكوكبورى لطليمات ص ٢٤، وهنا ينبغي ان نشير مرة أخرى الى ما ذكره ابن المستوفى عن بقاء سرفتكين في السلطة حتى سنة ٥٦٢ هـ، مخ ورقة ٢٠٤ ب، وهذا امر يحتاج الى تحقيق). وكان قايمان من الساسة المجريين والحكام الكفاء والقادة العسكريين الذين يستطيعون فرض أنفسهم حتى على خصومهم - كما حصل له مع صاحب الموصل الذي اعتقله أولاً ثم أفرج عنه واستعان به (الباهر لابن الاثير ص ١٧٧ و ١٩٣ والكامل له ١٠١/١٢ وكوكبورى لطليمات ص ٧١ - ٧٥). وفضلاً عن ذلك كان ادبياً عاقلاً يعرف الفقه الحنفى، ويحفظ الكثير من التاريخ والشعر. وقد ذكره ابن المستوفى (مخ ورقة ٢٥ أ و ١١٣ ب) بين حكام إربل. وقد اتهمه المرحوم العزائى (مجلة المجمع ص ٥١٦ - ٥١٧) بأنه كان يحمل ايرادات إربل الى اتابكة الموصل، وبذلك نال الحظوة عندهم وجلب نقمة الاريليين عليه، وانه بسبب ذلك لم يترك أثراً جميلاً باربل رغم كثرة آثاره بالموصل. أقول ان هذا غير صحيح لان ابن المستوفى ذكر له رباطا باربل سماه «الرباط المجاهدى»، أو «الخانقاه المجاهدية» كما ذكر له مدرسة باسم «المدرسة المجاهدية»، وقد ذكرها ابن خلكان (٢٤٦/٣) والسبكي (طبقات ٣٠٨/٨) والاسنوى (طبقات ٤٩٥/١) انظر ايضا مخطوطتنا (ورقة ٣٣ ب و ٧٥ ب و ٨٧ ب و ٨٨ أ و ١٣٧ ب و ١٦٢ أ). وعلاوة على ذلك فان ما ذكره العزائى يخالف ما أكدته ابن الاثير - وهو معاصر لقايمان - من ان الارابلة ارادوا، بعد وفاة زين الدين يوسف، استقدام قايمان ليملكوه عليهم لحسن سيرته فيهم (الكامل ١٢/٣٢ و ٣٦ و ٣٧).

وعلى كل حال فقد توفى قايمان بالموصل سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م. هذا وقد علمت قبل نشر هذا الكتاب بأن هناك دراسة قام بها الدكتور صادق أحمد جودة عن قايمان تقع في حوالى ٧٠ صفحة، وقد تم نشرها في عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٣ - إربل تحت حكم زين الدين يوسف:

لما توفي زين الدين على، كان الحاكم الفعلي بإربل والمتولى لامورها خادمة قايمان - كما مر معنا - وقد ورث الحكم ابنه مظفر الدين كوكبوري تحت وصاية قايمان لصغر سنه. الا انه لم يستطيع المكث طويلا لخلاف وقع بينه وبين قايمان، اذ كتب الأخير محضراً يصف فيه كوكبوري بأنه ليس أهلاً للحكم، وشاور الديوان العزيز في أمره ثم اعتقله وأقام بدله اخاه زين الدين يوسف (الباهر لابن الاثير ص ١٣٦ وابن خلكان ٣/ ٢٤٦ و ٢٧٠). وبقي قايمان في إربل حتى سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م عندما استدعاه الاتابك سيف الدين ليكون نائبه في قلعة الموصل والموكل اليه أزمة الامور في الحل والعقد، وكان طيلة وجوده بإربل هو الحاكم الفعلي، بينما كان الحكم اسماً فقط لزين الدين يوسف، حتى قال ابن الاثير (الباهر ص ١٧٧) «وكان البلد - أي إربل - لولد زين الدين اسماً لا معنى تحته، ولجاهد الدين صورة ومعنى» بل ان إربل بقيت تحت حكمه ومعها شهرزور ودقوقا وجزيرة ابن عمر وعقر الحميدية حتى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، وهي سنة عزله (كامل ابن الاثير ١١/ ٢٨٧ و ٢٢٩ والباهر له ص ١٨٣)، فانتهز زين الدين يوسف الفرصة، فامتنع - بمجرد علمه بعزل قايمان - من طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل، وكتب الى صلاح الدين بالطاعة، مما شجع صلاح الدين على المطالبة بإربل ضمن شروط الصلح التي يناوضه عليها صاحب الموصل (اتابكية ابن الاثير ص ٣٣٤ - ٣٣٥، والكامل له ١١/ ٣٢٩ - ٣٣٠)، لا سيما وان الخليفة سبق اصدار منشوراً في سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م باقرار ولاية نور الدين ابن زنكي على الموصل والجزيرة وإربل وغيرها من الولايات، وحيث ان صلاح الدين ولاشك، يعتبر نفسه الوارث الفعلي لممتلكات نور الدين بالنظر لصغر سن الوارث الشرعي وكثرة الطامعين من حوله، فانه ابدى اهتماماً كبيراً بتحول زين الدين يوسف اليه (كامل ابن الاثير ١١/ ٢٥٨ وكوكبوري لطليمات ص ٥٠ - ٥١ والاتابكية للجميل ص ١١٠ - ١١١).

وقد ذكر ابن شداد (سيرة صلاح ص ٥٤) بأن يوسف هذا استصرخ صلاح الدين في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م، عندما هاجم عسكر الموصل إربل مع عسكر همذان، فنهبوا قراها واحرقوها بعضها، الا ان يوسف انتصر على المهاجمين (كامل ابن الاثير ١١/ ٣٣٢). ويرى المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ٥٢٥) ان سبب هذا الهجوم يعود الى

رفض زين الدين يوسف - على الاموال التي كان يحملها قايماء الى الموصل من قبل. وعلى كل حال فان استدراج يوسف لصلاح الدين دليل واضح على تحويل ولائه من ملوك الموصل الى صلاح الدين. ولقد ترجم هذا الولاء الى أفعال يوم قام صلاح الدين بحصار الموصل في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م، فاعانه زين الدين في الحصار ، الا انه عجز عن فتحها، فتراجع عنها. وعندما عاد اليها صلاح الدين - وهي المرة الثالثة والأخيرة - وحصل الصلح بين الطرفين، خُطب لصلاح الدين بالموصل وأعطى شهرزور - وهي من ملحقات إربل - والبوازيغ (كامل ابن الاثير ١١ / ١٩٢ - ١٩٣ و المرأة السبط ٨ / ٢٨٣ - ٣٨٤). ثم ان صلاح الدين كتب سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م الى البلاد الاسلامية، ومنها إربل، يدعو أهلها الى الجهاد. وكان بين امرائه في معركة عكا سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م القائد الكردي حسام الدين أبو الهيجاء السمين (توفي أبو الهيجاء سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م، وفقا لما ذكره ابن الاثير - الكامل ١٢ / ٨٢)، وهو من أكابر قادته. وكان من إربل. ولكن ابن الاثير (الكامل ١١ / ٣٤٩ و ١٢ / ٢٢) لم يذكر عما اذا كان هذا القائد كان في تلك المعركة من قادة جيش إربل أم لا. علما بأن جيش إربل كان حاضراً في تلك المعركة بقيادة زين الدين يوسف نفسه (كامل ابن الاثير ١٢ / ٢٧، سيرة ابن شداد ص ٢٣ و ١٤٤ وتاريخ ابن كثير ١٢ / ٣٣٨ وكوكبوري لطيمات ص ١٧١). وقد توفي زين الدين هذا في محسركه سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م اثر مرض اصابه. وقد حاول الارابلة - كما مر معنا - استقدام قايماء ليملكوه عليهم، الا انه لم يتجرأ على الاستجابة لا هو ولا سيدة الاتابك مسعود، خوفا من صلاح الدين. ثم ان كوكبوري كان حاضراً عند وفاة اخيه ضمن عساكر صلاح الدين، فطلب اليه ان يولي إربل بدلا من حران والرها، فاستجاب له صلاح الدين وأضاف اليه شهرزور وأعمالها ودر بند قرابلى وبني قفجاق وفقا لما ذكره ابن الاثير (الكامل ١٢ / ٣٧). وقال السبط (المرأة ٨ / ٤٠٦) بأن يوسف مرض، وكان يمرضه أخوه مظفر الدين، ويقال ان سقاه سماء فمات، ولا تأسف عليه، ولم يكثر بموته وحزن عليه صلاح الدين وبكى، لانه كان صاحبه ومصافيه. وحزن عليه المسلمون لعفته وشبابه. ولقد اثنى عليه مؤرخون آخرون كابن شداد (السيرة ص ١٢٢) الذي قال عن وصوله الى معسكر صلاح الدين سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م «قدم بعسكر حسن وتجميل جميل، فاحترمه السلطان واكرمه وانزله في خيمته وأكثر من ضيافته.. الخ» وقال العماد (الفتح القسي ص ٢١٧ / ٢١٨) مثل ذلك. وروى أبو الفداء

(التاريخ ٧٧ / ٣) قصيدة الشاعر الأربلي محمد بن يوسف البحراني في مدحه،
ومطلعها:

رب دار بالحمى طال بلاها عكف الركب عليها فبكاها
ان زين الدين اولانى يدا لم تدع لي رغبة فيما سواها ومنها.

وعلى كل حال فان اخبار زين الدين قليلة، ولم ينسب اليه المؤرخون أعمالا تذكر رغم حكمه لأربل مدة عشرين عاما، بعضها تحت وصاية قايماز، واكثرها مستقلا بنفسه. ثم اننا لا نعرف بالضبط سنه، ويبدو انه مات شابا - كما اسلفنا - ولم يتجاوز ٣٥ عاما. وقد ذكر له العماد (الفتح ص ٢١٧ - ٢١٨) اسما تركيا هو «نيالتكين» وسماه العزاوي (مجلة المجمع ص ١٧ و ٢٤ و ٢٩) تسميتين «نيالتكين ونيالتكين» (ذكر SIR GERARD CLAUSON في قاموسه ان كلمة «INAL أو UNAL» تعني المؤتمن والموثوق به، و«TEKEN» تعني الامير، فيكون المتنى المراد هو «الأمير المؤتمن». كما ان زمباور (جدول السلالات الحاكمة ص ٢٢٨) توهم فلقبه «نور الدين» بدلا من «زين الدين» بينما ذكره العماد الأصفهاني في كتابه «البرق التمامي» (ص ٢٤٩ - ٢٥٤) وسماه «سيف الدين». وللاستزادة من أخباره راجع «كامل الاثير» ١٢ / ٣٦ و ٣٧ و ٦٠ - ٦٢ و ٦٧ و ٦٩ و ٧٥ و ٨٢ و ٨٧ و ٩١ و ٩٥ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٤٢ و ١٤٤ و ١٥٢ و ١٥٧ و ١٦٤ و ١٨٧ و ١٩٣ و «مرآة السبط» ٨ / ٢٤٩ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٣٢٢ و ٣٨٢ و ٤٠٦ و ٤٣٥ و «سيرة ابن شداد» ص ١٢٣ و ١٤٤ و «الروضتين» ٢ / ٥٣ و ٥٤ و «تاريخ ابي الفداء» ٢ / ٧٩ و «عبر الذهب» ٤ / ١٤٥ و ١٨٢ و ٢٦٠ و «شذرات» ٤ / ٤٨٨ و «العراق في العصر السلجوقي» لحسين أمين ص ٣٤٢ ومخطوطتنا ورقة ١٥٦ أ والفاسي: العقد الثمين، ج ٧ ص ١٠٠).

الفصل الثالث

مظفر الدين كوكبوري - حاكم إربل

نشاطه السياسي والعسكري - أقاربه

ليس هدفي هنا أن أكتب تاريخ آل بكتكين - كما سبق وبينت - أو أترجم لمظفر الدين كوكبوري، ويكفي القارئ أن يرجع الى المقالات القيمة التي نشرها المرحوم العزاوي في «مجلة المجمع العربي بدمشق» وتقدمت الاشارة اليها، عن امارة إربل، والى الترجمة الضافية التي كتبها ابن خلكان (٣/ ٢٧٠) لكوكبوري، والى تلك التي نشرها حديثا الدكتور عبد القادر طليمات، ضمن سلسلة «اعلام العرب»، علاوة على مقال «آل بكتكين» في الموسوعة الاسلامية (١/ ١١٦٠ ط ١٩٦٠) ومقال IRBIL و ERBIL فيها، ومقال الموسوعة البريطانية (٢/ ١٩١٠ طبعة ١١) عن إربل، وكتاب Moh. Dynasties ص ١٦٥ تصنيف Lane - poole. وانما غرضي هنا هو القاء الاضواء - من خلال تلك الترجمة - على ما بلغته إربل من رقعة وتقدم مما أهلها - رغم خمول ذكرها - لتتبوأ مكانة بارزة بين عواصم العالم الاسلامي وحواضره، الامر الذي حمل ابن المستوفي على كتابة تاريخها اسوة بغيرها من المدن التي أحرزت شيئا من الاهمية. (انظر ايضا الروضتين ١/ ١٥٢ و ٢/ ٢٢ و ٣٠- ٣٢ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥٣ و ١٦٤ و ٢٠٩ و ٢٢٦ و ٢٢٨). الا انني أود ان انبه هنا الى عدم اتفاقي مع المرحوم العزاوي في بعض استنتاجاته، ولا سيما قوله ان امارة إربل عاشت بهناء واطمئنان، وانها بقيت مخصصة للايوبيين حتى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م، وان حكام إربل لم يرهقوا أهلها بشيء فوق طاقتهم (مجلة المجمع ص ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤١١) وذلك للأسباب التي سيلمسها القارئ في ثنايا هذه الدراسة.

١ - ترجمة كوكبوري:

هو ابو سعيد كوكبوري (ويكتب احيانا «كوكبرى») وهذا ما اختاره العزاوي. وقد أثرنا الشكل الذي أخذ به ابن المستوفي، لانه هو الحجة المعول عليه في هذا الشأن، هذا ولم يذكر أحد ممن ترجم له ان له اسما عربيا كاسم أبيه «على» واسم اخيه «يوسف» بن

علي بن بكتكين بن محمد، الملقب بالملك المعظم (سماء ابن المستوفى ورقة ٦٨ ب و ٧٨ ب و ١١٤ ب «السلطان»، وذكر العزاوي - مجلة المجمع ص ٥٢٨ - ان لقبه المحفور على النقذ هو «ملك الامراء» مظفر الدين. ولد بقلعة الموصل ليلة ٢٧ من المحرم سنة ٥٤٩ هـ / ١٣ نيسان ١١٥٤ م، وتوفى باربيل في ١٨ رمضان سنة ٦٣٠ هـ / ٥ حزيران ١٢٣٣ م. وكوكبورى اسم تركى معناه «ذئب أزرق» وفقا لما ذكره ابن خلكان في ترجمته، الامر الذى تؤيده المعاجم التركية (ذكر SIR GERARD CLAUSON في قاموسه ان كلمة KÖK أو GÖK تعني «الازرق» وان كلمة Bori تعني «الذئب» وان اسم مظفر الدين مكون من هاتين الكلمتين). وهو تركماني الاصل وليس كرديا (انظر ما ذكرناه عن ابيه زين الدين في الفصل السابق)، وقد ذكر ابن الاثير (اتابكية ص ٢٠٦) ان اياه عندما زار بغداد، تحدث باللغة التركية الى الخليفة المستنجد الذى كان يجيدها.

ولقد سبق لنا ان ذكرنا اياه والمناصب التى تولاهها لاتابكة الموصل ووفاته سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م، وقلنا ان كوكبورى قد اعقبه في حكم إربل - وكان عمره ١٤ سنة - تحت وصاية اتابكه قايمان، الا ان الخلاف الذى دب بينه وبين وصيه مما حمله على مغادرة إربل، تاركاً اخاه الاصغر يوسف في حكمها. ويقول ابن خلكان ان قايمان تعصب عليه وكتب محضراً مفاده ان كوكبورى ليس اهلا للحكم، وانه شاور الديوان العزيز «في أمره واعتقله، وأقام أخاه زين الدين يوسف مكانه. وذكر المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ٤١٢) ان ولاية يوسف بدأت في سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م أوفى سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وهذا يعني ان كوكبورى حكم بين ثلاث واربع سنوات. اما طليعات (كوكبورى ص ٤٩) فقد ذكر بأن ذلك قد وقع في سنة ٥٦٩ هـ، غير انني لم اهتمد الى مرجع يؤيد هذه الاقوال. وعلى كل حال فان قايمان اخرج كوكبورى من إربل، فتوجه الى بغداد ولم يحصل له مقصود بها، فانتقل الى الموصل (وملكها يومئذ سيف الدين غازى الذى حكم من سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م الى ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م)، واتصل بصاحبها عارضا عليه خدماته، فاقطعه حران فانتقل اليها واقام بها مدة. وقد قام بنشاط كبير في هذه الفترة، وساهم في الحروب والمنازعات التى نشبت بين الاتابكة وصلاح الدين، بل انه هزم بعض جيوش صلاح الدين عند حلب في سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م وقد ولاه الاتابك عز الدين

شحنكية حلب وديوانها سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م مع القيادة العامة لجيوشه. وقد حاول كوكبورى في سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م ان يستولى على حلب لنفسه (الروضتين ٣٠/٢ وابن خلكان ٢٩٣/٤ و٦/١٦٧ - ١٦٩، مرآة السبط ٨/٣٣٢ - ٣٣٤، تاريخ ابن العديم ٣/٢٧ و٤٨ و٥٠ - ٥٣ مفرج ابن واصل ٢/٣٩ و١١٨ وكوكبورى لطليمات ص ٨٠ - ٨٢). الا انه عاد فغير ولاه فاتصل صلاح الدين، عندما رأى بثاقب بصيرته صعود نجمه وخوفا على نفسه من عدوه القديم مجاهد الدين قايمان الذى أصبح الحاكم الفعلي لمملكة الموصل التي كانت تتبعها حران. وحظي عند صلاح الدين، وتمكن منه فزاد في اقطاعه الرها سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م علاوة على حران (ذكر ابن جبير في رحلته ص ٢٤٨ - ٢٤٩ كوكبورى عند مروره بحران في ٧ من شهر ربيع الاول سنة ٥٨٠ هـ / ١٨ حزيران ١١٨٤ م، وذكر تبعيته لصلاح الدين). ثم اضاف اليه سميساط وزوجه اخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب (وكانت قبله زوجة لسعد الدين مسعود بن معين الدين صاحب «قصر معين الدين» الذى في الغور، وقد توفي سنة ٥٨١ هـ) وليس في المراجع التي بين ايدينا ما يقيد بأن كوكبورى تزوج غيرها أو أنه كانت له سرية (تاريخ ابن العديم ٥٧/٣ - ٥٨ وابن خلكان ٢٩٣/٤ وكامل ابن الاثير ١١/١٨١ - ١٨٣، تاريخ ابي الفداء ٣/٦٤ - ٦٥). ولم يكتف كوكبورى بخلع طاعة اتابكة الموصل، بل انه حرض صلاح الدين على غزو الاقاليم التابعة لهم، وهذا ما تم بالفعل فيما بعد (الروضتين ٢/٣٠ وكوكبورى لطليمات ص ٨٤ - ٨٥).

ومنذ انضم كوكبورى الى صلاح الدين، وضع نفسه وجيشه تحت تصرفه، وقد اشترك معه في سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م في حصار الكرك التي كانت بيد الصليبيين (سيرة ابن شداد ص ٤٥٢ ومرآة السبط ٨/٣٨٢). ولكن الأمور لم تكن دائما في صفاء، ذلك أن كوكبورى - كما أسلفنا - كان يطمع صلاح الدين بأخذ الموصل ويعدده بالمساندة والدعم، ولكنه لم يف بوعده ولا سيما بالاموال الموعودة فلم يقدمها، مما حمل صلاح الدين على اعتقاله وأخذ مدينتي حران والرها منه الا انه سرعان ما اطلقه خوفا من انحراف الناس عنه لمكانة كوكبورى، ثم أعاد اليه مدينتيه (تاريخ ابن العديم ٨٠/٣ و٨٣، سيرة ابن شداد ص ٥٤، كامل ابن الاثير ١١/١٩٢ - ١٩٥، ابن خلكان ٤/١٧٢، مفرج ابن واصل ٢/١٦٤ و١٦٥، تاريخ ابي الفداء ٣/٦٩).

ثم شهد كوكبورى مع صلاح الدين مواقف كثيرة أظهر فيها الكثير من النجدة والعزم وقوة النفس، وثبت في المواضع الحرجة. من ذلك انه فتح بنفسه الناصرة وصفورية في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، وخاض معركة طبرية التي انهزم بها الصليبيون (الفتح القسي ص ٢٥ - ٢٦، كامل ابن الاثير ١١ / ٣٤٩ - ٣٥٠ و ٣٥٢ ومجلة المجمع للعزوى ص ٥٢٢ وكتاب كوكبورى لطليمات ص ١٥٤ و ١٥٧)، ثم مساندته لصلاح الدين في سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م في محاولته لاحتلال جبيل، وقد كان على مقدمة مسيرته، فانتصر كوكبورى واحتل أحد البرجين في «انطرسوس» مما فتح الطريق الى النصر النهائي. ولكن ابرز وقفاته هي وقفته في معركة «حطين» سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، اذ كان على ميسرة صلاح الدين، واليه قيادة جيوش الشرق. وهذه تكفيه فخراً، لان ثباته هو وتقي الدين صاحب حماة - بعد انكسار الجيش الاسلامي بأسره - قد حمل المسلمين على العودة الى ميدان القتال ومعاودة الكرة، حتى فازوا بالنصر الحاسم (مرآة السبط ٨ / ٣٩٢ - ٣٩٣، الروضتين ٢ / ٧٥ و ٨٠ و ٨٢، ابن خلكان ٦ / ١٨٩، آثار البلاد للقزويني ص ١٩٢ - ١٩٣ سيرة ابن شداد ص ٨٧، نجوم ابن تغرى بردى ٦ / ٣٩).

وساهم كوكبورى أيضاً، وكذلك أخوه يوسف في حصار عكا في سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م، وفي المصاف الأعظم الذى وقع عندها في تلك السنة (سيرة ابن شداد ص ١٠٩ - ١١٨ و ١٢٣ - ١٢٤، مفرج ابن واصل ٢ / ٢٩٢، كوكبورى لطليمات ص ١٦١ - ١٦٥)، غير ان وفاة أخيه يوسف في تلك الاثناء (رمضان ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) هي التي حملته على مفارقة صلاح الدين والذى وافق على التماس كوكبورى بتوليته إربل بدلا من حران والرها وسميساط وضم اليه شهرزور، وحرر له منشوراً بذلك، فتوجه اليها ودخل إربل في ذى الحجة من تلك السنة (سيرة ابن شداد ١٢٣ - ١٢٤، تاريخ ابى الفداء ٤ / ١٠٨ ط اوربا، تاريخ ابن كثير ١٢ / ٣٣٨، كامل ابن الاثير ١٢ / ٢٣، الروضتين ٢ / ١٦٤) وقد ذكر السبط (مرآة ٨ / ٤٠٦) نقلا عن العماد (الفتح القسي ص ٢١٧ - ٢١٨ ط مصر) في معرض ذم كوكبورى، ان العماد لما ذهب اليه يعزیه بوفاة أخيه - ظناً منه انه قد حزن عليه - واذا به مشغول عن العزاء بحيازة أمواله وأسبابه، والقبض على عماله وكتابه. وهنا أود أن أقول بأن الذي رآه العماد لا يدل على تهاون كوكبورى بشأن

وفاة أخيه، وانما يدل على حزم ونباهة ورباطة جأش، إذ لم تذهله المصيبة فينسى واجباته كحاكم مسؤول، فيها للأمر عدته وعتاده. والجدير بالذكر ان العماد نفسه أثبت في «الفتح القسي» ثلاثة كتب - سيأتى ذكرها في موضعها - مرسلة من صلاح الدين الى كوكبورى حول الموقف العسكرى في فلسطين، مما يدل على تعظيمه لأن صلاح الدين لم يكن يرسل مثل تلك الرسائل الا الى ديوان الخلافة والملوك الكبار. فلو كان كوكبورى من صغار النفس وقلة الادراك بالشكل الذى نسبته اليه العماد، لما اكرث له صلاح الدين ولا اهتم به.

ويبدو ان كوكبورى، بعد ذهابه إلى إربل، توقف نشاطه في الميدان الفلسطيني بالنظر لانشغاله في توطيد أركان حكمه فى امارته. وقد افتقده صلاح الدين فكتب اليه يشرح له تأزم الحال في عكا ويطلب مساعدته، الا ان كوكبورى لم يتمكن في بادئ الامر من الاستجابة للسبب الذى ذكرنا عن اشغاله في تعزيز مركزه فى إربل، غير انه، بعد سقوط عكا ووصول رسائل أخرى من صلاح الدين، استجاب الى النداء فوراً، وشخص بنفسه الى ميدان القتال على رأس جيش إربلى، واستمر يحارب الى جانب صلاح الدين الى ان تم الصلح بينه وبين ملك الانكليز في سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م (الفتح القسي ص ٣٥٣ و ٣٦٥ و ٣٦٨ و ٣٧٨ و ٣٧٩ ط اوربا، سيرة ابن شداد ص ٢٣٦ وكوكبورى لطليمات ص ١٧١ - ١٨١)

هذا كل الذى نعرفه عن كوكبورى منذ ولادته حتى دخوله إربل، وان المراجع التى بين أيدينا لا تلقى أى ضوء على طفولته وشبابه، وعما اذا كان قد درس شيئاً، ومن هم مدرسه؟ ولكن سيرته - كما سنرى - تدل ولا شك على علم وفضل وثقافة وحسن ادراك، وهى تشكل دليلاً واضحاً على انه قد تعلم الشئ الكثير قبل أن يبلغ المكانة التى بلغ، وقد ذكر ابن خلكان انه كان يميل الى علم التاريخ، وانه كان يحفظ شيئاً منه يذاكر به. الا ان طليمات (كوكبورى ص ٦٠ - ٦٣) يعتقد ان الذى أشرف على تربيته وتعليمه هو مجاهد الدين قايمان عتيق والده، وان ذلك الاشراف استمر حتى مغادرة كوكبورى لاربيل اثر خلافه مع قايمان هذا، ولكن طليمات عجز عن ذكر أى مرجع يسند هذا الرأى. وكل الذى نستطيع قوله بهذا الصدد، هو ان المؤرخين يجمعون على ان عائلة زين الدين علي

وأولاده كانوا موجودين بآربل عند تقاعده في سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م، وانسحابه من الحياة العامة وذهابه إلى إربل، وكان قايماز آنذاك هو نائب زين الدين فيها، ولعله - كما يتوقع - قد اشرف على راحة عائلة مخدومة وتربية ابنائه.

٢ - طموحه السياسي ونشاطه العسكري:

ولأجل الوقوف على همة كوكبوري ومدى طموحه، يحسن بنا أن نعود إلى أيامه الأولى، يوم اختلف مع وصيه قايماز على حكم إربل، مما أدى إلى اعتقاله ثم اخراجه من المدينة، ولكنه لم يفقد الأمل، فحاول أولا مع الخليفة ثم مع صاحب الموصل لاسترداد إربل، إلا أنه لم يوفق في الحالتين، وإنما وفق في الحصول على حاكمية حران. كذلك من المستحسن أن نشير إلى المركز القوي الذي كان يحتله، من ذلك مثلاً أن عز الدين صاحب الموصل، فكر - عقب وفاة صلاح الدين في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م - واسترداد البلاد الجزرية من ورثة صلاح الدين، فحذره قايماز من انكشاف مؤخرته التي يهددها كوكبوري، مما يدل على قوة مركزه. ويذكر ابن الأثير (كامل ١٢ / ٦٥ واتبكية ص ٣٣٧ - ٣٣٩) بأن عز الدين هذا طلب إلى أصحاب الأطراف تأييده في استرداد تلك البلاد، وكانت من ممتلكاته أصلاً - إلا أنهم رفضوا، ويمكننا هنا أن نقول أن كوكبوري كان ضمن أصحاب الأطراف هؤلاء، وأن سبب رفضه في الغالب، هو خشيته من أن يقوى مركز الاتابكة فيستردوا إربل منه (اتبكة للجميل ص ١٧٤).

ومن نشاطات كوكبوري التي تستحق الذكر، أنه استغل انشغال صاحب الموصل في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م بمحاولة أخذ ميافارقين، فقصده نينوى وهاجمها وأحرق غلاتها، مما حمل صاحب الموصل على التخلي عن تلك المحاولة. ويبدو أنه فعل ذلك لا أرضاءً لطموحه فحسب، بل ودعمًا للايوبيين الذين تربطه بهم أواصر المصاهرة والتبعية السياسية. وتجلى ذلك بصورة أوضح في اتفاقه مع الملك الاشرف في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م على منع صاحب الموصل عن أخذ أي شئ من ممتلكات العادل أخي صلاح الدين (كامل ابن الأثير ١٢ / ٧٥). ومثل آخر على طموح كوكبوري، هو اتفاقه في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م مع صاحب مراغة على قصد انزبيجان وأخذها من صاحبها

أبى بكر ابن البهلوان، بحجة انشغاله بالشرب واهماله شؤون المملكة ومصالح الرعية. إلا أن صاحب اقليم الجبل تدخل في الامر وحذر كوكبورى من مهاجمة اذربيجان، وضرب على وتر حميته الاسلامية، مما حمله على التخلّى عن تلك المغامرة (كامل ابن الاثير ١٢/ ٩٢، تاريخ ابن الساعي ص ١٧٥، تاريخ ابن كثير ١٣/ ٤٣).

وفي سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م، حاول الملك الايوبي العادل أن يأخذ سنجار، بالاتفاق مع صاحب الموصل، وقد استنجد صاحب سنجار بكوكبورى الذى رأى أن أخذ سنجار سيخل بالتوازن الاقليمى فى المنطقة، فحاول أولاً أن يستشفع له عند العادل لخدماته السابقة وذبه عن ملكه، وهنا لجأ كوكبورى الى الدبلوماسية قبل اللجوء الى القوة. ولكن العادل رفض شفاعته ظناً منه بأن اتفاقه مع صاحب الموصل يجعله (أي العادل) في غنى عن كوكبورى. فأغاض ذلك كوكبورى وجعله يتحرك بسرعة، فبعث وزيره الى نور الدين صاحب الموصل يفرق بينه وبين العادل، ويعدّه بالمساعدة على منع العادل من أخذ سنجار، وسار اليه بجيش إربل وشهرزور. كما عمل على تعبئة خصوم العادل، ومنهم صاحب حلب الملك الظاهر ابن صلاح الدين، وصاحب الروم. واستعان ايضاً بالخليفة الذى ارسل وقدأ الى العادل - وكان يحاصر سنجار - يدعوه الى وقف القتال وعودة كل من المتخاصمين الى بلده. ولكن كوكبورى اراد الاستفادة من هذه المناسبة، فاستغل وجوده فى الموصل، فعمل على دعم صلاته بالبيت الاتابكي، فزوج ابنتيه لولدى نور الدين، وهما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكى (اتابكية ابن الاثير ص ٣٦٠ - ٣٦١ والكامل له ١٢/ ٩٢ و ١١٠ - ١١١ ومراة السبط ٨/ ٤١١ وتاريخ ابن العديم ٣/ ١٦٠ - ١٦١ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٥٦. هذا وقد ذكر ابن كثير ١٣/ ٥٢ في حوادث سنة ٦٠٦ هـ وهى السنة التى وقع فيها حصار سنجار، بأنه وصل الى بغداد يونس بن بدران المصري، رئيس الشافعية بدمشق رسولا من العادل ومعه ابن اخي كوكبورى، يعتذر عن عمه ويطلب الرضى عنه، فاجيب الى ذلك، ولكنه لم يذكر المناسبة التى استدعت الاعتذار، انظر ايضاً تاريخ ابن الساعي ص ٢٨٨).

وقد اضطرت هذه المصاهرة كوكبورى أن شارك في المنازعات التى وقعت بين اعضاء البيت الاتابكي فيما بعد، فنراه في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م مثلاً يناصر صهره

عماد الدين، ذلك ان عماد الدين هذا كان له منذ وفاة والده قلعتا العقر وشوش، وقد حاول بدر الدين لؤلؤ المتحكم بالموصل استرداد العمادية منه، الا ان كوكبوري سارع لنصرته - رغم تذكير لؤلؤ له بعهوده السابقة وايمانه بعدم التعرض لاعمال الموصل - وقد وقع القتال وانكسر جيش الموصل امام كوكبوري، وأُفْلِتَ لؤلؤ هارباً. وقد أدى ذلك الى احتفاظ عماد الدين بالعمادية، بل وبسط سلطته على قلاع الهكارية والزوزان. فلجأ لؤلؤ الى الملك الاشرف الايوبي يستعديه، فكتب الاشرف الى كوكبوري يستقبح فعلته ويذكره بأن الوضع الراهن كان قد تقرر بحضور رسل كوكبوري، وان الاتفاق قد تم على ان يقف جميع الحكام ضد الناكث. ثم طالبه باعادة الوضع الى سابق عهده، والا فانه سيركب اليه وينهي الامر لكي يتفرغ المسلمون الى قتال الافرنج النازلين بمصر. الا ان أحداً لم يستجب لنداء الاشرف، بل ان كوكبوري أمد عماد الدين ببعض جيشه، غير انه انهزم الى إربل (يذكر ابن خلكان ٤/ ٢٩٥ ان عماد الدين هذا، قد أخذت منه قلعة العمادية وغيرها، مما كان في يده عقب وفاة أخيه القاهر. فانتقل الى إربل حيث أقام لدى صهره كوكبوري - وقد رآه ابن خلكان هناك - ثم قبض عليه كوكبوري لأسباب لم يذكرها ابن خلكان، وسيره الى الملك الاشرف - في سنجار، فافرج عنه وعاد الى إربل. وقايسه كوكبوري عن العقر بشهرزور وأعمالها، فانتقل اليها وأقام فيها الى ان مات سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م). وفي هذه الاثناء كان الخليفة قد أرسل وقدأ للصلح بين الفريقين، فتم ذلك في اوائل سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م. وقد ورد ذكر اشتراك جيش إربل في هذا النزاع في رسالة بعثها لؤلؤ الى الخليفة (كامل ابن الاثير ١٢/ ٢٢٢، رسائل ابن الاثير ص ٦٠ - ٦٢).

ولكن هذا لم يضع حداً لمطامع عماد الدين ومن ورائه كوكبوري، فانتهزا فرصة غياب بعض جيوش الموصل التي توجهت لمساعدة الاشرف في حربه ضد الافرنج في الشام ومصر. فسار كوكبوري الى مشارف الموصل، حيث وقع القتال، وقد تمكن جيش الموصل من الثبات مما أخاف كوكبوري، فعاد الى إربل وتم الصلح مرة اخرى، غير ان عماد الدين واصل اغراء بعض اصحاب القلاع، ففاز ببعضها. واخذ كوكبوري يرسل ملوك الاطراف للاستعانة بهم، فألفوا حلفاء، الا ان هذا الحلف انفرط بوفاة رئيسه

صاحب بلاد الروم. وبلغ من طموح كوكبوري أن راسل حتى الامراء التابعين للاشرف نفسه واستمالهم، فأجابه منهم أحمد بن علي بن المشطوب (وهو إربلي الأصل) وغيره، ففارقوا الاشرف وتحالفوا ضده، لكن حلفهم لم يطل ايضا بسبب الدبلوماسية الحاذقة التي استخدمها الاشرف. ثم سار الاشرف بنفسه الي الموصل، وقد وردت عليه عند وصوله رسل الخليفة ورسلكوكبوري ساعين في الصلح واعادة القلاع المأخوذة الى لؤلؤ، ما عدا قلعة العمادية التي أريد اعطاؤها الى عماد الدين لانتهاء الفتنة والتفرغ لمقاتلة العدو. ثم توجه الاشرف قاصداً كوكبوري، فوصل قرية السلامية بالقرب من الزاب، وكان كوكبوري نازلا على الضفة الأخرى. ومالت المفاوضات بينهما، وأخيراً وافق الاشرف على مطالب كوكبوري تحت تأثير حليفه صاحب آمد الذي كان صديقا لكوكبوري، وتم الصلح. وكان ذلك في سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م (كامل ابن الاثير ١٢ / ١٢٩ - ١٣٣ و ١٣٧ و ١٥٤، تاريخ ابي الفداء ٣ / ١٢٠ و ١٢١، عبر الذهبي ٥ / ٦٥).

شير ان هذا لم ينه مطامع كوكبوري في ان يكون قوة ذات وزن في المنطقة، فقد اتفق في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م مع شهاب الدين غازي صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق، على قصد بلاد الملك الاشرف. ولكن الحملة لم تتحقق بسبب خشية المعظم من مفارقة ملكه من أخيه، ولسقوط صاحب خلاط أمام الأشرف . أما كوكبوري فانه حاصر الموصل عشرة أيام ولم يحصل على طائل، لان لؤلؤ أحسن الدفاع عنها، فرجع الى إربل بعد ان تخلى عنه حليفاه. وكان الحصار بدون قتال، ما عدا بعض المناوشات بين الترك التابعين لكوكبوري وبعض الفرسان والمشاة الذين كانوا يخرجون من الموصل من حين لآخر (كامل ابن الاثير ١٢ / ١٦٢ و امرأة السبط ٨ / ٦٢٢ - ٦٢٤ و تاريخ ابن كثير ١٣ / ٩٩ و ١٠٤). وفي السنة التالية (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) كان أهل العمادية يرسلون عماد الدين وكوكبوري وغيرهما، يؤولونهم ضد لؤلؤ ويعدونهم بالانحياز اليهم، ولكن هذا الاخير تمكن من تثبيت حكمه في العمادية، الا ان ذلك لم يحل دون قيام كوكبوري بمحاولة جديدة، اذ اتفق في سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م مع جلال الدين خوارزمشاه والملك المعظم صاحب دمشق وصاحب آمد وصاحب ماردين، ليقصدوا ممتلكات الاشراف فيقتسموها بينهم (توهم السيد طليمات ص ١٣١ - ١٣٢، فظن ان هذا الحلف قد حصل عند وفاة ناصر الدين محمود حفيد كوكبوري، وإعلان بدر الدين لؤلؤ نفسه ملكا على الموصل.

أقول أن وفاة محمود هذا وإعلان ملكية لؤلؤ كانا في الواقع في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م، أي بعد وفاة كوكبوري بسنة. انظر الحوادث الجامعة ص ٥٢ وعبر الذهبي ١٢٣ / ٥ واتبكة الجميلي ص ٢٢٩. هذا وقد ذكر السبط في مرآته ٨ / ٦٨٠ بأن خوارزمشاه تكش هو الذي قتل أهل دقوقا، وسار إلى إربل لحاصرها فضايقه كوكبوري ثم عاهده على أنه من أصحابه. وأم يذكر السبط تاريخ هذا الحادث، ولعله كان سابقا لهذا الحلف) فسار مظفر الدين إلى الموصل، وسار خوارزمشاه إلى خلاط، لكنه اضطر على العودة إلى بلاده بسبب عصيان نائبه عليه. وقد استنجد لؤلؤ بالاشرف ليدفع كوكبوري عن الموصل. وسار المعظم نحو حمص وحماة، وانذر أخاه الاشرف بترك ماردين وحلب لقاء تعهده (أي المعظم) بإعادة كوكبوري عن الموصل وقد تم الاتفاق على تلك الصورة بعد أن ضربت بعض أعمال الموصل بسبب تعرض كوكبوري لها، كما خربت بعض أعمال ماردين. (كامل ابن الاثير ١٢ / ٢٩٦ و ٣٠١ وتاريخ ابي الفداء ٣ / ١٢٦. وقد توهم ابن العديم ٢ / ٢٠٨ فظن ان هذه الأحداث قد وقعت في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م).

وفي سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م، ظهر أمير تركماني يدعى شمس الدين صونج من قبيلة «قشبالوا»، وأخذ يقطع الطريق بين إربل وهمدان، بل واعتدى على قلعة «سارو» التابعة لكوكبوري، وقتل عندها أحد امرائه وهو عز الدين الحميدي، فخرج إليه كوكبوري بجيشه محاولا استعادة القلعة، فلم يستطع لحصانتها ووافق على تركها لصونج المذكور (كامل ابن الاثير ١٢ / ٢٢٢). وفي السنة التالية، وصل التتر من أذربيجان بعد هزيمة ملكها جلال الدين، إلى أعمال إربل فقتلوا في طريقهم الكثير من قبائل التركمان والاكراذ وغيرهم، ونهبوا قرى إربل وقتلوا من ظفروا به من أهلها وارتكبوا الفظائع. فبرز اليهم كوكبوري بعساكره واستمد عساكر الموصل، إلا ان التتر عادوا فتراجعوا إلى أذربيجان مارين بالكرخيني ودقوقا دون أن يتعرض لهم أحد بسوء (كامل ابن الاثير ١٢ / ٣٢٥ و ٣٢٧. وقد قال المؤلف ان المغول «دخلوا بلد إربل» في ذي الحجة من سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م، أقول لعل المقصود هو ولاية إربل وليس المدينة نفسها).

وفي السنة نفسها (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) حظي كوكبوري بشرف عظيم لم ينله الا القليل من حكام الولايات من أمثاله، ذلك انه زار بغداد زيارة رسمية احتفلت بها عاصمة

الخلافة بشكل منقطع النظير، وأعد له استقبال حافل وموكب ضخم، والأهم أنه حظي مرتين بمشاهدة الخليفة المستنصر له، وكان هذا يعد شرفاً ما بعده شرف، غبطه عليه سائر الملوك، بل وتمنوا الفوز بمثله، حتى أن أحد ملوك بني أيوب (وهو الناصر داود صاحب الكرك) أبدى حسده لكوكبوري يوم حرمه الخليفة مثل ذلك الشرف، عندما جاء إلى بغداد ملتجئاً إلى الخليفة في سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م، خوفاً من عمه الكامل. وظن أن الخليفة المستنصر سيمنحه شرف المثل بين يديه، أسوة بكوكبوري لأنه يعتقد (أي الناصر داود) بأنه أكبر بيتاً من كوكبوري وأغرق في الملك حسبما ذكر اليوناني (ذيل المرأة ١ / ١٣٢). ولكن ذلك لم يحصل رغم الحاج الناصر، وعندما نظم قصيدة في مدح الخليفة، يعرض فيها بكوكبوري، منها:

وتسمح لي بالمال، والجاه بُغيتي	وما الجاه الا بعض ما أنت واهبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة	له الأمن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقي دُئواً منك لم الق مثله	ويحظى وما أحظى بما أنا طالبه
وينظر من للاء قدسك نظرة	فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلنني بنفس ورتبة	وصدق ولاء لست فيه اصاقبه
لكنتُ أسلي النفس عما أرومه	وكنت أزد العين عما يراقبه
ولكنه مثلي ولو قلت انني	أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه
وما أنا ممن يملأ المال عينه	ولا بسوى التقريب تُقضي مأربه

ويبدو أن الخليفة كان يمتنع من لقاء الناصر داود رعاية منه لخاطر الملك الكامل، ولذلك أثر أن يجمع بين الاعتبارين، فاستقبل الناصر ليلاً وأعادته إلى الكرك (تاريخ أبي الفداء ٣ / ١٥٧، وهنا أقول، لا أدري كيف جاز للناصر داود أن يعتبر نفسه أعرق بيتاً من بيت كوكبوري في حين أن والد كوكبوري كان هو المقدم لدى الاتابكة والقائد العام لجيوشهم في وقت كان فيه بنو أيوب لا يزالون مجرد ضباط في الجيش الاتابكي، ولم تحن لهم بعد فرصة الظهور إلا يوم انتدبهم نور الدين ابن زنكي للسفر إلى مصر دعماً

لاحد وزرائها. وحتى هنا تطاول لمنافسة صلاح الدين، قطب الدين ابن اخي ابي الهيجاء صاحب إربل - وكان ضمن جيش شيركوه - فقد طالب سنة ٥٦٤ هـ لنفسه بوزارة مصر، لكنها صارت الى صلاح الدين. وكان ذلك بعد وفاة زين الدين علي والد كوكبوري، أي يوم كان كوكبوري حاكما علي إربل. انظر اتابكية ابن الاثير ص (٢٥٥).

هذا وقد حفظ لنا كتاب « الحوادث الجامعة » (ص ١٩ - ٢٢) وصفا رائعا لهذه الزيارة، وما تم خلالها من مراسم، وتقديم الهدايا من الخيل والتحف الى الخليفة، وما ناله كوكبوري ووفده من رعاية وتكريم وخلع وهدايا، كانت أضعاف ما قدمه هو، وان الخليفة خلع عليه خلعة السلطنة. وكان ذلك سببا في ان يقطع كوكبوري - عند عودته الى اربل - خطبة بني أيوب وبقتصر على اسم الخليفة. وقد سجل هذه المناسبة شاعر إربلي، هو أسعد بن إبراهيم النشابلي الشيباني، وكان يرافق كوكبوري، بخطبة استهلها بقوله:

جلالة هية هذا المقام	تحير عالم علم الكلام
كأن المناجي بها قائما	يناجي النبي - عليه السلام -

والجدير بالذكر ان هذا الشاعر قد بلغ منزلة عالية في إربل، اذ تولى ديوان انشائها (الحوادث الجامعة ص ١٩ - ٢٣، مرآة السبط ٨ / ٦٨٠ وذيّل اليونيني ١ / ١١١ - ١٢٣ وتاريخ ابن كثير ١٢ / ١٢٩).

ويرى المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ٥٥ و٥٢٩) ان سبب التجاء كوكبوري الى الخليفة، هو ما بلغه عن تواطؤ الاشرف الأيوبي مع بدر الدين لؤلؤ المتحكم بالموصل، على القضاء على امارة إربل. وعلى كل حال فقد تم في خلال هذه الزيارة الاتفاق بين كوكبوري وديوان الخلافة على تسليم إربل الى حكومة بغداد عند وفاته، اذ لم يعقب كوكبوري أحداً من الذكور (الحوادث الجامعة ص ٢٣). وتأييداً لهذا الاتفاق قطع كوكبوري الخطبة لبني أيوب، كما اسلفنا (مجلة المجمع - العزاوي ص ٥٥) وأصبح كوكبوري تابعا للخليفة رأسا، وبالفعل فان الخليفة - عند ورود التتر في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٢١م الى جهات شهرزور - ندب كوكبوري لردهم وأمدّه بجيش منه مما أدى الى

تراجعهم، فاقامت الجيوش الاسلامية تجاههم عدة شهور، الا ان مرض كوكبوري اضطره على العودة الى إربل (تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٢٢). ولم يطل عمر كوكبوري بعد ذلك، اذ توفي في السنة التالية (رمضان ٦٣٠ هـ / ١٢٢٣ م، ولكن القزويني انفرد في «أثار البلاد» ص ١٩٣ بالقول انه توفي في سنة ٦٢٩ هـ). وبذلك طويت صفحة وضاعة من صفحات التاريخ الاسلامي (تكلمة المنذرى - مخ كمبرج ورقة ١٠٨ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٤٥٦ والعبر له ٥ / ١٢١ وأثار البلاد للقزويني ص ١٩٢ - ١٩٣، والحوادث الجامعة ص ٤٤ وابن خلكان ٣ / ٢٧٢ - ٢٧٦ ومراة اليافعى ٤ / ٧٠، وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٦ - ١٣٧ وتاريخ ابي الفداء ٤ / ٣٩٨ ومراة السبط ٨ / ٦٨٠ وذيل الروضتين ص ١٦١).

وقد اثني أكثر المؤرخين على كوكبوري (١)

فوصفوه بالكرم والجود والشهامة والشجاعة، والعقل والعلم والعدل. وعدوا مآثره الحسنة، ومواقفه المعروفة في الدفاع عن الاسلام، وزهده وتقشفه في حياته الخاصة، وتوفير المال من أجل انقاذه في وجوه الخير، واقدامه في الحروب حتي ليقال انه لم ينكسر في معركة قط، غير ان أبا الفداء، رغم ثنائه عليه قال «وفيه تعسف في استخراج الأموال من الرعية». أما الذهبي فقد قال في العبر «انه رغم صغر مملكته أنشأ مدرستين وأربع خوانك وداراً للارامل، وأخرى للايتام، وثالثة للقطاء، وبیمارستان»، وقد بلغ الاعجاب بأحد علماء بغداد - وهو عبد الرحمن بن علي بن التانرايا، وقد زار إربل - ان صنف كتاباً في سيرة كوكبوري، سماه «سيرة العبد المقبل والملك الغازي سلطان إربل» غير ان هذا الكتاب - مع الاسف - لا يزال في عداد المفقودات (مخطوطتنا ورقة ١٨٥٦).

ولكن الدكتور طليمات لم يقتنع بهذه الصفات العالية لكوكبوري، فجادت قريحته عليه بوصف جديد - لا نرى ان كوكبوري يرضاه لنفسه لو كان حياً - اذ قال عنه (كوكبوري ص ٢٠١) «وكان مظفر الدين اشتراكيا بكل ما في الاشتراكية من معنى وقد استفاد

(١) ترجم له الفاسي في «العقد الثمين» ترجمة ضافية، وقال انه ذكره في كتابه للمآثر الحسنة التي صنعها بظاهر مكة، ثم عدّ تلك المآثر العقد الثمين، ج ٧ ص ١٠٠ - ١٠٧.

مجتمعه من اشتراكه فائدة كبيرة الخ...» ويبدو ان السيد طليمات - وقد صنف كتابه في سنة ١٩٦٣ - كان متأثراً بموجة الاشتراكية التي غمرت آنذاك مصر وبعض البلاد العربية الاخرى، فرأى من المفيد ان يظهر كوكبورى بمظهر عصرنا الحاضر رغم مرور ستة قرون ونصف القرن على وفاته!!، وانه خشى ان ينتقص من قدر كوكبورى اذا لم يُظهره بذلك المظهر!! ومن الغريب ان السيد طليمات اقتبس - ضمن مقتبسات أخرى - قول يا قوت فيه عن بره بالفقراء ، وكثرة صدقاته على الغرياء ، ولكنه غص الطرف عما قاله يا قوت عنه من ارهاقه للرعية في جباية الاموال، وأجله الى موضع آخر خصصه للدفاع عن كوكبورى وتبرير مصادره للأموال (كوكبورى ص ٢٣٤).

أقول، ولعل من الانصاف ان نذكر هنا بأن كوكبورى لم يتورع عن مصادرة ٧٠٠٠ دينار من ابن المستوفي، بدون وجه حق، رغم ان الرجل خدمه خدمة لله خالصة، فكان كاتب انشائه لمدة ٤٠ سنة بدون أجر ولا جارية، فضلاً عن وظائفه الأخرى. وكان في منتهى الاستقامة والعفة، فلم يمد يده الى أموال الدولة ولا الى أموال الناس. ومع ذلك اعتقله وحبسه وقيده بقييد ثقيل، حتى اضطر الى بيع أملاكه ودفع المبلغ المذكور (ابن الشعار - مخ استنابول ٦ ورقة ١٨ - ٣٩، هذا وقد ذكر ابن الشعار أيضاً ٩ ورقة ٩٤ بأن كوكبورى كان كثير المصادرات لأرباب الولايات ومتصرفى الدواوين) .

وعلى أى حال فقد كانت أمنية ان يدفن فى الحجاز، حيث أعد لنفسه قبة تحت جبل عرفات، وأوصى بحمل جثمانه اليها . فدفن باريلى مؤقتاً، ثم سير جثمانه مع ركب الحجاج، غير ان اختلال الأمن سنة ٦٢١ هـ / ١٢٣٣ م منع الحجاج من مواصلة السفر، فعادوا من بعض الطريق، ومعهم الجثمان وقد شاء الله ان يتم فى مقبرة الأمام على - كرم الله وجهه - فى النجف الأشرف ، وفقالما ذكره ابن خلكان (انظر ايضا الحوادث الجامعة ص ٦٢ ومرة السبط ٨ / ٦٨٠).

٣ - أقارب كوكبورى:

ولتتم الصورة عن آل بكتكين، أرى من المفيد أن أذكر شيئاً عن أقارب كوكبورى، ولا أقول عقبه، لانه لم يخلف ذكراً كما اسلفنا، رغم تكتيته بأبي سعيد. ولقد ذكر ابن

القوطي (معجم ٤ / ٧٢٥) الأمير قطب الدين أبي الحسن موسى بن آقبوري بن علي بن بكتكين، ابن أخي كوكبوري ولم يزدنا شيئاً عن أحواله سوى قوله «وكان فارسياً جواداً، وأنه رأى بخط بعض الأربلة قولهم كنا في خدمة الأمير قطب الدين موسى، فأنشدنا - وذكر بيتين من الشعر-». وقد ذكر كل من ابن الساعي (تاريخ ٢٨٨) وابن كثير (تاريخ ١٣ / ٥٢) في حوادث سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م، وصول ابن أخي كوكبوري إلى بغداد برسالة تتضمن الاعتذار عن عمه، وطلب الرضى عنه، فأجيب إلى ذلك، إلا أنهما لم يذكر اسمهما ولا سبب الاعتذار، فلعلة هو قطب الدين موسى أنف الذكر. ومن الغريب حقاً في هذا الصدد أن كتب التاريخ التي ترجمت لكوكبوري وغيره من آل بكتكين، لم تذكر أن لكوكبوري أخاً غير زين الدين يوسف الذي تقدم ذكره، وعلى كل حال فالظاهر أن أخاه الآخر هو آقبوري، ومعناه «الذئب الأبيض»، لكننا لا نعرف عنه شيئاً حتى الآن.

وهذا وقد سبق لنا أن أشرنا إلى زواج ابنتي كوكبوري من أميرين من آل زنكي أتابكة الموصل، أحدهما هو عماد الدين بن نور الدين (توهم ابن القوطي ٢ / ٧٢٦ - ٧٢٧، فظن أن كوكبوري هو جده لأمه، وظن المرحوم مصطفى جواد أنه خاله. والصحيح ما اثبتناه من أنه أبو زوجته، وهذا ما قاله ابن خلكان ٤ / ٢٩٥، الذي رأي عماد الدين هذا شخصياً بارييل) وقد ساعده كوكبوري على أخذ بعض القلاع، وقد توفي في شهر رزور في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م حيث كان يحكمها - كما أسلفنا - وقد خلف ولداً واحداً مات بعده بقليل (تاريخ أبي الفداء ٣ / ١٢٠ - ١٢١)، والثاني هو عز الدين مسعود الذي تزوج ابنة كوكبوري الأخرى، وقد تولى حكم الموصل وتوفي سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٧ م (ابن خلكان ٥ / ٢٠٨ ط الدكتور إحسان عباس)، وهناك بطبيعة الحال أحفاد كوكبوري من ابنتيه هاتين، وكان آخرهم ناصر الدين محمود الذي مات في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م، وبموته انتهى ملك الأتابكة في الموصل، فتريع على عرشها بدر الدين لؤلؤ (المرجع السابق).

وينبغي ألا يفوتنا هنا ذكر ربيعة خاتون بنت أيوب، شقيقة صلاح الدين وزوجة كوكبوري، وهي زوجته الوحيدة على ما أظن، وقد انتقلت عقب وفاته من إربل إلى دمشق، وعاشت بها إلى سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م حيث توفيت بعد أن جاوزت الثمانين، ودفنت بالمدرسة التي بنتها لفقهاء الحنابلة بسفح جبل قاسيون (مرآة السبط ٨ / ٦٨٢ وابن

خلكان ٢٧٧ / ٣). والجدير بالذكر أن ترجمتها في «نجوم ابن تغري بردي» ٢٥٣ / ٦ قد أصابها شيء من الاضطراب، إذ جاء فيها: «وبعد موته (أي موت زوجها الأول) تزوجها صلاح الدين بن مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل». أقول لعل المحقق أخطأ في قراءة هذه العبارة، أو أنها تصحفت بقلم الناسخ في الأصل، وصحة قراءتها هي «فزوجها صلاح الدين بن مظفر الدين ... الخ» وهذا يتفق مع واقع الحال.

الفصل الرابع

انجازات كوكبورى الثقافية

والعمرانية والخيرية

١ - دور كوكبورى فى تطوير إربل:

على الرغم من انقسام العالم الاسلامي، في العهد الذى نحن بصددده، الى دول ودويلات، بل والى حاكميات مدن صغيرة، وما استتبع ذلك من تدهور سياسي وعسكري أطمع الاعداء بالمسلمين، فصاروا ينتقصون من أطراف بلادهم، بل ويقصدون القلب منها أحيانا، وان الحكام المسلمين انفسهم صاروا يقاتلون بعضهم بعضا في كثير من الأحيان. غير أن هذا الانقسام لم يكن كله شراً محضاً، لان حكام تلك الدويلات الصغيرة والمدن أخذوا يهتمون بعواصمهم ويتبارون مع جيرانهم، ويقلدون عاصمة الخلافة وعواصم الاقاليم الكبرى، فى اقامة المدارس وإنشاء الملاجئ والمستشفيات ونشر العلم وتشجيع العلماء، والعمل على تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية لمن يحتاجها من السكان.

ولقد برزت إربل في هذا المضمار بشكل يفوق حد التصور، لا سيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار صغر رقعة هذه الولاية وقلة أهميتها بالنسبة للولايات المجاورة لها، وخمول ذكرها الذى فطن اليه ابنها البار مؤرخنا ابن المستوفى، فسمى إربل «البلد الخامل» (اذ سمي كتابه فى تاريخ إربل «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل» انظر دراستنا عن هذا الكتاب). وقد بلغت إربل أوج عزها في عهد كوكبورى الذى برهن على كفاءة في الادارة وسعة في الافق، وإقبال على العلم وأهله، وتفان في حب الخير، وحب للعمران منقطع النظير. وهنا يحسن بنا ان نتحسس الاسباب التي جعلت من هذا الحاكم يتصف بكل تلك الصفات، حتى أمكن وصفه بالحاكم المستتير. وفي اعتقادى انه تثقف من صغره بثقافة دينية حبيب الى نفسه فعل الخير واحترام أهل العلم. ثم أنه تأثر ولا شك

بسيرة والده الذي، كما رأينا، كان رجلاً طيباً، كريم النفس، محباً للخير، وقد بني في الموصل مسجداً ورياضاً، وفي المسجد مدرسة. وعلاوة على ذلك فإن كوكبوري قد سئحت له الفرصة للسفر ومشاهدة مظاهر التقدم في العواصم الإسلامية، وفي مقدمتها بغداد عاصمة الخلافة، التي زارها عقب طرده من إربل، ثم الموصل وحلب ودمشق، وكلها كانت مراكز للعلم والمعرفة، زاخرة بالمدارس والربط ودور الحديث وما إلى ذلك من مؤسسات العلم وعمل الخير. وأغلب الظن أنه تأثر في بنائه للمدارس بما شاهده في بغداد بالدرجة الأولى، كما أنه شاهد دار المضيف (أو سمع به على الأقل) الذي بناه الخليفة الناصر في عاصمته. أما فيما يتعلق بانشائه داراً للحديث، فعله تأثر بنور الدين ابن زنكي الذي أنشأ أول دار حديث بدمشق، كما تأثر به فيما يتعلق بعنايته باليتامي من الأطفال. ويمكن القول أنه تأثر أيضاً بصلاح الدين الذي كان يحترم العلماء ويقرّبهم. ويبدو أنه خلال وجوده بحران كان وثيق الصلة بأهل العلم، من ذلك ما يرويه ابن المستوفى عن محاوره جرت في حران بين كوكبوري والمحدث عبد القادر الرازي (مخ ورقة ١٥٥ أ)، واستمرت صلته هذه بهم بعد أن جاء إلى إربل، بل أخذت في الازدهار، حتى أنه بعث إلى المؤرخ ابن شداد - عندما كان الأخير في حلب - بكتاب توصية بحق ابن خلكان وأخيه، عند مغادرتهما إربل متوجهين إلى حلب، فافسح لهما ابن شداد مجالاً في مدرسته واعتنى بهما (ابن خلكان ٨٧/٦). أما الآثار التي خلفها كوكبوري فهي كثيرة بهما يصعب الإحاطة بها، ويكفي هنا أن نشير إلى ما ذكره ياقوت عن إربل عندما قال «وفي ريف هذه القلعة في عصرنا هذا، مدينة كبيرة، عريضة طويلة، قام بعمارتها وبناء سورها وأسواقها وقيسارياتها الأمير مظفر الدين كوكبوري» (بلدان ٨/١٨٧ ومخطوطتنا ورقة ١٨١). وقد أشارت المراجع العربية إلى العديد من مساجد إربل ومدارسها، كمسجد الكف الذي أشار إليه القزويني (آثار البلاد ص ١٩٢ - ١٩٣ ومخطوطتنا ورقة ٩٩ ب) الذي يظن كاتب مقال «إربل» في الموسوعة الإسلامية بأنه هو الخراب القائمة الآن لمسجد كبير وبقايا المنارة التي تحمل اسم كوكبوري، والتي يبلغ

ارتفاع العمود المتبقي منها ٢٠٣ أقدام، ومحيط قاعدتها ٤٨ قدماً (انظر الشكل ٢٠)
وهذا يعطي فكرة على مدى ضخامة إنجازاته العمرانية.

وهنا أرى من المفيد العودة الى ابن خلكان الذى قال «وأما سيرته، فقد كان له في
فعل الخير غرائب، ولم يُسمع أن أحداً فعل في ذلك ما فعله، ولم يكن شىء في الدنيا
أحب اليه من الصدقة. كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاوِيج،
في عدة مواضع من البلد، يجتمع في كل موضع خلق كثير يُفرق عليهم في أول النهار.
وإذا نزل يكون قد اجتمع جمع كثير عند الدار فيُدخلهم اليه ويدفع لكل واحد كسوة على
قدر الفصل من شتاء أو صيف، ومع الكسوة شىء من الذهب».

وانه بنى أربع خانقاهات (ملاجىء) ملأها بالزمنى والعميان (مخطوطتنا ورقة ١٨٤)
وقدر لهم ما يحتاجون اليه كل يوم. وكان يزورهم بنفسه مرتين في الاسبوع، ويدخل الى
غرفة كل واحد منهم، يسأله عن حاله ويتفقده بشىء من النفقة، وهكذا حتى يدور عليهم
جميعهم. وهو يياسطهم ويمازحهم ويجبر قلوبهم. وأقام لكل واحد من الزمنى قائداً
يخدمه (مرأة السبط ٨ / ٦٨٠). وكذلك بنى داراً مماثلة للنساء الأرامل وأخرى للأيتام،
وداراً للقطاء رتب بها جماعة من المراضع. وأجرى على أهل تلك الدور ما يحتاجون اليه
في كل يوم. وكان يتفقدهم بنفسه أيضاً، ويزيدهم في العطاء وكان اذا كبرت اليتيمة
زوجها (المرجع السابق). وكان كوكبورى مولعاً بمؤاساة المرضى، فيزورهم في
البيمارستان (المستشفى) ويقف عند كل مريض ويسأله عن حاله وبيته وما يشتهي.
وفضلاً عن ذلك فقد كان له دار مضيف (المرجع السابق ومخطوطتنا ورقة ٦٨ ب و ١٦٧ أ
و ١٧٩ ب)، يدخل اليها كل قادم الى إربل من فقير أو فقيه أو غيرهما، وزاد على ذلك ابن
المستوفى قوله «ينزل فيها كل قادم لاربيل في طلب معروفه» وأنه أوقف عليها الأموال،
وكان لها متول يدير شؤونها وكان لا يمنع من دخولها أحد أقصدها، وللضيوف مرتبات من
الغداء والعشاء، وإذا عزموا على السفر أعطوا نفقته بما يناسب مكانة كل منهم. أقول
أن هذا ولا شك يدل على نضج الوعي الاجتماعى لدى كوكبورى وحكومته.

وينى أيضاً مدرسة ورتب فيها فقهاء من الشافعية والحنفية، وكان يأتيها بنفسه

ويعمل السباط بها، بل ويبيت في المدرسة ويعمل السماع. (ابن خلكان ٢/ ٢٧٣) وكثيراً ما كان ينعم على هؤلاء الفقهاء بشيء من الانعام. ولم تكن له لذة سوى السماع، كان لا يتعاطى المنكر، بل منع من إدخال المنكرات الى إربل. وكذلك بنى للصوفية رباطين كانا زاخرين بخلق كثير من المقيمين والواردين، ويجتمع فيهما في المواسم أعداد ضخمة. وكان للرباطين أوقاف كثيرة تفي بما يحتاج اليه أولئك الواردين أثناء إقامتهم وسفرهم، إذ كان لكل منهم نفقة يأخذها عند السفر. وكثيراً ما كان يأتي كوكبوري لزيارة الصوفية ويعمل عندهم السماع. وقد ذكر القزويني (آثار البلاد ص ١٩٢ - ١٩٣) بأن كوكبوري كان معتقداً بأهل التصوف، وأنه بنى لهم رباطاً فيه ٢٠٠ صوفي. وذكر رعايته لهم وإكرامه إياهم، وقال انه يفعل مثل ذلك وأكثر مع أهل الخير والصلاح. أقول وسنتحدث عن رُبط إربل في موضع آخر من هذا الفصل ان شاء الله.

والظاهر ان المدينة قد اتسعت في عهد كوكبوري، فصارت تضم الى جانب القلعة التي وصفها ياقوت، والتي لا تزال قائمة حتى اليوم، والتي كان فيها ديوانه المسمى «دار الامارة» (الحوادث الجامعة ص ٤٥ - ٥٠، ومجلة المجمع ص ٦٢ للعزوي)، الرض الذي قال عنه ياقوت أنه «مدينة عريضة طويلة، قام بعمارته وبناء سورها وعمارة اسواقها وقيسارياتها (ذكر ابن المستوفي ورقة ١٨١)، بأن كوكبوري بنى قيسارية باربل في سنة ٥٩٥ هـ) الأمير مظفر الدين... فأقام بها، وقامت بمقامه بها، لها سوق الخ... ثم ذكر ان زروعها على القني المستنبطة تحت الارض. ويبدو ان سكان المدينة قد تكاثروا في عهد كوكبوري، لا سيما وقد كثّر الوافدون عليها من مختلف أنحاء العالم الاسلامي، مما حمله على بناء الرض (ذكر ابن المستوفي هذا الرض ورقة ٤٤ أ) وتوسيعه. ويبدو أن أهلها ساهموا من جانبهم في عمارتها، اذ يذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧٢ ب) بأن أحد الارابلة، وقد كان إمام الحرم المكي، عندما عاد الى إربل بنى فيها بيتاً على هيئة دور مكة، هذا ومن الغريب أن ياقوت بعد ان يطنب في وصف إربل، يعود فيقول «ومع سعة هذه المدينة، فبنياتها وطباعها بالقري أشبه منها بالمدن». أقول ولا أدري كيف تكون قرية

وهي تضم دار حديث وخمس مدارس - ينبغي ان نقارنها بالكليات في عصرنا الحاضر - وعدد غير قليل من المساجد والربط ودور العجزة ومستشفى^{١٩} ويكفي أن نقول بأن خرائب إربل بدت سنة ١٨٢٦، بدت في نظر RICH وكأنها من السعة تقارب بغداد التي زارها في تلك السنة (انظر كتابه ١٤ / ٢ - ١٨).

واستكمالا لصورة إربل العمرانية، لعل من المفيد ان نتناول بعض مرافقها العامة، ومنها: -

سور إربل:

ومن الطبيعي أن مدينة كبيرة كالتى وصفها ياقوت، تحتاج الى سور يحميها من الطامعين، وقد أشار ياقوت الى قيام كوكبورى ببناء سور لربض إربل والظاهر انه كان يحيط بالربض وليس بالقلعة التى كان لها سورها الخاص وهى قائمة على نشز من الأرض، وهى بحد ذاتها حصن حصين، اذ صمدت للمغول عندما احتلوا الربض فى سنة ٦٢٤ هـ (انظر الحوادث الجامعة ص ٩٨ ومخطوطتنا ورقة ١ ب و ٦ ب و ٢٩ ب و ٢٤ ب و ٤٢ ب و ٦٢ ب و ٦٥ ب و ٩٨ ب و ١٠٤ ب و ١١٢ ب و ١١٩ ب و ١٢٠ ب و ١٢٧ أ). وقد جاءت الاشارة الى هذا السور عند هجوم التتر على إربل فى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م، ونقبهم إياه، ودخلهم المدينة عنوة وقتلهم كل من كان فيها، حتى صارت الآبار والدور قبوراً لأهلها، وبننت المدينة من كثرة الجيف، كما انهم نهبوا أموال السكان. وكان مملوك الخليفة، باتكين فى القلعة فقاتلهم وشحت المياه فى داخلها ومات بعض من فيها عطشا، الا ان المغول غادروها (مرآة السبط ٨ / ٦٩٩ والحوادث ص ٩٨ وتاريخ ابن كثير ١٢ / ١٤٥)

لقد ذكر ابن المستوفى سور إربل، وذكر بعض أبوابه ومنها الباب الشرقي والباب الغربي وباب الفرح، وباب الفحامية وهو باب المدينة القديمة، وباب الموصل (مخ ورقة ٤٥ ب و ٩٩ ب و ١٠٤ أ و ١٧٦ أ). وفي «الحوادث الجامعة» ص ٤٦ ذكر «باب عمكا» و«باب اللون»، وهما - كما قال المصنف - من أعظم أبواب إربل. ويستفاد من المرجع الأخير، أنه كان لهذا السور خندق.

مقابر إربل:

بالنظر لاتساع المدينة، كما تقدم، وكثرة سكانها احتاجت الى عدة مقابر. وقد ذكر ابن المستوفى «المقبرة العامة» التي تسمى المقبرة الشرقية أيضا. وقد دُفن فيها الكثير من الأعيان (مخ ورقة ٥ أ و ٩ أ، و ١٢ أ و ٢٧ ب و ٨٤ أ و ١٠٤ أ و ١٣٧ ب و ١٦٤ أ)، وذكر «مقبرة مشهد الكف» (مخ ورقة ٩٩ ب)، وذكر مقبرة أخرى لم يسمها، وهي قرب سوق البياطرية القديمة (مخ ورقة ١٠٢ ب)، وذكر مقبرة رابعة، قال انها قريبة من الميدان، الذي يعرف بتل زطي (مخ ورقة ١١٢ أ) أقول لعلها «مقبرة باب الميدان» التي ذكرها ابن خلكان (١٧١ / ٣) وهي المقبرة التي دفن بها الشاعر الإربلي عيسى بن سنجر الحاجري المتوفى بإربل سنة ٦٣٢ هـ. وهناك مقابر أخرى مخصصة لجهاًت معينة، منها مقابر المارستان ومقبرة الزمنى والعميان القائمة بالقرب من ملجأهم (مخ ٨٤ أ و ١١٤ ب و ٢١٦ ب) هذا وقد سبق لنا وأشرنا الى مقبرة الصوفية. ثم ان ابن خلكان (١٠٤ / ٤) ذكر بأن الشاعر الإربلي محمد بن يوسف البحراني المتوفى سنة ٥٨٥ هـ، قد دُفن في مقبرة أهله، قبلي البست بإربل، والبست هذا واد عريض في وسط إربل تجرى فيه مياه السيول في الشتاء والربيع (ابن خلكان ١٠٢ / ٤).

مواضع متفرقة بإربل:

ولكي تستتم الصورة، رأيت من المفيد الإشارة الى بعض المواضع المتفرقة بإربل، وقد نوه عنها ابن المستوفى في ثنايا كتابه، ومنها حبس القلعة أو حبس الحلبي، والقناة المهدمة بظاهر إربل، وكان فيها بستان وبركة جميلة وصفها أحد الشعراء، والكجك وهو بظاهر إربل أيضا، ويبدو انه كان مكانا لنزول بعض الواقدين، ودرب المنارة، وكانت فيه زاوية ينزل فيها الواغدون الى إربل (مخ ورقة ١٣ ب و ١٩ أ و ٤٥ ب و ١٧٥ أ و ١٩٦ أ). وفيها أيضا ميدان يعرف بتل زطي (مخ ورقة ١١٢ أ) ولعله الميدان الذي ذكر ابن خلكان إقامة مهرجان المولد النبوي الشريف فيه، والقطوية والنبراث (مخ ورقة ١٧٥ أ) ولعلهما محلتان من محلات إربل أو قرىتان من قراها، ويوجد في الأخيرة منهما مسجد. وكان في إربل عدة أسواق، يختص بعضها بأهل مهنة معينة لا يشاركون فيها غيرهم، من ذلك سوق

الصفارين وسوق البيطرة وسوق الخراطين، كذلك هناك باب الفحامية (مغ ورقة ٥٦ هـ ٧٥ ب و ١٠٣ ب و ١٠٤ ب و ٢١٨ أ)، هذا فضلا عن القيساريات والخانات (مغ ورقة ٨١ هـ ١١٨ ب).

٢ - بره بالفقراء وأهل العلم:

لقد أطنب المؤرخون - ولا سيما ابن خلكان - في وصف بر كوكبوري بالفقراء وأهل العلم، ومما يؤثر عنه، انه اذا استطاب طعاما لا يختص به وحده، بل يأكل منه لقمة، ثم يأمر اتباعه بحمله الى بعض المشايخ المشهورين بالخير والصلاح من الرجال والنساء. ويفعل مثل ذلك في الفواكه والحلوى. ولقد كان كريم الاخلاق، كثير التواضع، حسن العقيدة، شديد الميل الى أهل السنة والجماعة. ولا ينفق عنده من أرباب العلوم، سوى الفقهاء والمحدثين، ومن عداهم لا يعطيه شيئا الا تكلفا. ولا يعطى الشعراء الا اذا قصده، لانه لا يخيب أمل من يطلب بره. هذا ما قاله ابن خلكان، ثم يستطرد فيقول «ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب، وان شهرته تغني عن الاطالة». ثم يعتذر الى القارىء اذا ما وجد في ترجمته لكوكبوري تطويلا، فيقول «ولم يكن سببه، الا ما له علينا من الحقوق التي لا تقدر على القيام بشكرها، ولو عملنا مهما عملنا». ثم يشير الى الايادي البيضاء التي له ولأسلافه على ابن خلكان وأسلافه. ويؤكد انه لم يذكر شئيا عنه على سبيل المبالغة، بل كل ما ذكره كان عن مشاهدة وعيان، وانما حذف بعض ما يعرف طلبا لايحاج (انظر ايضا آثار البلاد للقريني ص ١٩٢ - ١٩٣).

والطريف ان ياقوت (بلدان ١ / ١٨٦ - ١٨٧) يصف كوكبوري، بعد أن يتحدث عن هيبته وشهامته وتجربته مما شجع الغريباء على سكنى مدينته، فيقول «وطباع هذا الأمير مختلفة متضادة، فانه كثير الظلم عسوف بالرعاية، راغب في أخذ الأموال من غير وجهها. وهو مع ذلك مفضل على الفقراء، كثير الصدقات على الغريباء، يسير الأموال الجمة الوافرة يستفك بها الاسارى الخ...» ثم يستشهد بقول الشاعر:

كساعية للخير من كسب فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقني

وقال السبط (مرأه ٨ / ٦٨٠) بهذا الصدد مستغفريا، بأنه «رغم مناقبه لم يسلم من السنة الناس، فيقولون انه يصادر أصحاب دواوينه وكتابه ويستأصلهم. قلعه أطلع منهم على خيانات، فرأى أخذ الأموال وانفاقها في أبواب البر والقربات أولى» وقال انه حكى له باريل، بأن ما ينفقه في كل سنة، عدا نفقات المولد، ٢٠٠ ألف دينار على الخانقاه و١٠٠ ألف على دار المنيف و١٠٠ ألف على الأسارى و٢٠ ألفا في الحرمين والسبيل، غير صدقات السر. وانه لم يكن يلبس غير ثوب قيمته ٥ دراهم. ولقد عاتبت زوجته على ذلك، فقال لها انه يفضل ان يلبس ثوبا بخمسة دراهم بدلا من عشرة، ويتصدق بالباقي. ثم روى عنه قوله «لما أخذت إربل أليت على نفسي أن أقسم مغلها ثلاثة أقسام، قسم أنفقه في أبواب البر، وقسم للجند وما يخصني، وقسم أدخره لعنو يقصدني». ولقد رأى الدكتور طليمات في هذا التقسيم، وفي هذا الزهد اشتراكية نسبها الى كوكبورى، كما تقدم.

ان أعمال الخير والبر التي قام بها كوكبورى يضيق بها مثل هذا البحث، مهما حاولنا الايجاز. لقد كان مقبلا على العلماء والمتصوفة، فيرعاهم ويزورهم في منازلهم ويقرر لهم الصدقات السنوية والرسوم والصلات ويتقبل وساطتهم، وبذلك يُعلي من جاههم ومكانتهم بين الناس (مخطوطتنا ورقة ٥١ ب و ٥٥ أ و ٥٨ أ و ٦١ أ و ٦٧ ب و ٧٢ أ و ٧٦ ب و ٨٣ ب و ٨٥ أ و ١١٤ ب، و ١٢٠ ب و ١٢٢ أ و ١٢٤ ب و ١١٥ ب)، كما يفسح في بلاده للصالحاء ممن أخرجوا من ديارهم بسبب قولهم للحق والتزامهم به. ويمتدح العلماء المتمسكين بأهداب الدين الحنيف (مخطوطتنا ورقة ٢٧ ب و ١٧ أ) مما جعل بلاطه مثابة للعلماء من كل مكان، فقصده هؤلاء من الأماكن القريبة كبغداد والموصل وواسط، ومن البعيدة النائية كإيران وتركستان، بل ومن الأكثر بعدا كمصر والمغرب والاندلس، وكان بعضهم يتعقبه حتى ولو لم يكن باريل (مصدر سابق ورقة ١٢٢ أ و ب و ١٦١ أ و ١٦٧ أ و ١٩٦ أ و ٢١٥ ب). بل كان يحرص على أن يشهد جنازة من مات منهم، وأكثر من ذلك فقد كان ينزل بنفسه في قبورهم ويلحدهم، ثم يحضر تربتهم عدة أيام ويمنح يتاماهم ما يحتاجون اليه من نفقة، ويوكل الاطباء لمعالجة من مرض منهم، كما كان يقبل شفاعتهم ووساطتهم في قضاء

حوائج الناس كما اسلفنا (مصدر سابق ورقة ٥ أ و ٧ أ و ١٢ ب و ٧٦ ب و ٧٧ أ و ٨٦ أ و ١٣٨ أ). وكان يستخلص لنفسه بعضا منهم، ويحضر مجالس الوعظ والدروس وسماع الحديث والكتب المؤلفة فيه، ويسمع نصائحهم دون أن ينزعج من شدة لهجتها، وكان يشعر بالوجد من عظة الواعظين (مصدر سابق ورقة ٣٤ ب و ٦٧ ب، ٧٢ أ و ٧٨ ب و ٨١ أ و ٨٨ أ و ١١٥ أ و ١٤٩ أ). وكان يجهز هؤلاء العلماء ومن في ركايبهم بما يلزمهم لأداء فريضة الحج (مصدر سابق ورقة ٣٤ ب و ٧٢ أ و ١٤٩ أ)، ويقوم برواية أخبارهم، فينقلها عنه ابن المستوفي (مصدر سابق ورقة ١٧٤ ب)، وينكر على المنحرفين عن جادة الاسلام انحرافهم، لكنه لا يحرمهم من معرفته (مصدر سابق ورقة ١٤٥ أ - ٤٦ ب). وان انشاءه لدار المضيف وخانقاه الصوفية، ما هو الا من مظاهر حبه للخير ومساعدة المحتاجين، بل وغير المحتاجين أيضا (مصدر سابق ورقة ٦٨ ب و ٩٩ ب و ١٦٧ أ). ولقد كانت صلاته تعم جميع القاصدين له، ومنهم الرسل الوافدين بمهام رسمية. ولذا فانه استحق من كل من عرفه الذكر العطر، فكثرت مآدحوه، وقل ذاموه. وقد روى ابن المستوفي بعض الشعر الذي نظم في مدحه (مصدر سابق ورقة ٣٥ أ و ٨٦ أ و ١٥٤ ب، ١٥٦ أ و ب و ٢٢٧ ب)، ولعل من المناسب ان اجتزى بضعة أبيات من قصيدة عبد الرحمن بن علي البغدادي المعروف بابن التانرايا ؛ إذ يقول:

أمدى لولاي المجا	هد في ايلاته المنفية
عقد الكارم من منا	قب عصر مولانا الخليفة
در العطاطا من جوا	هر حسن سيرته الشريفه

الى ان يقول:

ما نال نو ملك علا	ك من الانام ولا تصيفه
عظمت ميلاد النبو	ة واحتشدت له مضيفه
قبناك تأمن في المعاي	د اذ النفوس غدا مخيفه
فاسلم وعش وانعش لعب	د حاله حال ضعيفه

وذكر ابن خلكان (١/ ١٩٠ - ١٩١) ان ابن دحية، عندما صنف لوكبوري كتاب
التنوير، عن مولد الرسول (ﷺ) ضم اليه قصيدة يمدح بها كوكبوري، مطلعها:

لولا الوشاة وهمُّ أعدائنا ما وُفِّمُوا

ويبدو ان ابن خلكان اكتشف بأن هذه القصيدة منحولة، وهي لابن مماتى في مدح
الملك الكامل الأيوبي.

هذا وقد نظم ابن المستوفي أكثر من قصيدة في مدح كوكبوري، ذكر بعضها ابن
الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٩) وقد رأيتُ من الأفضل ايرادها عند الحديث عن
شعر ابن المستوفي في الفصل المخصص لذلك من هذا البحث، كما ان الفخر ابن تيمية
بعث الى كوكبوري برسالة يدعو له فيها بالتأييد، وقد صدرها بمقطوعة مطلعها:

زد بالعطاش على دموعي وا ملأ مزادات الجميع

كذلك مدحه عبد الحميد المقدسي، الذي زار إربل، بقصيدة جاء فيها:

وأنت أكرم من طاف الوفود به ومن الى شرف العلياء منسوب

يا من أعاد عيون المجد مبصرة قميص نائله والمجد يعقوب

٣ - مهرجان إربل - الاحتفال بالمولد النبوي:

اهتم كوكبوري اهتماما كبيرا بالاحتفال بمولد النبي (ص)، ويقول ابن خلكان (٤/
٢٧٣) بأن الوصف يقصر عن الاحاطة به، وقد عرف القاضي والداني باهتمامه به، وكان
الناس يقصدون إربل من مختلف أنحاء العالم الاسلامي، فيأتون من بغداد والموصل
والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وغيرها. ويبدأ الاحتفال في المحرم من كل عام،
فيتوافد الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ويتكاملون في ربيع الأول. وتقام
عندئذ القباب التي أمر كوكبوري بنصبها - وهي من الخشب ذات أربع أو خمس طبقات،
وعدها عشرون أو أكثر - واحدة منها له، والباقي لأمراء دولته. وتزين تلك القباب في أول
صفر بأنواع الزينة، وتخصص كل قبة لقيود جوق من المغاني، وأخرى لجوق من أرباب
الخيال، ومن أصحاب الملاهي، وهكذا. وتتاح الفرصة للناس أن يتفرجوا على مايدور في

تلك القباب وكان كوكبورى يقصدها بنفسه بعد صلاة العصر ويقف على نشاط أهلها ويسمع غنائهم ويتفرج على خيالاتهم. ثم يبيت في الخانقاه (الرباط) ويعمل السمع ويخرج للصيد بعد صلاة الصبح. ثم يرجع الى القلعة قبل الظهر، وهكذا كل يوم الى ليلة المولد الذي كان يحتفل به بين الثامن من ربيع الأول والثانى عشر منه. فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج عدداً كبيراً من الابل والبقر والغنم وزفها بالطبول والمغاني والملاهي الى الميدان، حيث تم نحرها وطبخها. وتقام السماعات ليلة المولد، فبعد أن يؤدى صلاة المغرب في القلعة، ينزل منها وبين يديه الشموع المضاءة - وفي جملتها شمعتان أو أربع من الشموع الموكبية التي تُحمل كل واحدة منها على بغل - حتى ينتهي الى الخانقاه. فاذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة الى الخانقاه على أيدي الصوفية، وعلى كل يد واحد منهم بقجة، وهم متتابعون الواحد وراء الآخر. وعندها ينزل هو الى الخانقاه، حيث يجتمع الرؤساء والأعيان وسواد الناس، ويُنصب كرسي للوعاظ، وبرج خشب ذو شبابيك لكوكبورى نفسه يطل منها على موضع الوعظ وعلى جهة الميدان الفسيح، حيث يجتمع الجند ويعرضهم في ذلك النهار، ويوزع نظراته بينهم وبين الناس والوعاظ. وبعد الفراغ من العرض العسكري يمدُ السماع في الميدان للعامة، وهو حافل بأنواع الطلعم. ويمدُ سماع ثان في الخانقاه للناس المجتمعين عند كرسي الوعاظ.

وخلال العرض يطلب كوكبورى حضور الأعيان والرؤساء والوافدين من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء فيخلع عليهم واحداً واحداً، ثم يدعون الى السماع الذي يحق لبعضهم أن يحملوا منه الى بيوتهم. ويستمر الاحتفال طيلة ذلك اليوم وليلة، حيث يبيت كوكبورى في موضع الاحتفال ويستمر على السماعات حتى صبيحة اليوم التالى وبذلك ينتهى الاحتفال ويجهز كل انسان للعودة الى بلده، ويدفع اليه شئ من النفقة. وقد وصف السبط (مرآة ٨ / ٦٨٠) سماع المولد، فقال بأنه سمع ان السماع كان يتألف من: ١٠٠ قرش قشلميش (ذكره طليمات ص ٢٠٨ حاشية، وقد تعذر عليه معرفة معناه، كذلك ذكر دوزى في قاموسه كلمة «قشلمش» ولم يذكر المعنى. وانني بدوري اعترف

بمعجزى عن ادراك معناه. هذا وفي اللغة التركية كلمة «قزل مش» تعنى «المشوى» فلعن هذا هو المقصود، وإن هذه الكلمة تحرفت الى «قشلمش».

٥٠٠٠ رأس شوى (ولعله يقصد رأس غنم)

١٠٠٠٠ دجاجة

١٠٠٠٠٠ زبدية (واظنه يقصد بها صحنون مختلف أنواع الطعام).

٣٠٠٠٠ صحن حلوى.

وذكر بأن عدد الصوفية الذين يجتمعون، يتراوح بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ وكان كوكبورى يعطي الشيوخ على قدر طبقاتهم، فيتراوح العطاء بين ٣٠ و ١٠٠ دينار، وكذلك يعطي لاتباعهم. وذكر أيضا بأنه حكى له باربل، بأنه كان ينفق على المولد ٣٠٠ ألف دينار في كل سنة (انظر ايضا مخطوطتنا ورقة ١٥٧ أ وأثار القزويني ص ١٩٢ - ١٩٣ والموسوعة الاسلامية طبعة ١٩٣٦ ج ٣ / ٤١٩ - ٤٢٢، مقالة «مولد»).

وعند زيارة ابن دحية الكلبى لاربيل، اطلع على اهتمام كوكبورى بالمولد النبوى، فصنف له - كما اسلفنا - كتابا سماه «التنوير في مولد السراج المنير»، فأجازه بالف دينار، عدا ما غرم عليه مدة اقامته (ابن خلكان ١ / ١٩٠ - ١٩١ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٦). هذا ويعتقد كاتب مقال «مولد» فى الموسوعة الاسلامية بأن كوكبورى بدأ الاحتفال بالمولد النبوى سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م، وقال انه بالنظر لاتصال حكمه بفترة الحروب الصليبية واشتراكه فيها، فقد يحمل ذلك على الاعتقاد بأنه ربما تأثر بالنصارى في تطوير هذا الاحتفال، كما ان علاقاته الخاصة بالصوفية من ناحية أخرى تستدعى وجود تأثير من نوع آخر بهذا الشأن. ويرى الكاتب ان الاحتفال يستحق الاهتمام، وهو يعتبره أصلا لجميع الاحتفالات التي صارت تقام فى العصور التالية (الموسوعة الاسلامية ط ١٩٣٦). ويعتقد كاهن (انظر المرجع السابق ١ / ١١٦٠ طبعة ١٩٦٠) بأن الاحتفال المذكور قد يكون رد فعل لاحتفالات الشيعة والنصارى.

ولعل من المفيد أن نذكر بهذا الصدد أن ابن جبير (رحلة ص ١١٣) قد لاحظ بأن الدار التي ولد فيها النبي (ص) بمكة، كان الناس قد اعتادوا على زيارتها في شهر ربيع الأول، وفي يوم الاثنين بالذات، إلا أنه لم يذكر عما إذا كانت هناك احتفالات خاصة بالمناسبة أم لا. ولكن أهل الموصل كانوا يحتفلون بالمولد النبوي في العهد الاتاكي، فيزينون الدور والأسواق ويتجمعون في المساجد، ويتبارى في ذلك الحكام، وكان الشيخ عمر الملاء - الذي تولى بناء جامع الموصل - لنور الدين ابن زكي - يقيم احتفالا مشهورا يحضره الأعيان والعلماء والفقهاء، وتُقدم فيه الأطعمة، (سبط مرآة ٨ / ٣١٠ و ذيل الروضتين ص ١٨٩ والاتاكة للجميل ص ٢٨٩ - ٢٩٠).

وعلاوة على ذلك، فقد وصف المقرئى والقلقشندي (خطط ١ / ٤٣٢ - ٤٣٣ وصبح ٣ / ٥٠٢) احتفالات الخلفاء الفاطميين بالمولد النبوي، ولكن الاحتفال، على فخامته كان متواضعا بالنسبة لاحتفالات إربل، إذ كان يقتصر على ليلة واحدة تُقدم فيها الحلوى ويُقرأ القرآن الكريم في الأزهر، ثم يتوجه المحتفلون بعد ذلك إلى قصر الخليفة، ليقرأ القراء ويخطب الخطباء، ويبدو أن الاندلس عرفت أيضا الاحتفال بالمولد النبوي، فقد وردت الإشارة إلى احتفال أهل غرناطة به في أواسط القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي (انظر كناسة الدكان ص ١٢٤).

٤- المؤسسات الدينية والخيرية بإربل:

حفلت إربل في عهد حكمها الذاتي - ولا سيما في أيام كوكبوري - بالكثير من المؤسسات الدينية والخيرية، كالربط والمساجد والدور المخصصة للعجزة وذوي العاهات والأرامل واليتام، ولأجل رسم صورة واضحة عنها، نجل فيما يأتي بعض المعلومات التي توفرت لدينا عن تلك المؤسسات:

١/ مساجد إربل:

كان في إربل عدد من المساجد، وفي مقدمتها المسجد الجامع بالقلعة، ولعله أقدمها.

وقد ذكره ابن المستوفى أكثر من مرة (مخ ورقة ٦ ب و ٢٩ ب و ٤٦ ب و ٤٨ ب و ٧٥ ب و ١١٩ ب و ١٢٠ أ و ١٧٤ أ و ١٩٧ أ)، وذكر لنا عدداً من خطبائه منذ أيام أبي الهيجاء ابن علي صاحب إربل حتى زمنه هو. ومعظم هؤلاء الخطباء ينتمون الى عائلة محمد بن غياث ولعل أبرزهم هو عثمان بن عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م، (مخطوطتنا ورقة ٢٨ أ و ١١٩ ب و ١٢٠ أ و ١٧٤ أ و «تكملة المنذرى» ٣ / ٢٧٠) وأشار ابن المستوفى أيضا الى عدة مساجد أخرى، منها المسجد الجامع الزيني، والمسجد الجامع (كذا بدون تسمية)، ومسجد عمر الدزيجاني (مخطوطتنا ورقة ٧٥ ب و ١٠٣ ب و ١٠٩ ب و ١٤٩ أ و ١٧٢ ب)، ثم ان ابن خلكان (٣ / ٢٧٠) ذكر بأن زين الدين علي قد دفن في تربته المجاورة للجامع العتيق داخل البلد. أقول لعل المراد هو جامع القلعة أو المسجد الزيني أنف الذكر.

هذا وقد ذكر بعض البلدانين وجود أقنية للماء كانت تسقى إربل ومنها قناتان كانتا تدخلان الى المدينة لسقاية الجامع ودار السلطنة. وقد ذكرها ابو الفداء في كتابه «تقويم البلدان» (طبعة باريس، ص ٤١٣). وذكر القزويني (آثار ص ١٩٢ - ١٩٣) مسجد الكف، وهو الذى أشار اليه ابن المستوفى وسماه «مشهد الكف» (مخ ورقة ٩٩ ب و ١٠٤ أ و ١٢٦ ب) كما ان الموسوعة الاسلامية (٢ / ٥٢٢) أشارت الى ان كوكبورى بنى جامعا ضخما كانت له منارة عالية ارتفاعها ٢٠٣ أقدام (توهم الدكتور طليمات ص ١٩٩ فظن ان ارتفاعها ٥٠٣ أقدام) ومحيط قاعدتها ٤٨ قدما، وانه على الأرجح «مسجد الكف» الذى أشار اليه القزويني وقد شاهد RICH هذه المنارة في سنة ١٨٢٦، وقياس ارتفاع شمعنها حتى الحوض فكان ١٢١ قدما، ووجد محيطها ٥١ قدما. وذكر ان لها قاعدة ثمانية الشكل، ارتفاعها بين ٣٠ و ٤٠ قدما وطول كل ضلع من اضلاعها الثمانية حوالى عشرة أقدام، وان لها سلمين يفضيان الى الحوض، وما فوقه مهدوم. ويرجح الكاتب أن تكون هذه المنارة من عهد الخلفاء او من أيام حكام إربل (٢ / ١٥). وذكر بكنفهام (ص ١٠٠) هذه المنارة أيضا. ومن الجدير بالذكر ان في إربل الآن بقايا مئذنة تطابق

أوصافها تلك التي وصفها RICH وتسمى «المنذنة المظفرية»، وقد قامت مديرية الآثار العراقية العامة بصيانتها (مجلة سومر - عدد ١٦ لسنة ١٩٦٠ ج ١ / ١٢٧، انظر أيضا الشكل ٣). وتقوم هذه المنذنة فيما كان يسمى ربحى إربل، أى خارج القلعة، ولعلها تعود الى الجامع الذى ذكره ابن المستوفي في الربض (مخطوطتنا ورقة ٤٤ أ).

ب/ رُبُط إربل:

سبق ان بينا تعلق كوكبورى بأهل التصوف ورعايته لهم، وبنائه رباطا يضم ٢٠٠ صوفي (آثار القزويني ص ١٩٢ - ١٩٣). ويبدو ان هذا الرباط هو الذى عُرف «برباط الجنينة». وقد ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٩٩ ب) وابن الفوطي (معجم ٤ / ٦٢٣)، ولعل من الضروري ان نذكر هنا بأن الصوفية باربل أقدم عهداً من كوكبورى، إذ ذكر ابن المستوفي (مصدر سابق) «خانقاه الصوفية» التي كانت قائمة قرب باب الفرح، والتي خربت، وقد انتقل المتصوفة منها الى رباط الجنينة آنف الذكر. كذلك ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٣٣ ب و ٧٥ ب و ٨٧ ب) وابن خلكان (٢ / ٢٤٦) «الرباط المجاهدى أو الخانقاه المجاهدية المنسوبة الى مجاهد الدين قايمان نائب حاكم إربل. وهناك أيضاً «رباط المنظرة» و«رباط الزاهد» الواقع تحت القلعة. وكلاهما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ١١٥ أ و ١١٣ ب و ١٥٠ ب). كذلك أشار ابن المستوفي (مخ ورقة ٤٤ أ و ٨١ أ و ١٥٥ ب و ١٦٧ أ و ١٩٦ أ) الى عدد من الزوايا، ومنها «زاوية الغرباء» التي بناها كوكبورى لنزول الغرباء، وتسمى أحيانا بزاوية الشيخ محمد بن محمد بن الحسين الكريدى. على انه ليس من الواضح عما اذا كانت هذه الزاوية هي «دار المضيف» الذى تقدم ذكره، أم هي شيء آخر غيره. وهناك ايضا «زاوية البستي»، وهي ركن في جامع القلعة اصطلاح الناس على تسميته بهذا الاسم، و«زاوية أحمد بن المظفر الخراط» و«زاوية اسحق بن ابراهيم» وقد بناها اسحق المذكور بظاهر إربل.

ويبدو ان رباط الجنينة كان هو المركز الرئيسى للصوفية باربل، ولقد ذكره ابن المستوفي ١٥ مرة بالنظر لاهميته، وقد تولى مشيخته بدل ابن خليل الاربلى (معجم ابن الفوطي ٤ / ٦٢٣) ومحمد بن ابي الفخر الكرمانى المتوفى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م

(مخطوطتنا ورقه ٦٩ ب ، ١١٤٩ ، ١٢٠٣) . وعلاوة على مشيخة هذا الرباط ، كانت هناك مشيخة الصوفية بإربل كلها ، وقد تولاهما محمد بن اسماعيل بن مسلم الاربلى المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ، (مخطوطتنا ورقة ٩٩ ب ومعجم ابن الفوطي ٣/ ٣١١)، مما يدل على كثرة المتصوفة المقيمين بإربل، بل وهناك دليل آخر على كثرتهم في هذه المدينة، حيث صار لهم مقبرة خاصة ذكرها ابن المستوفى (مخ ورقة ٤٩ أ و ٧٦ ب). والظاهر ان إربل صارت تصدر الصوفية الى الخارج، حتى أن أحد أبنائها - وقد هاجر الى مكة المكرمة - صار شيخا للصوفية هناك (معجم ابن الفوطي ٣/ ١٦٧). وعلاوة على ما تقدم فإن قلعة إربل كان لها شيخها (مخطوطتنا ورقة ١٠٤ أ).

ت/ المؤسسات الخيرية والاجتماعية:

وبر كوكبورى برز واضحا في انشائه عدداً من المؤسسات الاجتماعية التي تعني بالفقراء والمحتاجين وذوى العاهات، وقد سبقت الإشارة إليها. ولقد بلغت نفقات هذه المؤسسات ٢٠٠ ألف دينار في السنة وفقاً لما ذكره السبط (مرآة ٨/ ٦٨٠)، الأمر الذي يدل على وعي اجتماعي عميق كان يتمتع به كوكبورى، الحاكم المستتير. وقد يكون من المفيد تعداد تلك المؤسسات:

(١) دار الزمنى: وهي الدار المخصصة لذوى العاهات الذين ليس بوسعهم قضاء حاجاتهم بأنفسهم. وقد خصص لهم كوكبورى داراً زودها بكل ما يحتاج اليه سكانها من طعام وكساء وعلاج. كذلك خصص لكل منهم خادماً يراعه (مرآة السبط ٨/ ٦٨١).

(٢) دار العميان: وهي دار تشبه الاولى، الا انها مخصصة لمن فقد بصره وعجز عن تحصيل رزقه بنفسه، وبذلك كفاهم مؤونة السؤال واستجداء الناس. وبلغ من اهتمام كوكبورى بهم انه كان يزورهم بنفسه ويباسطهم (ابن خلكان ٣/ ٢٧٠ ومرآة السبط ٨/ ٦٨٢).

(٣) دار الأيتام. جمع كوكبوري في هذه الدار الأطفال الذين فقدوا معياليهم، من بنات وبنين، وهي لا تختلف عن الدارين السابقين. هكذا حمى بعمله هذا أولئك الأطفال من أخطار التشرد وعوضهم عن العطف الأبوي الذي فقدوه، إذ كان يزورهم أيضاً ويسبق عليهم الكثير من عطفه وكرمه، لا سيما بالنسبة للبنات اللاتي كن يحظين برعاية خاصة، إذ يهيء لهن أسباب الزواج (ابن خلكان ٢٧٠ / ٣ / و امرأة السبط ٨ / ٦٨١).

(٤) دار اللقطاء: وهؤلاء هم الأطفال الذين لا تعرف أسرهم، إذ يتخلى عنهم أهلهم لسبب أو آخر، فيلقونهم على قارعة الطريق، وقد أوجد لهم كوكبوري ملجأً عين فيه المرضعات لارضاع هؤلاء الأطفال والعناية بهم (ابن خلكان ٢٧٠ / ٣).

(٥) دار الأرامل. لم ينس كوكبوري النساء اللاتي يموت عنهن أزواجهن، وليس لهن معيل، فابتنى لهن داراً مجهزاً بكل ما تحتاج إليه تلك النساء، وكان يزورهن بنفسه ويتفقد أوضاعهن (ابن خلكان ٢٧٠ / ٣).

(٦) دار الضيافة. وقد سماها ابن المستوفي «دار المضيف» وهي دار خصصها كوكبوري للغرباء الوافدين على إربل. وقد بلغت نفقاتها ١٠٠ ألف دينار (وهي علاوة على ٢٠٠ ألف دينار كانت تصرف على الدور الخمسة أنفة الذكر). ويبدو أن كوكبوري قد تأثر بمعاصرة الخليفة الناصر الذي ابتنى دوراً للضيافة ببغداد في سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م، بينها دار للضيافة الحجاج (كامل ابن الاثير ٢٨٦ / ١٢ / وتاريخ ابن الساعي ص ٢٥٨، و امرأة السبط ٨ / ٥٣٩ و ٦٣٧). وكانت هذه الدار - أي دار إربل - مجهزة بكل ما يحتاج إليه النزلاء الذين لهم أن يقيموا فيها المدة التي يريدون. ومبالغة في إكرامهم، كان كوكبوري يدفع لكل ضيف يغادر إربل نفقة الطريق، كل على قدر حاجته (مرأة السبط ٨ / ٦٨٣ وابن خلكان ٢٧٠ / ٣ / ومخطوطتنا ورقة ٦٨ ب و ١٦٧ أ و ١٧٩ ب).

ج/ بيمارستان إربل:

لم يكتف كوكبورى بالعناية بالعجزة والزُمنى، بل أنشأ مستشفى للعناية بالمرضى وقد ذكره ابن المستوفى في عدة مواضع، وقد كان فيه عدد من الأطباء (مخ ورقة ١١٤ ب و ١١٦ ب). ويبدو انه كان من المستشفيات المهمة، إذ كان ابن المستوفى نفسه يهتم بأمره. فقد طلب الى علي بن عثمان السليمانى الاربلى - وكان بدمشق - أن يتولى الاشراف على هذا المستشفى (ذيل اليونيني ٢ / ٤٨١). والظاهر ان إربل كان فيها - كما ذكرنا أنفاً - عدد من الأطباء إذ قال ابن المستوفى (مخ ورقة ٧٧ أ) ان كوكبورى أوكل الى «الاطباء» معالجة عبد اللطيف السهروردي الذي كان مصابا بداء «القولنج» وعدة أمراض أخرى. ويذكر ابن الشعار ان ابراهيم بن اسماعيل الحراني المتوفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م كان كحالا (أى طبيب عيون) في هذا اليمارستان، وكذلك يذكر يوسف بن جامع الاربلى الذى كان خازنا فيه ومشرقا على خزانة الادوية، وان له عناية بالطب والعلاج، وقد توفى سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م (مخطوطة عقود الجمان، ج ١ ورقة ١٥ - ١٦ و ج ١٠ ورقة ١٧٢).

هـ - مائر كوكبورى خارج إربل:

١/ فكاك الأسرى:

لم يقنع كوكبورى بأعمال البر التي أجراها في المنطقة التي يحكمها وانما أراد أن يعم بره القريب والبعيد على السواء. ويقول ابن خلكان (٣ / ٢٧٠) في معرض تعداد مآثره، بأنه كان يسير جماعة من أمنائه، مرتين في السنة، الى ساحل الشام، ومعهم الأموال الضخمة ليفتكوا بها الاسرى المسلمين من أيدي الصليبيين. وإذا وصلوا إربل أعطى كلا منهم نفقة ورتب لهم الإقامة في قرية على باب إربل اسمها «بيت النار»، فلا يدخلون إربل حتى يجهز غيرهم. وأحصى عدد من فكهم من الاسر فكانوا ٦٠ ألفا بين رجل وامرأة. أما الأسرى الذين لا يأتون الى إربل فيعطيهام الأمناء ما يوصيههم كوكبورى باعطائه لهم. ويقال انه كان ينفق على فكاك هؤلاء ١٠٠ ألف دينار في كل سنة، وكان اذا نقد ما عنده من مال، يبيع ما عنده من المجوهرات لهذا الغرض (مرآة السبط ٨ /

٦٨٠ - ٦٨٢ وأثار القزويني (ص ١٩٢ - ١٩٣) . بل ان اهتمامه بالأسرى قد شمل حتى البعيد من المسلمين ، إذ يذكر ابن المستوفى (مخ ورقة ٢١٥ ب) ان أحد الادياء الاندلسيين قصد إربل بعد سقوط ميورقة بيد الاسبان، طالبا عون كوكبري في فكك الأسرى. وقد استجاب له عن طيب خاطر، الأمر الذي يدل على ان صيته قد ذاع حتى في تلك الانحاء النائية.

ب/ العناية بالحجاج وأهل الحرمين:

يقول ابن خلكان (٣/ ٢٧٠) ان كوكبري كان يقيم في كل سنة سبيلا للحاج، ويسير معه جميع ما تدعو اليه حاجة المسافر، ويبيع معه أمينا يحمل ٥٠٠٠ أو ٦٠٠٠ دينار لانفاقها بالحرمين على المحتاجين وأرباب الرواتب، وكان يشرك معه العلماء في التوزيع (مخطوطتنا ورقة ٨٥ أ و ١٣٧ ب ومرآة السبط ٨/ ٦٨٣). وكوكبري أيضا أثار جميلة في الحجاز، منها إيصاله الماء الى جبل عرفات، وقد غرم علي ذلك مبالغ جسيمة، فقد أنشأ خزانات للماء في الجبل.

هذا وقد ذكر الزركلي (كتابه «ما رأيت وما سمعت» ص ٣٢ و ٣٣) نقلا عن مخطوطة بمكة المكرمة بعنوان «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي»، تصنيف عبيد الملك بن حسين بن عبد الله المكي العاصمي، المتوفى بها في سنة ١١١١ هـ، ان مجاربي عين زبيدة قد تخربت قعرها مظفر الدين صاحب إربل في سنة ٦٠٥ هـ. ونقل أيضا من رسالة للسيد عبد الله الزواوي المكي، مدرس المسجد الحرام ورئيس «لجنة عين زبيدة» قبي عهد الملك حسين بن علي الهاشمي، ان مظفر الدين المذكور قد عمر تلك العين في سنة ٥٩٤ هـ ، وان الذي عمرها في سنة ٦٠٥ هـ هو الخليفة العباسي المستنصر. أقول ان هذا وهم منه، لان الخليفة المستنصر ولي الحكم في سنة ٦٢٣ هـ، أي بعد ١٨ عاما من تاريخ التعمير المزعوم، اللهم الا اذا كان قد قام بالتعمير قبل أن يلي الخلافة، وعندها لا يكون لقبه «المستنصر»، فقد كان من الأمراء الذين يسمون عادة باسمائهم.

وقد قال السبط (مرآة ٨/ ٦٨٠، ٦٨٢) انه كان ينفق عشرة آلاف دينار في السبيل وألف دينار يرسم اجراء الماء الى برك عرفات (مخطوطتنا ورقة ١٣٧ ب). (لعل المقصود

بالسييل هو ارسال بعثة اسعاف ترافق الحجاج للعناية بهم). وكان ايضا يشتري الدواب للعلماء الذين يريدون أداء فريضة الحج، ويمنحهم النفقة الكافية لهم ولرافقيهم ذهاباً وإياباً (مخطوطتنا ورقة ١٤٩ أ) مما حمل الكثيرين على جعل طريقهم يمر بارييل، وإن لم تقع على الطريق المعتاد. وكان يصل بعض العلماء بصلات سنوية في كل سنة ولو لم يأتوا الى إربيل، وخير مثل على ذلك صلته الى الخضر ابن السراج نزيل مكة، فقد كانت تصله صلته وهو هناك (مخطوطتنا ورقة ١٨٥).

ولمظفر الدين كوكبوري مآثر كثيرة في الحجاز غير هذه، ومنها نصب الاعلام لتحديد حدود عرفة، من ذلك ما قاله المؤرخ الفاسي في «شفاء الغرام» (ج ١ ص ٣٠٢)، إذ قال. حد عرفة من جهة مكة الذي فيه بعض الاختلاف الآن (أي في زمانه) بينّ، وهو علمان بين العلمين اللذين هما حد الحرم إلى جهة عرفة وكان ثم ثلاثة أعلام، فسقط أحدها فهو الى جهة المغمس، واثره بينّ، وقال: رأيت عنده حجراً ملقى مكتوباً فيه «أمر الاسفهلر الكبير مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربيل حسام أمير المؤمنين بإنشاء هذه الاعلام الثلاثة بين منتهى أرض عرفه ووادي عُرنة، لا يجوز لحج بيت الله العظيم أن يجاوز هذه الاعلام قبل غروب الشمس» وهذا الحجر مؤرخ في شعبان من شهور سنة خمس وستمائ، ورأى الفاسي مثل هذا ذلك مكتوباً في حجر ملقى قرب أحد العلمين الباقيين. الا انه ذكر في موضع آخر (شفاء الغرام، ج ١ ص ٥٥) بأن المظفر صاحب إربيل أمر بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفات، وذلك في سنة ٦٢٦ هـ. ويبدو ان كوكبوري كان يوالي اهتمامه بتلك الاعلام، فعمرها مرة في عام ٦٠٥ هـ، وعمرها مرة أخرى في عام ٦٢٦ هـ.

ومن مآثره التي ذكرها الفاسي (شفاء الغرام، ج ١ ص ١٣) انه قام بتسهيل العقبة التي بنيت عليها باب الشبيكة واصلحت، وقال انه يظن بأن مظفر الدين كوكبوري هو نفسه الذي بنى السور الذي بأعلى مكة، وذلك في سنة ٦٠٧ هـ، وعند حديثه عن برك عرفات، قال (شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٠) ان فيها عدة برك، وكان غالبها في زمانه ممتلاً بالتراب حتى صار ذلك مساوياً للأرض، وبعضها من عمارة العجوز والدة المقتدر، وعد تلك خمس برك وتاريخ عمارتها سنة ٣١٥ هـ، وبعضها عمره المظفر صاحب إربيل في سنة ٥٩٤ هـ، وفيما بعدها.

وتحدث الفاسي كذلك عن الآبار، ومنها الآبار التي بين باب المعلاة ومنى (شفاء الغرام ج ١ ص ٢٤٣) فقال: ومنها بئر ميمون بن الحضرمي أخى العلاء بن الحضرمي، وهي التي الآن (أي في زمانه) بالسبيل المعروف بسبيل الست بطريق منى، ومن عمرها المظفر صاحب إربل في سنة ٦٠٤ هـ على ما وجدت (والقول للفاسي طبعاً) بخط عبد الرحمن بن أبي حرمي المكي في حجر بهذه البئر يتضمن عمارة صاحب إربل لها، وعرفها ببئر ميمون الحضرمي. ورأيت (والقول للفاسي أيضاً) لبعضهم ما يقتضى أن بئر ميمون بطريق وادي مر الظهران، وهو وهم، والله أعلم، ومنها بئر يقال لها «الشمردقية» وقربها عدة آبار أخر لاماء فيها، وعمرها المظفر صاحب إربل (شفاء الغرام، ج ١ ص ٢٤٥).

ومن اصلاحاته، إصلاحه للعقبة المعروفة بعقبة المتكا بطريق العمرة، وعمارته للموضع الذي يقال له المتكافى سنة ٦٠٥ هـ، علاوة على عقبة الشبكية المذكورة آنفاً. (فيما يتعلق بانجازات كوكبوري في الحجاز وغيرها، انظر: ابن القوطي، معجم الالقب، ح ٥ ص ٥٨٠، والفاسي: العقد الثمين، ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٧ وابن الشحنة: الدر المنتخب ص ١٠٦ وابن شداد: الاعلاق الخطيرة (قسم دمشق) ص ٨٦، وكامل بن حسين بن محمد البالي الغزي. نهر الذهب في تاريخ حلب، ج ٢ ص ٢٧١، ومحمد كرد على: الاسلام والحضارة، ج ١ ص ٣٢٧، وحسن الباشا: الفنون الاسلامية، ج ٢ ص ٦٦١).

ت/ مؤسسات دينية في دمشق والموصل:

وعلاوة على ما تقدم لكوكبوري مآثر حتى في البلدان التي لم يحكمها، غير الحرمين الشريفين، من ذلك ان أحد الشيوخ شرع في بناء جامع بدمشق في سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١ م، فأعوزه المال، فبلغ ذلك كوكبوري فبعث اليه بـ ٢٠٠٠ دينار فأتته، كما انه رصد مبلغ ١٠٠٠ دينار ليسوق الماء الى الجامع، ويبدو أن صاحب دمشق قد حسده على هذه المأثرة فمنع سحب الماء الى الجامع، بحجة انه سيمر بمقابر المسلمين، ومع ذلك فان الجامع صار يدعى بالجامع «المظفري» اعترافاً بفضل كوكبوري^(١) (مرآة السبط ٨/ ٥١٠ وذيل الروضتين ص ٢٩ والأعلاق الخطيرة ص ٨٦ وتاريخ ابن كثير ج ١٣/ ٢٢ و١٣٦ و١٣٧). كذلك ابتنى كوكبوري داراً للحديث بالموصل وأوقف لها الاوقاف لسد

(١) وقد ورد في حاشية لمخطوطة «كتاب الاشارات» للهروي، أن كوكبوري عمر مسجداً للحنابلة في سفح قاسيون، إذ أرسل في سنة ٥٩٦ هـ أحد حجاجه الى دمشق ومعه ٣٠٠٠ دينار لاكمال عمارة المسجد، ووقف ما يفضل منها على الجامع نفسه (مجلة مجمع دمشق مخ/ح/ ١٢٠ لشهر شباط ١٩٢٨).

نفقاتها (مخطوطتنا ورقة ٥٤ ب و٧٤ ب و٨٣ ب و١٤٨ ب وتكملة المنذرى ٤ / ١٦٣ و ٣٨٩ و المنذرى، لبشار معروف ص ١٢ و ١٢٩ و ١٣٠).

هذا وقد وجدت في «فهرس مخطوطات الموصل» للدكتور الجليبي ص ٨، نقلا عن مخطوطة «منهل الأولياء» لأمين بن خير الله العمري، ما يفيد بأن كوكبوري بنى جامعا في الموصل أيضا، وهو الجامع المشاد عند مقام «الخضر»، وأنه أثناء وجوده في الموصل، عقب طرده من إربل على يد قايماز، بنى عدة مدارس للحنفية والشافعية. أقول بأنني حاولت الاهتداء الى مصدر هذه المعلومات، الا انني لم أوفق. ولكنني لم استغرب أن يكون لكوكبوري مدارس في الموصل، فان والده زين الدين سبقه وابتنى مدرسة هناك، عرفت بالزينية والكمالية (ابن خلكان ٤ / ٣٩٦ و ٦ / ٢٥٢ ومعجم ابن الفوطي ٢ / ٨٥٦ والعراق في العصر السلجوقي لحسين امين ص ٢٨٣). وجاء في المرجع الأخير ص ١٩٠ نقلا عن «تاريخ الموصل» لسعيد الديوه جي ص ١٥٥، وهو المرجع الذي لم اطلع عليه، ان زين الدين علي والد كوكبوري أنشأ رباطا في الموصل، سُمي بالرباط الزيني. وهناك أيضا لم أهدت الى مصدر هذه المعلومات.

ومما يجدر ذكره هنا، ان ربيعة خاتون بنت أيوب، أخت صلاح الدين وزوجة كوكبوري، المتوفاة سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م عن أكثر من ٨٠ عاما، كانت لها هي الاخرى مآثرها العديدة. وقد ذكر السبط (مرآة ٨ / ٥٥٦ - ٥٥٧)

بأنها حجت في سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م، وقد بسطت حمايتها على الحجاج يوم تعرض لهم أمير مكة وأتباعه بالأذى. وعندما مات زوجها غادرت إربل الى دمشق وعاشت الصالحين، وكان في خدمتها العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي، وقد انتفعت من خدمتها بأموال عظيمة. ويبدو أنها صارت تعطف على الحنايلة فبنت لهم مدرسة في جبل الصالحية بدمشق (المصدر السابق ٨ / ٧٥٦ وتاريخ ابي القداء ٣ / ١٧٤ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٧٠ ونجوم ابن تغري بردي ٦ / ٢٥٣ وشفاء القلوب في مناقب بني أيوب - مخطوطة المتحف البريطاني، ورقة ٦٢ ب).

الفصل الخامس

الحياة الثقافية بإربيل

١ - لمحة عامة:

يتضح مما ذكرناه، سخاء كوكبوري، وحبّه للعلم واحترامه للعلماء حتى صار هو نفسه واحداً من أهل العلم، إذ كان يميل إلى التاريخ، وكان يذاكر فيه، وفقاً لما ذكره ابن خلكان، كما صار من أهل الحديث أيضاً، حتى أن أحد المحدثين المغاربة سمع عليه «مسند أهل البيت» (مخطوطتنا ورقة ١٠٤ ب)، كما أنه هو نفسه سمع من ابن دحية سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م كتابه «التنوير في مولد السراج المنير»، وقد سمع ابن خلكان سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م هذا الكتاب على كوكبوري نفسه (وفيات ١ / ١٩٠ - ١٩١). وبلغ من حذب كوكبوري على أهل العلم، أنه كتب رسالة شخصية إلى القاضي ابن شداد، وكان يطلب، في حق ابن خلكان وأخيه، يوصيه بهما، فأنزلهما ابن شداد في مدرسته، ورتب لهما ما يحتاجان إليه (وفيات ٦ / ٨٧). وفي هذا دليل واضح على صلاته الطيبة بأهل العلم حتى الذين هم خارج إربيل. ولقد كان يتلقى شفاعاتهم ووساطاتهم بصدر رحب، من ذلك مثلاً أن الشيخ عمر السهروردي بعث إليه من بغداد كتاباً يوصي فيه بأحد العلماء، كما أن المبارك بن طاهر الخزاعي، استاذ ابن المستوفى، كان يتوسط لديه كثيراً في قضاء حاجات الناس (مخطوطتنا ورقة ٦ ب و ١٣٨ أ).

فلا غرابة إذن أن أصبحت إربيل مثابة لأهل العلم الذين صاروا يقصدونها من كل مكان، مما أدى إلى نفاق سوق العلم بها، وازدهار النشاط الثقافي بين أهلها، فبرهنت إربيل على أن المعارف ليست وقفاً أو حكراً للعواصم والحواضر الكبرى، كبغداد ودمشق والقاهرة وحبلى والموصل وأمثالها، بل أن إربيل قد أدلت بدلونها أسوة بواسط وهران والمدن المماثلة لهما. هذا وإن حب العلم لدى الأربلة لم يكن جديداً إذ يحدثنا ابن المستوفى (مخ ورقة ١٠ ب و ١١ أ و ٨١ ب) عن عدد منهم سمعوا الحديث ببغداد في سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م، على الخطيب البغدادي والقاضي ابن المهدي، ويخبرنا السمعاني (انساب ١ / ١٥٢) بأن إربلياً هو داود بن محمد الخالدي الأربلي، قصد مروفي سنة ٥٢٠

هـ/ ١١٢٦م في طلب الحديث، وزامل السمعاني نفسه في الطلب، ثم توغل الى ما وراء
النهر (مخطوطتنا ورقة ١٢٧ أ وطبقات الاسنوي ١/ ١٣٤). بل ان قلعة إربل شهدت
شيئا من النشاط العلمي، فقد ذكر ابن المستوفى (مخ ورقة ٩٨ أ) ان الرسالة القشيرية
كُتبت في تلك القلعة في سنة ٥٠٤ هـ/ ١١١٠م، وان سماعا قد تم فيها أيضا في سنة
٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م (مخطوطتنا ورقة ١٩٧ أ) وان أحمد بن عمر بن نصر الاربلي الفقيه
قد قرأ «المخلصيات» على العكبري في سنة ٥٥١ هـ/ ١١٥٦م (المصدر السابق ورقة
١١٦ أ). وجاء في «نفع الطيب» ١/ ٨٠٦ بأن محمد بن إبراهيم الاربلي قد سمع بمكة
في سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م على الحسن بن علي البطليوسي. وذكر ابن المستوفى (مخ
ورقة ٤ ب) ان أحمد بن عثمان الزدزاري المتوفى سنة ٥٩١ هـ/ ١١٩٤م - وهو من إربل
- كان واسع الرحلة في الحديث، وأنه سمع ببغداد وهراة واصبهان وغيرها.

أما التدريس بإربل فيرجع الى الثلث الأول من القرن السادس الهجري، اذ يحدثنا
ابن خلكان (٢/ ١٠) بأن الخضر بن نصر بن عقيل الاربلي الشافعي المتوفى سنة ٥٦٧
هـ/ ١١٧١م، كان أول من درس بإربل، فقد بنى له سَرَفَتِكِين الزيني، نائب صاحب إربل
مدرسة القلعة في سنة ٥٣٣ هـ/ ١١٣٨م، ولكن الخضر نفسه يعترف بأن أول من تفقه
من أهل إربل هو محمد بن علي بن جامع، وأنه - أي الخضر - قرأ عليه (مخطوطتنا
ورقة ١٧٤ أ)، ولكن حب العلم حمله - رغم فقره - على الذهاب الى بغداد للدراسة في
نظاميتها، كما ذهب الى دمشق للغرض نفسه. وقد برز الخضر هذا فالف ودرّس، وكانت
له مدرسة خاصة به في ربض إربل، علاوة على مدرسة القلعة. وتخرج عليه كثيرون، منهم
ابن أخيه نصر بن عقيل ابن نصر الذي تولى التدريس بمكان عمه في المدرستين
المذكورتين (ابن خلكان ٢/ ١١).

وكثيرون فعلوا مثلهما فعل الخضر، فسافروا الى بغداد للدراسة، منهم الياس بن
جامع الاربلي المتوفى سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤م، اذ تفقه بالنظامية وعاد الى إربل للتأليف
وكتابة الشروط (تاريخ ابن الساعي ص ١٦٥). بل منهم من تولى الاعادة في نظامية
بغداد نفسها، مثل محمد بن عبد العزيز الاربلي المتوفى في الشام سنة ٥٨٠ هـ/
١١٨٤م (طبقات الاسنوي ١/ ١٢٢ والوافي ٣/ ٢٥٩)، ومحمد بن اسماعيل بن مسلم

الاربلي المتوفى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م، الذي قدم بغداد وصحب أبا النجيب السهروردي، وعندما عاد الى إربل تولى مشيخة الصوفية بها (معجم ابن القوطى ٣ / ٣١١)، ومحمد ابن ابراهيم بن خلكان الذى رحل في طلب العلم وتفقه بنظامية بغداد، ثم عاد الى إربل حيث تولى التدريس والافتاء الى أن توفى سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (طبقات الاسنوى ١ / ٤٩٦ وطبقات السبكي ٥ / ١٩ ط، الحسينية).

وعلاوة على ما تقدم، فإن إربل كانت حافلة بمجالس أهل العلم والأدب، التي كانت بمثابة ندوات علمية يؤمها المقيمون والوافدون، فيتبادلون ما لديهم من آراء ومعلومات، ويتناقشون فيما يعرض لهم من مواضيع ومقترحات، وكان كوكبورى نفسه يشارك في بعضها. وقد نقل لنا ابن المستوفى اخباراً عن تلك المجالس وما كان يقال فيها، بل كان بيته من أبرز تلك الندوات، ويكفي ان نشير هنا الى ان من رواد مجلسه كان الشاعران الاربليان مجد الدين أسعد النشابى والحسام عيسى الحاجري (ذيل اليونيني ١ / ١١١ - ١٢٣ وكوكبورى لطيمات ص ٢٢٤) ويذكر ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) هذا المجلس، وانه كان يحضره وهو صغير.

ولذلك فان من الطبيعي أن تزدهر الحركة الثقافية في مثل هذا الجو وتتسع، لا سيما وانها كانت طابع العصر كله، إذ كان متسماً برعاية العلم وانشاء المدارس ودور الثقافة، حتى ليقال انه كان بالموصل في العهد الاتابكي ٢٨ مدرسة و١٨ دار حديث و٢٧ خانقاه (أتابكية للجميل ص ٣١٥، ولعل من المفيد ان نذكر بأن الاتابك سيف الدين غازى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م بنى مدرسة بالموصل دفن فيها - مرآة السبى ٨ / ٢٠٤ وتاريخ ابن كثير ١٢ / ٢٢٧). هذا فضلاً عما كانت عليه بغداد التي تعتبر القدوة والاسوة لبقية مدن العالم الاسلامى. ولم يرد أهل إربل أن يتخلفوا عن غيرهم في هذا المضمار، ولذلك تعددت المدارس فيها حسبما يذكر ابن المستوفى (من ورقة ١٦٣ ب). وأرى من واجبي أن أشير هنا الى قول الدكتور طليعات (كوكبورى ص ٢٣٠) بصدد تلك الحركة اذ قال: «لا نستطيع أن نقول انها كانت حركة واسعة ولكنها على كل حال وصلت الى مسامع جيرانه (أى جيران كوكبورى)»، ومن حقى أن أتساءل ماذا يريد سيادته أكثر مما تم في إربل، لكي تكون الحركة الثقافية واسعة، بعد أن قامت فيها خمس مدارس

(وهي بمعيار عصرنا كليات جامعية) ودار حديث وعدد كبير من المؤسسات الاجتماعية!!
فهل هناك شيء آخر يمكننا اضافته لنسبغ على تلك الحركة صفة الاتساع!!

٢ - مدارس إربل:

واستكمالا للصورة، يحسن بنا ان نذكر هنا مدارس إربل، وهي:

١/ مدرسة القلعة: وهي المدرسة التي تقدم ذكرها وقد درّس فيها أولا الخضر بن نصر بن عقيل، ثم ابن أخيه نصر بن عقيل بن نصر (ابن خلكان ٢/ ١٠ ومجلة المجمع للعزائى ص ١٤٣)، ثم محمد بن عبد الله المهاني المتوفى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م (مخطوطتنا ورقة ٦٩ ب وطبقات الاسنوى ١/ ١٨ ومجلة المجمع للعزائى ص ١٤٢). وممن تخرج في هذه المدرسة عثمان بن عيسى بن درباس الهذباني، شارح «المذهب واللمع» وقد تولى نيابة القضاء في القاهرة والتدريس في إحدى مدارسها حتى وفاته في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م (ابن خلكان ٢/ ٤٠٦ ومجلة المجمع ص ١٤٣). ويقول المرحوم العزائى (مجلة المجمع ص ١٤٤) بأن هذه المدرسة بقيت قائمة بإربل، وان آخر مدرسيها كان ملا افندي الصغير المتوفى في سنة ١٣٦١ هـ / ١٩٤١ م.

ب/ مدرسة الرضى أو مدرسة الخضر أو المدرسة العقيلية: أنشأ هذه المدرسة الخضر ابن نصر بن عقيل أنف الذكر، وفي أوائل القرن السادس الهجري، ولعلها أول مدرسة بنيت بإربل وفقا لما يقوله المرحوم العزائى (مجلة ص ١٤٢)، ثم كانت سببا لانشاء مدرسة القلعة التي تقدم ذكرها، الا ان العزائى لم يذكر أي مصدر يسند رأيه هذا، والذي يستفاد من أقوال ابن خلكان (٢/ ١٠) ان مدرسة القلعة هي أولى مدارس إربل، وعلى أى حال فان الخضر بن عقيل قد درّس بهذه المدرسة حتى وفاته، وقد دفن بها، وتولى مكانه ابن أخيه نصر بن عقيل بن نصر سالف الذكر. وممن درّس بها أيضا محمد بن عبد السلام السنجاري (معجم ابن الفوطى ١/ ٦٢٣). هذا وقد ذكر ابن المستوفى هذه المدرسة (مخطوطتنا ورقة ٦٩ ب و١٧١ ب).

/ المدرسة الفقيرة أو مدرسة الطين:

كر ابن المستوفى هذه المدرسة (مخ ورقة ٦٩ ب)، وذكر بأن محمد بن عبد الله هاشمي الذي تقدم ذكره، قد درس فيها، وقال ان كوكبوري قد وقفها على فقهاء الشافعية، وهذا معناه ان كوكبوري هو بانيها.

ث/ المدرسة المجاهدية:

ذكر ان هذه المدرسة منسوبة الى مجاهد الدين قايمان، الذي حكم إربل بوصايته من صاحبها كوكبوري أولاً، ثم على أخيه زين الدين يوسف، وكان قبل ذلك نائباً عن أبيهما زين الدين كوجك. وقد ولي التدريس في هذه المدرسة، عمر بن ابراهيم الخلكاني، المتوفى سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م (طبقات السبكي ٨ / ٢٠٨). وأعقبه في التدريس المشرف ابن عبد اللطيف القزويني (مخطوطتنا ورقة ٨٨ أ و ١٣٧ ب و ١٦٢ أ، وطبقات الاسنوي ٨ / ٤٩٥). والجدير بالذكر ان ابن خلكان (٣ / ٢٤٦) أشار الى بناء مجاهد الدين قايمان مدرسة وخانقاه باري، وأنه أكثر وقفهما.

ج/ مدرسة الملك المعظم أو المدرسة المظفرية:

تنسب هذه المدرسة الى مظفر الدين كوكبوري، ولا أدري عما اذا كانت هي المدرسة الفقيرة سالفة الذكر، أم انها غيرها. وكان من عناية كوكبوري بهذه المدرسة انه يأتيها بنفسه في كل وقت ويمد السماط بها، بل ويبيت بها ويعمل السماع. وقد سماها المرحوم العزاوي (مجلة ص ١٤٤) «مدرسة كوكبوري» وذكر انها كانت واسعة البناء، ويرى ان بقايا المنارة القائمة الآن تعود (انظر الشكل ٢، وص ٧٨ من هذا البحث) الى هذه المدرسة، ويرجح ان بناها قد تم قبل سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م. والمعروف ان هذه المدرسة قد تولى التدريس فيها محمد بن أبي بكر بن خلكان (والد المؤرخ ابن خلكان الذي ولد في هذه المدرسة) حتى وفاته في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م. وأعقبه في التدريس أحمد بن موسى بن منعة الاربلي، الذي استمر فيها حتى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، حيث انتقل الى الموصل (مخطوطتنا ورقة ٦٩ ب و ١٦٢ أ وابن خلكان ١ / ٩٠ و ٩٢ وطبقات الاسنوي ١ / ٤٩٦ و ٢ / ٥٧٣، وطبقات السبكي ٨ / ٣٩ و ٤٤).

والجدير بالذكر ان هذه المدارس - أو على الأصح أكثرها - كانت مخصصة لتدريس الفقه الشافعي، وممن درس فيها دون تخصيص، محمد بن أبي القوارس الهلي الذي غادر إربل إلى الموصل في سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م، ومحمد بن أبي الوفاء العمري الذي كان حياً في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (بغية السيوطي ١ / ٢١٢ و ٢٦٠)، ثم ان انشاء هذه المدارس كان في الأعم الأغلب تقليداً لما جرى في عاصمة الخلافة، وليس محض صدفة أن يكون تأسيس أول مدرسة بإربل، على يد الخضر بن نصر بن عقيل أو بسببه، ذلك انه عقب تخرجه في نظاميه بغداد وعودته إلى إربل، بادر إلى تأسيس مدرسته متأثراً بما شاهده في بغداد العاصمة.

ونقطة أخرى أود الإشارة إليها، هي ان العلم والتعلم لم يكن مقصوراً على المدارس وحدها، وانما كانت المساجد مثابات للعلماء أيضاً، بل هي الأصل في التدريس، ولا تزال في كثير من أنحاء العالم الاسلامي. ولم تكن إربل لتشذ عن ذلك، اذ يحدثنا ابن المستوفي نفسه (مخ ورقة ٢٩ ب) انه كان يرتاد الجوامع منذ صغره، ويستمع إلى مناظرات بعض العلماء ومجادلاتهم.

٣ - دار الحديث:

لقد كان اهتمام كوكبوري بالحديث كثيراً جداً، اذ كان هو نفسه يسمع الحديث ويرويه، كما أسلفنا. وقد سمع «مسند أحمد بن حنبل» كله على حنبل بن عبد الله الرصافي في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م (مرآة السبط ٨ / ٥٣٧) وتأكيداً لهذا الاهتمام بنى داراً للحديث في كل من إربل والموصل، أسوة بدور الحديث التي كانت قائمة في زمانه في بعض الحواضر الكبرى كدمشق (ان أول من أسس دار حديث بها هو نور الدين ابن زنكي، وقد أسسها للحافظ المؤرخ ابن عساكر - أتابكية ابن الاثير ص ٣١٣ ومفرج ابن واصل ١ / ٢٨٤ وخطط المقرئ ٢ / ٢٧٥ والدارس للنعمي ١ / ٩٩) والقاهرة وتكريت (المنذري لبشار معروف ص ١٢ و ١٣٢). ويعتقد بشار معروف (المنذري ص ١٢) ان الدارين اللذين بناهما كوكبوري كانا من أقدم دور الحديث في العالم الاسلامي، والغريب ان الدكتور صبحي الصالح الذي تناول في كتابه (مصطلح الحديث ص ٧٣ - ٧٤) دور

الحديث لم يشير اليهما، والأغرب من ذلك أن الدكتور طليعات (كوكبوري ص ٢٢٢) الذي ذكر دار الحديث المظفرية بالموصل، أبدى استغرابه لأن كوكبوري - في ظنه - لم يؤسس داراً مماثلة لها بارييل!!

ويحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٦٢ أ) بأن كوكبوري بنى دار الحديث هذه في سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م، وأنه احتفل بافتتاحها بخطبة ألقاها المشرف بن عبد اللطيف القزويني الذي نُصب شيخاً لها، ولكن إربل كانت فقيرة بالمحدثين، وقد تذاكر كوكبوري في الأمر مع ابن المستوفي الذي اقترح عليه استئذان الخليفة في استقدام ابن طبريز وحنبل من بغداد، وقد تم ذلك في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م (مخطوطتنا ورقة ١٤٠). وكان ذلك مناسبة كبيرة، إذ قصد إربل عدد غير قليل من طلبة الحديث طلباً للسمع على هذين المسنين، مثل عمر بن الخضر الدنيسري، وإسماعيل بن عبد الله الأنماطي المصري، وعمر بن بدر الحنفي الموصللي (مخطوطتنا ورقة ٧٣ أ و ١١٠ ب و ١١٢ ب). وعبد الرحيم بن وهبان - وهو نفسه من كبار الأئمة - (مخ ورقة ١١١ أ). ومنذ ذلك الحين ازدهرت قراءة الحديث وسماعه بارييل، ويحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٥٨ أ و ٧٢ أ و ٧٨ ب) عن سماعات تمت في هذه الدار في السنوات ٦٠٥ و ٦١٢ و ٦١٤ هـ / ١٢٠٨ و ١٢١٥ هـ، و ١٢١٧ م، وعن تولي الشيخ بدل بن أبي المعمر التبريزي المتوفى سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م، لمشيخة هذه الدار، إلا أنه لا يذكر تاريخ ذلك (مخطوطتنا ورقة ٦١ ب وعبر الذهبي ٥ / ١٤٩). وبدل هذا صنف عدة كتب واختصر «تاريخ دمشق» لابن عساكر. وذكر ابن القوطي (معجم ٤ / ٨٧٩) أن يونس بن محمد الأربلي الفقيه سمع في صباه المشايخ بدار الحديث هذه.

والطريف أن أحد المحدثين - وهو محمد ابن نقطه - تبع شيخه عبد اللطيف السهروردي من بغداد إلى إربل، ليكمل عليه ما فاتته سماعه ببغداد (مخطوطتنا ورقة ١١٨ أ وشذرات ٥ / ١٣٣ وكوكبوري لطليعات ص ٢١٨). وقد حدث بارييل مشايخ كبار، منهم الحسين بن أبي صالح بن فناخسرو التكريتي، الذي سُمع عليه «صحيح البخاري» في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م بقراءة ابن المستوفي نفسه، وكان بين السامعين عمر بن سليمان بن محمد الهكاري الفقيه، ومحمد بن عمر بن علي الحديثي، وأحمد بن دواد بن

بلال الاربلي (معجم ابن الفوطى ١/ ٥٠٦ - ٥٠٧ و ٢/ ٨٤١ و ٢/ ٨٠ - ٨١). وسَمِعَ «صحيح البخارى» باريل أيضا، في مجالس آخرها جمادى الاولى سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م، على محمد بن هبة الله بن المكرم البغدادي، فسمعه عليه محمد بن ابي الفتح الهمذاني الفقيه، وعبد الرحمن بن نجم وابنه عبد الله، وأمة اللطيف وأمة الرحيم (معجم ابن الفوطى ١/ ٤٦٥ - ٤٦٦ و ٢/ ١٦٨ - ١٦٩). ومن سمع باريل على ابن المكرم هذا، المؤرخ ابن خلكان، وذلك في بعض شهور سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤م (وفيات ٢/ ٢٩٢). وسمع عليه أيضا أحمد بن على بن أبي غالب الاربلي (شذرات ٥/ ٢٨٨ وكوكبورى لطيمات ص ٢١٨)، وذكر ابن قاضي شعبة في «طبقات النحاة واللغويين» المخطوط ان أحمد بن أبي طاهر العدوي النحوي الموصلى كان مقيما باريل يقرئ النحو في دار الحديث (الورقة ١٢١).

والحقيقة ان دور الحديث كانت تهيء لروادها لا أمكنة السماع فحسب، بل وأماكن الإقامة أيضا، وجرايات الطعام لهؤلاء الرواد، الأمر الذي سهّل على العلماء أمور النقل والإقامة. وكانت دار الحديث المظفرية مكانا لإقامتهم (مخطوطتنا ورقة ١٣٥ أ و ١٩٤ ب و ٢٠٢ ب و ٢٠٨ ب). ومن أقام بها مدة سنتين فقيه من دمشق، كان يجرى عليه ما للطالب فيها من المعين له في شروط الوقف. وقد ذكر ابن خلكان (٤/ ٢٩٧) مثلاً قدوم الشيخ أثير الدين المفضل الابهرى^(١)، صاحب «التعليقة» في الخلاف و«الزيج» من الموصل الى إربل في سنتي ٦٢٥ و ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٧ و ١٢٢٨م، ونزوله بدار الحديث المذكورة. وذكر انه اشتغل عليه بشيء من الخلاف (طبقات السبكي ٨/ ٣٨٠)، والجدير بالذكر ان الزوايا والمدارس أيضا كانت أماكن لإقامة العلماء (مخطوطتنا ورقة ١٩٦ أ وأنساب السمعاني ٨/ ١٥٢). ويبدو ان هذا التقليد كان سائدا في سائر أنحاء العالم الاسلامي، اذ يذكر المقرئ (كتاسة ص ١٥٥) ان أحد علماء المغرب كان يقيم في سنة ٧٥٧ هـ/ ١٣٥٦ م في إحدى مدارس غرناطة.

وللمزيد من المعلومات عن حدث باريل، راجع مخطوطتنا ورقة ٢٦ ب و ٣٤ أ و ٣٧ أ

(١) وقد ذكر القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» ان أثير الدين هذا كان عديم النظر في علم الهندسة (انظر ص ٤٦٣).

١٣٨ وأ ٣٩ ب و ٤٠ ب و ٤٨ ب و ٤٩ أ و ٥٠ أ و ٥١ ب، ٥٣ أ، و ٥٤ ب - ١٥٦ أ و ٥٧ أ و ٥٨ ١
 و ٦١ ب و ٦٧ ب و ٧٠ أ و ٧٢ أ و ٧٥ ب و ٧٦ ب، و ٧٨ ب، و ٨٣ ب و ٨٥ أ و ٨٧ أ - ٨٨ أ و ٨٩
 ب و ٩٠ أ و ٩١ أ و ٩٩ ب و ١٠٠ أ و ١٠٣ أ و ١٠٤ ب - ١٠٥ ب و ١١٠ ب - ١١٢ ب و ١١٣ ٢
 أ و ١١٥ أ و ١٢٢ أ، و ١٢٤ أ و ١٢٥ ب و ١٣٥ أ و ١٤٥ ب و ١٤٦ ب و ١٤٧ أ و ١٤٩ أ و ١٥١
 ب و ١٥٢ ب - ١٥٣ ب و ١٥٦ أ و ١٦١ أ و ١٦٢ أ و ١٦٤ أ و ١٦٧ ب و ١٧٠ أ و ١٧٦ ب و ١٩٢ ب
 و ١٩٤ ب و ١٩٩ ب و ٢٠١ أ و ٢٠٢ ب و ٢٠٣ ب و ٢٠٨ ب و ٢٠٩ أ و ٢١٧ ب و ٢١٨ ب و ٢٢٤ ب
 و ٢٢٦ ب.

٤ - إربل تجتذب أهل العلم والدين:

يبدو ان إربل منذ بدأت تأخذ بأسباب الحكم الذاتي، صار حكامها يجتذبون أهل
 العلم والدين، وقد نقل ابن الفوطي (معجم ٢ / ١٠٥٥) عن القسم الضائع من «تاريخ
 إربل»، بان عليا بن محمد بن الحسين البيهقي المتوفى في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م، وكان
 واعظا متصوفا وله قبول لدى الخاص والعام، جلس يعظ باربل وحضر مجلسه قايماز
 الزيني حاكمها فأغلق له القول في موعظته، فصار قايماز يبكي في ذلك المجلس.
 ولقد زار إربل - في عهد قايماز هذا - الشاعر سعد بن علي الحظيري المتوفى سنة
 ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، وأقام بها ومدح قايماز، ثم صنف له كتابا سماه «الاعجاز في حل
 الأحاجي والألغاز» (المنتظم ١٠ / ٢٤١ وخريدة العماد - العراق ١ / ١٣٤ وأدياء ياقوت
 ٤ / ٢٣٢ وابن خلكان ٢ / ٢٣٢ و ٤٧ / ٢)، والظاهر ان ياقوت الحموي نفسه قد لاحظ
 إقبال الغرباء على إربل، فقال في معرض كلامه عن كوكبوري بعد أن وصفه بالشهامة
 والقوة والتجربة، وانه نابذ الملوك حتى هابوه، وبذلك انحفظت أطرافه، «وقصدها - أي
 إربل - الغرباء وقطنها كثير منهم، حتى صارت مصراً كبيراً من الأمصار»، (بلدان ١ /
 ١٨٧). ولا شك ان وجود عدد من المدارس ودار الحديث فيها، علاوة على سقاء كوكبوري
 واحتفائه بالعلماء، شجع أهل العلم على قصد إربل، مما أحدث نهضة ثقافية كبيرة
 فيها، لا تتناسب وحجم المدينة وأهميتها. وان بعض هؤلاء الوافدين صنفوا كتباً أهدها
 لكوكبوري وغيره من الحكام (سبق أن أشرنا الى الكتاب المصنف لقايماز)، من ذلك مثلاً
 محمد بن عمر المقدسي المتوفى سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م الذي تولى مشيخة دار الحديث

المظفرية بالموصل، صنف كتاباً سماه «المجد المظفري»، ذكر فيه أخبار الأمراء وأبواباً في ذكر العدل وذم الظلم.. الخ.. (مخطوطتنا ورقة ٧٤ ب). وذكر ابن الفوطي (معجم ٨/ ٤٢٢) بأن عيسى بن المعلى بن مسلمة الأموي الحضي، صنف كتاباً اسمه «زهر الرياض وحديقة المرتاض» وأهداه إلى كوكبوري، وذكر أنه نقل منه. أقول وهذان الكتابان مفقودان مع الأسف. بل إن كوكبوري كان يقرر رسماً سنوياً لبعض العلماء، يحضرون كل سنة لاستيفائه - كما هو الحال بالنسبة لابن بصل (مخطوطتنا ورقة ١٢٤ ب) - ومثل ذلك بالنسبة للسنيهوري المصري الذي ورد إربل عدة مرات، وفي كل مرة كان يصله كوكبوري بصلة سنوية، وقد قال عن ذلك ابن المستوفى (مخ ورقة ١٢٢ أ) «فوصله بما جرت به عادته أن يصل به مرة ثانية» ومثل محمود اللبان المقرئ الموصلية وأبي الفرج الواسطي (مخ ورقة ٥١ ب و ٥٨ أ).

ولعل من الطريف أن نذكر أن كثيرين من العلماء والمتصوفة، قد جعلوا طريقهم إلى الحج يمر بربل، حتى ولو لم تكن واقعة على الطريق المعتاد. وقد فعل ذلك الفخر ابن تيمية الذي عرج من حران إلى إربل في طريقه إلى الحجاز (مخ ورقة ٣٤ ب)، وفعل مثله عالم مصري وكذلك الحال مع قاضي البيلقان (مخ ورقة ٣٧ أ). وإن بعض هؤلاء جاء إلى إربل بقصد النوال، كمادة الذين يردونها بقصد الاستجداء - على حد قول ابن الشعار - مثل عبد الله بن الحسين بن راحة الذي جاء من حماء (مخ استانبول ٢ ورقة ١٥٩) بل أن بعضهم أعجبته الإقامة، فأقاموا بها حتى آخر حياتهم، وخير مثل على ذلك الشيخ عبد اللطيف بن عبد القاهر السهروردي، وبارسطغان بن محمود الغزي، قاضي الاسكندرية، وعلي بن علوي بن ملاعب الموصلية، وأسحق بن هبة الله بن صديق، قاضي خلاط الذي استوطن إربل وتوفي بها في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخطوطتنا ورقة ١١٦ ب وطبقات السبكي ٨/ ١٣٣ ومخطوطة ابن الشعار ٤ ورقة ٢١٠ وذيل اليونيني ٢/ ٤١٠). على أنني لو أردت أن أذكر من قصد إربل في عهد كوكبوري وحده، لاحتجت إلى كتاب خاص، ولذلك فساكتفي بالإشارة إلى بعض البارزين ممن أمها وفي مقدمة هؤلاء:

١ - الأمير اسامة بن منقذ، وقد ذكر في كتابه «المنازل والديار» (ورقة ١٦٧ ب - ط موسكو) وجود العسكر الاتاكي بربل، وأنه كان فيه.

- ٢ - المؤرخ الكبير محمد بن سعيد ابن الديلمي، مصنف «ذيل تاريخ بغداد». وقد قرأ الحديث باري، وسمع من محمد بن اسماعيل الاربلي (المختصر المحتاج اليه ٢/ ١١٣ وابن خلكان ٤/ ٢٨ ومعجم ابن الفوطى ٣/ ٣١١، ومخطوطتنا ورقة ٨٩ ب).
- ٣- المؤرخ محمد بن أحمد القطيعي البغدادي (مخ ورقة ٥٥ ب).
- ٤ - المؤرخ البغدادي الشهير ابن النجار (المصدر السابق ورقة ١٦٩ أ).
- ٥ - سبط ابن الجوزي الذي زار إربل في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م، وعظ بها واجتمع ببعض شيوخها، وفقا لما ذكره هو في مرآته ٨/ ٥١٦ (ذيل الروضتين ص ٤٨).
- ٦ - يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي، رسول الخليفة المستنصر واستاذ داره. زار إربل في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م، وقد أنشد فيها بعض شعره فسمعه منه ابن الشعار (ذيل اليونيني ١/ ٣٣٤).
- ٧ - عدي بن مسافر، الصوفي الشهير وامام الطائفة اليزيدية في العراق (مخ ورقة ١٤٥ وابن خلكان ٢/ ٤١٨).
- ٨ - محمد بن الخضر ابن تيمية الحراني، وعظ باري وحضر مجلسه كوكبوري (مخ ورقة ٣٤ ب وابن خلكان ٤/ ٢٠).
- ٩ - محمد بن عبد الغنى ابن نقطة، المحدث البغدادي (مخ ورقة ١١٨ أ، وابن خلكان ٤/ ٢٦).
- ١٠ - نصر الله بن محمد ابن الاثير، مصنف كتاب «المثل السائر» (ابن خلكان ٤/ ٣٢ وابن الشعار، ج ٩ ورقة ٢٦ - ٤٣).
- ١١ - وأخوه ضياء الدين بن الاثير، وزير الملك الافضل الأيوبي، ورد إربل بعد ان فارق الوزارة (اتابكة ابن الاثير ص ٩).
- ١٢ - النحوي مكي بن ريان الماكسيني، استاذ ابن المستوفي (ابن خلكان ٤/ ٣٦٥).
- ١٣ - موسى بن يونس بن منعة، العالم بالهندسة والمنطق (ابن خلكان ٤/ ٣٩٨).

- ١٤ - ياقوت الحموي، الذي قابل ابن المستوفي وأعجب به (مخ ورقة ١٥٧ أ وبلدان ياقوت ١/ ١٨٧ وابن خلكان ٥/ ١٧٩).
- ١٥ - أحمد بن محمد، أبو الفتوح الغزالي، أخو الامام أبي حامد (مخ ورقة ١ ب).
- ١٦ - عبد العزيز بن عبد القادر الجيلي (مخ ورقة ٣٤ أ).
- ١٧ - محمد بن وهب الدمشقي، الذي حضر كوكبوري مجلس حديثه (مخ ورقة ١٧٢ أ).
- ١٨ - محمد بن يوسف البرزالي، المحدث الاندلسي (مخ ورقة ١٤٦ ب).
- ١٩ - أسعد بن يحيى بن موسى، الشاعر السنجاري، ورد إربل في سنة ٦١٣ هـ/ ١٢١٦ م (ابن خلكان ١/ ١٩٤).
- ٢٠ - ابوبكر الحازمي، المحدث والمؤلف المعروف (مخ ورقة ٤٩ أ).
- ٢١ - علي بن القاسم ابن عساكر الدمشقي (مخ ورقة ١١١ ب).
- ٢٢ - عبيد الله بن علي البغدادي المعروف بابن المارستانية، وقد حدث بارييل. (تكملة المنذرى ٢/ ٤٢٩) والمختصر المحتاج اليه ١٨٧/ ٢ وذيّل الروضتين ص ١٣٤ ومعجم ابن الفوطي ٢/ ٢٢٦ وتاريخ ابن الساعي ص ١١٢ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٥ وذيّل ابن رجب ١/ ٤٤٢ ولسان ابن حجر ٤/ ١٠١ وشذرات ٤/ ٣٣٩ ومجلة المجمع العراقي ٧/ ٢٦٠).
- ٢٣ - ابن الشعار الموصلي، مصنف «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» ويبدو من كتابه بأنه انتفع كثيراً من وجوده بارييل، ومن ملازمته لابن المستوفي (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٨ وابن خلكان ٣/ ٢٩٦).
- ٢٤ - ابن دحية الكلبي، الذي صنف أثناء وجوده بارييل كتاباً عن المولد النبوي، أهده الى كوكبوري (ابن خلكان ١/ ١٩٠).
- ٢٥ - هساعد بن علي الواسطي، من شيوخ ابن المستوفي ورواته (المختصر المحتاج اليه ١١٣/ ٢).

- ٢٦ - المبارك بن طاهر الخزاعي البغدادي، شيخ ابن المستوفي (مخ ورقة ١٦).
- ٢٧ - محمد بن علي العراقي الحلبي المتوفي في سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م، أحد أئمة النحو والفقه وشارح «مقامات الحريري» وقد أخذها عن مؤلفها (بغية السيوطي ١ / ١٨٢).
- ٢٨ - يحيى بن سليمان بن شاذل الشاعر اليهودي الاندلسي، المستغرب من أهل طليطلة (ابن الشعار ج ٩ ورقة ٢٢٧).
- ٢٩ - الفقيه الفاسي الفتح بن موسى بن حماد الاموي، العالم الاصولي والنحوي والفرضي، وكان ذا نظر في الحكمة والمنطق، وقد لقيه ابن الشعار لدى زيارته لاريل (ابن الشعار ج ٥ ورقة ٢٥٥ - ٢٥٦).
- ٣٠ - نصر الله بن يوسف الكتاني الذي زار إربل من مصر، وبقي فيها حتى وفاته سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م (ابن الشعار ج ٩ ورقة ٥٤).
- ٣١ - عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السنينيرة الذي ورد إربل من واسط، وكان من أعيان شعراء عصره، وقد نزل عند والد المؤرخ ابن خلكان بالمدرسة المظفرية (وفيات الاعيان - تحقيق احسان عباس، ج ١ ص ٢١٥).
- ٣٢ - يعقوب بن نصر بن يعقوب الدارقزي، وهو شاعر ورد إربل من بغداد (ابن الشعار ج ١٠ ورقة ٩٨).
- ٣٣ - أسعد بن يحيى السلمي، الفقيه الشاعر المعروف بالبهاء السنجاري وقد زار إربل عدة مرات، وكانت آخر زيارة لها في سنة ٦٠٤ هـ (ابن الشعار ج ١ ورقة ٢٥٤، وابن خلكان - تحقيق احسان عباس ج ١ ص ٢١٤).
- ٣٤ - حسن بن صافي بن عبد الله النحوي، المعروف بملك النحاة المتوفي سنة ٥٦٨ هـ (ابن خلكان - تحقيق احسان عباس ج ٢ ص ٩٣، والسيوطي بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢١٦).
- ٣٥ - علي بن بكمش بن مزان التركي البغدادي، النحوي المقرئ، (السيوطي، بغية الوعاة، ج ١ ص ٥٧٠ وج ٢ ص ١٥٢).

٣٦ - مهذب الدين الحاجب الدمشقي، زار إربل وكان يهتم بالطب والرياضيات، وقد اجتمع في إربل بمحمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدشار الحاسب البغدادي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م، فدرس مهذب الدين عليه، وقرأ عليه «الزيج» الذي نقله بخطه ثم حمله معه إلى دمشق (ابن أبي أصيبعة، ج ٣ ص ٢٩٩).

٣٧ - فخر الدين سرخاب بن الحسين بن الحسين الأموري الذي تولى التدريس في المدرسة العسرونية في حلب حتى عام ٦٠٥ هـ، وفيها غادر حلب متوجهاً إلى إربل (ابن شداد الاغلاق الخطيرة، ج ٣ ق ١ ص ٩٩).

٣٨ - محمد بن احمد بن محمد البكري الوالبي التبريشي (الاندلسي) الذي رحل إلى بغداد، ومنها قصد إربل، ثم توفي في دمشق في سنة ٦٨٥ هـ (ابن فبرحون: الديباج المذهب ص ٣٢٦ - ٣٢٦ والقضاعي، فضل تالي كتاب الوفيات، تحقيق جاكين شويله، ص ١٨٤).

هذا قليل من كثير، على أنه من المفيد أن نشير إلى ما نقله ابن الفوطي (معجم ١/ ٢٠٤ و ٥٨٦ و ٥٩٥ هـ / ٤ و ٦٨٥ - ٦٨٦) عن القسم الضائع من «تاريخ إربل»، وفيه يتحدث ابن المستوفي عن أناس لقيهم بربل، من ذلك مثلاً أنه اجتمع سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م بالحسن بن سعيد بن عبد الله الشاتاني الأديب، وكان شاعراً يحفظ جل أشعاره (جاء في ذيل الروضتين ص ٤٨ أن سبط ابن الجوزي، لقي بربل في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م شيخاً يدعى «محبى الدين الشاتاني».

أما الحسن الشاتاني المذكور، فقد توفي في سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م وفقاً لما ذكره ابن الفوطي في معجمه (١/ ٥٨٦) كما أنه - أي الفوطي - ينقل عن ابن الشعار، قوله بأنه كتب بربل عن عبد القادر بن يحيى البوازيجي الشاعر، وأنه كتب شعراً بربل أيضاً عن عبد الصمد بن عبد الله المراغي المتوفى سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م، وهو كاتب الانتشاء لمملكة مراغة، كما كتب في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م بربل عن محمد بن احمد الخسروسابوري الواسطي الشاعر ويذكر ابن الفوطي أيضاً (معجم ٢/ ٦٨٨) اسماعيل

ابن عبد المحسن الدقوقي الأديب الشاعر المتوفى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م، الذي كان رد إربل في أيام تاج الدين ابن الصلّايا، ويمدحه،

في الحقيقة أن التشجيع الذي لقيه الغرباء من كوكبوري، كان هو السبب في تواردهم عليه بكثرة، وكان لا يميز بين أحد منهم، فقد ولى - مثلاً - مقدسيا مشيخة دار الحديث التي أسسها بالموصل (مخ ورقة ٧٤ ب)، وحاءه فقيه من دمشق فأقام بدار الحديث باربل سنتين فأجرى عليه ما يجرى على الطالب فيها من الأرزاق (مخ ورقة ١٢٥ أ)، وهذا محمد ابن أبي الفوارس الحلبي يأتي إربل فتسند إليه وظيفة تعليمية (بغية السيوطي ٢١٢/١)، وهذا محمد بن عبد السلام السنجاري يتولى التدريس بالمدرسة العقيلية، ويتصل بكوكبوري فيصير مستشاره ورسوله إلى دار الخلافة (معجم ابن الفوطي ١/٦٢٣)، وهذا محمود بن رالي الرقي الأديب الشاعر المتوفى سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م، ينزل باربل فتسند إليه وظيفة ناظر بها (تاريخ ابن كثير ١٣/١٣٤)، ويأتيها بدل بن أبي العمر التبريزي المتوفى سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م، فيؤلي مشيخة دار الحديث الاربلية (مخ ٦١ أ) وعبر الذهبي ١٤٩/٥ وشذرات ١٨٠/٥، ويأتي حمد بن أحمد بن صديق الحراني فيعين قاضيا لشهرزور (مخ ورقة ١٤٢ ب)، ويأتي علي بن ملاعب الموصل، فيؤليه كوكبوري النظر في دار المضيف (مخ ورقة ٦٨ ب)

ثم ان إربل كانت ملجأ للمظلومين، فهذا ابراهيم بن المظفر الحنبلي، يخرج أهله الموصل لأنهم أرادوه أن يرجع عن شهادة حق شهد بها، فأني الرجوع عنها، فيجد باربل الملجأ الأمين، ويجلس للوعظ في قلعتها فيحصر مجلسه كوكبوري ويحسن إليه ويُنعم عليه (مخ ورقة ٦٧ ب)، وتشيخ آخر من أهل الموصل هو سلمان بن يحيى البخاري، يحاول أحد الطارئين الحط من مكانته، فيلجأ إلى إربل، فيكرمه كوكبوري ثم يعيده إلى موضعه (مخ ورقة ٧٥ أ)، ويقر القاضي ابن عثمان المصري من القاهرة خوفا على نفسه من الوزير ابن شكر، فيلجأ إلى إربل أيضا (مخ ورقة ١٤٢ أ)

وعلاوة على ذلك، فإن إربل صارت مقصد العلماء وطلبة العلم، شأنها في ذلك شأن مدن العلم العريقة، فهذا محمد بن أحمد الزهري الأندلسي المتوفى سنة ٦١٧ هـ /

١٢٢٠م، الذي حملته رحلته الى أقاصى المشرق الاسلامى فزار نيسابور وأصبهان -
 علاوة على بغداد والموصل - نراه يقصد إربل للسمع على أحد شيوخها (مخ ورقة ٣١)
 ب)، وعمر بن عبد النور الصنهاجي النحوي، قدم إربل ولازم كمال الدين بن متعة (بغية
 السيوطي ٢/ ٢٦٠)، وسعيد بن أحمد المغربي النحوي الذي قدم إربل في سنة ٦١٤هـ/
 ١٢١٧م (المصدر السابق ١/ ٥٨٢)، والمطهر بن سديد النوزكاشي الذي ورد من خوارزم،
 فقد سمع على شيخ إربل في سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠٦م (مخ ٢٨ ب). وهذا سليمان المكي
 يأتي من الحجاز إلى إربل، فيسمع بها الحديث (مخ ورقة ٥٩ ب)، ثم ان ابن سراقه
 الشاطبي الاندلسي دخل إربل في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م وقرأ الحديث على بدل
 التبريزي (ذيل اليونيني ٢/ ٢٠٤). أقول إن أمثال هؤلاء كثيرون، بل ان تاريخ ابن
 المستوفي، ما هو الا قصة هؤلاء الواردين من آفاق الأرض الواسعة الى تلك المدينة
 الخاملة التي نبه ذكرها.

وفضلا عما تقدم، فكثيراً ما كان يحصل، ان يلتقي باربل شيخان من بلدين
 مختلفين، فيسمع أحدهما من الآخر. من ذلك مثلاً ان محدثاً دمشقياً - هو الحسن بن
 عبد الله بن شافع - لقي باربل محمد بن علي العراقي الحلبي المتوفى في سنة ٥٦١ هـ/
 ١١٦٥م، فسمع عليه الحديث (طبقات السبكي ٦/ ١٥٢). ولقي أحمد بن محمد الهمداني
 باربل هبة الله بن المكرم البغدادي، فسمع عليه «صحيح البخاري» في مجالس آخرها ٥
 جمادى الاولى سنة ٦٢٠ هـ / تموز ١٢٢٢م (معجم ابن الفوطي ١/ ٤٦٥).

فلهذه الاسباب كثر الراغبون في سكني إربل، إذ هاجر اليها عدد كبير من الناس.
 ولعل من الغريب ان نجد مراكشياً يولد باربل، فقد ورد في «منتخب المخمار» للقاسي
 (ص ١٢١ و ١٢٦)، بان محمد بن أحمد بن عمر المراكشي المحتد قد ولد باربل في سنة
 ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥م، وقد عُرف فيما بعد بابن الظهير، وبرز بين علماء الحنفية، وصار من
 كبارهم. وكان له شعر جيد ومساهمة في التأليف. ثم توفي بدمشق في سنة ٦٧٧ هـ/
 ١٢٧٨م، حيث كان يدرس في بعض مدارسها (فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية ٣/
 ٢٧). وهذا محمد بن عبد الملك الهمداني المعدل المتوفى سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤م يولد
 باربل أيضاً في سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م، ويرحل الى بغداد حيث يكون من الشهود أمام

أقضى القضاة عبد المنعم البندنجي (كان والده يلي الاشراف باربل أيام تاج الدين بن الصلايا، وفقا لما ذكره ابن القوطي في معجمه ٢/ ٨٢٤ - ٨٢٥ و ٨٢٩). والظاهر ان عوائل كثيرة هاجرت الى إربل واستوطنتها، وهذا يفسر سبب ولادة عدد غير قليل من الغرباء فيها. فلقد ذكر السبكي (طبقات ٨/ ٣٧٣) ان الشريف العباسي المظفر بن عبد الله الهاشمي الواعظ المتوفى في سنة ٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦ م، ولد باربل وسمع ببغداد وحدث بمصر ودمشق. وأحمد بن شجاع بن منعة، أصل والده من تكريت، فاقام باربل (مخ ورقة ١٠٩ ب). ويحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٩ ب و ١٣٥ ب). عن وجود عدد غير قليل من الواسطيين كانوا باربل في سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩ م ومنهم شيخه صاعد بن علي الواسطي، وقد مر ذكره، ومنهم مؤمنة العالمة التي كانت تعظ النساء، وقد توفيت باربل.

والذين وردوا إربل لم يقتصرُوا على فئة معينة، أوجاؤا من جهة محددة، فهناك القادمون من الاندلس والمغرب، مثل محمد بن أحمد الاندلسي المعروف بالشريشي، الذي سمع باربل من الفخر الاريلي، وتوفي بدمشق سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م (بغية السيوطي ١/ ٤٤)، وعبد العزيز بن هلاله المغربي ومعاذ بن علي الصنهاجي ومحمد بن موسى السلاوي (مخ ورقة ١٠٤ ب و ١١٨ ب و ١٥٣ أ). ومن الطريف ان نذكر بهذه المناسبة، ان يحيى بن أحمد الغرناطي، كان واعظا أعجبتهُ إربل، لا سيما وقد كان له قبول حسن لدى العامة، أوعز لهؤلاء ان يلتمسوا من كوكبوري استيقاع باربل، وهكذا كان (مخ ورقة ١٦١ أ). وهناك القادمون من مصر، مثل ابراهيم بن خلف الغساني، الذي ورد اربل ثلاث مرات، ومبشر بن محمد المصري، الذي وردها مرتين، وابراهيم بن عثمان الماراني المصري، الذي وردها عدة مرات (مخ ورقة ١٠٠ ب و ١٢٢ أ و ١٣٦ ب). ثم هناك القادمون من المشرق كخوارزم وبخارى وقزوين ومن هؤلاء محمد بن أحمد القزويني الذي ورد إربل وكان له بها قبول عظيم من الناس (مخ ورقة ٣٨ ب - ٣٩ أ و ٧٧ ب و ٧٨ أ و ١٣٧ أ و ١٩٤ ب).

وعلاوة على هؤلاء، فهناك القادمون من المدن القريبة كالموصل، وخير من يمثلهم ابن الشعار وعلي بن علوي بن ملاعب (مخ ورقة ٦٨ ب، ومخطوطة ابن الشعار ٤ ورقة ٢١٠)، فضلا عن القادمين من بغداد، وخير من يمثلهم المبارك ابن طاهر الخزاعي، شيخ

ابن المستوفي، وعبد اللطيف السهروردي، الذي كسب خطوة كبيرة لدى صلاح الدين، فكان يوليه قضاء كل بلد افتتحه بالساحل، وقد قضى الشطر الاخير من حياته بارييل، وكان كوكبوري يحضر مجالس سماعه (مخ ورقة ٦ أ و ٧ أ ب)، ثم القادمون من دمشق كالشاعر محمد بن نصر بن عنين الدمشقي الذي رآه ابن خلكان بارييل في سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م (مخ ورقة ٢٢٤ أ أو الوفيات ٤ / ١٠٧)، والقادمون من واسط كالشاعر عبد الرحمن بن محمد الواسطي، الذي له موقف مع ابن المستوفي، وقد ورد إرييل في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م (ابن خلكان ٣ / ٢٩٦ ومجلة المجمع للزواوي ص ٢٢٣).

كذلك كان بين القادمين الى إرييل بعض النساء، ومنهن مؤمنة العالمة الواسطية - وقد تقدم ذكرها - وجشماؤنة بنت مكي الكاتبة الأرموية التي وردت إرييل في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخ ورقة ١١٧ ب)، وأمة اللطيف وأمة الرحيم، وقد مر ذكر سماعهما بارييل على محمد بن هبة الله بن المكرم (راجع ص ٨٩ من هذا البحث)، وراجية بنت عبد الله عتاقة عبد اللطيف السهروردي، التي توفيت بارييل سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م، وقد قرأ عليها ابن المستوفي بعض الحديث (مخ ورقة ١١٣ أ). وللاستزادة من المعلومات عن الواردين الى إرييل وأغراضهم، تراجع مخطوطتنا ورقة ٢٦ ب و ٣٤ ب و ٣٧ أ و ٥٤ ب - ٥٦ أ و ٥٩ ب و ٦٨ ب و ٧٢ أ و ٧٣ أ و ٧٥ ب و ٧٦ ب و ٧٧ ب و ٩٧ أ و ٩٩ أ و ١٠٠ ب و ١٠٤ ب و ١١٠ ب - ١١١ ب و ١١٧ ب و ١١٨ أ و ١١٩ أ و ١٢٢ أ و ١٣٧ أ و ١٣٨ أ و ١٤٢ أ و ١٤٣ أ و ١٤٥ ب - ١٤٦ ب و ١٤٨ ب و ١٥٢ ب و ١٥٣ أ و ١٥٧ أ و ١٦١ أ و ١٧١ أ و ١٧٤ أ و ١٧٦ ب و ١٧٨ أ و ١٨٧ ب و ١٨٨ أ و ١٩٢ أ و ١٩٤ أ و ١٩٦ أ و ١٩٧ أ و ١٩٩ أ و ٢٠٠ أ و ٢٠٠ أ و ٢٠٩ أ و ٢١٥ أ و ٢١٦ أ و ٢١٧ أ ب.

• - ظهور طبقة مثقفة إرييلية:

وكما اجتذبت إرييل أهل العلم والفضل، فانها بدورها أخرجت طبقة مثقفة كبيرة العدد، وافرة العلم، طرقت أبوابها مختلف أبواب المعرفة وساروا في آفاق الارض ينشرون ما لديهم من معارف، ويسهمون في النهضة الثقافية التي اجتاحت العالم الاسلامي رغم تفككه السياسي واضطراب الامور فيه. وقد ضم «تاريخ إرييل» بين دفتيه تراجم لعدد غير

قليل منهم. واحتل بعض الارابلة مراكز مرموقة في مهاجرهم، ويكفي ان نقول بأن الجزء الرابع من «معجم ابن الفوطي» وحده قد تضمن تراجم لاثنين وعشرين إربلياً.

وفي طليعة هؤلاء الارابلة يأتي آل الشهرزوري الذين تولوا القضاء وقضاء القضاء في بغداد والشام وغيرها (قبل نشر هذا الكتاب علمت أن دراسة قصيرة من الاسرة الشهرزورية قام بها الدكتور صادق أحمد جودة تقع في ٤٤ صفحة، وقد تم نشرها عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)، فمنهم القاسم بن المظفر قاضي إربل، وولده محمد قاضي الخافقين، والمظفر (أنساب السمعاني ١/ ١٥٢ وابن خلكان ٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣ ومخطوطتنا ورقة ١٩٨)، وآل الحديثي، ومنهم أحمد بن محمد الاربلي الحديثي، ولده روح بن أحمد الذي تولى منصب قاضي القضاة ببغداد (مخ ورقة ٩٦ أ و ٩٧ أ)، وآل الماراني^(١)، الذين تولوا القضاء بمصر (ابن خلكان ٢/ ٤٠٦)، وبنو عقيل الذين منهم الخضر بن عقيل أول مدرس إربلي، وابن أخيه نصر بن عقيل الذي درس وأقضى بإربل والموصل وتوفي في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (مخطوطتنا ورقة ٢٦ أ وطبقات السبكي ٥/ ١٦٣ ط، الحسينية)، ومنهم الحسن بن أبي الحسن بن خل الاربلي المتوفى في سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦١ م، وقد تولي نيابة القضاء بها (مخطوطتنا ورقة ٧٧ أ)، ومنهم بنو خلكان الذين تولوا التدريس بإربل، وأبرزهم ولا شك، بل وأكثر الارابلة شهرة المؤرخ أحمد بن محمد الاربلي المعروف بابن خلكان الذي ولد بإربل ودرس بها، ولم يغادرها الا في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (وفيات ٣/ ١٧٠)، وهو علاوة على تسلمه منصب قاضي القضاة في الشام، فقد كان من أبرز مؤرخي التراجم في العالم الاسلامي (مخطوطتنا ورقة ١٣٧ ب و ١٦٣ ب ومعجم ابن الفوطي ١/ ٢٨٨ وبغية السيوطي ص ٢٣١ ط بولاق وشذرات ٥/ ٢٧٤ وطبقات الاسنوي ١/ ٤٩٦ وطبقات السبكي ٥/ ١٩ ط الحسينية، تكملة المنذرى ٤/ ٣٥، و ٨٠ ذيل اليونيني ٤/ ١٤٩ و ٢٣٤ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٣٠١).

(١) ومنهم ضياء الدين عثمان بن عيسى بن درياس الماراني الذي درس بإربل ثم انتقل الى دمشق، وتبحر في الفقه الشافعي حتى صار حجة فيه. وصنف عدة كتب منها شرح «المذهب» في خمسة مجلدات سماه «الاستقصاء في مذاهب الفقهاء»، وشرح «اللمع» في أصول الفقه لابي اسحق الشيرازي، وناب عن أخيه في القضاء في مصر، وأنشأ له أحد الأمراء الاكراد مدرسة في القاهرة سنة ٦٠٢ هـ (ابن خلكان ج ٣ ص ٢٤٢، والاسنوي. طبقات الشافعية ج ١ ص ١٢٧)

وهناك كمال الدين علي بن ارسلان بن عبد الله الاربلي، الأديب المعروف برسائله (مجلة المجمع العراقي ٩ / ١٢٨). ويبدو انه عاش بين القرنين الخامس والسابع للهجرة، وفقا لما ورد في تلك المجلة. وهناك ايضا محمد بن علي بن أحمد الاربلي المتوفى في سنة ٧٥٥ هـ، وقد شرح «الحاوي الصغير» للقزويني، كما شرح كلام من «الشفافية» و«الكافية» (انظر هدية العارفين ٢ / ١٣٥).

ولا يفوتنا ذكر آل منعة الذين تولوا التدريس والافتاء باربيل والموصل، وعلى رأسهم يونس بن محمد بن منعة المتوفى في الموصل سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م، وكان مدرسا وفقها ومفتيا، وابنه محمد العالم الكبير (ابن خلكان ٣ / ٢٨٥ و ٦ / ٢٥٢ و ذيل اليونيني ٣ / ١٤) وأحمد بن موسى بن يونس الاربلي المتوفى في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م، وقد درس عليه ابن خلكان (وفيات ١ / ٩٠ و امرأة اليافعي ٤ / ٥٠ و تاريخ ابن كثير ١٣ / ١١١ و معجم كحالة ٢ / ١٩٠)، وأحمد بن أحمد بن منعة الاربلي الأديب (معجم ابن القوطي ٢ / ٩٧٤). وكان أحدهم مبرزاً - وهو موسى بن يونس بن منعة - في الرياضيات والهندسة، وكان يعرف ٢٤ فنا أخرى، وكان ترد اليه من بغداد المسائل في مشكلات علم الفلك فيحلها ويستصغرها. درس في عدة مدارس بالموصل، وتخرج عليه خلق كثير في كل فن (الحوادث الجامعة ص ١٤٩ وابن خلكان ٤ / ٣٩٦).

ويظهر بين الارابلة من بلغت به جرأته أن يأخذ على سببوية في عدة مواضع، ويناقض المتنبي وأبا تمام، وهو علي بن أبي القاسم الشيباني الاربلي المتوفى في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م (بغية السيوطي ١ / ١٨٤). وهذا قاضي إربل جعفر بن محمد الكفرعزي الاربلي المتوفى في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م، لا يكفي ان يكون عالما بالفقه وعلوم القرآن الكريم والفرائض، فيضيف اليها الحساب والهندسة والأدب ونظم الشعر (غصون ابن سعيد ص ٧٨ و ١١٦ والحوادث الجامعة ص ٣٤٣ و تاريخ ابن كثير ١٣ / ٥٠). ومن الارابلة أيضا محمد بن يوسف البحراني المتوفى في سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م شيخ ابن المستوفي، فعلاوة على كونه من أكثر الناس علما بالعروض - على حد قول أبي الفداء في تاريخه ٤ / ١٠٣ - وأحذقهم بنقد الشعر، فانه اشتغل بعلوم الأوائل وحل كتاب اقليدس (بغية

السيوطي ١ / ٢٨٦) . وممن اشتغل بعلوم الاوائل أيضا ، وكان يقرؤها للمسلم والذمي والكافر على السواء ، الحسين بن محمد المعروف بالعز الاربلي الضرير ، المتوفى في دمشق سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م (نيل الروضتين ص ٢١٦ وذيل اليونيني ١ / ٥٠١ و ٢ / ١٦٥ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٢٢٥ وفوات الكتبي ١ / ١٢٤ ونكت الهيتمان ص ١٤٢ وشذرات ٥ / ٢٠١ وبغية السيوطي ٢٢٦ ط بولاق ، واعلام الزركلي ٢ / ٢٢٢ ، وقد ورد اسمه في الفوات والبغية «الحسن بن محمد» وقد اختار الزركلي هذه التسمية أيضا) . ويذكر ابن خلكان (٢ / ٩٨ - ٩٩ ط احسان عباس) محمود بن عبد الله الاربلي الأديب ، الذي كان يجيد صناعة الالمان وغير ذلك ، وكان من أصحاب ابن خلكان نفسه ، وقد زاره في القاهرة سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م وروى له بعض شعره ، وهناك أيضا محمد بن علي الخطيب الاربلي المتوفى في سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م ، وكان موسيقيا ، ومن آثاره «قصيدتان في الانعام» (معجم كماله ١١ / ٧ وبيروكلمان ٢ / ١٦٩ وملحق ٢ / ٢١٨) .

ومن عوائل إربل البارزة ، عائلة ابن المستوفي ، وفي المقدمة عمه صفى الدين علي بن المبارك الذي ترجم كتاب «نصيحة الملوك» الذي صنّفه الامام الغزالي باللغة الفارسية ، فنقله صفى الدين الى العربية (ابن خلكان ٣ / ٢٩٨ وكشف الظنون ص ١٩٢٦ و ١٩٥٨ وبيروكلمان ١ / ٤٢٣) ويحدثنا ابن المستوفي عن بعض تعليقاته وعن الشعر الذي وجده مكتوبا بخطه (مخ ورقة ٣٢ أ و ٤٥ أ و ١٤٠ أ) . وكذلك يحدثنا كيف ان والده كان يصطحبه معه - وهو صغير - لزيارة أهل العلم (مخ ورقة ٣ أ و ٤٤ أ) مما جعل المؤلف - رغم صغر سنه - يعتاد على ارتياد الجوامع لسماع مناظرات العلماء ، ويبدو ان والده كان محبا للخير ، إذ يذكر المؤلف بأنه بنى قبة كان ينزل فيها العلماء والمتصوفة الذين يردون الى إربل (مخ ورقة ٢٩ ب و ٤٤ أ و ٤٦ ب و ١٧٢ ب) ، هذا وتوجد في «مكتبة الخالصة» بالكاظمية في العراق مخطوطة لكتاب «النهاية في غريب الحديث» تصنيف المبارك بن محمد بن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وهي مكتوبة في سنة ٨٣١ هـ ، وقد جاءت نسبة المؤلف فيها الجزى الاربلى ، (فهرستها ص ٢٧) وهذا معناه ان آل الاثير اربلة أيضا ، مما لم أجد له سنداً في المراجع التي تحت يدي .

٦. شعراء إربل:

أن انتشار الثقافة بين أهل إربل استتبع ظهور عدد من الشعراء اذ سمات المثقفين في ذلك العصر، بل أن صاحبنا ابن المستوفى كان شاعرنا مقطوعات من شعره، أما ديوانه الذي ذكره حاجي خليفة (ص ٨ مؤلفاته المفقودة. واستكمالا لصور الحياة الثقافية بإربل، سنتناول الذين برزت أسمائهم، ومنهم:

(١) الحاجري:

هو عيسى بن سنجر الاربلي المعروف بالحاجري، وكان جنديا ويقول (١٦٩) انه كان له ديوان شعر فيه معان جيدة، وقد ضمنه «الدوييت» الشاعر اختلف مع كوكبوري وتحول الى التصوف. وقد اغتيل في ١٢٣٤م. وقد كان من أصحاب ابن المستوفى ومن رواد مجلسه. هذا مخطوطة من ديوانه في المكتبة الاحمدية بتونس (فهرس المكتبة ص مخطوطة في الخزنة البارودية ببيروت، جمعه عمر بن حسين الدمشقي وقد تم استنساخها في اواسط القرن الثامن الهجري (مجلة مجمع دمة ١٣٢ لشهر آذار ص ١٩٢٥). ويتضح مما تقدم ان الحاجري لم يكتب به التقليدي، وإنما أضاف اليه شيئا من الشعر الحر - إذا جاز لي، التسمية -. وهنا يحضرني اسم اربلي آخر، كان يكتب «الدوييت» أيضا المختص الاربلي، أحد أصحاب ابن خلكان (وفيات ٤ / ٨٤).

(٢) ابن أبي الهيجاء الاربلي:

ذكر ابن حاتم الياامي في كتابه «السمط الغالي الثمن» ان «جكو» أحد الايوبية في اليمن، التحق بامام اليمن وخاصم الايوبيين، ولكنهم تمكنوا من مقدميه ويدعى «أبو الهيجاء» (السمط ص ٦٣) ولعل لهذا المقدم صلة بالث وهو خشتري بن تليل ابن أبي الهيجاء الاربلي المتوفى في سنة ٦١٩ وينسب الى مروان بن الحكم. ويقول اليونيني (ذيل ٢ / ٢٢٨) ان شعره لما مقطوعات منه.

(٣) علي بن عيسى:

هو علي بن عيسى الاربلي المنشئ الكاتب بديوان الانشاء ببغداد والمتوفى في سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م، وقد صنف كتابا بعنوان «التذكرة الفخرية» (انظر مجلة المجمع العراقي ٩ / ١٢٩ والحوادث الجامعة ص ٢٧٨ و٣٤١ وشوات الكتبي ٢ / ٦٦ ط بولاق ومعجم ابن الفوطي ١ / ٥٧١ و٢ / ١١٩٧ وروضات الخوانساري ص ٣٩٦ وفهرس مخطوطات الامام الحكيم ص ١١٢). وقد سبق لوالده عيسى بن ابي الفتح ان تولى هذه الديوان في بغداد، وتوفى في سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م (الحوادث الجامعة ص ٢٤١ و٣٦٦ و٣٦٩ ومعجم ابن الفوطي ٢ / ٢٧٤).

(٤) الصلاح الاربلي:

كان شاعراً ذا حظوة عند الملكين الاشرف والكمال ولدي العادل الايوبي وقد توفى في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م (تاريخ ابي الفداء ٣ / ١٥٦).

(٥) شيطان الشام:

هو يوسف بن النفيس الاربلي، ولد ياريل في سنة ٥٨٦ هـ وتوفى بالموصل في سنة ٣٦٨ هـ / ١٢٤٠ م والله شعر في رثاء ابي المستوفى (ابن خلكان ٢ / ٢٩٨) والمعروف عن هذا الشاعر انه كان هازلا خليعا يتزيا بزي الجند الاكراد، ويرسل شعره، تجول في كثير من الاقطار الاسلامية، ثم استقر بالموصل (ابن الشغار، ج ١٠ ورقة ٦٣ ب).

(٦) محمود الاربلي:

هو محمود بن عبد الله الاربلي الشاعر، وكان من اصحاب ابن خلكان (وفيات ١ / ٣٧٦).

(٧) علي بن عثمان الاربلي:

كان صوفيا شاعراً، من شعراء الملك الناصر الايوبي، توفى بالفيوم في سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م (ذيل اليونيني ٢ / ٤٨٠ وفوات الكتبي ٢ / ١١٨ وروضات الخوانساري ص ٤٩٣).

٨ (عبد العزيز الاربلى

هو عبد العزيز بن عثمان الغزاري ، شاعر إربلي آخر لحق بالايوبيين وامتدحهم، ثم عاد الى إربل في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (معجم ابن الفوطى ١ / ٢١٨).

٩ (ابن النلق:

هو رشوان بن منصور المولود بإربل، وقد خدم فى جند الملك الايويي العادل، وتوفى في سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م (تاريخ ابن كثير ١٣ / ٧٥).

١٠ (طه الاربلي:

هو طه بن إبراهيم بن أبي بكر الاربلي، شاعر أديب أقام بالقاهرة، توفي في سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م (ذيل اليونيني ٣ / ٣٠٢ وطبقات الاسنوى ١ / ١٥٣، وحسن المحاضرة للسيوطي ١ / ٢٣٥ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٢٨٢).

١١ (الحسن بن شماس:

هو الحسن بن شماس الاربلي الرسول، من عائلة إربلية خزرجية الاصل عرفت بالرياسة والفضل والأدب. كان شاعراً، ومن مثقفي إربل البارزين وله رسائل (معجم ابن الفوطي ١ / ٧٩).

١٢ (سليمان بن بنيمان الاربلى:

شاعر إربلي مدح الملك الايويي الناصر يوسف، وقد توفي في سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م (الوافي - مخ اكسفورد ورقة ١٢١، ذيل اليونيني ٤ / ٣٢٧، وقوات الكتبي ١ / ٣٥٠ وشنرات ٥ / ٣٩٥).

١٣ (ابنا قرطاي:

وهما أحمد ومحمد ابنا قرطاي الاربلي، وكانا من امراء كوكبوري ومن الشعراء (الوافي ٧ / ٢٩٦ ومعجم ابن الفوطى ٢ / ١٠٣٢ و ٤ / ٣٥٣).

(١٤) أحمد بن عبد السيد الاربلي:

كان أحمد هذا حاجيا لكوكبوري، وسيأتي ذكره (مرآة السبط، ٨ / ٦٩٢ وابن خلكان ١٦٦ / ١ والوافي ٦٢ / ٧).

(١٥) البحراني:

هو محمد بن يوسف الاربلي، شيخ ابن المستوفى، وسيأتي ذكره (ابن خلكان ٤ / ١٠٢).

(١٦) فخر الدين الاربلي:

هو بليمان بن أبي بكر بن عياش الكردي الاربلي، قال عنه ابن الفوطى في معجمه (٣ / ١٣٦) «كان شاعراً مجيداً من شعراء إربل».

(١٧) مجد الدين الحنفي:

هو محمد بن أحمد بن عمر الاربلي الحنفي، ولد بإربل في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م، وتلقى بها دروسه ثم أكمل الدراسة ببغداد ودمشق، وتولى التدريس ببعض مدارس دمشق. وكان فوق علمه وديانته شاعراً رقيقاً له ديوان، توفي في سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م (شذرات ٥ / ٣٥٩).

(١٨) مجد الدين النشابي:

هو أسعد بن ابراهيم بن حسن الاربلي، أبرز شعراء إربل، وقد رافق كوكبوري في زيارته التاريخية الى بغداد، وكان الناطق بلسانه (راجع ص ٥٦ من هذا البحث)، وتولى كتابة الانشاء له مدة. وهو من أصحاب ابن المستوفى وعن رواد مجلسه، وقد كانت له معاتبات شعرية مع هاشم بن عبد السلام بن يوسف الاربلي (عقود ابن الشعار - مخطوطة استانبول ٩ ورقة ٩٤، وتوجد في ظاهرية دمشق مخطوطة تحتوى على بعض شعره - فهرس ص ١١٠) هذا والنشابي كتاب بعنوان «كتاب المذاكرة في ألقاب الشعراء» (شاعر العاشور: فصلان من كتاب المذاكرة في ألقاب الشعراء، مجلة معهد المخطوطات العربية، ج ٢ مجلد ٣١).

ويبرز في إربيل عدد من الشعراء النصارى، سنتعرض لذكرهم عند حديثنا عن نصارى إربيل، ان شاء الله.

٧ - انتشار الارابلة في العالم الاسلامي:

من الظواهر التي تقتزن باسم إربيل، ظاهرة انتشار أبنائها في العالم الاسلامي على نطاق واسع^(١)، ولقد خدمت إربيل المسلمين خدمة تفوق كثيراً ما يتوقع من مدينة صغيرة خاملة الذكر، الا ان أبنائها هؤلاء رفعوا لواءها عالياً، وجعلوا اسمها يتردد في كل مكان، غير أن استقصاءهم يستغرق الكثير من الصفحات، بل يحتاج الى كتاب كامل. لذلك اكتفى بذكر بعضهم فقط علنا نقف على مدى هذا الانتشار، الذي يدل - ولا شك - على طموح منقطع النظير.

ومن أقدم الارابلة المغتربين ذكراً، قطب الدين ابن اخي ابي الهيجاء صاحب إربيل، وقد كان من ضباط عسكر أسد الدين شيركوه في مصر. وعند وفاة شيركوه في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م، حمله طموحه على المطالبة بوزارة مصر لنفسه، ولكنها صارت الى صلاح الدين (اتابكة ابن الاثير ص ٢٥٥).

وهناك قريبة الامير أحمد بن علي بن أبي الهيجاء الاربلي المعروف بابن المشطوب، وكان من أمراء صلاح الدين المقربين، وقد شهد معه أكثر المعارك في فلسطين ومنها معركة عكا (ذيل اليونيني ٢ / ٢٢٤). وكان بين أمراء دار الخلافة ببغداد بهاء الدين علي الاربلي، وقد قُتل في معركة مع المغول وقعت قرب خانتقين في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م (الحوادث الجامعة ص ١١٣). وهناك الأمير فتح الدين الحسن بن محمد الشيباني الاربلي الذي خلع عليه الخليفة خلع السلطنة في سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م، وكان يوزع في داره ببغداد، كل جمعة الادوية والاشربة والمعاجين ما لا يكون في مستشفى وكان لا يرد سائلاً. حارب التتر واستشهد في سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م (معجم ابن الفوطي ٣ / ٤٣).

(١) يبدو أن انتشارهم لم تكن تحده حدود، فقد ذكر السخاوي أن الملك المظفر ملك اليمن، كان يرسل في طلب الكتب من الخارج، وكان رسوله في بعض المرات شرف الدين الاربلي (الضوء اللامع ج ١٠، ص ١٤)

وأُمير إربلى آخر هو فخر الدين ابراهيم بن أيوب الاربلي، الذي ورد من الشام الى بغداد في أيام المستنصر، وقد توفي في سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م (المصدر السابق ٣ / ٥٤). والامير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الاربلي الذي كان متوليا لدمشق في أواسط القرن السابع الهجري، وتوفي بمصر في سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م (ذيل اليونيني ١ / ٥٠١ - ٥٠٢ والوافي ٥ / ١٧٠). هذا وذكر ابن الشعار (مخطوطة استانبول ٩ ورقة ٩٤) ان هشام بن عبد السلام الاربلي، كان كاتب الطغرة لكرجوري، قد هاجر الى بغداد في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م وتولى بعض الاعمال لبعض أمرائها. هذا وقد جاء في «الحوادث الجامعة» (ص ٣٥٤)، انه في سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م عيّن البابا واليا على الموصل، فقبض على واليها «الزكي الاربلي» فحوسب ثم قتل. وفي حوادث سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م، قيل ان أمر العراق قد قُوّض الى عز الدين الاربلي» (المصدر السابق ص ٤٤٨ و ٤٥٤). كما ان عبد العزيز بن ابراهيم الاربلي المعروف بابن الوالي المتوفى في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م، قد تولى الوزارة بالشام (ذيل اليونيني ٢ / ٣٦٨).

ومن الارابلة محمد بن أبي المظفر بن نصر بن عقيل المولود بارييل والمتوفى بدمشق في سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م، وهو من بني عقيل المعروفين (تكملة ابن الصابوني ص ٢٦٣). ومنهم شبلي بن جنيد بن خلكان الاربلي المتوفى في سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥ م، وكان قاضيا بإخميم بمصر (طبقات السبكي ٨ / ١٥١ وتكملة ابن الصابوني ص ٢٣١)، ومحمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان المولود بارييل، وقد تولى قضاء بعلبك وبها توفي في سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م (ذيل اليونيني ٤ / ٢٣٤)، والجنيد بن عيسى بن ابراهيم الخلكاني المولود بارييل والمتوفى بدمشق في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م، وقد ولي عدة جهات، وكان محمود السيرة (ذيل اليونيني ٢ / ٣٦٥). وهناك محمد بن عثمان الزدزاري الاربلي المتوفى بالقاهرة في سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م، وكان حافظا مقرئا ثقة (طبقات الجزري ٢ / ١٩٦)، والياس بن علوان الاربلي، وكان اماما مقرئا حاذقا، تصدر للقراء في الجامع الاموي، وتوفي في سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م (المصدر السابق ١ / ١٧١)، وعلي بن عبد العزيز الاربلي، نزيل بغداد المتوفى في سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م، وكان إماما بارعا في القراءات (المصدر السابق ١ / ٥٥٠)، وعمر بن حمزة الاربلي، شيخ قراء صفد وقد توفي

في سنة ٨٧٢ هـ / ١٣٨٠ م (المصدر السابق ١ / ٥٩١)، ومحمد بن الحسن الاربلي الذي تولى الاقراء بالمدرسة الفاضلية بدمشق، وقد جالسه الذهبي وأثنى عليه. توفي في سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م (المصدر السابق ٢ / ١٢٧). وممن زامل الذهبي في السماع بدمشق أحمد بن زفر الاربلي المتطبيب المتوفى في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م، وقد صنف عدة كتب (درر ابن حجر ٢ / ١١ ومجلة مجمع دمشق مج ٢٢ لسنة ١٩٤٧ ص ٢٣٤ - ٢٤١).

ومن الارابلة البارزين، عبد العزيز بن عثمان الاربلي المتوفى في سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م، وكان امام دار الحديث النورية بدمشق (مخطوطتنا ورقة ٤٨ ب وذيل الروضتين ص ١٧٩)، وأحمد بن الحسين الاربلي المعروف بابن الخباز، وكان نحويًا يدرس بالقاهرة، توفي في سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م، (بغية السيوطي ١ / ٣٠٤ و مرآة الياضي ٤ / ١٠١ وشذرات ٥ / ٢٠٢ وروضات الخوانساري ص ٨٥)، ويوسف بن يعقوب الاربلي الذهبي، من أهل دار الحديث الاشرفية بدمشق، وقد توفي في سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م (ذيل الروضتين ص ٢٣٢). وذكر السبسط (مرآة ٨ / ٦٤٣ - ٦٤٤) أن أحد المحدثين بدمشق - وهو الحسين بن ابراهيم الهذباتي المعروف بالشرف الاربلي - قد كلف في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م بترتيب «مسند أحمد بن حنبل» على أبواب الفقه. وقد توفي هذا في سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م (ذيل اليونيني ١ / ١٢٥ وشذرات ٥ / ٢٧٤).

ومن الارابلة أيضا، أحمد بن علي بن أبي غالب الاربلي الحنبلي النحوي الذي درس باربل، ثم سكن دمشق وحديث بها ودرس العربية بالجامع الأموي وتوفي في سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م (ذيل ابن رجب ٢ / ٢٦٨ وشذرات ٥ / ٢٨٨)، وعثمان بن عيسى الهذباتي الماراني الاربلي الذي درس باربل، ثم عين نائبا للقاضي ومدرسا بالقاهرة، وله مصنفات، وأخوه عبد الملك القاضي بمصر (ابن خلكان ٢ / ٤٠٦)، وطه بن ابراهيم المولود باربل، ثم دخل القاهرة شايا، وكان فقيها فانتقع به خلق كثير، وروى عنه الدمياطي، ومات بمصر في سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م (حسن المحاضرة ١ / ٢٣٥)، وسأكر ابن حسن الاربلي أحد مشايخ الشافعية ومن الائمة الفضلاء، درس بدمشق وكان مدار الفتوى بها. وقد اشتغل عليه محي الدين النووي، توفي في سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م، (عبر الذهبي ٥ / ٢٩٣ وطبقات الاسنوي ٢ / ٦٩ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٢٦٢ وطبقات السبكي

١٤٩ / ٨ و ذيل اليونيني ٤٧٩ / ٢ وشذرات ٣٣١ / ٥)، والقاسم بن أبي بكر بن القاسم المعروف بالامين الاربلي، الذي رحل في الحديث، وكان من أعيان التجار يتردد الى مصر وبلاد العجم، وانتهى الى خوارزم وبها سمع «صحيح مسلم»، ثم استقر بدمشق حيث رواه وسمع منه الكبار، توفي بالمدرسة العادلية بها في سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م (ذيل اليونيني ٤ / ١٢١ وعبر الذهبي ٥ / ٣٣٠)، ومحمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهير الاربلي المولود باربيل في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م والمتوفى بدمشق في سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م. وكان بارعا في النحو واللغة ونقد الشعر، وقد ولي التدريس بالمدرسة الجاروخية التي ولي التدريس بها بعده اربلي آخر هو عز الدين الاربلي، الذي درّس أيضا بالمدرسة القوصية (علماء بغداد للفاسي ص ١٧٦، ونفح الطيب ٢ / ٧٢٢ والدارس للنعيني ١ / ٢٣٠ و٢٣٦ و٢٤٧ وذيل اليونيني ٣ / ٣٨٦ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٢٨٢ والقوات ٢ / ٣٥٦ وعبر الذهبي ٥ / ٣١٦ وجواهر القرشي ٢ / ١٩ واعلام الزركلي ٦ / ٢١٨).

وهناك أيضا أبو بكر بن إبراهيم الاربلي، نزيل مكة ومفتى الحرمين والمدرس بهما، وقد توفي في سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م (عقد الفاسي ٨ / ١١) وإبراهيم بن مسعود الاربلي المقرئ، الذي أقرأ في القاهرة ثم تصدر للاقراء في الحرم النبوي الشريف، وتوفي بالمدينة المنورة في سنة ٧٤٥ هـ / ١٢٤٤ م (المصدر السابق ٣ / ٢٦٠ وطبقات الجزري ٨ / ٢٧)، والخضر بن علي الاربلي المعروف بابن السراج، الذي رحل الى مكة حيث تولى مشيخة الصوفية بها، وفيها توفي في سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م (معجم ابن الفوطي ٣ / ١٦٧)؛ وعثمان بن موسى الطائي الاربلي الفقيه، الذي أقام بمكة نحو ٥٠ سنة، وكان إمام حطيم الحنابلة بالحرم، وبها توفي في سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م (ذيل ابن رجب ٢ / ٢٨٦)، وطه بن بشير الاربلي إمام الحرم المكي والحاكم به والمدرس فيه لمدة سبع سنين (مخطوطتنا ورقة ١٧٢ ب). ومن الارابلة النازحين، محمد بن علي بن عبد الله بن أبي الهيجاء الاربلي البغدادي العراقي، المتوفى في سنة ٥٦١ هـ، وقد سكن الحلة، وكان شاعراً له ديوان، وصنف عدة كتب منها شرح «مقامات الحريري» (هدية العارفين ٢ / ٩٥).

ومن الأربلة أيضا محمد بن إبراهيم الأربلي المتوفى بدمشق في سنة ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م، وكانت له معرفة بالتحول والعربية وحل المترجم وقدرة على نظم الشعر (ذيل اليونيني ٤ / ٧٩)، ويحيى بن محمد الأربلي الملقب بتاج الدين، كان من أهل الفقه وتولى القضاء ببعض بلاد الشام كدمشق و حلب، قتله التتر في سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م (المصدر السابق ٤ / ١٣٣)، وعباس ابن عثمان بن شهاب الأربلي رئيس التجار في عصره وأحد المقربين من الملك الناصر الأيوبي صاحب الكرك (ابن خلكان ٥ / ٢٩٠ - ٢٩١ وذيل اليونيني ١ / ٣٨٨)، وعبد الرحمن بن إبراهيم الأربلي المعروف بابن قنيتو، وكان أديبا بارعا حسن النظم، اتصل بالملوك وتعاطى التجارة وله كتاب «خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك» (طبع في بيروت في سنة ١٨٨٥ م)، وقد توفى بربل في سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م (در ابن حجر ٢ / ٣٢١ والتعريف بالمؤرخين للمرحوم العزائى ص ١٣٧ - ١٣٨ ومعجم سر كيس ص ١٠٥٥)، وعماد الدين يحيى بن عبد الله الأربلي المقرئ، وكان إمام حرم الخليل بفلسطين (معجم ابن الفوطي ٢ / ٨٧٧)، وموسى ابن محمود بن موسى الأربلي الذى تولى القضاء بالموصل وتوفى في سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م، (در ابن حجر ٤ / ٢٨١). ومن القضاة أيضا محمد بن عبد الله بن حسين الزرداي الأربلي المتوفى في سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م، درس وأفتى ثم تولى منصب قاضي القضاة بدمشق (الوافي ٣ / ٢٧٣). ومن تولى القضاء بدمشق أيضا مجد الدين عبد الله بن الحسين الأربلي المتوفى في سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م وقد درس بمدرسة الكلاسة، وكان خبيراً بالقراءات (شذرات ٥ / ٣٥٨). وهناك العلامة المعروف «العراقي» وهو عبد الرحيم بن الحسين الرزاني المصري (ورازيان من أعمال إربل) من كبار الحفاظ وإمام عصره في الحديث، وله مصنفات كثيرة أشهرها «الالفية». توفى بمصر في سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م (الضوء للسخاوى ٤ / ١٧١ وذيل طبقات الحفاظ ص ٢٢٠ و ٢٧٠)، وابنه أحمد المتوفى في سنة ٨٢٦ هـ / ١٤٢٢ م (المرجعين السابقين ١ / ٢٢٦ وص ٢٨٤).

هذا وقد كان لبعض الأربلة شرف سماع علماء بارزين طيهم، فضلا عن إجازة ابن المستوفي للحافظ والمدرخ المصري المعروف المنذرى (المنذرى لبشار معروف ص ١١٤) فان المنذرى سمع من عبد اللطيف بن المبارك الخزاعي الأربلي المتوفى بمصر (تكلمة

المنذرى ٣ / ٤٠، الا انه لم يذكر تاريخ وفاته). وكذلك سمع المنذري من الأمير أحمد بن عبد السيد الاربلي المتوفى بالرها في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م، وقد ورد مصر وحدث بها (المصدر السابق ورقة ١١٧ مخ كمبرج). ويذكر المؤرخ ابن الديبشي بأنه تلقى الاجازة من شيخ إربلى هو الخضر بن علي الاربلي المعروف بابن السراج - وقد تقدم ذكره - (المختصر المحتاج اليه ٢ / ٥٦ ومعجم ابن القوطى ٣ / ١٦٧)، وذكر أيضا سماعة على القاسم ابن الاربلي (المختصر المحتاج ١ / ٥). ويذكر المؤرخ اليونيني (ذيل المرأة ١ / ١٢٥) انه سمع على الحسين بن ابراهيم الهذباني الاربلي سالف الذكر. وهناك علي ابن عبد العزيز الاربلي المقرئ المولود في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م، وقد قرأ عليه إمام القراء محمد بن أحمد الموصللي المعروف بشعلة (طبقات الجزرى ١ / ٥٥٠ و ٢ / ٨٠ وشذرات ٥ / ٢٨١). وذكر الذهبي (تذكرة ٤ / ١٤٢٥) انه سمع على محمد بن يوسف الاربلي، وذكر ابن القوطي (معجم ١ / ٤٦٢) انه لقي في سنة ٦٨٩ هـ / ٢٩٠ م ببغداد أحمد ابن اسماعيل الاربلي الأديب (وكان يعلم أولاد الاكابر فيها) وقد كتب كراسة من شعره وأعطاه لابن القوطي. ولقي ابن القوطي (١ / ٥٢٠) إربلياً آخر هو محمد بن عبد الرحمن الأربلي الملقب بعفيف الدين، وذكر سبط ابن الجوزي (مرأه ٨ / ٥١٦) أنه لقي باربيل سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م شيخاً إربلياً هو محبي الدين الساقاني، وسمع منه بعض الشعر. وقضلا عن ذلك فقد مر معنا ذكر طه الاربلي الذى سمع عليه الدمياطي (راجع ص ١٠٩ من هذا البحث) وسلاّر بن الحسن الاربلي الذى اشتغل عليه النوى (راجع ص ١٠٩ المذكورة).

ولا حاجة بنا الى القول بأن أبرز الارابطة الذين ذاعت شهرتهم في مختلف أنحاء العالم، هو المؤرخ ابن خلكان، وان إربل يكفيها فخراً ان أنجبت وقدمته الى العالم الاسلامي، بل ولاهل التاريخ والقضاء شخصية فذة كشخصية ابن خلكان، وان مصنفه «وفيات الاعيان» خير شاهد على علو شأنه ومعلم منزلته.

٨ - مشاركة الارابطة في وجه النشاط الثقافي:

لم تقتصر مشاركة الارابطة في النشاط الثقافي على فرع معين، وانما شملت مختلف

أبواب المعرفة. ولقد سبق وأفردنا باباً لشعرائهم، ونوهنا بمساهماتهم في علوم القراءات والحديث، وفي القضاء والافتاء والتدريس، وفي التجارة والامارة والولاية. ونود الآن أن نضيف على ذلك فنقول بأنه كان بين الارابلة أطباء، نذكر منهم، على بن ركن الدين محمد بن عيسى الاربلي الذي جلس في سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م في إيوان الطب التابع للمدرسة المستنصرية ببغداد (معجم ابن الفوطي ٢ / ١٠٦٢ وعلماء المستنصرية لناجي معروف ص ٢٤٧)، وعز الدين الحسن بن أحمد، بن زفر الاربلي الطبيب الصوفي المتوفى بدمشق في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م، وله عدة مصنفات (در ابن حجر ٢ / ١١ وتاريخ ابن كثير ١٤ / ١٢٥ وشذرات ٦ / ٠٧٦) والجدير بالملاحظة ان ابن حجر ترجم في الدرر (٣ / ١٣) لشخص سماه «علي بن أحمد بن زفر الاربلي الطبيب، وذكر انه توفي في سنة ٧٢٦ هـ أيضاً. ولا أدري أهو شخص آخر أم انه مجرد التباس.

ونذكر ابن الشعار إسحق بن معالي الاربلي المشرف على ديوان الأهراء بباريل حتى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، وكان عالماً بالهندسة والطب، وكذلك ذكر نيهان بن محمود الاربلي الذي كان عالماً بالنجوم والاصطرلاب (عقود الجمان، ج ١ ورقة ٢٣٨ وج ٩ ورقة ٨٥).

وهناك بين الارابلة من كان له قدم راسخة في الموسيقى، مثل محمد بن علي الخطيب الاربلي المتوفى في سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م، ومن آثاره «القصيد في الانغام» و«جواهر النظام في معرفة الانغام» وقد كتبها للملك الارتقى صاحب ماردين (معجم كحالة ١١ / ٧ وبروكلمان ٢ / ١٦٩ وملحق ٢ / ٢١٨). وقد سبقت الإشارة اليه كما سبق وذكرنا محمد بن عبد الله الاربلي صاحب ابن خلكان، وكان يجيد صنعة الالكان (راجع ص ١٠٣ من هذا البحث). كذلك شارك الارابلة في النحر، وقد ذكر السيوطي في بغيته (ص ٧٤ ط بولاق)، محمد ابن علي الاربلي الشافعي النحوي المولود في سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م والمتوفى في سنة ٧٥٥ هـ والذي شرح «الكافية» و«الشافعية»، وله حواش على عدة كتب، وقد ترسل ملك الموصل (هدية العارفين ٢ / ١٣٥) وذكر حاجي خليفة ص ٤٠٦ محمد بن علي الاربلي المولود في سنة ٧٣٦ هـ، وله «شرح الالفية». ومن النحويين أيضاً محمود بن علي الخواتيمي (مخطوطتنا ورقة ٨٣ ب)، بل وإن المستوفي نفسه كان من النحاة (بغية السيوطي ٢ / ٢٧٩)، وأحمد ابن الحسين الاربلي المعروف بابن الخباز، وقد تقدم ذكره،

وله مصنفات مفيدة في النحو، منها «شرح الفية ابن معط» (المصدر السابق ١/ ٣٠٤ وشذرات ٥/ ٢٠٢). هذا وتوجد في المكتبة الأحمدية بتونس (فهرس ص ٨٣) نسخة مخطوطة من «شرح مقامات الحريري» تصنيف عبد الله بن الحسين العكبري، وهي بخط سلمان بن داود الأربلي، كتبها بحلب في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ و ذكر ابن كثير (تاريخ ١٣/ ٤٢) ان الياس بن جامع الأربلي المتوفى في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م قد صنف كتابا في التاريخ، وتفرد بحسن كتابة الشروط. وذكر حاجي خليفة (ص ٣٧٧) بدر الدين محمد الأربلي مصنف «التحفة في الحديث». وفي الخزانة التيمورية (فهرس ١/ ٢٩ وه ٢٤)، مخطوطة «الزوائد المفيدة في القراءات»، وهي من نظم محمد بن خليل بن عمر القشيري الأربلي المقرئ، وله أيضا «واضحة المبهوم في علم المرسوم» وهي في رسم المصحف. وكلا المخطوطتين بخط قديم. وفي الخزانة المذكورة (فهرس ٢/ ٢٨) مخطوطة «مشيخة الأربلي» لمحمد بن ابراهيم بن المسلم الأربلي المتوفى في سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م، وعليها سماع لمحمد بن يوسف بن يعقوب الأربلي الذهبي مؤرخ في سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م. وقد ذكر الصفدي (الوافي ٢/ ٩) ان الزكي البرزالي قد خرج مشيخة لمحمد بن ابراهيم الأربلي هذا، قلعلها هي المقصودة. هذا وفي الخزانة البارودية ببغداد مخطوطة لكتاب «تزكية الارواح» للسجستاني، وهو في الاخلاق والآداب، وقد تم استنساخها باريل في سنة ٧٤٦ هـ (مجلة مجمع دمشق مج ٥ ج ٥ / ٢٢٤ لشهر ايار ١٩٢٥).

هذا وفي معهد الدراسات الاسلامية ببغداد (فهرس ص ٨٤) مخطوطة «حاشية القرباغي» مؤرخة في سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م، وهي بخط محمود بن أويس بن علي الأربلي. ويوجد في خزائن أوقاف بغداد (الفهرس ص ٦٠، والمستدرك عليه ص ١٩٨) «رسالة الطيف» تصنيف بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي المتوفى في سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م (فوات الكتبي ٢/ ١٣٤). وفي الخزائن المذكورة أيضا (فهرس ص ٣٠) مخطوطة «فصيح البيان في تفسير القرآن» تصنيف ابراهيم فصيح الحيدري البغدادي المتوفى في سنة ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م، وعليها تقاريط جماعة من العلماء منهم محمد بن سليمان الأربلي، وعثمان المدرس باريل وأحمد بن أبي بكر المدرس باريل أيضا. وفي

خزانة يعقوب سرقيس (فهرس ص ١٢١) مخطوطة لمنظومة في التوحيد مؤرخة في سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م، وهي بخط عبد النبي بن مطهر الاربلي. وفي دار الكتب المصرية (فهرس مخطوطات مصطلح الحديث ص ١٢١)، توجد مخطوطة إجازة صادرة عن محمد ابن علي الاوسي الاربلي المعروف بابن الحراقي (وهو من أهل القرن التاسع الهجري)، وقد كتبها لمحمد بن يوسف الصيقي المصري بسماعه لكتاب «موطأ مالك» عليه.

ولقد استمرت مشاركة الارابلة في النشاط الثقافي في العصور المتأخرة، وبين أيدينا العديد من الكتب التي صنفوها، من ذلك مثلاً كتاب «جواهر الادب في معرفة كلام العرب» تصنيف علاء الدين بن علي الاربلي، وقد طبع بمصر في سنة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م (معجم سرقيس ص ٤٢٠ وفهرس مكتبة العيتابي ص ١٠٩). ويذكر العمري الموصللي في كتابه «تاريخ النساء» (ص ١٢ - مقدمة)، ان ملا عبد القادر الاربلي قدم الموصل وتولى التدريس بمدارسها، فتنلمذ عليه جماعة، منهم العمري نفسه فقرأ عليه شيء من الفقه. ويبدو ان ملا عبد القادر هذا ولداً اسمه عبد الرحمن توجد بالموصل بخطه مخطوطة في التصوف (مخطوطات الموصل ص ٨٧). أقول ولعل عبد القادر المذكور هو نفسه الشيخ عبد القادر بن محي الدين الاربلي المتوفى باورفة في سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م، وهو مؤلف عدد من الكتب، منها «تفريج خاطر في مناقب الشيخ عبد القادر» المطبوع بالاسكندرية في سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م، وله كتاب «محبة الذاكرين وورود المفكرين» في التصوف، وقد طبع بالاسكندرية أيضاً في السنة التي قبلها (ذيل كشف الظنون ١ / ١٢٣ و٤٦٨ ومعجم سرقيس ص ٤٢٠ ومعجم كحالة ٥ / ٣٠٤ وبروكلمان ملحق ٢ / ٧٨٠). وجاء في فهرس كتب دار الكتب المصرية - ج ٢ ملحق ٢ تاريخ ص ١٠٢ -، ان كتاب «تفريج خاطر» هو تصنيف محمد صادق القادري الشهابي، وقد ترجمه عبد القادر الاربلي سالف الذكر، وانه طبع بالقاهرة وليس بالاسكندرية)، ومن الارابلة المتأخرين أيضاً، نوري بن اسماعيل الشيرازي الاربلي المتوفى في سنة ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م، وهو مؤرخ من أهل بغداد شارك في بعض العلوم، وقد عين عميداً لكلية دار العلوم ببغداد، وله مؤلفات في التاريخ والفلسفة (معجم كحالة ١٣ / ١٢٣). ويذكر المرحوم العزاوي (مجلة المجمع ص ١٤٩) ان من الارابلة من برز في العهد العثماني كشعراء باللغة التركية، منهم

غريبي الاعمى ويعقوب بيات الاربلي، ويستدل من ذلك على أن جذوة العلم والادب باريل لم تخب حتى في عصور التخلف.

هذا ومما يجدر ذكره في هذا الصدد، ان حماس الارابلة للعلم والرحلة في طلبه، لم يقتصر على العلماء وحدهم، وانما شمل تجارهم أيضا. فهذا مبارك الشعار الاربلي المتوفى بالبصرة في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م والذي كان يضرب في الارض طلبا للرزق، لم ينس نصيبه من سماع الحديث باريل وبغداد والبصرة ودمشق ومصر، بل انه صار يُسمع الحديث (مخطوطتنا ورقة ١٥٥ ب)، وأحمد بن شجاع بن منعة الاربلي، وكان بقالا ثم طلب الحديث وانقطع اليه (مخطوطتنا ورقة ١٠٩ ب). وهذا عبد الرحمن بن بلال الصفار الاربلي - وكان أبوه يبيع الصفر - يسافر الى خراسان في الطلب، ثم يعود الى بلده ليتولى القضاء في بعض أعمال إربل (المصدر السابق ورقة ١٧٨ أ). وقد ذكر ابن الفوطى (معجم ٢ / ٩٨٦) أدبيا إربليا هو عبد الرحمن ابن عثمان الاربلي، وكان له دكان يبيع فيه البز باريل. ولا ننسى أسعد بن ابراهيم الاربلي النشايي الذي كان يعمل النشاب باريل، فتركه ورحل في طلب العلم والأدب. وعندما عاد الى إربل تولى كتابة الانشاء لملكها كوكبوري، وكان لسانه المعبر عند زيارته للخليفة في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م (ذيل اليونيني ١ / ١١١ - ١٢٣). وهناك القاسم بن أبي بكر الاربلي المعروف بالمقري، ولد باريل وكان من أعيان التجار، ويتردد الى مصر وبلاد العجم وخوارزم، وقد سمع «صحيح مسلم» بنيسابور وتوفي بدمشق في سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م.

ثم ان هذا الحماس للعلم قد شمل الغني والفقير على السواء، إذ يحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٢٧ أ) عن العباس بن بزوان الشيباني الاربلي الذي سمع معه الحديث، بأنه كان دقيق الحال لا يملك خبز ليلة وانه سافر الى الموصل وبغداد في طلب الحديث. وملاحظة أخرى أود الإشارة اليها، هي بأنه كان بين الارابلة بعض المتصوفة أيضا. هناك مثلا الشيخ عمر بن يعقوب بن عثمان الاربلي الذهبي الصوفي المتوفى في سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م (تذكرة الذهبي ٤ / ١٤٦٨) وأبوطاهر بن حسن الاربلي الذي لبس خرقة التصوف من شيخه عدي بن مسافر، وعاش أكثر من ١٥٠ سنة وكان حيا في سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م (عقد الفاسي ٨ / ٥٥)، ومحمد بن طلحة بن عبد العزيز الاربلي

الصوفي الذي ذكره ابن الفوطي (معجم ١ / ٤١١). ومن الطبيعي ان نتذكر هنا اربليا تولى مشيخة الصوفية بمكة هو الخضر بن علي الاربلي (راجع ص ١١١ من هذا البحث). هذا وقد وردت في ثنانيا «تاريخ إربل» لابن المستوفى اشارات كثيرة الى أسفار الارابلة وانتشارهم في مختلف انحاء العالم الاسلامي، ولن رام المزيد عن هذا الموضوع فليراجع (مخطوطتنا ورقة ١٠ ب و ١١ أ و ٤٨ ب و ٨٤ ب و ٨٥ أ و ٩٩ أ و ١٠٠ أ و ب و ١٤٤ ب و ١٤ أ و ١٥ ب و ١٧٣ أ و ١٧٤ أ و ١٧٥ ب و ٢٢٧ أ).

ولعل من الطريف ان نذكر بان إربل قد أخرجت غير العلماء والأمراء، من ذلك ما ورد في «الحوادث الجامعة» (ص ٢٣٤) عند الحديث عن أحداث سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م، من أن في تلك السنة سعى على ابن الاربلي من دقوقا الى بغداد، فوصلها بعد العصر، وفضل على معتوق الموصل بنصف ساعة. فكافأه الخليفة بجوائز كبيرة واحتفل بفوزه.

ويذكر مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ٢٤٨) في أحداث سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م بأن «عالي بن زخريا اليهودي الاربلي» قد عُيّن رأساً للمشيخة الدينية لليهود، وهو يتولى زعامتهم والحكم بينهم. وجاء في حوادث سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م (المصدر السابق ص ٣٥٤) بأن الجاثليق «مر مليخا» زار سلطان المغول، ثم عاد عن طريق إربل فبنى بقلعتها بيعة، وعند وفاته عُيّن بمكانه «ماردنحا الاربلي» (انظر كتاب Frey ١ / ٧٧).

كذلك فان اربل قد أخرجت بعض المغنين، وقد ذكر أحدهم ابن المستوفى (مخ ورقة ١٢٤) وهو صدقة بن محمد الذي ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٣ ورقة ٨٢). وذكر لنا ابن خلكان (١ / ٢٨٢) مغنيا إربليا آخر هو الشجاع جبريل ابن الاواني، الذي تألق في عالم الغناء الى درجة ان أحد السامعين لغنائه، تواجد ثم أغمى عليه ومات. وكان ذلك في سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م، عندما كان ابن خلكان لا يزال يقيم باربل.

٩- هل كان باربل مكتبة عامة؟

على الرغم من خلو المراجع المتيسرة لنا، من ذكر وجود خزانة كتب عامة باربل، الا ان الذي لا شك فيه هو ان إربل كانت زاخرة بالكتب سواء في المدارس أو في دار الحديث، أو في المكتبات الخاصة. ولعل أسطع دليل على ذلك هو ان ابن المستوفى ذكر

في الجزء الذي بين أيدينا من «تاريخ إربل» عدداً كبيراً من أسماء الكتب التي أطلع عليها. ثم انه أشار الى معلومات لم يذكر مصدرها، وانما جاء بها من ذاكرته، ولابد انه قرأها في كتاب سها عن باله ذكر اسمه. من ذلك مثلاً روايته بيت شعر للأسود بن يعفر - دون ذكر مصدره - لم أجده الا في «المفضليات» (ص ٤٤٩ برقم ٤٤، انظر مخطوطتنا ورقة ١١٦٥)، فلعل ابن المستوفى قد اطلع على هذا الكتاب ونقل عنه. ولقد ذكر ابن خلكان (٢٩٧/٣) ان ابن المستوفى نفسه كان عنده من الكتب النفيسة شيء كثير. ويذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٠) انه بعد دخول جيش الخليفة الى إربل انقطع ابن المستوفى في بيته ملازماً مطالعة الكتب والتأليف ويحدثنا ابن المستوفى أيضاً (مخ ورقه ١٧٧ ب) بأن صدقة الكتبي كان يرد من بغداد الى إربل ليبيع الكتب فيها، ويذكر (مخ ورقة ١٢٢ ب) بأن السنهوري المصري، عندما جاء لزيارة كوكبوري طلب منه ٥٠٠ دينار لشراء الكتب، والتمس أن يكتب بذلك الى بغداد. وفي هذا الدليل الواضح على ان إربل كانت سوقاً للكتب، وان لها صلات منظمة مع باعة الكتب ببغداد.

ولقد هدفنا من إيراد هذه الملاحظات، التنبيه الى سبب آخر من أسباب الازدهار الثقافي بإربل، والمشجعات التي كانت تحمل الوافدين على ورودها. والظاهر ان الكتب كانت تصل إربل بسرعة عجيبة، فلقد اطلع ابن المستوفى مثلاً على كتاب «معجم الادباء» لياقوت (مخ ورقة ١٥٧ ب - ١٥٨ ب) ونقل لنا مقدمته، وقد توفي ياقوت قبل وفاة ابن المستوفى بأحدى عشرة سنة. ونقل ابن المستوفى عن «ذيل تاريخ بغداد» لمعاصره ابن الديبشي، وقد توفي في سنة واحدة، ويبدو ان تنقل المؤلفين مع مسودات مصنفاتهم، كان يتيح الفرصة لزملائهم كي يطلعوا عليها. فقد ذكر ابن المستوفى ان ياقوت أطلعه على معجمه آنف الذكر، وان ابن الديبشي عندما ورد الى إربل وأطلع مؤلفنا على كتابه وجد فيه بعض المعلومات عن بعض الاربالة ممن يهمه أمرهم، فنقلها عنه (مخطوطتنا ورقة ٨٤ ب - ٨٥ أ و ٩٣ أ).

وكان بعض الوافدين على إربل يصلون ومعهم الكتب التي قرأوها أو سمعوها، موشحة بتلك السماعات، من ذلك مثلاً ان محمد بن عبد الرحيم اللارجاني الذي ورد إربل في سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م، كان معه كتاب «المفصل» للزمخشري، وعليه خط مصدق ابن شبيب بقراءته عليه (مخطوطتنا ورقة ١٤٢ أ).

الفصل السادس

حكومة الولاية الاربلية

لم تكن إربل دولة كاملة السيادة بالمعنى القانوني المصطلح، وإنما هي ولاية من الولايات التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي، بعد أن اعتري الضعف مركز الخلافة - رغم بعض المحاولات التي وقعت في عهد الناصر وخليفته المستنصر لاستعادة هيبة الخلافة، وبسط سلطانها على الاقاليم القريبة من بغداد على الاقل - (الحوادث الجامعة ص ٢٤ و ٥٢ و ٦٠ و ٩٠ وأخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٩ ومراة السبط ٨ / ٤٠٦ و ٣٧٧). وقد سجل لنا التاريخ ذكر عدد من تلك الولايات، كالموصل وسنجار وماردين والجزيرة و حلب وامثالها (مراة السبط ٨ / ٥٤١)، والتي كانت تسمى أحياناً بـ «ممالك الاطراف» (ذكر ابن المستوفى مخ ورقة ٥١ أ عن أحد مترجميه بأنه «اشتغل في آخر عمره بالترسل من وال الى وال بالاطراف» وذكر ابن واصل في «مفرج الكروب» ١١٧ / ٢ وتابعه الجميلي في «الاتابكة» أن صلاح الدين سمي هؤلاء «ملوك الاطراف» بينما ذكر ابن الاثير في الكامل ١٢ / ٢٨ - ٣٠ و ٦٥ وتابعه الجميلي «المصدر السابق ص ١٦٤ و ١٧٠ و ١٧١» بأن صلاح الدين سماهم «أصحاب الأطراف» (في الحقيقة أن المؤرخين لم يلتزموا باستعمال لفظ واحد في هذا الصدد فخذ مثلاً ابن الاثير (أتابكية ص ١٤٣ - ١٤٤) فإنه يسمي مملكة عماد الدين زنكي على سعتها - «ولاية»، ومثل ذلك بالنسبة لمملكة ولده نور الدين (المصدر السابق ص ٣٠٣)، وأشار الى الموصل على أنها «ولاية» (المصدر السابق ص ١٥٥ - ١٥٦) وفعل مثله سبط ابن الجوزي (مراة ٨ / ٣٢٣ - ٣٢٤). إلا ابن الاثير (المصدر السابق ص ١٦٩) يعود فيطلق اسم «مملكة» على هذه الولاية نفسها.

وما تقدم - في اعتقادي - يصدق على إربل ايضاً، وقد حماها شيخ الرتبة (نخبة الدهر ص ١٩٠) «مملكة قائمة بنفسها». أقول على الرغم من ذلك ومن تسمي كوكبودي بـ «الملك المعظم والسلطان»، لا سيما بعد أن خلع عليه الخليفة خلع السلطنة، فإن إربل ليست سوى «ولاية»، وقد سماها ابن المستوفى بالفعل «الولاية الاربلية» وسمى صاحبها

بالمثولي (مخطوطتنا ورقة ٧٧ب و ١٧٨أ و ١٧١ب) وهو أدرى من غيره بالاسم الصحيح. وقد سماها البعض «أتابكية إربل»، ومن هؤلاء «لين بول» في كتابه «السلالات الحاكمة الإسلامية» (ص ١٦٥)، وزمباور في كتابه «جداول الحكام المسلمين» ص ٢٢٨، وتابعهم زكي (تاريخ الكرد ص ١٥٢ حاشية)، وحسين أمين (العراق في العصر السلجوقي ص ٢٠٩ و ٢١٢) أما المرحوم العزاوي فإنه استعمل تسمية «إمارة إربل» مناعدا مرة واحدة فقط حيث سماها «أتابكية». إلا أن هذه التسمية ليست صحيحة، لأن آل بكتكين لم يكن أحد منهم أتابكة لأحد من الأمراء الزنكيين أو الأيوبيين أو غيرهم، ولم يتلقبوا - على قدر علمي - بهذا اللقب (فما يتعلق بمعنى «أتابك» راجع «أتابكية ابن الأثير» ص ١٢٦ و ١٥٢، و«صبح الاعشي» ١٨/٤ و «أتابكية الجميلي» ص ٢٧). لكن مجاهد الدين قايمان أصبح - بعد وفاة زين الدين علي - أتابكة لأولاده الصغار، وفقا لما ذكره ابن خلكان (٢٩٣/٤)، إلا أن هذا لا يستوجب تسمية إمارة إربل «أتابكية». هذا وقد وردت تسميتها «إيالة» في قصيدة نظمها شاعر بغدادى في مدح كوكبوري (مخطوطتنا ورقة ١٥٦ ب)، ويبدو أن الإيالة بمعنى «الدولة» كان معروفا لدى المسلمين في العصور الوسطى، وقد كان مستعملا بهذا المعنى في المغرب والاندلس (كناسة الدكان ص ٦١).

١ - إقليم إربل:

قبل الكلام على تركيب الحكومة الإربلية، أرى من المفيد القاء نظرة سريعة على التكوين الجغرافي لتلك الولاية، ليتسنى لنا معرفة مدى سعتها والمدن التابعة لها، لأن ذلك يعطينا فكرة عن القوة التي كانت تتمتع بها والموارد التي تُجلب إليها. إذ لا يخفى أن أهمية الدولة - أية دولة ولا سيما في ذلك العصر - تقوم بالدرجة الأولى، على سعة الرقعة التي تحكمها، وما يتوفر فيها من موارد طبيعية، علاوة على السكان. وهذا هو السبب في حرص الحكام، وخاصة حكام ذلك الزمان، على أخذ أكبر عدد ممكن من المدن، لأنها كانت هي المراكز التي يحتشد فيها السكان، وتتجمع فيها الثروات، وما إلى ذلك من أسباب القوة. وفيما يأتي ذكر للمدن والقرى التي استطعت استقصاؤها

١ / شهرزور:

ذكرها ياقوت (بلدان ٣ / ٢٤٠) وابن عبد الحق (مراصد ٢ / ١٣٦)، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان، وأنها في الصحراء، وعليها سور سمكة ثمانية أذرع، وقال ابن خلكان (٣ / ٢٣٣) أنها بلدة كبيرة من أعمال إربل، بناها زور بن الضحاك، وقال زكي (تاريخ الكرد ص ٨ و ١٣٣ و ١٦٦ و ٢٠٩ و ٢٣٦) بأنها تسمى الآن «ياسين تبه» أي «تل ياسين»، وأن العرب دخلوها قبل الاسلام، وبعد الغزو المغولي في القرن الثالث عشر الميلادي، هاجر أهلها الي الشام ومصر. وقد كان لها في العهد العثماني حاكم بسط سلطته على إقليم يحمل اسمها، وكان من الاقاليم المهمة لتاخمته للحدود الايرانية (انظر بلدان ابي الفداء ص ٤١٢ - ٤١٣ والعراق في العصر السلجوقي لحسين أمين ص ٣٤٥ ومقال توفيق وهبي في مجلة سومر - العدد ١٧ لسنة ١٩٦١م).

ويبدو ان شهرزور كانت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي في أوائل القرن السادس الهجري، وكان لها حاكم تركماني اسمه «قفجاق بن أرسلان تاش»، وكان يسيطر على الجبال القريبة منها، وكان مرهوب الجانب لحصانة بلاده. الا ان عماد الدين زنكي رأى ان من المصلحة، بعد استيلائه على قلاع المنطقة الشمالية للعراق، في سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣م ان يضم هذا الاقليم الى مملكته، فجرد عليه حملة عسكرية في سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٩م، وتمكن بعد قتال ضار من فتحه (الباهر لابن الاثير ص ٥٧ والعراق في العصر السلجوقي ص ٢٤٥). وقد أقطعه زنكي لولده سيف الدين غازي، الذي بقي في شهرزور حتى سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥م، عندما توفي أبوه، ودُعي هو لحكم مملكة الموصل (الباهر ص ٨٥).

وقد أصبحت شهرزور - فيما بعد - جزءاً من إقطاع زين الدين علي الذي عين نائباً عنه يتولى حكمها هو الأمير بوازن (الباهر ص ١٠٨ - ١٠٩). وفي شهرزور - تصدى زين الدين علي، كما مر معنا، لسليمان شاه السلجوقي في سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦م، فقبض عليه، وفي سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧م، تخلى زين الدين، كما سبق وبيننا - عن جميع إقطاعاته بما فيها شهرزور، مكتفياً بإربل وحدها، فعادت الى تبعية الموصل رأساً، فأقر

قطب الدين صاحب الموصل الأمير يوازن سالف الذكر على الاستمرار في حكمها (الباهر ص ١٣٥ - ١٣٦). ويبدو ان خصومه نشأت بين محمد بن يوازن المذكور ومجاهد الدين قايمان النائب بابل، ولعل سببها هو الاحتكاك الناشيء من تجاوز الامارتين، ويقول ابن الاثير (الباهر ص ١٧٨ والكامل ١١ / ٢٩٠) في الصدد، ان شهرزور كانت في سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م تابعة لصاحب الموصل، وان صاحبها شهاب الدين محمد بن بوزان، قد أعلن عصيانه على سيف الدين في تلك السنة، خوفاً من مجاهد الدين الذي كان يتصرف بالملكة الاتاكية، الا ان الامر قد سؤى بما يبقي شهرزور تابعة للموصل والظاهر ان شهرزور ظلت تابعة للموصل، إذ كانت في سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م تحت يد مجاهد الدين قايمان، الذي كان نائباً لصاحب الموصل. ويبدو ان عز الدين مسعود حاكم الموصل، أراد استردادها لنفسه، بعدما قبض على قايمان في تلك السنة (الباهر ص ١٨٣ - ١٨٤ والكامل ١١ / ٣٢٩) وبذلك ضمن استمرار تبعيتها للموصل حتى سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م، عندما حاصر صلاح الدين الموصل وأخفق في أخذها، إذ تم الصلح بينه وبين صاحب الموصل على شروط، منها التنازل لصلاح الدين عن شهرزور وأعمالها وولاية «قالي قلا» وما وراء الزاب إلخ.. وقد عين بالفعل واليا عليها من قبله (مخطوطتنا ورقة ١٩٨ ب وابن خلكان ٦ / ١٧٢)، الا ان صلاح الدين ما لبث أن ضمها الى كوكبوري في سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م وفقاً لما ذكرنا في موضعه وذكر ياقوت (بلدان ٣ / ٣٤٣) أن شهرزور وتوابعها، كانت في عهده، في طاعة كوكبوري صاحب إربل. والظاهر انه كان يتفقدها بين حين وآخر، إذ ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٢ أ وب) بأنه وكوكبوري كانا فيها في رجب من سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م. وذكر ابن خلكان (٤ / ٢٩٥) ان عماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه، صاحب الموصل وزوج ابنه كوكبوري، كانت له العمادية والعقر ثم انتزعتا منه.. إلخ، وقد قايسه كوكبوري عن العقر بشهرزور (ذكر سبط ابن الجوزي في مرآته ٨ / ٥٤٦، بأن نور الدين أرسلان شاه المذكور أوصى، قبيل وفاته في سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م لولده الثاني عماد الدين زنكي بشهرزور. أقول وهذا غريب جداً لان شهرزور - كما أوضحنا - كانت تابعة لكوكبوري) وأعمالها فانتقل اليها وأقام بها الى أن توفي في حدود سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م. وقد

خلفه في حكمها ولده أرسلان شاه، وقد سماه الصفدي (الوافي ٨ / ٣٤٣) بالسلطان، وذكر قدومه الى بغداد بعساكره لنصرة الاسلام ومحاربة التتر. وقد توفي بشهرزور في سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م. أقول أن شهرزور بعد وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م أصبحت تابعة للخليفة وهذا هو سبب قدوم أرسلان شاه بعساكره الى بغداد.

هذا وقد برز من أهل شهرزور أسير فاضلة، منهم آل الشهرزوري المعروفين، ويؤنصرون قضاة الشام (بلدان ياقوت ٣ / ٣٤١ وصبح الاعشي ٤ / ٣٦٦ وكتاب Ainsworth ص ٢٤٨).

ب/ الكرخيني:

وصفها ياقوت (بلدان ٤ / ٢٥٧) بأنها قلعة في وطأ من الأرض حسنة حصينة بين دقوقا وإربل، وقد رآها على تل عال ولها ريبض صغير. ويرى بعض المؤرخين أنها هي كركوك الحالية، إذ يصدق عليها وصف ياقوت، وقد نوه بذلك مؤلف مقال «الموسوعة الاسلامية» (٢ / ١٠٢٧)، وكذلك المرحوم العزاوي (مجلة المجمع مج ٢٢ لسنة ١٩٤٧، عدد أيار - حزيران ص ٢٢٨). أما Fiey (٣ / ٤٣ - ٤٤) فإنه يرى بأن الكرخين هي «قوريه القديمة» أي كركوك الحالية وقد ذكر أمين زكي (تاريخ الكر ص ٩٠ و ٣٨٣) «كارخي» وقال انها منطقة شهرزور كما ذكر «بلاد الكرخين»، وقال انها تقع بين كركوك وطاووق.

وعلى كل حال، فإن منطقة كركوك الحالية، كانت في القرن الثاني عشر الميلادي تابعة لآل بكتكين، وانها استمرت تحت حكمهم حتى وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م، وعندما أصبحت تحت سلطة الخليفة مباشرة. ثم سقطت بعد ذلك في أيدي المغول (الموسوعة الاسلامية ٢ / ١٠٢٧). أما «الكرخيني» فقد كانت تابعة لاربل، وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٤٥) عن عدي بن مسافر بأنه «ورد إربل وأقام بالكرخيني»، مما يفيد بأن عديا ورد ولاية إربل وأقام بمدينة الكرخيني الواقعة ضمنها. كذلك أورد ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٢٧ ب) شعراً في مدح كوكبوري، وقد نوه فيه ناظمه فيه باخلاص والي الكرخيني لكوكبوري، وأشاد بحرصه ويقظته. وذكر اليونيني (ذيل المرأة ١ / ١١٣)

بأن كوكبوري عندما غضب على كاتبه المجد النشابي في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م، حبسه بقلعة الكرخينى، إقول وهذه أدلة واضحة على تبعيتها الى إربل، ويبدو انها كانت أكثر من قلعة، بل انها كانت مدينة، لان لها واليا وقاضيا وخطيبا لصلاة الجمعة، مما لا يتوفر عادة الا في المدن، بل ان إقامة عدي بن مسافر بها تدل على وجود رباط صوفي فيها أيضا، (انظر مخطوطتنا ورقة ٢٩ ب وه ٤٤ و ٢٢٧ ب و ٢٣١ أ، كتاب أسامة بن منقذ «المنازل» ص ١١٨).

ت / دَقَوْقَاء:

ذكر ابن الاثير (الباهر ص ١٨٣) ان مجاهد الدين قايمان، نائب صاحب إربل، كان بيده في سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، دقوقا علاوة على إربل وشهرزور. وقد ذكرها ياقوت (بلدان ٢ / ٥٨١) وقال انها مدينة بين إربل وبغداد).

ث / حزة:

ذكرها ياقوت (بلدان ج ٢ ص ٢٥٦ و ٢٦٢) وقال انها بليدة قرب إربل، وكانت قصبة كورة إربل قبل. ولقد سبق وذكرنا بأن حزة هو الاسم الذي كان يطلق على منطقة إربل كلها، وقال عنها انها اشتهرت بالنصافي وهي ثياب قطنية تصنع من القطن المحلي.

ج / مُشْتَكَاہَر MUSH TAKAHAR

ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩٨) مدينة بهذا الاسم، أو باسم «مشكبهر أو مشكور»، وقال انها من توابع الولاية الاريلية، ويبدو انها قريبة من أذربيجان، أو انها من أرض أذربيجان نفسها. فقد ذكر ياقوت (بلدان ٢ / ٩٠٢) بأن الزاب الاعلى بين الموصل وإربل، مخرجه من بلاد مشتكهر، ما بين أذربيجان وبابغيش (BĀBGHISH) وهو ما بين قطينا والموصل (انظر بلدان الخلافة الشرقية ص ٩٠ لوسترانج). وبابغيش هذه ناحية بين أذربيجان واربيل، يمر بها الزاب الاعلى (بلدان ياقوت ١ / ٤٤٦).

ح / رازيان:

ورد في «ذيل طبقات الحفاظ» (ص ٢٢٠ و ٢٧٠)، بأن الحافظ الشهير عبد الرحيم بن

الحسين العراقي، قدم أبوه من بلدة «رازيان» من أعمال إربل. الا انني مع الاسف لم أجد لهذه المدينة ذكراً في المعاجم الجغرافية.

خ / خُفْتِيذْكَان:

قال ياقوت (بلدان ٢ / ٤٥٦) انه اسم لقلعتين تدعيان «خُفْتِيَان» وهما قلعتان عظيمتان من أعمال إربل، إحداهما على طريق مراغة، ويقال لها «خفتيان الزُّزاري»، على رأس جبل ومن تحتها نهر عظيم وسوق وواد كبير. والآخرى «خفتيان سُرخاب بن بدر»، في الطريق بين شهرزور وإربل، وهي أعظم من الاولى وأفخم. وقد ذكر ابن الاثير (كامل ١٢ / ٣٦) هذه القلعة وتبعيتها لإربل، وذكر ان صاحبها الامير «بلداجي» كان من امراء زين الدين يوسف، وقد كان بين امرائه الذين قبض عليهم كوكبوري تحوطاً عند وفاة أخيه يوسف في سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م.

والجدير بالذكر ان قلعة «خفتيذكان» كانت تابعة للامير سرخاب بن بدر بن مهلهل، وقد ذكر ابن الاثير (كامل ١٠ / ٢٣٨) نزاعاً وقع بشأنها في سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م.

د / كَفْرَعَزَا:

كانت قرية وفقاً لما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٣١ ب و ٣٢ ب و ٣٦ أ و ١٠٠ ب و ١١٧ هـ)، وقد ذكرها ياقوت وابن عبد الحق (بلدان ٤ / ٢٩٠ ومراصد ٢ / ٥٠٤) وقالوا انها من قرى إربل، تقع بينها وبين الزاب الاسفل، وينسب اليها قاضي إربل. أقول والمقصود طبعاً هو جعفر بن محمد الكفرعزي الذي كان قاضي إربل في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م. كذلك ذكر ابن المستوفي بعضاً من أهلها (مخ ورقة ٣١ ب و ١٠٠ ب). والظاهر انها كانت قرية كبيرة فيها جامع، له متول وأوقاف (المصدر السابق ورقة ٣٣ ب و ١١٧ هـ) وهذا الجامع بناه الغضنفر بن ناصر الدولة الحمداني، وفقاً لما ذكره ابن المستوفي.

ذ / باصيدا:

لم أهتم الى ذكر هذه القرية في المراجع الجغرافية المتيسرة، ولكن Fiey (١ / ١٧٣)، ذكر قرية نسطورية تقع في جنوبي إربل تسمى BÉT SAYYIDA أو BÉT SAYYADÉ، أي

قرية الصيادين. وقال انها كانت في القرن الثالث عشر الميلادي تعود لابرشية اليعاقبة،
وان آخر ذكر لها في الكتابات اليعقوبية ترجع الى سنة ١٣١٧م.

وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٠٤ وب ١٢٣١) هذه القرية أكثر من مرة، وذكر ان
سُرْفَتَيْن الزيني نائب إربل ابتنى بها مسجداً جامعاً ذا منبذنة في سنة ٥٦٢ هـ/
١١٦٦م وقد حاول النصارى من أهلها رشوته لكيلا يبني المسجد قرب كنيستهم، الا انهم
اخفقوا. ويبدو ان ابن المستوفي قد زار المسجد ونقل بعض الكتابات من حائطه.

د/ حبتون:

ذكر ياقوت وابن عبد الحق (بلدان ٢/ ١٩٣ ومراصد ١/ ٢٨٣) حبتون على انه جبل
بنواحي الموصل. وذكره أمين زكي (تاريخ الكرد ص ٣٨٤) وسماه «تل حفتون»^(١)، وقال
انه من المدن التي أضافها المغول الى عاملهم على إربل، المدعو «مبارز الدين كك»
الكردي. والظاهر ان اسم «حبتون» كان يُطلق على المنطقة الجبلية الواقعة شرقي إربل
(Fiey ١/ ٤٠) وقد عقد Fiey فصلاً عن تلك الجبال. اما ابن المستوفي (مخ ورقة
١٣١ب و١١٣٣أ)، فقد سماه «بلد حبتون»، وذكر انه كانت فيه قرية تسمى «منارة»، ثم تغير
اسمها بعد ان سكنها أحد الزهاد واسمه «عيسى لل» الذي كان له فيها خانقاه فصارت
تسمى «عيسى للان». وذكر ان فيها جامعاً كان يسمى جامع منارة، وقد تم فيه سماع
كتاب ديني في سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م والجدير بالذكر أن Fiey (٢/ ٤٦٣) ذكر وجود
قرية قرب يعشيقا تسمى «ارض منارة»، كان فيها جامع في سنة ١٨٥٣م، وقد اقيم هذا
الجامع على انقاض جامع قديم. أقول لعله هو المقصود. وذكر عباس العزاوي في كتابه
«عشائر العراق» وجود قرية في قضاء مخمور التابع لمحافظة إربل تسمى «كرد منارة»
(ج ٤ ص ٢٣٦) لعل لها علاقة بالموضوع المذكور.

ز/ بين الجبلين:

هذا موضع ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٩ب ١٧٢ب)، على انه يقع في منطقة

(١) وسماه ياقوت بهذا الاسم وقال انه يقع على طريق القوافل بين إربل واذربيجان (معجم البلدان ج
٢ ص ٤٥).

إربل، ونسب اليه أحد مترجميه. وذكر أيضا ان فيه قرية تسمى «بشيران» وفيها دفن طه بن بشير الاربلي إمام الحرم المكي وقاضيه، الذي كان حيا في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م. ولكن هذا الموضع لم يتعرض له أحد من الجغرافيين - على قدر علمي - وقد ذكر ياقوت (بلدان ١ / ٦٣٥ و ٢ / ٩٥٧) قلعة «بشير»، وهي من قلاع الاكراد البشنية، وتقع في نواحي «الزَّوْزَان»، أي بين جبال أرمينية و خلاط واذرييجان وديار بكر والموصل (انظر أيضا شذرات ٥ / ٢٤٥).

س/ قرية الصوامع:

ليس لهذه ذكر في المراجع المتيسرة، الا ان ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٦ أ و ١٤٦ ب) ذكرها على انها تابعة لاربيل، وذكر ان فيها جامعا، وقد نقل عن حائطه كتابة مؤرخة في سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م، وانه هو نفسه زار قبر أحد الزهاد المدفونين بها.

ش/ قرية خلكان:

ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٣٧ ب) ان هذه القرية منسوبة الى أحد أجداد عمر بن ابراهيم بن خلكان. وقد ذكرها الاسنوي (طبقات ١ / ٤٩٥) وقال انها من قرى إربل. وأضاف محقق «طبقات الاسنوي» (المصدر السابق ١ / ٤٩٥ حاشية) قائلا بان القرية لازالت موجودة، ولكنها تابعة للواء السليمانية وليس لاربيل.

ص/ قرية جبريلاباذ:

ليس في المراجع الجغرافية المتيسرة ذكر لهذه القرية، الا ان ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧١ ب) ذكرها دون أية تفاصيل وقد ذكر ابن خلكان (٣ / ١٧٢) ان بمدينة إربل محلة يقال لها «قرية جُبَّهْريل» بالتصغير، وقال نقلا عن القسم المفقود من «تاريخ إربل» انها منسوبة الى جبريل جد الشاعر عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل الاربلي المعروف بالحاجري أقول فلعلها هي القرية المقصودة.

ض/ كويران:

ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٢١ ب) بأنها قرية من قرى إربل، سكنها أحد القادمين

الى إربل، وهو محمد بن إبراهيم الاشنهي، الذي صار خطيباً بها. وقد كان هذا حياً في سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٨ م. وذكر ابن المستوفي أيضاً بأنه لقي خطيبها الذي كان معاصراً له. غير أنني لم أجد لها ذكراً في المراجع المتيسرة.

ط/ بيت كور:

ذكرها ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢٢) في ترجمة محمد بن إبراهيم الاشنهي أنف الذكر، ونقل من خطه أسماء المقطعين لبيت كور. ولكنه ليس واضحاً عما إذا كانت هذه القرية وكويران السابقة لها شيئاً واحداً أم لا. علماً بأنني لم أعثر على ذكرها في أي مرجع تيسر لي.

ظ/ سارو:

وهي قلعة ذكرها ابن الاثير (كامل ١٢ / ٣٢٢) في حوادث سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م، اذ قال بأن أحد التركمان اعتدى على قلعة «سارو» التي كانت تابعة لاربيل، وقد قُتل عندها أحد امراء كوكبوري، واسمه عز الدين الحميدى، وأن كوكبوري حاول استرداد القلعة ولم يفلح، لحصانتها فتركها.

ع/ برقوقطا:

ذكرها مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ٣٩٨)، اذ قال ان رجلاً نصرانياً اسمه مسعود البرقوقطي، وهو من قرى إربل عُين والياً على الموصل، وان الباباء عَزَل عن إربل في سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م وانها أُضيفت الى الموصل تحت حكم مسعود المذكور.

غ/ دربند قرابلي وبنو قفجاق:

ذكر ابن الاثير (كامل ١٢ / ٢٧) بأن صلاح الدين ضم الى كوكبوري «دربند قرابلي وبنو قفجاق». ولقد حاولت الامتداء الى هذا الموضع فلم أوفق. وقد ذكر ياقوت (بلدان ١ / ٤٧٧ و ٢ / ٥٦٤) موضعاً اسمه «دربند» وهو باب الابواب، وقال انه مدينة على بحر الخزر، وهي أكبر من أردبيل ولكنها ليست الموضع المقصود، على ما أظن، ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان ابن خلدون (تاريخ ٥ / ٥٨٣ ط الزين) ذكر بأن صلاح الدين

طالب صاحب الموصل في سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م ان يتنازل له عن شهرزور وولاية «الفراتلي» وما وراء الزاب، وقد سمى ابن خلكان (١٧٢ / ٦) هذه المنطقة «قالى قلا»، أقول وهذه - على ما يبدو - هي الولاية التي ضمها صلاح الدين الى كوكبوري، والمعروف ان بني قفجاق كانوا يحكمون شهرزور - كما أسلفنا - وان شهرزور نفسها التي تنازل عنها صاحب الموصل لتكون من ممتلكات صلاح الدين، وقد أعطاها هذا الأخير فيما بعد الى كوكبوري، وعليه فان من المرجح ان المقصود هنا هو اقليم شهرزور.

ف/ بيت النار:

قال ياقوت (بلدان ١ / ٧٨١) انها قرية كبيرة من قرى إربل من جهة الموصل، بينها وبين إربل ثمانية أميال، والظاهر ان الاسرى الذين كان يجرى فكاكهم من أيدي الافرنج بأموال كوكبوري، كانوا يجتمعون في هذه القرية، ويقيمون بها مدة قبل السماح لهم بدخول المدينة (مرآة السبط ٨ / ٦٨٠ - ٦٨٢ وموسوعة البستاني ١ / ٧٧١).

ق/ شَقْلَاوَة:

وهي مدينة شَقْلَاوَة الحالية. ذكرها ياقوت (بلدان ٣ / ٣٠٨) وضبطها على ما اثبتنا أعلاه، وقال انها قرية كبيرة مليحة في لحف الجبل المطل على إربل، ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة، ينتقل عنبها الى إربل طيلة العام، فيكفي أهلها. بينها وبين إربل ثمانية فراسخ.

ك/ قلعة هَرُور:

ذكرها ياقوت (بلدان ٤ / ٩٧٠) وقال انها حصن من أعمال إربل، يقع في جبالها من جهة الشمال، وكانت منطقة غنية بمعدن الحديد ومعدن المومياء (وهو نوع من القار - أى الاسفلت). وقد ذكر ابن الشعار (مخطوطة استانبول ٤ ورقة ٢٠٠) بان كوكبوري سجن في هذه القلعة وزيره علي بن شماس الخزرجي.

ل/ القنطرة:

قرية من سواد إربل منها الشاعر عبد الرحمن بن منصور القنطري (ابن الشعار ج ٣ ورقة ٢٤٥ ب).

وخلاصة القول ان إربل - كما يتضح مما تقدم - كانت ولاية واسعة نسبياً، واطنّها كانت تشمل في الغالب، ثلاثة من ألوية العراق الحالية وهي إربل وكركوك والسليمانية. ولعل هذا الاتساع يفسر لنا الثراء الذي كانت عليه إمارة إربل في عهد كوكبوري، الذي كان ينفق بسخاء منقطع النظير.

٢ - الجهاز الحكومي لولاية إربل:

كان لإربل، ولا شك، حكومة منظمة وفقاً لتنظيمات ذلك العصر، وكان لكوكبوري ديوان أو دار للسلطنة قائماً في قلعتها (مخطوطتنا ورقة ٣٤ ب). وكان كوكبوري يلقب بالملك المعظم والسلطان وملك الأمراء - راجع ترجمته في موضع آخر من هذا البحث). وهذا بطبيعة الحال يستتبع ان يكون له ما للملوك من موظفين وأتباع، كي تنتظم الإدارة ويسود العدل وتجبى الضرائب. ولكي نلم بشكل تلك الإدارة، ينبغي لنا ان نتحدث عن المناصب التي كانت معروفة آنذاك، وقبل ولوج الموضوع، يحسن بنا ان نشير الى نقطة مهمة، هي ان ضياع الجزء الأول من «تاريخ إربل» حرماناً من الاطلاع على ما كتبه ابن المستوفي عن المدينة نفسها، كتاريخ انشائها وأخبار حكامها، ومن تولى منصباً إدارياً فيها، وذكر أحيائها وأحوالها، مما هو مألوف عادة في تواريخ المدن، مثل تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر. فقد بدأ بتاريخ هاتين المدينتين وخططهما وما الى ذلك من المعلومات الأساسية.

ولذلك فان ما سنذكره عن إربل، يكاد يقتصر على عهد كوكبوري، أو العهود القريبة من عهده، وهو مستقى من المعلومات المتناثرة هنا وهناك، والتي بذلنا جهداً شاقاً في جمع شتاتها.

ونقطة ثانية أود الإشارة اليها، هي ان النصاري كان لهم دور غير قليل في حكومة إربل، إذ يحدثنا اليونيني (ذيل المرأة ١ / ١١٧) عن عزل مشرف ديوان إربل المدعو «يعقوب النصرائي» وتعيين نصرائيا آخر بدله، هو «المختص»، الأمر الذي يدل على سعة صدر كوكبوري وتسامحه مع النصاري، رغم تدينه الشديد.

أما بالنسبة للحكومة الأربلية نفسها، فيمكننا القول بأنها كانت تتمتع ببعض السمات التي كانت لحكومات العصر العباسي، فقد كان فيها الوزراء وكتاب الديوان والقضاة والمستوفون والحجاب والمحاسبون وأمراء الجيش ومستحفظو القلاع، كما كان فيها استاذ للدار وكتاب للطغرة وقد ذكر ابن الشعار (مخ استانبول - ١ ورقة ٧٢ و ٢١٣ و ٦ ورقة ١١٧ و ٩ ورقة ٩٤) بأن محمد بن اصطفان المتوفى في سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م، كان يتولى استاذية الدار لسلطان إربل، وأن هاشم بن عبد السلام الأربلي - وكان حيا في سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م - كان يكتب الطغرة لكركبوري ثم هاجر الى بغداد بعد هجوم المغول على إربل، وتولى هناك مناصب إدارية^(١). وذكر أيضا بأن إبراهيم بن المظفر، ابن أخى ابن المستوفي، كان يتولى التصرف لحاكم إربل، وأن أحمد بن علوي الأربلي المتوفى في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م، كان يتولى عملا ما للدولة المظفرية.

وهكذا كانت هناك مناصب كثيرة، لا سيما وأن رقعة الولاية كانت، كما أسلفنا واسعة تكاد تشمل ثلاثة الولايات من الولاية العراقية الحالية (أى إربل وكركوك والسليمانية)، وكان فيها عدد غير قليل من المدن المهمة والقلاع، مثل شهرزور والكرخيني وباصيدا وبالكبا وقلعة سارو وكفر عزا وغيرها. كذلك كان لها علمها الذي رسمت عليه صورة بازي (رسائل ابن الاثير، ص ٢٩٢).

وأقدم اشارة الى وجود منصب حكومي بإربل، هو ما ذكره ابن خلكان (٢٣٢/٣) من أن القاسم بن المظفر الشهرزوري الأربلي (جد آل الشهرزوري المشهورين) المتوفى بدمشق في سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م كان حاكما (أي قاضيا) بمدينة إربل مدة، وذكر ابن خلكان (٤٣٨/١) أيضا، نقلا عن المفقود من «تاريخ إربل» بأن الحسين بن علي الطغرائي الشاعر المعروف، والذي قتل في سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م، تولى الوزارة بمدينة إربل مدة، فمن هذين النصين يتضح لنا أن إربل شهدت وجوداً حكومياً منظماً في القرن

(١) وذكر ابن شاکر الکتبی بأن الطغرائی قد تولى الوزارة بإربل (عیون التواریخ، بغداد ١٩٧٧ م ج ١٢ ص ٩٣).

الخامس وأوائل القرن السادس الهجري، ولعلها كانت تتمتع بشيء من هذه التنظيمات قبل ذلك بكثير وإن أخبارها لم تصل إلى أيدينا بعد.

وبغية الاحاطة بشكل الادارة الحكومية التي كانت قائمة بارييل، حاولت استقصاء المناصب التي كانت معروفة في عصر المؤلف،^(١) واسماء من تولاه لانها هي الوسيلة الوحيدة التي نعرف بواسطتها الحكومة الاريلية. وأقدم فيما يأتي عرضاً موجزاً لتلك المناصب:

١/ وزراء أرييل:

عرفت إرييل منصب الوزارة، كما تقدم، وسنكتفي هنا بتعداد من تولاهها:

١- ذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٨ ورقة ١٨٦) ان محمود بن محمد بن فارس الحراني قد تولى الوزارة لكوكبوري وان ابن المستوفي صنف له كتابا. وذكر (المصدر السابق ٦ ورقة ١٨٧ - ١٨٩) بأن محمد بن محمود الحراني المتوفى في سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م بارييل كان والده وزيراً لكوكبوري، والجدير بالذكر ان كوكبوري اصطحبه معه من حران.

٢- وذكر ابن الشعار أيضا (المصدر السابق ج ٤ ورقة ٢٠٠ وج ٧ ورقة ٧٠) استيزار علي بن شماس الاريلي لكوكبوري، بعد أن قبض على وزيره محمود بن محمد بن مقلد الحراني، سالف الذكر.

٣- وذكر ابن الشعار كذلك (المصدر السابق ٦ ورقة ١٨ - ٣٨) واليونيني (ذيل المرأة ١/ ١١٢ و ٢٦٨) بأن شرف الدين إبراهيم بن علي بن حرب المعروف بابن الوالي (أو الموالي) الموصلي، تولى بين سنة ٦٢٣ و ٦٢٨ هـ (١٢٢٦ - ١٢٣٠ م) وزارة إرييل، وقد عمل فيه المجد التشابي أبياتا منها.

وأفلح ديواننا بالوزارة

فرحنا وقلنا تولى الوزير

وفي كتبنا كتب بالاشارة

فما زادنا غير جاويشـه

(١) أي عصر ابن المستوفي .

وقد ناب عنه في الوزارة ابنه عبد العزيز، وسيّره كوكبوري غير مرة الى ديوان الخلافة، حيث لقي الاكرام. وولي عبد العزيز هذا فيما بعد وزارة الشام، وفقا لما ذكره ابن الشعار، والجدير بالذكر ان ابراهيم هذا وولده عبد العزيز قد اعتقلهما كوكبوري في سنة ٦٢٨ هـ. (مخ استانبول ٤ ورقة ١).

٤- ويبدو ان آخر وزراء كوكبوري، كان ابن المستوفي وفقا لما ذكره ابن الشعار واليونيني (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٢٨ وذيل المرأة ٢ / ٣٦٨ - ٣٦٩) إذ تولى الوزارة في المحرم من سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م، ولكن ياقوت - (بلدان ١ / ١٨٧) ذكر بأنه كان عند لقائه لابن المستوفي (وكان ذلك بالتأكيد قبل وفاة ياقوت في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) انه - أي ابن المستوفي - كانت له خلة شبيهة بالوزارة. ولا أدري هل اشتبه على ياقوت منصبه كمستوف (وقد قال ابن خلكان ٣ / ٢٩٧، ان لهذا المنصب منزلة تلو الوزارة)، أم انه كان وزيراً بالفعل، والخطأ وقع من جانب اليونيني^{١١٩}.

والظاهر ان منصب الوزير لم يختف بدخول إربل في حظيرة الخلافة في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م، إذ يذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٢٨) بأن باتكين نائب الخليفة في إربل، استوزر ابن المستوفي وفوض اليه أمور الحكم، الا انه لم يذكر تاريخ تخلي ابن المستوفي عن هذا المنصب، ولكنه على كل حال، غادر إربل نهائيا في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م، متوجها الى الموصل، وفيها توفي بعد ثلاث سنوات.

وفي هذه الفترة ظهر الى الوجود منصب لم تعرفه إربل من قبل، على ما أظن، هو «صدرية ديوان إربل» واطنه بمعنى الوالي، أي ان صاحبه هو الحاكم الفعلي لولاية إربل، نيابة عن الخليفة، وقد سُمّي تاج الدين بن الصلايا حاكمها آنذاك «صدر إربل» وفقا لما ذكر مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ١١٠ و ١٣١ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٦٨). الا ان اليونيني (ذيل المرأة ١ / ٣١) سماه «المستولي»، وهو تصحيف لكلمة «المتولى» على الأرجح وهذا المنصب كان معروفاً، فقد ورد في «قوات الكتبي» (٢ / ١٣٤) بأن عليا ابن عيسى الاربلي كان رئيسا لديوان «متولى إربل ابن الصلايا» المذكور. ومما يجدر بالذكر ان ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧١ ب) سمى الياس بن عبد الله، «متولي إربل» (ذكر الكتبي في ن

«الفوات» ٢/ ١٣٥ أن عيسى بن أبي الفتح الاربلي المتوفى بربيل في سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥م، كان واليا على إربل، أما ابن الغوطي فقد قال في «معجمه» ٣/ ٢٧٤ أنه كان حاكما بربيل ونواحيها أيام ابن الصلابة، واليه رئاسة البلد).

والغريب أن باتكين الذي تولى حكم إربل عند عودتها إلى حظيرة الخلافة، في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م، سُمّي «زعيمًا» (الحوادث الجامعة ص ٤٨) ثم أعقبه في «الزعامة» في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م الأمير بهاء الدين أيمن الأشقر الناصري الذي عُزل عنها بعد سنتين، إذ قبض عليه وعُين خلفا له الأمير الحلي مكبا، ولكن هذا بدوره عُزل في السنة التالية لضعف رأيه وسوء تصرفه، ورُتب عوضه «آقسنقر الناصري». أقول والمعروف أن ابن الصلابة عين صدراً لربيل في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م، وهذا معناه أن منصب «الزعيم» كان من مناصب الاعوان إلى جانب «الصدر»، أو هو المنصب الأعلى و«الصدر» من أعوانه. وأقول لعل باتكين قد جمع بين الصدرية والزعامة. والأخيرة قد تعنى قيادة الجيش، بينما تعني «الصدرية» حكومة الولاية. هذا وقد وردت بعض الأخبار عن تعيين موظفين في «صدرية إربل»، من ذلك أن تاج الدين علي بن الدوامي، نُقل في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م من ديوان عرض الجيش ببغداد إلى «صدرية ديوان إربل»، ولكنه لم يطل المكث بها (الحوادث الجامعة ص ٧١)، وإن ظهير الدين الحسين بن علي ابن عبد الله المتوفى في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م - وكان أيضا في صدرية ديوان عرض الجيش ببغداد - نُقل إلى صدرية ديوان إربل، إلا أننا لا نعرف تاريخ هذا النقل (المصدر السابق ص ١٠٦ - ١٠٧).

وظهر في هذه الفترة أيضا، منصب آخر هو منصب الملاحظ، فقد ذكر مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ٨٧)، بأن أبا منصور معلى بن الدباهي الفخري، قد عُين «ملاحظا» لربيل وأعمالها. لكنني لم أوفق لمعرفة اختصاصات الملاحظ.

ب / مستوفي إربل:

وظيفة المستوفي من الوظائف المهمة. وفيها يقول القلقشندي (صبح ٥/ ٤٦٦) بأن المستوفي هو الذي يضبط الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك. وقد أطنب الحريري في «مقاماته» (ص ١٦٦ - ١٦٧) في وصف أهمية هذا

المنصب. وقال ابن خلكان (٣/ ٢٩٧) ان الاستيفاء في المشرق منزلة عليّة هي تلو الوزارة، كما أسلفنا، وقد انتقل منها ابن المستوفي فعلا الى منصب الوزارة.

ويبدو ان إربل كان لها مستوف منذ أيام أبي الهيجاء الحسين بن الحسن الهذباني، صاحبها، وكان المستوفي هو جد المؤلف، واسمه المبارك بن موهوب، وفقا لما ذكره ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٨). وكذلك كان والد المؤلف يتولى هذا المنصب، وهذا هو السبب في تسميته بـ «ابن المستوفي». وكذلك تولاه عمه صفي الدين (ابن خلكان ٣/ ٢٩٧ وكوكبوري لطيمات ص ٢٢٤). ويفهم مما ذكره المؤلف نفسه ان والده كان يلي في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م منصبا كبيرا لسرفتكين الزيني، ولما حج (أي والده) في تلك السنة تولاه عنه أخوه صفي الدين، وهو عم المؤلف (مخطوطتنا ورقة ١٢٠٤). ويبدو ان المؤلف قد تولى ذلك المنصب بعد وفاة والده، إذ يحدثنا أكثر من مرة بأنه أوكل إليه أمر محاسبة بعض من تولى أعمالا للدولة من شأنها انفاق الاموال (مخ ورقة ٦٨ ب، و٧٤ ب)، وانه قام بايصال صلة من كوكبوري الى أحد الوافدين (مخ ورقة ١٢٢ أ). وهذه الاعمال - في اعتقادي - هي من صميم مهام المستوفي وفقا للتعريف الذي أشرنا اليه آنفا. أما تاريخ توليه لذلك المنصب فلا نعرفه، الا ان ابن خلكان يذكر بأنه عندما غادر إربل في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م كان المؤلف يشغل منصب «مستوفي الديوان».

ت/ كُتَاب إربل وحجابها ونظارها ومشرفوها وحفاظ قلاعها:

لايد لي من القول بأن المعلومات عن هؤلاء قليلة جداً، الا انني - من خلال الاستقصاء - استطيع ان استخلص شيئا ما عن هؤلاء أقدمه فيما يأتي: -

(١) كان لاربيل ديوان إنشاء، وقد تولاه في عهد كوكبوري صاحبنا ابن المستوفي لمدة أربعين سنة، دون ان يأخذ عليه أجراً (ابن الشعار - مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ٣٨)، وتولاه كذلك أسعد بن ابراهيم الشيباني الاربلي، المعروف بالمجد النشابي الشاعر. وكان ذلك في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م وقد كان برفقة كوكبوري عند زيارته التاريخية لبغداد، وهو الذي ألقى الخطبة باسمه بين يدي الخليفة، ونظم شعراً بهذه المناسبة. غير ان كوكبوري ما لبث ان نعم عليه في السنة التالية (أي سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) فحبسه في

قلعة الكرخينى، حيث بقي محبوسا الى حين وفاة كوكبوري، وعندما تسلم جيش الخليفة إربل أفرج عنه، فتوجه الى بغداد، فتولى بعض المهام فيها الى أن استولى عليها التتر وقاتلوا أهلها. ومنذ ذلك الحين انقطع خبره، ولعله كان من جملة القتلى (ذيل اليونيني ١/ ١١١، و٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩ وفوات الكتبي ١/ ١٠). وروى اليونيني للمجد هذا أبياتا نظمها في جماعة الديوان المختصة بعمل الحساب، عندما حبسهم وزير إربل (وهذا يدعم، ولا شك، ما قلناه بأنه كان لاربيل ديوان)، نقتبس منها هذين البيتين:

جماعة ديواننا أصبحوا وهم في العذاب لسوء الحساب
فان يرجو الوزير الثواب فقتلهم من جزيل الثواب

ويرى الكتبي في «الفوات» بأن كوكبوري قد أرسل المجد النشابي بسفارة الى ديوان الخلافة، غير انه لم يذكر تاريخ تلك السفارة ولا موضوعها وفي سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٢١ م، تولى ديوان الانشاء محمد بن جعفر بن محمد القاضي الكفرعزي الاريلي، وفقا لما ذكره ابن الشعار (مخ استانبول ٧ ورقة ٤٧)، ولعله كان آخر من تولاه لكوكبوري، اذ توفى الاخير في العام التالي. الا انه بعد عودة إربل الى حظيرة الخلافة في تلك السنة، استمر هذا الديوان في الوجود. وممن تولاه فراس الواسطي الذي عزل منه في سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م (الحوادث الجامعة ص ١٣١). وتولاه أيضا علي بن عيسى الاريلي الشاعر، وهو مؤلف كتاب «كشف الغمة»، وذلك في عهد ابن الصلايا الهاشمي، ثم انتقل الى الخدمة في ديوان الانشاء ببغداد، وفيها توفى في سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م (معجم ابن الفوطى ١/ ٥٧١ وفوات الكتبي ٢/ ١٣٤ وكشف الظنون ص ٥٣٥).

(٢) أما وظيفة «مشرف ديوان إربل» (قال حسين أمين في «العراق في العصر السلجوقي» ص ٢٧٠ ان المشرف هو الذى يعنى بالمحاسبات وضبط الحسابات، وعمله مكمل لعمل ديوان الاستيفاء). وقد تولاه يعقوب النصراني، وبعد عزله أسندت الى «المختص النصراني»، مما حمل المجد النشابي، أنف الذكر، على نظم أبيات بهذه المناسبة (ذيل اليونيني ١/ ١١٧ و٢/ ٣٦٨ - ٣٦٩ منها):

فرحنا ببيعقوب اللعين وحبسه وقتلنا آتانا ما يطيب به القلب

فلما ولي المختص فالشر واحد إذا مضى كلب أتى بعده كلب

واستمر هذا المنصب في الوجود بعد عودة إربل الى حظيرة الخلافة، إذ ورد في «الحوادث الجامعة» (ص ٤٩ و ١٣١ و ١٨٤)، ان محمد بن صدقة عُن في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م مشرفا بإربل، وفي سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م عُزل ابن غزالة مشرف إربل، وفي سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م عُن رضي الدين علي بن المخرمي مشرفا بديوان إربل، وذكر ابن الفوطي (معجم ٢ / ٨٢٥) ان عبد الملك بن عبد الرشيد الهمداني قد تولى الاشراف بإربل أيام ابن الصلبي، الا أنه لم يذكر تاريخ ذلك.

وذكر ابن الشعار ان هبة الله بن ابي الحسن المصرى الدمنهورى صار له إشراف الديوان في قلعة إربل، وأنه تولى «ديوان الارتفاع» علما بأنه كان نصرانيا وقد توفى سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤م. والجدير بالذكر ان هبة الله هذا كان قد لجأ الى إربل في سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤م بعد ان اعتقل في مصر لانه رفض الدخول في الاسلام، ثم أُفُرج عنه وفقا لما ذكره ابن الشعار (عقود الجمان، ج ٩ ص ١٢٢). وعلى أي حال فان مهمة «ديوان الارتفاع» هو الاشراف على ناتج الارض واستيفاء الضريبة المستحقة عليه، وممن أشرف على هذا الديوان بإربل محمد بن عمر المعروف بابن الحديثي الذي تولى أيضا الاشراف على الوقوف والمواريث (ابن الشعار ج ٧ ورقة ٨٨).

٣) وهناك وظيفة «الناظر» وهي من الوظائف الادارية التي ذكرها القلقشندي (صبيح ٥ / ٤٦٥)، وقال ان الناظر هو من ينظر في الأموال، وينفذ تصرفاتها، ويُرفع اليه حسابها، وهو يختلف باختلاف ما يضاف اليه فيقال ناظر الجيش أو ناظر الاوقاف أو غير ذلك.

وقد كان لإربل في عهد كوكبوري «ناظر» هو محمود بن رالي بن علي الطائي الرقي نزيل إربل. وكان هذا من أهل الادب والفضل، وتوفى في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م (تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٤).

٤) وعرفت إربل منصب «الحاجب»، وقد كان يتولاه أحمد بن عبد السيد بن شعبان

الاربلي، وقد توفي في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م. خدم بابل مدة، ثم انتقل الى خدمة المغيث بن العادل الايوبي، وخدم بعد ذلك الملك الكامل وتقدم لديه وصار نديمه، وكان شاعراً أيضاً (مرأة السبط ٨ / ٦٩٢ وتكملة المنذرى - مخ كمبرج ورقة ١١٧ وابن خلكان ١ / ١٦٦ والوافي ٧ / ٦٢ وشذرات ٥ / ١٤٣)، كما تولى الحجابة لكوكبوري شخص آخر هو شجاع الدين الاربلي الذي لم اهد الى اسمه الكامل (ابن شداد: الاعلاق الحظيرة - قسم دمشق، ص ٨٦).

(٥) وكان هناك منصب «دردار» أو مستحفظ القلعة. وعند وفاة كوكبوري، كان المسؤول عن قلعة إربل أحد معاليكه المدعو «برتش»، وكان معه مملوك آخر هو «خالص»، وقد رفضا تسليم القلعة الى جيش الخليفة، الأمر الذي استوجب فتحها عنوة، وتلا ذلك تعيين «كركر الناصري» بمنصب المستحفظ لها (الحوادث الجامعة ص ٤٥ و ١١٠ و امرأة السبط ٨ / ٦٨٠).

والمعروف أن من يتولى أمر القلعة في مدينة ما، يكون عادة هو النائب عن حاكم البلد والقائد لجيوشه، ويبدو أن القلعة كانت مقرراً لدواوين الحكومة، كما يتضح من قول ابن الشعار (ج ٩ ورقة ١٢٢). ولقد مر بنا كيف أن زين الدين علي صاحب قلعة الموصل، كان نائباً للملك الموصل وقائداً عاماً لجيوشهم. ولا بد أن هذه القاعدة كانت متبعة بإربل، ولا بد أيضاً أن كان لجيش إربل وقواده وضباطه. وقد ذكر ابن خلكان (٣ / ١٦٩) أن عيسى بن سنجر الاربلي، الشاعر المعروف بالحاجري المتوفى في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م - وقد تقدم ذكره -، بأنه كان من أهل الجيش، إلا أنه تحول الى التصوف. لكن ابن خلكان لم يذكر لنا رتبته العسكرية. وهناك مولى كوكبوري، واسمه احمد بن قرطائي التركي الاربلي، المعروف بالامير ركن الدين، وقد توفي في سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م، وكان من الشعراء أيضاً (الوافي ٧ / ٢٩٦ وابن الشعار ١ ورقة ١٦٥) وأخوه محمد المتوفى في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م، وكان من أمراء إربل وشعرائها كذلك، وقد تحول الى حلب بعد وفاة كوكبوري، فآكرمه ملكها العزيز (معجم ابن الفوطى ٢ / ١٠٣٢ و ٤ / ٣٥٣) وابن الشعار ٧ ورقة ٩٤). وهناك محمد بن بدر الكردي أحد أمراء إربل، وقد قدم الى بغداد في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م، وكان من الشجعان (المصدر السابق ١ / ٢٩٨). أقول أن

الذى أرجحه بالنسبة لهؤلاء الامراء، أنهم كانوا قواداً للجيش، فلقد ذكر ابن الاثير (الكامل ١٢ / ٣٢٢) ان عز الدين الحميدى الذي قتل وهو يدافع عن «قلعة سارو» كان من «امراء» كركبوري، مما قد يؤيد صحة ما ذهبنا اليه (راجع الفقرة المتعلقة بجيش إربل في موضع آخر من هذا البحث).

ث/ قضاة إربل وأرباب الوظائف القضائية:

ومن الوظائف المهمة التي لا يقوم الحكم بنونها، القضاء. وقد كان لإربل حظ منه، وقد سبق وأشرنا الى أن القاسم بن المظفر الشهرزوري المتوفى في سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م، قد تولى القضاء بإربل (ابن خلكان ٣ / ٢٣٢). وقد حفظ لنا التاريخ أسماء بعض من تولى القضاء بإربل. ومن هؤلاء جعفر بن محمد الكفرعزي الأربلي، الذى تولى القضاء بها في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م، واستمر فيه حتى وفاته في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م (تاريخ ابن الساعي ص ٢٤٣ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٥٠).

وولي قضاء إربل محمد بن علي الماراني الشافعي المتوفى في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م (تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٤) ثم الامير عيسى بن أبي الفتح بن هندي الشيباني المعروف بابن ججني الذى تولى القضاء أيام ابن الصلايا، وتوفى في إربل في سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م وفقاً لما ذكره ابن الفوطى (معجم ٣ / ٢٧٤). أقول لا أدري عما إذا كان هذا هو نفسه الشخص الذى ذكر الكتبي في «الفوات» ٢ / ١٣٥، أنه كان والياً على إربل، لا سيما وأنه توفي في سنة ٦٦٤ هـ أيضاً). هذا وقد ذكر ابن المستوفي أسماء قضاة آخرين، منهم عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن غياث الذى عاش في القرن السادس الهجري، ومحمد بن عبد الله المهاني الذى عزل عن قضاة إربل في سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م، وعبد الرحمن بن بلال الصفار الذى تولى القضاء في بعض أعمال إربل، إلا أنه لم يذكر تاريخ وفاته (مخطوطتنا ورقة ٢٨ أ و ٦٥ أ و ٦٩ ب و ١١٧٨ أ). وهناك وظيفة مساعد القاضى بإربل وقد تولاهما محمد بن علي بن محمد بن الجارود المعروف بالماراني الكفرعزي، ثم تولى القضاء حتى وفاته في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣٢ م (ابن الشعار ج ٧ ورقة ٣٢).

ومن الوظائف ذات الصلة بالقضاء، وظيفة «المحتسب»، لكننا لا نملك معلومات كثيرة
عمن تولاهما بإربل، غير أن ابن المستوفي (مخ ورقة ١١٧٤) يذكر أن محمد بن علي بن
جامع، كان محتسبا لإربل في عهد أبي الهيجاء، وأنه - أي محمد المذكور - هو جد بني
محتسب إربل في عصره. ووظيفة أخرى لها علاقة بالقضاء، هي وظيفة «متولي أعمال
التركات»، وقد عُرفت هذه الوظيفة بإربل أيضا، وقد كان عتيق بن علي ابن علوي المتوفى
في سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م، ممن تولاهما (مخطوطتنا ورقة ٢٨). وهناك أيضا وظيفة
«الشهود»، ولقد ذكر ابن المستوفي بأن محمد بن محمد بن علي بن غياث، والد القاضي
عبد الله أنف الذكر، كان من شهود إربل في سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠م.

ج/ ديوان المظالم:

وكان في إربل ديوان للمظالم تولاه محمد بن محمود الحراني (ابن وزير إربل أنف
الذكر) وقد توفي سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥م، وكان كوكبوري قد استصحبه مع والده معه من
حران (ابن الشعار ج ٦ ورقة ١٨٧).

ح/ ديوان الوقف:

كانت ولاية إربل زاخرة بالمدارس والربط ودور العجزة ودار الحديث والبيمارستان
وغيرها من المؤسسات العامة التي تحبس عليها الاوقاف، بغية تأمين نفقاتها. ولاشك أن
ولاية كهذه، كان لها «ديوان أوقاف» لإدارة شؤون تلك المؤسسات والعناية بالاوقاف
المحبوسة عليها. ولقد تولى رئاسة هذا الديوان صاحبنا ابن المستوفي، وفقا لما ذكره ابن
الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٣). كما تولى هذا الديوان مع الاشراف على الموارث
محمد بن عمر المعروف بابن الحديثي، وقد مر ذكره (ابن الشعار ج ٧ ورقة ٨٨).

خ/ ديوان الأهراء:

عرفت إربل ديوان الأهراء، والأهراء هي مخازن الغلات السلطانية (ابن مماتي:
قوانين الدواوين ص ٣٥٠) أي المستودعات التي تخزن فيها الحكومة الحبوب. وممن تولى
هذا الديوان في إربل اسحق بن معالي بن شماس الخرجي الذي كان عالما بالطب
والهندسة، وقد ذكر ابن الشعار أنه تولى «ديوان الأهراء والتصرف»، وقد بقي في عمله

حتى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م (ابن الشعار ج ١ ورقة ٢٣٨، ومقدمة احسان عباس لوفيات
الاعيان ج ٧ ص ١٤).

د/ وظائفه متنوعة أخرى:

وعدا أصحاب الوظائف المار ذكرها، كان هناك العديد من الشخصيات التي استعانت
بها حكام إربل، ولا سيما كوكبوري بالذات، فكلفوها بإداء بعض المهام الرسمية، ويأتي
في مقدمة هؤلاء العلماء الذين كان يتخذ من بعضهم أمناء لاسره، من ذلك مثلاً محمد بن
أبي الفخر الكرمانلي الصوفي المتوفى في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٢٧ م، إذ صار خاصاً
باسرار كوكبوري فأخذ ينفذه رسولا الى الاطراف (مخطوطتنا ورقة ١١٩٩). ومتهم
محمد بن عبد السلام الخطيب السنجاري، المدرس بربل، إذ تقدم لدي كوكبوري وصار
من مستشاريه، وقد أنفذه رسولا الى بغداد، وتولى القضاء بعدئذ بملطية وبها توفي في
سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (معجم ابن الفوطى ١ / ٦٢٢ و ٦٢٣). وذكر ابن الشعار (مخ
استانبول ٩ ورقة ٩٤) بأن هاشم بن عبد السلام بن يوسف الاربلي المولود في سنة
٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م (غير معروف تاريخ الوفاة) كان يكتب الطغرة لكوكبوري، وقد بقي
حيا حتى سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م. وبقي في هذه الوظيفة - وهي حمل الختم الرسمي
للولة - حتى زوال امارة إربل. كذلك كان هناك عمال ينوبون عن حاكم إربل في المدن
والقلاع التابعة لولايته، ومنها شهرزور والكرخيني وباصيدا وكفرعزا وساروقلعة
خفتيذكان وغيرها. لكننا لا نملك عن أصحابها أية معلومات، وكل الذي لدينا هو اسم
بوزان وولده محمد وكانا من حكام شهرزور، واسم يوسف - وكان يلقب بالشجاع - وهو
والي الكرخيني، وقد أثني عليه وعلى همته، علي بن عمار خطيب الكرخيني، في قصيدة
كتبها الى كوكبوري (المصدر السابق ٤ ورقة ٢٠٧ ومخطوطتنا ورقة ٢٢٧ ب).

هذا ومن الطبيعي ان يكون لحكومة منظمة كحكومة إربل، مؤسسات تعنى بوجوه
النشاط الحكومي، مما كان معروفا في زمانها كالشرطة والسجون وما إلى ذلك، الا انني
لم أهتم الى أية معلومات تلقي شيئا من الضوء على تلك الوجوه، ماعدا ما ذكره ابي
المستوفي (مخ ورقة ٤٥ ب) من وجود حبس في إربل سماه «حبس القلعة» أو «حبس

الخليلي»، وأورد (مخ ورقة ١١٧٩) إشارة عابرة إلى «بعض من اعتقل بارييل»، بل أنه هو نفسه اعتقله كوكبوري وفقا لما ذكره ابن الشعار في ترجمته. وفضلا عن ذلك فقد تقدم ذكر حبس موثق في ديوان إرييل، ممن كانوا يتولون الحساب (راجع ص ١٥٥ من هذا البحث).

٣- جيش إرييل وعوده في الحروب الصليبية:

سبق وبيننا أنه كان لإرييل جيش، وقد وردت الإشارة إليه في سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م. ويبدو أن هذا الجيش قد قوى وتعزز لا سيما بعد أن تولى آل بكتكين حكم إرييل، وأخذ يشارك في النزاع الذي كان قائما بين أتابكة الموصل وبني أيوب، فحارب مرة إلى جانب هذه الجهة، ومرة إلى جانب تلك. وقد استطاع في إحدى المعارك أن يتغلب على جيوش ملك الموصل وحليفه صاحب همذان، الأمر الذي يدل على وجود قوة ضاربة إرييلية يحسب لها الحساب. وقد يكون من المفيد أن نقتبس هنا ما قاله بدر الدين لؤلؤ المستبد بالموصل، عن هذا الجيش في معرض كلامه عن محاولة قام بها أحد أعضاء البيت الاتابكي للسيطرة على الموصل في عام ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م، فقال: «فاستضاف إليه عسكرياً من إرييل ذا وطأة ثقيلة، ومنعة مهولة غير مهيلة». (رسائل ابن الاثير ص ٦٠ - ٦٢ والاتابكة للجميل ص ٢٢٨).

وقد كان في إرييل ديوان للجند تولاه عيسى بن الفضل المعروف بابن البحراني الموصل في أيام كوكبوري الذي عينه أيضا عارضا للجيش (ابن الشعار ج ٥ ورقة ٢٢٩). وكان في إرييل كذلك خزانة للسلح تولى الاشراف عليها أسعد بن أحمد الاربلي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٦ م (ابن الشعار ج ١٠ ورقة ٢٥٩).

دور جيش إرييل في الحروب الصليبية:

على الرغم من بُعد إرييل جغرافيا عن ساحات الحروب الصليبية، فإنها ساهمت مساهمة فعالة في قتال الصليبيين، ولقد شارك جيشها في معركة حطين (الروخستين ٢/ ٨٢)، بل يظهر أن إرييل شاركت في معارك فلسطين قبل ذلك، إذ يذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٠٤ ب) أن شيخا إريليا كان قد أسر بالقدس، وكان الافرنج يمتحنون إيمانه

بالتعذيب فلم ينجحوا في التأثير عليه. كذلك يذكر لنا (مخ ورقة ١١٣٢) مقتل شيخ من أهل قرية من قرى إربل، في معركة حارم التي وقعت في سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م.

أما بالنسبة لآل بكتكين، فقد كان لهم دورهم في قتال الصليبيين منذ أيام زين الدين علي الذي شارك في معركة حارم المذكورة آنفاً، وما إلى ذلك مما نوهنا عنه في ترجمته (انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة). وأن كوكبوري عندما كان حاكماً لحوران شارك هو أيضاً في حرب الصليبيين، ثم أن أخاه زين الدين يوسف - كما تقدم - قاد بنفسه جيش إربل، بل أنه مات في معسكره بالقرب من عكا، في سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م، وكان إلى جانبه أخوه كوكبوري الذي كان آنذاك يقود جيش حران. إلا أن نشاط كوكبوري في الحروب الصليبية قد توقف إثر توليه إربل بسبب انشغاله في توطيد أركان حكمه الجديد في الولاية الأربيلية. وقد افترقه صلاح الدين وصار يوجه إليه الرسائل التي تشرح تأزم الحال في عكا، ويطلب منه المساعدة، إلا أن كوكبوري لم يحرك ساكناً في بادئ الأمر، غير أن سقوط عكا ووصول رسائل أخرى من صلاح الدين، جعله يستجيب إلى نداء صلاح الدين ويشخص بنفسه إلى ميدان القتال على رأس جيش إربلي، ويحارب إلى جانب صلاح الدين، إلى أن تم الصلح بينه وبين ملك الإنكليز في سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م (الفتح القسي للعماد ط أوربا ص ٢٥٣ و ٣٦٥ - ٣٦٨ و ٣٧٨ - ٣٧٩ وسيرة ابن شداد ص ٢٣٦ وكوكبوري لطيمات ص ١٧١ - ١٨١).

ويبدو أن دور إربل في قتال الصليبيين قد انتهى بوفاة صلاح الدين، إذ لم نعد نسمع شيئاً بعد ذلك عن وجود جيش إربلي في ميادين القتال. ولعل سبب ذلك أن إربل صارت مشغولة بالنزاعات المحلية - كما سنرى - ويظهر الخطر المغولي من الشرق. ولقد قاد كوكبوري في سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م جيوش الخليفة ومعها جيش إربل لتأديب أحد العصاة وفقاً لما ذكره ابن الأثير (الكامل ١٢ / ٢٠٠ - ٢٠١). وفي سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، أسندت قيادة جيوش الخليفة مرة أخرى ومعها جيوش الموصل إلى كوكبوري، للدفاع التتر هذه المرة (عبر الذهبي ٥ / ٦٥ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٨٦). وكذلك أسندت إليه القيادة العامة في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م على الجيوش المولجة بحرب المغول (الحوادث الجامعة ص ٢٧ - ٢٨).

الفصل السابع

علاقات إربل الخارجية

أود أن أبين هنا بأن المقصود ليس بحث العلاقات الدبلوماسية لإربل، بالمعنى المعروف قانوناً، لأن إربل لم تكن دولة كاملة السيادة من الناحية القانونية، وإنما كانت ولاية من تلك الولايات التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء الشرق الأوسط، وفقاً لما أوضحنا آنفاً، ولكنها كانت تتمتع بقسط وافر من الاستقلال الذاتي.

وقبل ولوج هذا الموضوع، يحسن بي أن أشير إلى الأوضاع السياسية المضطربة التي سادت المنطقة خلال القرنين السادس والسابع للهجرة، وانتهت بسقوط الدولة العباسية في سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م سواء المنازعات التي كانت قائمة بين خليفة بغداد والسلطين السلاجقة (أخبار الدولة السلجوقية ص ١٣٤ - ١٣٦ و ١٤٠ - ١٤٣ والمتنظم ١٠ / ٢٦ و ٣٠ و ٥٥ - ٦٢، ومرآة السبط ٨ / ١٨٩ وتاريخ ابن كثير ١٢ / ١٩٦ - ١٩٩ و ٢١٠ و ٢١٨)، أو بين الخليفة وأمراء الاطراف، كصاحب الحلة مثلاً، أو كمحاولة الخليفة استرداد سيادته على الموصل والشام بانتزاعهما من زنكي (مرآة السبط ٨ / ١٠٩ و ١١٠ و تاريخ ابن كثير ١٢ / ١٩٠ - ١٩١ و ٢٠٣ - ٢٠٦ و ٢١٨)، أو النزاع بين السلاجقة أنفسهم (تاريخ ابن كثير ١٢ / ٢٠٣ و ٢٣٣) أو بينهم وبين حكام الولايات المتفرقة (المتنظم ١٠ / ١١ - ١٣ وابن خلكان ١ / ٢١٧، وأخبار الدولة السلجوقية ص ١٩٥)، أو النزاع بين هؤلاء الحكام أنفسهم، كذلك الذي وقع بين الأتابكة والايوبيين (المتنظم ١٠ / ١٠٥ و ١٠٨ و مرآة السبط ٨ / ٣٣٢ و ٣٣٤ - ٣٦٣ و ٣٧٦ و ٣٨٤ - ٣٨٥ و ٤٣٥ و ٥٤١)، أو بين أعضاء البيت الأتابكي أنفسهم كالنزاع الذي وقع بين قطب الدين مودود صاحب الموصل ونور الدين زنكي (أتابكة ابن الاثير ص ١٦٨ - ١٧٣)، وذلك الذي وقع بين صاحب الموصل وصاحب سنجار في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م بشأن تبعية تل أعفر، وأمثال ذلك (المصدر السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٨ و مرآة السبط ٨ / ٢٨١ و ٥٨٠ وتاريخ أبي الفداء ٣ / ١٢٠ - ١٢١).

هذا فضلاً عن القتال القائم ضد المغول في الشرق وضد الصليبيين في الغرب، وفوق

ذلك فقد كان الاضطراب يقع أحيانا ضمن الولاية الواحدة، بل وفي داخل عاصمة الخلافة نفسها (أخبار الدولة السلجوقية ص ١٩٣ - ١٩٦ والمنتظم ١٠/ ٥ و ٣٤ - ٣٥ و ٤٢ و ٦٧ و ١٠٢ و ١١٩ و ١٥٨ و كامل ابن الأثير ١١/ ٢٩ و ٣٤ و ٣٦ و امرأة السيف ٨/ ١٩١ و ٢٠٣ - ٢٠٤ وتاريخ أبي الفداء ٣/ ١٥ و ١٦). ولقد سبق ونوهنا عند حديثنا عن تاريخ إربل، ببعض تلك المنازعات والحروب التي وقعت وكان لاريل دور فيها. ولعل من المفيد هنا إعطاء نماذج لما كان يحدث في تلك الايام، اذ هي تعكس - على صغر شأن بعضها - حقيقة اضطراب الاحوال، من ذلك مثلا:

أ/ هاجم جلال الدين خوارزمشاه في سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م، مدينة دقوقا - وهي تابعة للخليفة - وفتحها بالسيف.

ب/ قام نائب الوزارة ببغداد في سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م بعزل القاضي، الا ان نائب الوزارة نفسه ما لبث ان عزل واعتقل (الحوادث الجامعة ص ٣٠ - ٣٤). وفي السنة التالية، التجأ أمير الحاج العراقي الى مصر هربا من جور وزير الخليفة، ولكن عزل الوزير ما لبث أن حمل أمير الحاج على العودة الى بغداد (المصدر السابق ص ٤٣). وفي تلك السنة نفسها اختل الأمن في طريق الحجاز الى درجة منعت الحاج من مواصلة المسير لاداء الفريضة (المصدر السابق ص ٦٠) كما ان أحد أشرف مكة طرد الجيش المصرى منها، غير أن الجيش تمكن من استعادتها بعدئذ (المصدر السابق ص ٤٢).

ت/ وفي سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م، قام الكامل ملك مصر بمحاصرة آمد وتجويعها ثم استولى عليها (المصدر السابق ص ٤٢). ويبدو ان آمد كانت موضوعا لنزاع مستمر، إذ حوصرت مرة أخرى في سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م، وعندها تدخل الخليفة وفك الحصار (المصدر السابق ص ٩١).

ث/ وشهدت سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م نزاعا بين الايوبيين على تملك دمشق ومصر، وشكا صاحب مصر الى الخليفة تأمر أخيه عليه، فتدخل الخليفة وأصلح الحال. وقد حصل مثل ذلك في سنتي ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م و ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م. وقد استمر النزاع من أجل

دمشق حتى سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م (المصدر السابق ص ٧٧ - ٧٩ و ١١٤ - ١١٧ و ٢٠١ و ١٤٠).

ج/ وفي سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م، شغب العوام ببغداد مما أدى الى مقتل جماعة من الناس (المصدر السابق ص ١٠٢).

ح/ وفي السنة التالية حصل نزاع بين الأسرة الأرتقية، حكام ماردين أدى إلى مقتل البعض منهم (المصدر السابق ص ١١٦).

خ/ وفي سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م، استولى صاحب اليمن على مكة (المصدر السابق ص ١٢٣)، وعندما كان صاحب سنجار يزور بغداد في السنة نفسها، قام صاحب الموصل بالاستيلاء على بلاده (المصدر السابق ص ١٢١ - ١٢٢).

والآن بعد أن القينا نظرة خاطفة على أحوال المنطقة بصورة عامة، يمكننا ان نستعرض علاقات إربل بالبلدان المجاورة، ونبدأ أولاً ببغداد عاصمة الخلافة.

٨ / العلاقة بين إربل وبغداد:

ليس بين أيدينا مراجع تشير بوضوح الى حقيقة العلاقة التي كانت قائمة بين إربل وبغداد، الا ان هناك إشارة قد توحى برغبة حاكم إربل في وقت من الاوقات أن يكون تابعاً لبغداد، ذلك ان مجاهد الدين قايمان - عندما أراد عزل كوكبوري عن إربل - حرر محضراً وأرسله الى ديوان الخليفة، يفيد بأن كوكبوري غير أهل لتولى الحكم، ويطلب الموافقة على عزله واسناد الحكم الى أخيه الاصغر يوسف (باهر ابن الاثير ص ١٣٦، وابن خلكان ٢/ ٢٤٦ و ٢٧٠ وكوكبوري لطليمات ص ٦٩). وتقول الاخبار بأن كوكبوري، عقب عزله توجه الى بغداد، ولعله ذهب اليها يشكو سوء المعاملة التي لقيها من قايمان، واغتصاب الملك منه، الا أنه لم يخرج بنتيجة إيجابية، والجدير بالملاحظة ان المراجع التي ذكرت الحادث لم تنشر الى تاريخ وقوعه (ابن خلكان ٣/ ٢٧١ وكوكبوري لطليمات ص ٦٩).

ومع ذلك، فالظاهر ان إربل كانت في الأعم الأغلب تابعة لاحدى دويلات الاطراف، بل ان ياقوت (بلدان ١/ ١٨٧) عدّها من أعمال الموصل. ولذلك فإن إربل كانت في الغالب

مشمولة بالمواقف التي تقفها الدولة المتبوعة. وخير مثال يوضح هذه الناحية، ما وقع يوم قام أتابك الموصل في سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م، بدعم موقف السلطان السلجوقي ضد الخليفة، وكان الجيش الاتابكي بقيادة زين الدين علي، صحيح أن زين الدين لم يشترك في ذلك الحدث بصفته «أمير إربل» وإنما فعل ذلك باعتباره قائداً للجيش الاتابكي، إلا أن الذي لا شك فيه، أن إربل - وهي إقطاع لزين الدين المذكور - كانت في ذلك الحين تدور في فلك الموصل دورانا تاما في السلب والإيجاب (ياهر ابن الأثير ص ١١٣ - ١١٤ والكمال له ١١ / ١٤١)، ويمكننا أن نقول الشيء نفسه بالنسبة لإربل أصبحت تابعة للأيوبيين فكانت تدور في فلكهم سلبا أو ايجابا، ولم تتحرر من تبعيتها هذه إلا في عهد كوكبوري الذي صار يتبع سياسة التوازن الإقليمي بين الاتابكة من جهة وبين الأيوبيين من جهة أخرى، إلى أن قطع علاقته أخيراً بالأيوبيين أثناء زيارته المشهورة لبغداد في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م، وعندها ربط نفسه بالخليفة ربطا مباشراً (يعتقد كاهن - وفقا لما ذكره في الموسوعة الإسلامية ج ١ / ١١٦٠ - بأن كوكبوري ربط نفسه بالخليفة مباشرة منذ وفاة صلاح الدين، لكننا لا نشاركه هذا الظن، لأن كوكبوري ظل يعترف بالسيادة الاسمية لبني أيوب، وتدل على ذلك العملة المضروبة بإربل في عهده، وعليها أسماؤهم. انظر أيضا كامل ابن الأثير ١٢ / ٢٢٥ و ٢٦٠ والحوادث الجامعة ص ١٠٥)، فخلع عليه الخليفة، «خلعة السلطنة» وبذلك أصبح نداً للاتابكة أصحاب الموصل، وللأيوبيين حكام مصر والشام على السواء (الحوادث الجامعة ص ١٩).

والظاهر أن كوكبوري كان يمهّد منذ حين ليبلغ المنزلة التي أرادها لنفسه، فكان ينتهز الفرص للإعلان عن ولائه واحترامه وتبعيته للخليفة، ويحدثنا ابن المستوفي، كيف أن كوكبوري لما أنشأ دار الحديث بإربل واحتاج لمن يحدث فيها، كتب إلى «الديوان العزيز» يلتمسه إنفاذ ابن طبرزد وحنبل، فوصل في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م، ولما طلب صاحب دمشق الأيوبي إنفاذها إليه لم يلب الطلب إلا بعد استئذان «الديوان العزيز» (مخطوطتنا ورقة ٧٠ أ و ١٦٢)، إمعانا منه في إظهار التقدير والاحترام لمقام الخلافة، وعلاوة على ذلك، فإن رسل دار الخلافة كانت تتوارد على كوكبوري باستمرار، وكان بعضهم من ذوي المناصب العالية كقاضى القضاة أو من أصحاب الرئاسة الدينية العليا، فلقد ورد إلى

إربيل عبد السلام الجيلي المتوفى في سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤م رسولا من الديوان العزيز (المصدر السابق ورقة ١٧٧ ب) ووردها محمد بن الطباخ الواسطي المتوفى في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥م عدة مرات موقداً من الديوان (المصدر السابق ورقة ١٩١). وقد أوفد الخليفة في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م إلى إربيل رسولين، هما محيي الدين يوسف بن الجوزي، وسعد الدين حسن بن الحاجب، ليصحبيا كوكبوري في زيارته إلى بغداد (الحوادث الجامعة ص ١٩ - ٢٣). ويظن الدكتور طليعات (كوكبوري ص ٢٣٩ و ٢٤٢) بأن مهمتهما كانت بحث قواعد وراثية الحكم بعد وفاة كوكبوري، لاسيما وأنهما عادا في صحبته إلى إربيل لتحليف أمرائها وأعيانها بتسليم المدينة إلى الخليفة بعد وفاة كوكبوري، بل أن كوكبوري نفسه سلم إلى الخليفة، أثناء الزيارة، مفاتيح إربيل والقلاع التابعة لها، إعلاناً منه بتبعيةها إلى الخليفة (مرآة السبط ٨ / ٦٨٠ - ٦٨١).

ورد إلى إربيل أكثر من مرة، الصوفي الشهير عمر السهروردي المتوفى في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م (مخطوطتنا ورقة ١٨٨). كذلك وردها رسولا في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، قاضي القضاة (معجم ابن الفوطي ٢ / ٨٧٣ - ٨٧٤)، ولكننا لا نعرف شيئاً عن مهمته. وعلاوة على ذلك فإن ابن الساعي (تاريخ ص ٢٨٨) يخبرنا بأن ابن أخي كوكبوري ورد بغداد في سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م مع رئيس الشافعية بدمشق ومعه رسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربيل وطلب الرضا عنه، فقبل «العتبة الشريفة بباب النوبي» نيابة عن كوكبوري واعتذاراً عنه، إلا أنه لم يذكر سبب ذلك الاعتذار (تاريخ ابن كثير ١٣ / ٥٢). وكان كوكبوري يرسل الرسل إلى بغداد، ومن هؤلاء مستشاره محمد بن عبد السلام السنجاري أحد المدرسين بربل (معجم ابن الفوطي ١ / ٦٢٣).

ويبدو أن الخليفة من جانبه كان يعتبر كوكبوري من أتباعه المباشرين، حتى قبل عودة إربيل إلى حظيرة الخلافة، إذ يقول ابن الأثير (الكامل ١٢ / ٢٠٠ - ٢٠١) أن الخليفة أمر في سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥م كوكبوري بأن يحضر بعساكره، ويكون مقدم الجيوش التي أعدت لتأديب منكلي، وقد تم ذلك بالفعل ونجحت الحملة (كوكبوري لطليعات ص ١٤٤ - ١٤٦). وفضلاً عن ذلك فإن الخليفة كان يدرك أهمية موقع إربيل في الدفاع عن

العاصمة، بل وعن العراق بأسره - وهي التي وقعت في سهولها عدة معارك تاريخية حاسمة - خصوصا وان تسلل التتر المبكر الى العراق، وقع في غالب الأحيان في منطقة إربل، من ذلك مثلا انهم بعد احتلالهم لمراغة في سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م، توجهوا نحو إربل، فاجتمع لحربهم عسكر العراق والموصل، وأسندت قيادة جيوش الخليفة الى كوكبوري، فهاجم المغول، ولكنهم تراجعوا نحو همذان (عبر الذهبي ٦٥ / ٥ وتاريخ ابن كثير ٨٦ / ١٣). وحصل مثل ذلك في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م (راجع ص ١٤٥ من هذا البحث).

هذا وان ابن المستوفي لا يذكر الخليفة وديوان الخلافة الا مقرونين بعبارات التبجيل والدعاء، فيسميهما أحيانا «المواقف المقدسة، أدام الله جلالها» أو «الديوان العزيز، أجله الله» أو «أمير المؤمنين المستنصر، أعز الله سلطانه» وهكذا (مخطوطتنا ورقة ١٧٠ و ١٨٨ و ١٩١ و ١٦٢ و ١٧٧ و ١٢١٨). وهذا يعكس، ولاشك، الروح التي كانت سائدة في ذلك الحين عن تعلق إربل بأعتاب الخلافة. ولكنه على الرغم من ذلك كله، فان العلاقات بين بغداد وإربل لم تكن دائما في وئام وصفاء، حتى بعد عودة إربل الى حظيرة الخلافة، وأية ذلك ان المغول عندما تسربوا في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م الى شهرزور، استنجد كوكبوري بالخليفة فأمدّه بجيوشه وأسند اليه القيادة العامة، لكن احتكاكا وقع بين جيوش بغداد وجيش إربل، كاد يؤدي الى الفتنة والقتال لولا حكمة قواد الخليفة، ثم ان كوكبوري تظاهر - على حد قول مؤلف «الحوادث الجامعة» (ص ٢٧ - ٢٩) - بالمرض، وتراجع الى إربل (تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٢). وحادث آخر ذو دلالة واضحة على ما أسلفنا، هو اعتقال كوكبوري لكاتب إنشائه وشاعره أسعد بن ابراهيم (المجد النشابى) في السنة المذكورة، بحجة أنه يطالع ديوان الخلافة بأحوال إربل (ذيل اليونيني ١ / ١١٨١ - ١٢٣، ومعجم ابن الفوطي ١ / ٥٦١ - حاشية وفوات الكتبي ١ / ١٧).

وعلى كل حال، فان وجود إربل كإمارة مستقلة ذاتيا انتهى بموت كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م، وعند ذلك قام الخليفة باستعادتها وصارت إقليما من أقاليم الحكومة المركزية. والظاهر ان آل زنكي - ولا سيما عماد الدين زنكي، زوج ابنة كوكبوري - وبنو أيوب، ولا سيما الملك الصالح نجم الدين أيوب، كانوا طامعين بإربل أيضا، ولكن الخليفة

فُوت الفرصة عليهم وكان أسرع منهم في السيطرة عليها، مما أسقط في أيدي الطامعين. والمعروف ان البلد قُتِحَ عنوةً - كما أسلفنا - في ٧ شوال من تلك السنة (الحوادث الجامعة ص ٤٤ - ٤٧ ومرآة السبط ٨ / ٦٨٣)، وقد اعتبر ذلك فتحاً مبيناً احتفل به بضرب الطبول وإعلان الفرح وإقامة الزينات في عاصمة الخلافة، وقال فيه الشعراء قصائد تلائم المناسبة (تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٥) مما جعل المؤرخ ابن الطقطقي (الفخرى ١ / ٤٤٦) - مدفوعاً بمناقفته للتتر - أن يسخر من ذلك الاحتفال، ويقارن بين فتح جيوش الخليفة لأربل وفتوحات المغول. والذي أذهب إليه بهذا الشأن فان ابن الطقطقي، فضلاً عن تعلقه للمغول، فإنه فضح نفسه وكشف جهله بأهمية إربل وقيمتها العسكرية وموقعها الحربي، وتجاهل مجدها وتقدمها أيام كوكبوري، والالما سخر من الاحتفال بعودتها الى حظيرة الخلافة. ويكفى أن الاتابكة وبني أيوب قد تسابقوا على تملكها، كما أسلفنا.

٢ - علاقات إربل بالموصل:

كانت إربل، كما سبق وبيننا، تُعتبر من أعمال الموصل، وقد بقيت على هذه الحال حتى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م، عندما تمرد زين الدين يوسف على صاحب الموصل معلناً ولاءه الى صلاح الدين الذي كان نجمه آنذاك في صعود. وقد استمرت هذه التبعية للأيوبيين طيلة حكمة لأربل. ومن الطبيعي ان تمردته على الاتابكة وانضمامه الى خصمهم صلاح الدين، أدى الى قيام عداوة عميقة بين إربل والموصل، بلغت في بعض الأحيان الى حد القتال. فلقد حارب زين الدين يوسف جيوش مسعود بن مودود في سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م، وتغلب عليها في معركة «تَرْجُلَة» وفقاً لما ذكره ياقوت (بلدان ١ / ٨٣٦) ويشير ابن شداد (سيرة ص ٥٤) الى حرب أخرى وقعت في السنة التالية وانتصر بها يوسف أيضاً.

وهكذا صار يوسف يقف دائماً في صفوف أعداء البيت الاتابكي، خلافاً لوالده الذي عاش في كنفهم منذ صباه حتى وفاته - بعد أن قارب المائة - وكان مثالا للخلاص والوفاء لجد هذا البيت ثم لأبنائه وأحفاده من بعده. وقد عرف له هؤلاء إخلاصه وكفاؤه

بأن جعلوه الحاكم الفعلي لمملكتهم والقائد العام لجيوشهم ، وأقطعوه أقاليم عديدة لم ينل مثلها أحد من القواد. إلا أن ابنه يوسف رأى من مصلحته أن يخلع طاعتهم ويتحالف مع بني أيوب، وينقل ولاءه اليهم.

أما كوكبوري، فقد سلك سياسة مختلفة تمام الاختلاف، فانه - وإن أثر أن يستمر في الولاء للايوبيين - أخذ بسياسة التوازن الاقليمي. فهو رغم عدائه للبيت الاتابكي ومحاربته لهم، من ذلك مثلاً هجومه على الموصل في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م، عندما كان جيشها متوجها الى نصيبين (مفرج ابن واصل ١٥٦ / ٢ وتاريخ ابن خلدون ٥ / ٩٠ ط الزين، كامل ابن الاثير ١٢ / ٧٥، وatabke الجميلي ص ١٨٠ - ١٨١) لم يعمد الى قطع خط الرجعة على نفسه معهم، لانه كان يدرك بأنه قد يحتاجهم في يوم من الأيام، ويحتاجونه للحد من طموح الايوبيين. بل انه حالقهم في بعض السنين ضد الايوبيين الذين لهم عليه حق الولاء، من ذلك ما وقع في سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م، إذ شخص بنفسه الى الموصل على رأس جيشه لمساندة الاتابكة ضد بني أيوب. وانتهاز فرصة هذا الحلف فعزز صلاته بهم، فزوج ابنتيه من ولدين من أولاد نور الدين صاحب الموصل، هما عز الدين مسعود وعماد الدين زنكي (كامل ابن الاثير ١٢ / ١٨٩ مفرج ابن واصل ٣ / ١٩٤ - ١٩٧ ومراة السبط ٨ / ٥٤١ وatabke الجميلي ص ١٨٦). وقد ساعده ذلك في تعزيز استقلاله الذاتي الذي كاد يكون تاما لولا تبعيته الاسمية للخلافة والسلطنة الأيوبية.

ثم عقد حلفا مع عز الدين مسعود الذي تولى حكم الموصل بعد وفاة أبيه في سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠م، وظل هذا الحلف قائما حتى وفاة عز الدين المذكور في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م (كامل ابن الاثير ٩ / ٣٢٠ ط الاستقامة وكوكبوري لطليمات ص ١١٠). ولكن كوكبوري «بقي غصة في حلق البيت الاتابكي لا يقدر أن يذوق على اساغته»، على حد قول ابن الاثير (الكامل ١٢ / ٣٧ وكوكبوري لطليمات ص ٩٧)، خصوصا وأنه أخذ يتدخل في منازعتهم الداخلية من ذلك ما وقع في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م، عند وفاة عز الدين مسعود صاحب الموصل آنف الذكر (توهم الدكتور طليمات فذكر أن المتوفى في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ هو نور الدين أرسلان شاه «كوكبوري ص ١١٧ - ١١٨»، ونسي ما قاله في ص ١٠٩ من أن الأخير توفي في سنة ٦٠٧ هـ). إذ قام زوج ابنته عماد الدين بالاستيلاء على

العمادية وبعض القلاع التابعة الى الموصل (كامل ابن الاثير ١٢ / ١٢٦ و ٢١٩ - ٢٢٦ و ٢٩٦ وكوبوري لطليمات ص ١١٠ - ١١٥)، وتجدد نشاط كوكبوري فناصره بجيش إربل، مما حمل صاحب الموصل على طلب المعونة من الملك الأيوبي. وبذلك تأصلت العداوة بين الملك الأشرف وكوبوري الى الآخر (أتابكة الجميلي ص ١٩٣ - ١٩٤). وعندما نشب القتال انهزم جيش الموصل، واحتفى قائده بدر الدين لؤلؤ بالموصل، فتيهه كوكبوري واحتل نينوى، غير انه عاد فتركها متراجعا الى ضفة الزاب، ثم تصالحا في السنة التالية (كامل ابن الاثير ٩ / ٣٢١ - ٣٢٢ ط الاستقامة وتاريخ ابن خلدون ٥ / ٥٩٩ - ٦٠٠ ط الزين وكوكبوري لطليمات ص ١١٧ - ١٢٠ وأتابكة الجميلي ص ١٩٨ - ١٩٩).

وهكذا فان العلاقات بين إربل والموصل - كما رأينا - كانت بين مد وجزر، وقد غلب عليها طابع الخصومة في سنواتها الأخيرة، لا سيما بعد أن تحالفت الموصل مع الملك الأشرف الأيوبي، ويعد ان حاول بدر الدين لؤلؤ حرمان أحفاد كوكبوري من التمتع بالسلطة في الموصل، وهو حق شرعي لهم ورثوه عن آبائهم الاتابكة. وقد استمرت تلك الخصومة حتى وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م. وفي السنة التالية توفي حفيده ناصر الدين محمود، فانتهز بدر الدين لؤلؤ الفرصة وتمكن من الحصول على مرسوم من الخليفة بتعيينه واليا على الموصل أصالة، إذ قد أمن المعارضة بعد أن مات خصمه كوكبوري (الحوادث الجامعة ص ٥٢ وعبر الذهبي ٥ / ١٢٣ وأتابكة الجميلي ص ٢٢٩ و ٢٨٢، هذا وقد توهم الدكتور طليمات - انظر كوكبوري ص ١٣١ - ١٣٢ - فظن ان ذلك قد وقع في سنة ٦٢٣ هـ، وبنى على وهمه هذا تحركات قام بها كوكبوري انتقاما لحفيده محمود، الذي شاع - على حد قول طليمات - بأن بدر الدين لؤلؤ قد قتله. أقول يبدو أن الأمر قد التبس على الدكتور طليمات، فخلط بين أحداث سنة ٦٢٣ هـ / سنة ٦٣١ هـ).

هذا ويذكر لنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٤ ب) ورود عبد الله بن الحسن الموصلبي الشاهد المتوفى في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م، رسولا الى إربل من الاتابك أرسلان شاه ابن مسعود صاحب الموصل برسالة الى كوكبوري. ولكنه لم يذكر تاريخ القلوم ولا موضوع الرسالة. ولاشك ان هذه الوفادة لم تكن الوحيدة، وان هناك مراسلات كثيرة تمت

بين حكام البلدين، الا أننا لم نقف عليها، خصوصاً وان تنقل العلماء بين إربل والموصل كان مستمراً في كلا الاتجاهين، وكانت العادة أن يكلف الحكام هؤلاء العلماء بحمل الرسائل والقيام بأعمال السفارة بين حكام ذلك الزمان.

٣ - علاقات إربل ببني أيوب:

كانت إربل - كما رأينا - تابعة للموصل تدور في فلكها سلباً أو إيجاباً، حتى ان ياقوت عدّها من أعمال الموصل. أما ابن الاثير (لتابكية ص ٢٢٤) فانه لم يسمها غير «مدينة إربل» أو «البلد»، اذ قال في معرض كلامه عن مجاهد الدين قايمان، عند توليته لقلعة الموصل في سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م «وكان بيده قبل هذه الولاية» مدينة «إربل» وأعمالها، ومعه فيها ولد صغير لزين الدين علي، ولقبه أيضاً زين الدين. وكان «البلد» لولد زين الدين اسماً لامعاً تحته، ولجاهد الدين صورة ومعنى». ويبدو ان زين الدين يوسف أنف الذكر، كان يرنو ببصره الى الاستقلال عن الموصل، فانتهز فرصة اعتقال مربيه مجاهد الدين قايمان المذكور أنفاً في سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م من قبل عز الدين صاحب الموصل، فامتنع باريك (المصدر السابق ص ٣٣٤ - ٣٣٥)، وكأَنبَ صلاح الدين وانضوى تحت لوائه، ثم حارب في صفوفه، كما سبق وبيننا في ترجمة يوسف هذا. وصار صلاح الدين يرسل الولاة الى شهرزور التابعة لولاية إربل (مخطوطتنا ورقة ١٩٨ ب). وبعد ذلك طلب كوكبوري ولاية إربل لنفسه بعد وفاة أخيه يوسف، ويقول العماد الاصفهاني (الفتح القسي ص ٢١٧ - ٢١٨ ط مصر) بأن كوكبوري قد تعهد بدفع خمسين ألف دينار الى صلاح الدين في كل سنة، لكي يوليه إربل.

وبعد وفاة صلاح الدين في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م، حاول عز الدين صاحب الموصل أن يسترد الممتلكات التي فقدتها لصالح صلاح الدين، غير أن مجاهد الدين قايمان حذره من الاخطار المحيطة بمملكته، ولا سيما خطر كوكبوري حاكم إربل الذي اشتد ساعده (لتابكية ابن الاثير ص ٣٢٨ - ٣٢٩) حتى انه هاجم الموصل في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م - كما أسلفنا - تأييداً لموقف العادل الأيوبي في حماية سنجار من خطر صاحب الموصل الذي حاصرها في تلك السنة. وكان هجوم كوكبوري سبباً في فك الحصار عنها (مرآة السبط ٨ / ٥٤٥ وكوكبوري لطليمات ص ٩٩ - ١٠٠). وهكذا نمت قوة إربل، وصار يحسب لها الحساب، وأصبح الاتابكة يخشونها ويحتاجونها في كثير من الأحيان.

وفي سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م انقلبت الآية، ذلك ان الملك العادل الأيوبي توجه نحو الشرق، فكره المشاركة مجاورته فاتفقوا ضده (وهم كوكبوري وأصحاب الموصل والجزيرة وماردين وحلب)، ولكن رسول الخليفة توسط بين الطرفين، مما أدى الى التصالح (ذيل الروضتين ص ٦٧ و ٧٥). والطريف في هذا الحادث ان الملك العادل حاصر سنجار في تلك السنة، وان صاحبها قطب الدين استنجد بكوكبوري، فأرسل هذا الى العادل - بما له من علاقات الود والمصاهرة - يشفع في أمر سنجار، الا ان العادل رفض شفاعته الأمر الذي حمل كوكبوري على السير بعساكر إربل وشهرزور، وانضم الى جيش الموصل لمحاربة العادل، لكن تدخل الخليفة أدى الى منع القتال وإبقاء سنجار بيد صاحبها (اتابكية ابن الاثير ص ٣٦٠ - ٣٦٦).

وفي سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م قرر صاحب دمشق، وهو الملك الأشرف بن العادل الأيوبي - بعد أن أخذ سنجار - أن يسير الى إربل لأخذها من كوكبوري، الا أن الخليفة تدخل مرة أخرى وطلب اليه الرجوع من حيث أتى، فاستجاب للطلب شريطة أن يُخطب له باربل ويُضرب الدينار باسمه. فوافق كوكبوري على ذلك (الحوادث الجامعة ص ١٠٥ وكامل ابن الاثير ١٢ / ٢٢٥ و ٢٦٠) والظاهر أن كوكبوري كان قد أسقط اسم السلطان الأيوبي من خطبة الجمعة ومن العملة بعد وفاة صلاح الدين (يقول كاهن في «الموسوعة الاسلامية» بأن كوكبوري قد ربط نفسه منذ وفاة صلاح الدين بالخليفة رأساً، ويقول تليعات في «كوكبوري» ص ١٢، بأن إربل تحولت بوفاة صلاح الدين، من وحدة سياسية تابعة الى وحدة سياسية مستقلة استقلالاً كاملاً في سياستها الداخلية والخارجية على السواء). وهذا طبيعي بعد أن انفجر الخلاف بين بني أيوب أنفسهم. وقد وجد كوكبوري الفرصة سانحة فيما بعد، اذ اغتتم قيام شهاب الدين غازي بالعصيان على الأشرف الأيوبي في سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣م، فأعانه، بل ألف حلفاً من المشاركة للوقوف في وجه الأشرف. وحصل مثل ذلك في السنة التالية عندما خاصم الملك المعظم عيسى، صاحب دمشق أخاه الملك الأشرف، فأيده كوكبوري وتحالف معه، وقد استمر هذا الحلف حتى سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ عندما انتهى بالصلح بين الفريقين، والجدير بالذكر أن خوارزمشاه كان قد دخل فيه أيضاً (كامل ابن الاثير ١٢ / ٢٢٥ و ٢٦٠ و ٣٩٦).

ومرأة السبط ٨/ ٦٣٢ - ٦٣٤ وذيّل الروضتين ص ١٣٠ و١٣١ و١٤٢ وكوكبوري لطليمات ص ١٢٧ - ١٣١).

وفي الحقيقة ان جوهر الخصومة بين كوكبوري والملك الاشرف، هو طمعهما بالموصل. بل ان الأمر بلغ بكوكبوري الى مكاتبة نواب الاشرف في بعض الأحيان، يحرضهم على الخروج عن طاعته، وصار يرسل ملوك الاطراف يثير مخاوفهم منه، وقد نجح بالفعل في ضم بعض قواد الاشرف اليه، ومنهم أحمد بن علي بن المشطوب، وعز الدين محمد بن بدر الصميدي، وكلاهما كردي، وان أولهما من أهل إربل (كوكبوري لطليمات ص ١٢١). كما نجح في تحريض حكام بلاد الروم (تركيا الحالية) وحصن كيفا وأمد وماردين وتآلف حلف معهم، لكن هذا الحلف انفرط بوفاة صاحب بلاد الروم (كامل ابن الاثير ٩/ ٣٢٢ - ٣٢٨ ط الاستقامة وكوكبوري لطليمات ص ١٢٢)، مما حمل كوكبوري على الأخذ بالوسائل السياسية بدلا من استعمال القوة، فحاول مصالحة الملك الاشرف، لكنه رفض وأصر على القتال لحسم النزاع الا ان ظروفًا استجدت جعلته يقبل بالصلح (المصدرين السابقين ٩/ ٣٢٤، وص ١٢٤ - ١٢٥).

وفي سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩ م، تمكن الملك الكامل الأيوبي من تعزيز مركزه، اذ اصبح صاحب مصر والشام، مما جعله يفكر في الاستيلاء على الجزيرة وما وراءها، فخافه حكام تلك المنطقة ودخلوا في طاعته، وعندها رأى كوكبوري ان من المصلحة عقد معاهدة للصدقة معه، فعقدت (كوكبوري لطليمات ص ١٣٢ - ١٣٣). وقد نقل الدكتور طليمات هذه المعلومات عن كتاب «السلوك» ١/ ٢٣٦، ولدى المراجعة وجدت ان رسل كوكبوري وفدوا على الملك الكامل في سنة ٦٢٦ هـ وليس في سنة ٦٢٧ هـ. ولم يذكر القريني شيئا عن عقد المعاهدة موضوع البحث، الا انني أخذت باستنتاج الاستاذ طليمات، لان ورود الرسل يعني ولاشك إقامة صلوات ودية وعقد صداقة).

ولعل من المفيد هنا أن نشير الى ان رسل الايوبيين كانوا يتواردون على إربل. ولقد سبق وأشرنا الى ان صلاح الدين كان يبعث الى كوكبوري بالرسائل التي تنبئ بتطورات الحرب في الديار المقدسة. ويحدثنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩٩ أ) عن عدد

من الرسل الذين وردوا الى إربل، ومنهم ابن المخيلى المصري الذي وردها في سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م، الا انه لم يذكر اسم مرسله، ومنهم الوزير المصري المعروف بابن المسيري، الذي ورد إربل مرتين، الاولى في سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م، مندوبا عن الملك الكامل، والثانية في سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٧م مبعوثا من قبل الملك الاشرف (مخطوطتنا ورقة ١١٤ ب وه ١١١، هذا وقد ورد في «صبح الاعشى» ٤/ ٣٦٦ عن إربل، بأن «بها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية»). ومنهم قاضي السويداء الحراني الذي ورد إربل في سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م (المصدر السابق ورقة ١٢٢١)، ولكنه لم يذكر اسم مرسله، والغالب على الظن أنه أحد الايوبيين، هذا وقد أوفد الملك الظاهر غازي، صاحب حلب كاتب إنشائه الشريف الحسن بن زهرة الحسيني الاسحاقي، النقيب المتوفي في سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م، رسولا الى إربل (تكلمة ابن الصايوني ص ١٨٨ والحاشية)، الا اننا لا نعرف تاريخ وفادته.

وعلى كل حال فان إربل بقيت - من ناحية الاسم على الأقل - تابعة لبني أيوب، اذ كان من مصلحة حكامها استمرار هذه التبعية الاسمية، خوفا على أنفسهم من حكام الموصل المجاورين. وفضلا عن ذلك، فان الخوف من الايوبيين يكاد يكون معدوما من الناحية العملية، لان مملكة الموصل الواسعة كانت تفصل بين إربل والولايات الايوبية. ولكن كوكبوري كان يتطلع دوما للتمرد على أصهاره الايوبيين (سبق وذكرنا زواج كوكبوري من ربيعة خاتون شقيقة صلاح الدين - راجع الفصل الثالث من هذا البحث)، ولذلك وقف ضدهم في كثير من الأحيان، الى أن جاءت سنة ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠م، وفيها قطع صلته نهائيا بهم وربط نفسه بمركز الخلافة رأسا، محققا لنفسه حلما عزيزا كان يراوده على الدوام، الا وهو ان يكون سلطانا نداء للاتاكة وبني أيوب على السواء.

وقبل ختام هذه الفقرة، أود الإشارة الى ما يعتقده المرحوم العزاوي (مجلة مجمع دمشق ص ٢٢٧) من انه لولا وجود اشارة إربل وقوتها لما أذعن الاتاكة لبني أيوب. وإنني، وإن كنت لا استطيع تأكيد هذا القول بصورته المطلقة، الا انني أؤيد قيام إربل بدور مهم في حفظ توازن القوى بين الاتاكة وبني أيوب.

٤ - علاقات إربيل ببلاد أخرى:

ان وقوع إربيل قرب التقاء الحدود العراقية بكل من تركيا وإيران، أعطاهما أهمية خاصة منذ القديم، فكانت هي أشبه بالباب بالنسبة للقادمين الى العراق من الشرق والشمال، وان هناك موقعا ليس بعيداً عنها يسمى «دريند» أو «باب الأبواب» حسب التسمية العربية (بلدان ياقوت ١/ ٤٧٧ و ٢/ ٥٦٤). وقد كانت ولاية إربيل، في العهد الذي نحن بصدد دراسته، تتاخم - أو تقارب على الأقل - دويلات عدة كأذربيجان وإقليم الجبال في الشرق، وأرمينيا في الشمال والموصل والجزيرة في الغرب، فضلاً عن عاصمة الخلافة وتوابعها في الجنوب، وقد كان لأذربيجان وإقليم الجبال أهمية خاصة بالنسبة لإربيل، اذ يقعان - كما قلنا - الى شرقيها، وان اخطار الغزو الشرقي كانت دائماً موضع الاهتمام وسببا في قلق الحكام، لا سيما عندما اشتدت شوكة خوارزمشاه، وما أعقب ذلك من تسرب المغول، خصوصا عندما بدأ خوارزمشاه نفسه يضعف أمام الزحف المغولي، وصار يوجه اهتمامه نحو جيرانه من المسلمين فيغزو بلادهم، مما اضطر كوكبوري في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م أن يعرض عليه الدخول في طاعته (مرآة السبط ٨/ ٦٦٩ وكوكبوري لطليمات ص ١٣٣ - ١٣٤). وفي السنة التالية تحالفا ضد الايوبيين، كما أسلفنا. وفي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م راودت خوارزمشاه فكرة الاستيلاء على إربيل استيلاء مباشراً، الا ان كوكبوري نجح بدهائه أن يقنعه بالتخلي عن ذلك وتجديد الصلح (المرجعين السابقين ٨/ ٦٦٩ - ٦٧٠، وص ١٣٤).

وعلى كل حال فان حكام إربيل، منذ أيام زين الدين علي، كانوا يركزون أنظارهم نحو الشرق، فقد شهدنا كيف كان زين الدين يراقب النزاع على العرش السلجوقي، وكيف تدخل في الوقت المناسب بالقبض على سليمان شاه المنهزم واعتقاله في قلعة الموصل. كذلك شهدنا في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م تحالف صاحب الموصل وصاحب همذان ضد زين الدين يوسف، فاستصرخ هذا صلاح الدين، ورأينا كيف ان جيش همذان خرب قرى إربيل وعيث بها، ولكن زين الدين يوسف تمكن من دحر المغيرين، وقد اتخذ صلاح الدين تلك الغارة ذريعة لغزو الموصل (سيرة ابن شداد ص ٥٤ و مرآة السبط ٨/ ٣٨٣ - ٣٨٤ وكوكبوري لطليمات ص ٥٨ - ٥٩).

أما كوكبوري، فقد سبق وأشرنا الى اتفاه في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م مع صاحب مراغة على قصد أنريجان وأخذها من صاحبها . ولكن صاحب اقليم الجبل تدخل في الأمر وحذر كوكبوري من مغبة الهجوم (تاريخ ابن الساعي ص ١٧٥ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٥٦ - ١٥٨ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٤٣) . وكذلك في سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م نظم كوكبوري حلفا مع سلطان سلاجقة الروم وأخيه صاحب «أرزن روم»، وضمهما الى صاحب الموصل في حربه ضد الملك العادل الأيوبي الذي كان يحاصر سنجان (كامل ابن الاثير ١٢ / ١٨٩ وكوكبوري لطيمات ص ١٠٦ - ١٠٧ م) ثم تحالفه في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م مع بني أرتق أصحاب حصن كيفا وماردين ، ضد الملك الأشرف الأيوبي (كامل ابن الاثير ٩ / ٣٢١ ط الاستقامة وطييمات ص ١١٦).

أما بالنسبة لخوارزم شاه، فقد سبق وأشرنا فيما تقدم الى علاقاته بإربل، وهي في مجموعها صورة بارزة لعلاقات إربل بالاقاليم الشمالية والشرقية، واستكمالا لهذه الصورة، يحسن بنا أن نشير الى ما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٦ ب) من أن عبد المحسن بن شفا المراغي الحميري، قاضي مراغة ورد إربل عدة مرات، وآخرها في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م، وقد وردها رسولا . أقول ولابد أن رسالته كانت من صاحب مراغة، إذ هو قاضيها . ويذكر ابن القوطي (معجم ١ / ٢٠٤) أن عبد الصمد بن عبد الرزاق المراغي، كاتب الانشاء للكة مراغة، المتوفى في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م، ورد إربل وكتب عنه بها ابن الشعار الموصللي بعض شعره . أقول ولعله ورد إربل موفداً من قبل تلك الملكة . ويذكر ابن المستوفي أيضا (مخ ورقة ١٤٧ ب) قدوم محمد بن أبي طالب الاهري، نائب قاضي تبريز الى إربل في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م أيضا ، رسولا من الملك أوزبك صاحب أنريجان، إلا أنه مع الاسف لم يذكر لنا موضوع تلك الرسالة .

والذي يغلب على الظن أن كوكبوري قد أنشأ علاقات مع العديد من حكام زمانه، بل أن سخاءه ويعد صيته جعل الآخرين ولاشك يرغبون في مواصلته . ويذكر لنا ابن المستوفي (مخ ورقة ٢١٥ ب) أن أديبا أندلسيا ورد إربل في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م يعرف كوكبوري خبر سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الاسبان واستغاثة أسرى المسلمين هناك به، ليعمل على فكاهم . فاستجاب كوكبوري للنداء، وفي هذا الدليل الواضح على

أن أخبار كوكبوري كانت قد وصلت الى تلك الأنحاء رغم بُعد الشقة. وليس غريباً أن
تنتشر أخباره على هذا النطاق الواسع، بعد أن توارد عدد غير قليل من الاندلسيين
والمغاربة الى إربل في عهده وتمتعهم برعايته وضيافته. ففي الجزء الثاني من «تاريخ
إربل» يحدثنا ابن المستوفي عن حوالي ١٦ أندلسياً ومغربياً وردوا إربل، ولو كشفنا بقية
الاجزاء لأبد وسيضاعف هذا العدد أكثر من مرة.

وقبل الانتهاء من هذه الفقرة، يحسن بي أن أشير الى خبر وجده ابن المستوفي
مكتوباً على حائط أحد المساجد فنقله وهو يشير الى أن جعفر بن المستنصر - من
زعماء الاسماعيلية أصحاب ألموت، على ما اعتقد - قد زار في سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م
سرفتكين نائب صاحب إربل (مخ ورقه ١٤٦ ب) ولعل هذا الخبر يلقي ضوءاً ضئيلاً على
علاقات يمكن أن تكون قد نشأت بين إربل وتلك الطائفة المتطرفة.

الفصل الثامن

الأوضاع الدينية والقومية

والاقتصادية في إربل

ليس من السهل العثور على معلومات كافية لدراسة هذه الأوضاع، إلا أنه من الضروري لمن يتصدى لامارة إربل أن يقول شيئاً عن الأوضاع الدينية والقومية والاقتصادية لسكان تلك الامارة. وقد حاولت جهدي استقصاء ما تيسر لي من المراجع علني أجد فيها شيئاً يلقي بعض الضوء على تلك الأوضاع. وما أننى أدرج في هذا الفصل ما أمكننى أستخلصه بنتيجة ذلك الاستقصاء وقد أضفت عليه فقرة لم أجد لها موضعاً في الفصول السابقة الا وهي «إربل في نظر الشعراء»، جمعت فيها بعض ما قاله الشعراء في إربل.

١ - الحالة الدينية:

سبق وبينت في فصول سابقة، وبشيء من التفصيل، أوضاع المدارس الاربيلية - وكلها دينية - وتحدثت عن دار الحديث والربط الصوفية والمساجد، وتكلمت عن احتفال كوكبوري بالمولد النبوي، وعن اكرامه للعلماء واغداقه الأموال عليهم، وتجهيزه الحجاج وعمله السبيل، وارساله الصدقات الى أهل الحرمين الشريفين، وما الى ذلك. وهذا بطبيعة الحال يعكس الازدهار الذي مرت به الحياة الدينية في إربل، والاهتمام الذي كانت تلقاه من لدن حكامها. ولذلك فليس بوسعي ان أضيف شيئاً جديداً هنا، الا اننى وجدت من المفيد أن أتحدث عن المذهب الذي أظن انه كان سائداً في إربل، وأعني به المذهب الشافعي. وكذلك رأيت أن أخصص زاوية من هذا الفصل للتحدث عن النصارى الذين كانوا يعيشون في منطقة إربل، ويساهمون في حياتها العامة.

أولاً: المذهب الشافعي بإربل:

كان المذهب الشافعي من أوسع المذاهب الاسلامية انتشاراً في العراق، رغم ان

إقامة الامام الشافعي - رض - في العراق كانت محدودة. ومن العسير جداً الاهتداء الى الأسباب التي أدت الى ذلك الانتشار الواسع ولكن السيد حسين أمين (العراق في العصر السلجوقي ص ٢٧٣) يتحدث عن ازدهار المذهب الشافعي بسبب تشجيع السلاطين السلاجقة ووزيرهم نظام الملك بالذات. وقد ذكر ابن خلكان (٢/ ٢٩٩) حادثاً يؤيد هذا الرأي بعض التأييد، ذلك ان شرط الواقف للتدريس في نظامية بغداد مثلاً يتطلب ان يكون المدرس شافعي المذهب، حتى بالنسبة لمن يدرس النحو. ولذا فلا غرابة أن أقبل الناس على هذا المذهب. وعلى أي حال فان دراستنا هنا لا تشمل هذا الموضوع. غير ان الشيء الذي يمكن القطع به، هو ان إربل كانت معقلاً من معاقل الشافعية، ولا سيما في العهد الذي نحن بصدد دراسته، بل انها لا تزال كذلك حتى اليوم، إذ المعروف عن المناطق الشمالية الشرقية من العراق، بأن أهلها هم من أتباع الامام الشافعي المخلصين (كان القضاء في مملكة الموصل في العهد الاتاكي - وإربل من ولاياتها - يقوم على المذهب الشافعي، وفقاً لما ذكره الجميلي في «الاتابكة» ص ٢٤٥. هذا وقد كانت المدرسة التي بناها نور الدين بن زنكي في الموصل مخصصة للشافعية، وفقاً لما ذكره ابن كثير في تاريخه ١٢/ ٢٦٣ وتابعه الجميلي ص ٣١٦، ومثلها المدرسة التي أنشأها نور الدين أرسلان شاه بالموصل أيضاً حسبما ذكره ابن الاثير في «الباهر» ص ٢٠١، وتابعه الجميلي ص ٣١٧. وكانت هناك مدرستان أخريان بناهما الاتابكة في الموصل وقد خصصتا للشافعية والحنفية مناصفة، وفقاً لما نقله الجميلي في «الاتابكة» ص ٣١٥ - ٣١٦).

ومن المعروف لدينا أن علماء إربل الاوائل كانوا من الشافعية، فخذ مثلاً داود بن محمد الخالدي الاربلي، الذي قصد مرو في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م، للسمع وطلب العلم، كان شافعيًا (طبقات الاسنوي ١/ ١٣٤ ومخطوتنا ورقة ١١٢٧) وقد ذكر ابن خلكان، بأن كوكبوري بنى مدرسة باربل ورتب فيها فقهاء من الشافعية والحنفية، الا ان الذي ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ٦٩ ب) هو ان مدرسة الطين التي أنشأها كوكبوري، أوقفها على فقهاء الشافعية دون غيرهم. وعلى كل حال فان الذي لاشك فيه هو ان أول مدرسة انشئت باربل في سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م، ولي التدريس فيها الخضر بن نصر بن عقيل،

وكان شافعيًا (طبقات السبكي ٨٣ / ٧ وتاريخ ابن كثير ٢٨٧ / ١٢). وان محمد بن عبد الله المهاني، قاضي إربل المتوفى في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م - وهو شافعي من العارفين بالمذهب - كان يدرس في ثلاث مدارس بربيل (مخطوطتنا ورقة ٦٩)، ولا شك أنه كان يدرس الفقه الشافعي. ومن المدرسين المعروفين بربيل، عمر بن خلكان المتوفى في سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م - وهو شافعي أيضا - (المصدر السابق ورقة ١٣٧ ب وطبقات السبكي ٨ / ٣٠٨ وطبقات الاسنوي ١ / ٤٩٥)، والحسين بن ابراهيم بن خلكان - وهو شافعي كذلك - (مخطوطتنا ورقة ١٦٣ ب وطبقات الاسنوي ١ / ٤٩٥) وأحمد بن موسى بن يونس بن منعة الاربلي، وهو شافعي أيضا (ابن خلكان ١ / ٩٠). ويذكر ابن الساعي (تاريخ ص ٨) أن مجاهد الدين قايمان، نائب صاحب إربل، كان يعرف الفقه الشافعي وأنه بنى مدرسة للشافعية في الموصل (ذكر ابن الاثير في «الكامل» ١٢ / ١٠١ أن قايمان كان يعرف الفقه على مذهب أبي حنيفة^(١)).

وعلاوة على ما تقدم، فإن قضية إربل الذين وردتنا أخبارهم، كانوا شوافع. منهم مثلا جعفر بن محمد الاربلي المتوفى في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م، أوفى سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م كان عالما بالفقه الشافعي، وقد تولى القضاء بربيل حتى وفاته (مخطوطتنا ورقة ١٢٣ و ٣١٠ ب و ٤٤٤ أ وتاريخ ابن الساعي ص ٢٤٣ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٥٠). ومنهم محمد ابن علي الماراني المتوفى في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م وهو من فقهاء الشافعية، وقد تولى القضاء بربيل (تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٤)، علاوة على محمد بن عبد الله المهاني آنف الذكر. وان تعيين هؤلاء للقضاء بربيل، يستتبع بلا شك القول بأن أكثرية السكان كانوا من الشافعية، وهذه حقيقة واضحة، فإن الارابلة بالفعل بأغليبيتهم الساحقة شوافع، فال شهرزوري مثلا كانوا من الشافعية (طبقات الاسنوي ٢ / ٩٦ و ٩٧ و ٩٩ و ١٠١ و ١١١)، وبنو خلكان كانوا كذلك، بل ان ابن خلكان المؤرخ الشهير، كان قاضي قضية الشافعية (ذيل اليونيني ٤ / ١٤٩ وطبقات الاسنوي ١ / ٤٩٥ و ٤٩٦ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٢٤٦)، وبنو عقيل الذين منهم الخضر بن نصر بن عقيل أول مدرس بربيل، ونصر بن عقيل، كانوا شوافع (طبقات الاسنوي ١ / ١١٩). واتماما للفائدة ساذكر فيما يأتي عدداً من الارابلة الذين عرفوا بكونهم من الشافعية.

أ/ المبارك بن طاهر الخزاعي المتوفي في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م شيخ ابن المستوفي، وكان شافعيًا متعصبًا لمذهبه (مخطوطتنا ورقة ٦ ب).

ب/ أميري بن بختيار المتوفي في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م، وهو ممن سمع عليهم ابن المستوفي، وكان شافعيًا (المصدر السابق ورقة ١١ أ وطبقات السبكي ٤ / ٥ ط حسينية).

ت/ محمود الخواتيمي الأربلي المتوفي في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م، وقد تفقه على المذهب الشافعي (مخطوطتنا ورقة ٨٣ ب).

ث/ المظفر بن عبد الله بن أبي منصور، الشريف العباسي المتوفي في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م، وقد ولد باريك وكان شافعيًا (طبقات السبكي ٥ / ١٦ ط حسينية).

ج/ عثمان بن عيسى بن درياس الماراني، الفقيه الشافعي، تفقه في صباه باريك على الخضر بن عقيل (تكملة ابن الصابوني ص ٢٢٩ والحاشية).

ح/ ذكر الاسنوي في «طبقات الشافعية» ١ / ١٢٥ و ١٤٣ و ١٥٤ عددًا من الأربلة الشوافع، منهم الياس بن جامع الأربلي والحسين بن إبراهيم الأربلي وعبد الله بن حسين الأربلي.

خ/ سائر بن حسن الأربلي المتوفي في سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م، كان من فقهاء الشافعية ومشايخهم (تاريخ ابن كثير ١٣ / ٢٦٢).

د/ عمر بن أسعد الأربلي المتوفي في سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦ م، كان فقيهاً شافعيًا (ذيل اليونيني ٣ / ١٩٣).

ذ/ يحيى بن محمد بن إسماعيل الأربلي الشافعي المتوفى في سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م، تولى القضاء بدمشق وحلب (المصدر السابق ٤ / ١٣٣).

ر/ الحسن بن أحمد بن زفر الأربلي الشافعي، الطبيب المتوفي في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م، هاجر إلى دمشق وأقام فيها مدة طويلة، وألف في التاريخ والسير (مجلة مجمع دمشق - مج ٢٢ لسنة ١٩٤٧ ص ٢٣٤ - ٢٤١)

ن/ طه بن إبراهيم الاربلي الشاعسر، ولد باربل في سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧م، وتوفي بالقاهرة في سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م، وكان شافعيًا (طبقات الاسنوي ١ / ١٥٣).

س/ إسحق بن هبة الله بن صديق، قاضى خلاط ومن فقراء الشافعية، أقام باربل حتى وفاته (ذيل اليونيني ٢ / ٤٠١).

هذا ويحسن بي أن أقول بأن بين الارابلة من كان يقلد مذاهب أخرى، فمن هؤلاء مثلاً محمد بن أحمد بن عمر الاربلي، المعروف بابن الظهير، وكان حنفيًا (شذرات ٥ / ٣٥٩). ولد باربل في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥م وتوفي بدمشق في سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م ودرّس ببعض مدارس دمشق. بل أن مجاهد الدين قايمان الذي حكم إربل نيابة عن زين الدين علي ثم وصيا على ولده يوسف، كان متفقاً على المذهب الحنفي وفقاً لما ذكره ابن الاثير (الكامل ١٢ / ١٠١)، غير أن ابن الساعي ذكر في تاريخه ص ٨، بأنه كان يعرف الفقه الشافعي، وأنه بنى مدرسة للشافعية في الموصل. أقول انتهى أرجح قول ابن الاثير، لأنه عاصره وعرفه وعاشه في الموصل). كما أننا سبق وذكرنا إربلياً آخر كان امام حطيم الحنابلة في الحرم المكي، وأن ربيعة خاتون زوجة كوكبوري، بنت في دمشق مدرسة لفقهاء الحنابلة (ابن خلكان ٣ / ٢٧٧). ثم أن أحمد ابن علي الاربلي النحوي المتوفى بدمشق في سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٨م، كان حنبلياً أيضاً، وقد درّس بجامع دمشق (شذرات ٥ / ٢٨٨) وهناك من كان شيعياً، كالعز الاربلي الذي كان يدرّس علوم الأوائل. إلا أن المذهب السائد، كما أسلفنا، كان المذهب الشافعي وإلى جانبه المذهب الحنفي. وهذا واضح مما ذكره ابن خلكان عن المدرسة التي ابتناها كوكبوري ورتب فيها فقهاء من هذين المذهبين.

ثانياً: النصارى في إربل:

سبق وبينّا في بداية الفصل الأول من هذا البحث، بأن النصرانية قد تسربت الى اقليم إربل وترسخت قواعدها فيه، حيث أقيمت في سنة ٥٠٠ للميلاد مطرانية كلدانية تضم الموصل وإربل. وتوجد في معهد الدراسات الاسلامية ببغداد مخطوطة تاريخ قديم لكنيسة إربل وبرايشيتها في القرن السادس الميلادي، وهو من تأليف مشيخاً زخا، نقله

من السريانية الى العربية المطران بطرس عزيز المتوفى في سنة ١٩٣٧م (فهرس مخطوطات المعهد ص ٩ و ٢٨). وقد كتب القس بولص شيخو مقالا في مجلة «النجم» الموصلية (عدد ٨ لسنة ١٩٣٦م ص ١٠٤ - ١٠٧ وعدد ٩ ص ١٧٥ - ١٨٠) حول الكتاب المذكور، مما يدل على رسوخ قدم المسيحية في منطقة حدياب. هذا ولاشك ان النصارى قد تمتعوا - بعد دخول الاسلام الى تلك المنطقة - بالحماية التي يضفيها الاسلام على أهل الذمة، الا ان المعلومات المتسيرة لدى عن وضع النصارى هناك محدودة جداً، إن لم تكن معدومة، ما خلا إشارات هنا وهناك. والجدير بالذكر أن Fiey كتب فصلا قيما عن إربل ركز فيه على النصارى من أهلها، فتحدث عن نشاطهم وكنائسهم (كتاب آشور النصرانية ١/ ٣٧ - ٩٧). ويمكننا من استقراء تلك الاشارات العابرة، ان نقول بأن النصارى كانوا بخير في العهد الذي نحن بصدد دراسته. وقد ذكر ابن المستوفى (منخ ورقة ٩٥ب) انه رأى إشهداً مؤرخاً في سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠م، بتقرير قرره الأمير أبو الهيجاء صاحب إربل، لرجل نصراني من أهل إربل. كما سبق لنا أن أشرنا الى أن بعض النصارى قد بلغ وظائف عالية في الحكومة الاربلية، أمثال يعقوب النصراني والمختص النصراني (لعل الاخير هو والد الفخر إسحق بن المختص الاربلي، صاحب المؤرخ ابن خلكان، وكان ينظم الدوبيت - انظر «الوفيات» ٤ / ٨٤) اللذين تعاقبا على إشغال وظيفة «مشرف ديوان إربل» (ذيل اليونيني ١ / ١١٧ و ٢ / ٣٦٨ - ٣٦٩).

والظاهر ان النصارى قد توغلوا في دواوين الحكم توغلا عميقا الى درجة حملت أحد شعراء إربل، وهو طه بن إبراهيم الاربلي، على القول في هجاء إربل (اليونيني - ذيل ٣ / ٣٠٣):

الأأجزي الا له بليد سوء تحكّم فيه عبّاد الصليب

وقد ذكر ابن الشعار (منخ استانبول ٧ ورقة ٧٠ - ٧١) بأن عليا بن النفيس، وكان من أولاد النصارى، استطاع ان يسيطر على حكومة إربل سيطرة تامة، وحكم فيها واستفحل أمره، وظلم الناس ظلما فاحشا، حتى غلب على كوكبوري نفسه الذي انقاد له في جميع ما يأمره وينهاه. وانه حصل عن هذا الطريق على أموال جمّة. وقد هجاه الشاعر محمد بن علي بن شماس.

وقد سبق معنا ما قاله ابن الشعار بشأن هبة الله بن ابي الحسن المصري الدمنهوري المتوفي سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤م الذي تولى «ديوان الارتفاع» باربل، وصار له ديوان الاشراف بالقلعة، هو نصراني لجأ الى إربل في سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤م بعد ان اعتقل بمصر لرفضه الدخول في الاسلام (عقود الجمان ج ٩ ورقة ١٢٢).

كذلك يمكننا القول بأن النصاري كانوا يتمتعون بحرياتهم الدينية، وكانت لهم كنائسهم، كما كان لديهم من الجرأة والمال ما أطمعهم في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦م في محاولة رشوة سرفكتين الزيني، نائب حاكم إربل، بغية حملة على بناء جامع باصيدا بعيداً عن كنيساتهم، فقبلوا له ٥٠٠ دينار، وفقاً لما ذكره ابن المستوفي (منح ورقة ٢٠٤ ب). والظاهر أن النفوذ النصراني في الحكومة استمر حتى بعد عودة إربل الى حظيرة الخلافة، إذ عُيِّن الخليفة في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ كاتباً لديوان إربل هو ابن عبدان النصراني (الحوادث الجامعة ص ٤٥ - ٥٠ ومجلة مجمع دمشق - مقال العزاوي ص ٦٢).

وعلاوة على ما تقدم فإن الوجود النصراني في إربل ومنطقتها - كما يتضح مما أوردناه في التبعة التاريخية التي قدمناها في الفصل الأول من هذا البحث - قد استمر، بل وصارت إربل تتمتع بمركز ديني ممتاز في العهد المغولي (زار الجاثليق «مرمليخا» سلطان المغول في سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥م، ثم عاد عن طريق إربل، فبني في قلعتها بيعة، وعند وفاته عُيِّن بمكانه «ماردنحا الاريلي» وفقاً لما ورد في «الحوادث الجامعة» ص ٣٥٤). أقول: ولا يزال باربل جالية نصرانية رأيتها بنفسى في بعض قراها في سنة ١٩٤٤م، يوم تجولت في تلك المنطقة بمهمة أثرية. والجدير بالذكر أن المرحوم مصطفى جواد يرى ان التسمية الصحيحة للجاثليق المذكور هي «مكيخا» وليس «مليخا» (مجلة المجمع العراقي ٦ / ٤٥٣).

هذا وقد كان لنصاري إربل مشاركة في الشعر، فقد برز بينهم عدد من الشعراء، نذكر منهم «كيوركيس وردا الاريلي» المسمى بشاعر العذراء، والمعروف انه كان حياً في النصف الأول من القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) وله ديوان شعر

باللغة الآرامية، وقد تضمن وصفا لحصار المغول لإربل عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م (سجلية «النجم» الموصلية، العدد ٩ لسنة ١٩٣٧ م ص ٢٢١ والقس سليمان الصائغ: تاريخ الموصل، ج ٢ ص ١١١، ورفائيل بابو اسحق: تاريخ نصارى العراق، ص ٩٤).

ومنهم الشاعر خميس بن قرادحي، تلميذ كيوركيس أنف الذكر، وقد برز خميس في النصف الثاني من القرن السابع، وله ديوان مخطوط باللغة الآرامية أيضا (سليمان الصائغ، ج ٢ ص ١١١ - ١١٢ ورفائيل بابو اسحق ص ٩٤).

هذا وقد عثرت في «المجلة العربية» الصادرة في الرياض على ذكر نصراني إربلي كان له شأن في القرن الماضي، هو «يوسف الأربيلي الدمشقي» الذي كان ناظراً للمدارس الارتودكسية في دمشق، ثم هاجر إلى أميركا عام ١٨٧٨ م (العدد ١٢٤ لشهر كانون الثاني ١٩٨٨ م ص ٣٩ من المجلة)

وعلى كل حال، سأكتفي بهذا القدر، إذ ليس من شأنى التوسع في هذا الموضوع.

أما بالنسبة لليهود فيقول الجميلي (أتابكة ص ٢٨٨) بأن إربل عرفت وجود اليهود أيضا، ونوه بأن بنيامين التطيلي قد أشار إلى وجود جالية يهودية فيها في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي، مشيراً إلى رحلته (النسخة الأسبانية ص ٨٣) إلا أنني بعد أن راجعت النص الذي أشار إليه السيد الجميلي في نسخته الأسبانية وترجمته الانكليزية (انظر ص ٣٤ وهي ص ٥٢ من الأصل)، لم أجد ذكراً للجالية المذكورة، وكل الذي ذكره بنيامين هو وجود إربل كمدينة تبعد عن نينوى أربعين فرسخا لا غير. لكن الذي لاشك فيه هو وجود اليهود بإربل في العصر الذي نحن بصدد، حتى أن أحدهم، وهو غالي بن زخريا اليهودي الأربلي، عُيّن رئيسا للطائفة اليهودية، أي «رأسا لمشية اليهود» في سنة ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م وفقا لما ورد في «الحوادث الجامعة» ص ٢٤٨ (ذكر المرحوم مصطفى جواد في حاشية «معجم ابن الفوطى» ١١٢ / ٣ بأن الصحيح هو «رأس المشية» وأنه تصح في «الحوادث الجامعة» إلى «المشية»، كما تصح في تاريخ ابن الساعى ص ٢٦٦ إلى «المشيئة»)، والجدير بالذكر أن ابن الفوطى ذكر يهودياً إربلياً بارزاً هو المعتمدين الدولة، ساوى بن إبراهيم بن أبي الفرج الأربلي الجوهري، كان عارفاً

بالجواهر، وله اتصالات بالوزراء والاكابر، وكانت له أيضا معاملات تجارية ببغداد، كان حيا في سنة ٧١٠ هـ (مجلة المجمع العراقي ٩ / ٧٣).

٢ - الأوضاع القومية في إربل:

الظاهر ان منطقة إربل - وإن كان الاكراد يعدونها ضمن ما يسمونه «كردستان» (قبل الفراغ من كتابة هذا البحث أعلنت الحكومة العراقية في ١١ / ٣ / ١٩٧٤ م منحها الحكم الذاتي لكراد العراق، جامعة إربل عاصمة للادارة الكردية، وفقا لما ذكرته الصحف البريطانية الصادرة يوم ١٢ / ٣ / ١٩٧٤ م، ولا سيما صحف «تايمس» و«غارديان» و«ديلي تلغراف») - الا انها لم تكن في يوم من الأيام ذات طابع قومي موحد، رغم الذي قاله ياقوت الحموي من ان سكان رساتيق إربل وفلاحيتها كانوا من الاكراد، وان الاكراد كانوا ينتشرون في الجبال القريبة من شهرزور، وانهم كانوا يقطعون الطرق ويغتصبون الأموال، الى آخر ما قاله من ذم لهم، لانقبله منه (بلدان ١ / ١٨٧ و ٢ / ٢٤٠). نقول بأننا نعتقد بأن المنطقة كانت خليطا من قوميات عدة، وان ياقوت نفسه قال عن سكان مدينة إربل، انهم اكراد استعربوا، وهنا يحق لنا التساؤل، كيف استعرب هؤلاء السكان لو لم يخالطوا العرب مخالطة واسعة النطاق ويعايشوهم ويمتزجوا بهم بالمواطنة والمصاهرة والتعامل، وما الى ذلك من أسباب الامتزاج!!!.

هذا ولدينا إشارات واضحة تدل على وجود ذلك الاختلاط، منها أن العماد الاصفهاني (الفتح القسي ص ١٠٠) أشاد في ثنايا مدحه لكوكبوري وشجاعته، بجيش كوكبوري الذي كان يتألف من «فرسان العرب وشجعان الاكراد وفتاك التركمان» (ولقد استغربت قول الدكتور طليمات - كوكبوري ص ١٩٦ - : وليس من شك في ان مظفر الدين اصطنع جيشه الذي حارب به الصليبيين من هؤلاء الاكراد!! ولا ادري كيف سمح لنفسه ان يقول عبارة «وليس من شك» دون الاستناد الى مرجع معتد!!!) ممن كانوا معه في معركة حصن الاكراد. وذكر ابن الاثير (الكامل ١١ / ١٩٥) انه وقعت في سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م فتنة بين التركمان والاكرد بديار الجزيرة والموصل وديار بكر وشهرزور (والاخيرة من توابع إربل) واستعر القتل بين الفريقين، الا ان قايماز تدارك الفتنة،

فعالجها ببذل المال. وذكر أمين زكي (تاريخ الكرد ص ١٦٧ - ١٦٨) ان فتنة وقعت باريل في سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م ضد المغول بتأييد من العرب والاكرد، الأمر الذي يدل على وجود العرب والاكرد معا بأعداد مهمة، ليتسنى لهم القيام بفتنة ضد محتل غاشم كالمغول.

والظاهر ان هذا الاختلاط قد استمر حتى العصور المتأخرة، فان الرحالة الانكليزي Rich الذي زار إربل في تشرين الاوّل من سنة ١٨٢٦م، رأى بنفسه مضارب قبيلة عربية، هي «حرب»، خارج قلعة إربل، في حين ان أهل المدينة كانوا من الترك والاكرد (الرحلة ١٥ / ٢). كذلك ذكر القنصل الفرنسي «بلاس» وجود قبيلة «طي» العربية بجوار إربل في سنة ١٨٥١م، وان شيخها قد تعهد له بحماية عماله الذين كانوا يعملون في التنقيب عن الآثار (مجلة «النجم» عدد ١٣ لسنة ١٩٥٣م ص ١٣٠). أما في الوقت الحاضر، فان المرحوم العزاوي يخبرنا - وهو الحجة في موضوع قبائل العراق إذ له مؤلفات عدة عن هذه القبائل - بأن بعض القبائل العربية لا تزال تقيم في مواطن عديدة من لواء إربل، كما ان الترك يقطنون عدداً غير قليل من قرى هذا اللواء (مجلة مجمع دمشق ص ٢٣٠).

والوقوف على المدى الذي استعربت اليه إربل، رأيت من المفيد تخصيص فقرة بعنوان «الوجود العربي باريل»، وهدفي من ذلك علمي بحث لا صلة له بأي مطلب سياسي.

الوجود العربي باريل:

لقد سبق ونهنا في الفصل الاول من هذا البحث، بأن إربل مدينة آشورية الاصل، والآشوريون، كما هو معروف، من أصل سامي. ولكن الحروب والغزوات - على ما يبدو - قد غيرت الصفة السكانية للمدينة رغم بقاء أقليات نصرانية في القرى التابعة لها، وهي في الأعم الأغلب أقليات آشورية أو أرامية الاصل. أما المدينة فالظاهر ان الاكرد قد تسربوا اليها من الجبال المجاورة، مما حمل ياقوت (بلدان ١ / ١٨٧) على القول بأن أكثر أهلها من الاكرد وقد استعربوا، وهذا معناه ان ياقوت، لدى زيارته لاريل التي تمت قبل سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م، وهي سنة وفاته، وجد أهلها عربا في لغتهم على الأقل. وهذا

طبيعي جداً إذا ما تذكرنا بأن اللغة العربية - بفضل القرآن الكريم - كانت قد طغت في كل بقعة بلغها الاسلام، من الهند الى الاندلس، وأصبحت لغة التخاطب والتفاهم، فضلاً عن كونها لغة الدين والعلم والادارة والادب. ويخبرنا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩٦أ) بأن السلطان محمد بن تكش، صاحب خوارزم كان يقول الشعر باللغة العربية، وأن الخوارزميين الذين وردوا الى إربل، كانوا على حظ كبير من معرفة العربية (مخ ورقة ١٩٥أ) ولذلك فلم يكن بوسع إربل أن تشذ عن بقية الاقاليم الاسلامية وتتخلف عنها، لا سيما وانها قريبة من عاصمة الخلافة بغداد، علاوة على قربها من الموصل عاصمة الاقليم الشمالي.

ان «تاريخ إربل» لابن المستوفي، يؤيد هذه الحقيقة بالدرجة الاولى، إذ يذكر لنا العديد من الاربلة الذين هم من أصل عربي، في حين أن الذين صرح ابن المستوفي بأنهم من الاكراد، كانوا قلة قليلة. وعلاوة على ذلك فإن الذين تولوا المسؤولية في إربل كانوا في الغالب من العرب ويأتي في مقدمة هؤلاء ابن المستوفي اللخمي، صحيح ان الامارة نفسها لم يتولها أحد من العرب، إذ المعروف ان حكام إربل من آل ابي الهيجاء كانوا من الاكراد، وان آل بكتكين كانوا من التركمان. ولكن ذلك لا يغير من الواقع بأن قبائل عربية، أو عوائل عربية على الأقل، كانت قد استوطنت إربل منذ عهد بعيد، وربما عقب الفتح الاسلامي، وصار يتردد في نسبة أفرادها أسماء تلك القبائل، وهذا واضح من أسماء بعض الشخصيات التي سنأتي على ذكرها. ويجدر بي هنا أن أشير الى خطأ وقع فيه بعض إخواننا الاكراد، إذ ظنوا بأن كل من قطن إربل كان كردياً، وهذا ما وقع فيه السيد جمال بابان حينما نشر في جريدة «التأخي» البغدادية (عدد ٦٩٥ بتاريخ ١٩/٣/١٩٧١م) نبذة عن ابن المستوفي، بصفته من «أعلام الكرد» وفي هذا اقتنات على التاريخ لان ابن المستوفي باجماع المؤرخين كان لخمياً من سلالة الخثعمان بن المنذر، وأن أصل عائلته من الموصل، وما الى ذلك مما فصلناه في دراستنا عن ابن المستوفي في موضع آخر من هذا البحث، فليراجع هناك.

هذا وقد رأيت من المفيد أن أشير الى بعض الشخصيات العربية التي برزت في إربل ايضاحاً لما ذهب اليه:

أ/ الشيبانيون - ومنهم أسعد بن إبراهيم الشيباني الأربلي، النشابي الشاعر، وقد تولى كتابة الانشاء بارييل. وذكر اليونيني (ذيل ١ / ١١١ - ١٢٣) بأنه شيباني، وقيل أنه انصاري. ومن بني شيبان أيضا، القاسم بن المظفر الشهرزوري قاضي إربل المتوفي في سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م (أنساب السمعاني ١ / ١٥٢ وابن خلكان ٣ / ٢٣٢). ومنهم كذلك الأمير عيسى بن أبي الفتح بن هندي الشيباني الأربلي، الذي كان حاكما بارييل وتوفي بها في سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م (معجم ابن الفوطي ٣ / ٢٧٤). ومنهم علي بن أبي القاسم الشيباني الأربلي المتوفى في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م، وكان من أهل النحو والشعر (مخطوطتنا ورقة ١١٧ أ وبغية السيوطي ٢ / ١٨٤). والعباس بن بزوان الشيباني الأربلي، من رجال الحديث والشعر (مخطوطتنا ورقة ١١٧ أ وبغية السيوطي ٢ / ١٨٤). والعباس بن بزوان الشيباني الأربلي، من رجال الحديث ومن زملاء ابن المستوفي (مخطوطتنا ورقة ١٢٢٧).

ب/ النخعيون - ومنهم محمد بن أبي المظفر بن نصر بن عقيل النخعي الأربلي المتوفى في سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م، وهو من أهل الأدب والحديث (تكملة ابن الصابوني ص ٢٦٢). وينتمي محمد هذا إلى عائلة كبيرة بارييل، منها الخضر بن نصر بن عقيل، أول من تولى التدريس بارييل، وابن أخيه الذي أعقبه بعد وفاته.

ت/ الطائيون - ومنهم محمود بن رالي الطائي الرقي، نزل إربل وولي النظر بها لكوكبوري، وتوفي في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م (تاريخ ابن كثير ١٢ / ١٤). وعثمان بن موسى بن عبد الله الطائي الأربلي، إمام حطيم الحنابلة بالحرم المكي، وقد أقام بمكة زهاء ٥٠ سنة، وبها توفي في سنة ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م (ذيل ابن رجب ٢ / ٢٨٦ ط الفقي).

ث/ الخزرج - ومنهم عمر بن شماس الخزرجي، من الأدباء وقد ترجم له ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧ ب)، وأخوه علي الذي تولى الوزارة في حكومة إربل (ابن الشعار - مخ استانبول ٤ ورقة ٢٠٠). ومنهم الحسن بن شماس الخزرجي، وهو من الشعراء والكتاب، وقد ذكره ابن الفوطي (معجم ١ / ٧٩) ومحمد بن علي بن شماس بن هبة الله الأربلي، وقد ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٥ ورقة ٧٠).

ج/ الخزاعيون، ومنهم عبد اللطيف بن المبارك الخزاعي الاربلي المتوفى في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م، وقد سمع عليه المنذري (تكلمة ٤٠ / ٣) لدى وروده الى مصر. والمبارك ابن طاهر الخزاعي، شيخ ابن المستوفي وولده عبد الله (مخطوطة ورقة ١٦ - ١٩ و١٨٤). ومنهم إسحق بن ابراهيم بن محمد الخزاعي الاربلي الذي ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ١ ورقة ٢٤٤).

ح/ الأنصار - ومنهم عز الدين الحسن بن علي بن أبي الهيجاء الانصاري الاربلي الاديب، وقد ذكره ابن الفوطي (معجم ٨ / ٨٤)، الا انه لم يذكر شيئاً عن حياته.

خ/ الفزاريون - ومنهم عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الفزاري الاربلي المتوفى في سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٢٨ م، وكان أدبياً شاعراً (معجم ابن الفوطي ٨ / ٢١٩).

د/ الأمويون - ومنهم الشاعر خشتري بن تليل الاربلي المتوفى في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م، وقد ذكر اليونيني (ذيل ٢ / ٢٢٨) بأنه من بني مروان بن الحكم.

ذ/ العقيليون - ومنهم سليمان بن جبريل العقيلي الاربلي الذي ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٢ ورقة ٤٧).

وعلاوة على هؤلاء، فإن مواطنين من مدن وأقطار أخرى توطنوا إربل، فمثلاً محمد بن أحمد بن عمر الاربلي، المعروف بابن الظهير، أصل عائلته من مراکش، الا انه ولد بارييل في سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م (علماء بغداد للفاسي ص ١٧٦) وان علياً بن محمد الواسطي، المعروف بابن الحداد، أقام بارييل وبها توفي في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م، وقد أحقق الواسطيون بجنازته، وفقاً لما ذكره ابن المستوفي (مخ ورقة ١٣٥ ب)، الأمر الذي يدل على وجود جالية واسطية كانت تقيم بارييل. وهناك مبشر بن محمد المصري، المعروف بابن القسطلاني، وقد أقام بارييل مدة في وقت كان فيها مصري آخر هو محمد بن رزقيني (المصدر السابق ورقة ١٣٦ ب). وهناك واعظ من غرناطة هو يحيى بن أحمد الحسنسي الاندلسي، ورد إربل في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م، وعقد مجالس الوعظ بها، فكان له قبول عظيم من العامة. وقد أعجبتة إربل، وعندما أذن وقت رحيله أوعز الي العامة بأن يطلبوا الي كوكبيوري استبقاءه، فاستجاب لهم (المصدر السابق ورقة ١٦١ أ). ولقد سقنا هذه

الأمثلة لندلل على ان إربل كانت تزخر بالغرباء من العرب، علاوة على ساكنها المستعربين.

ومن الواضح ان اللغة العربية كانت هى اللغة السائدة، إذ لولا سيادتها وإجراء التفاهم بها، لما كان من الممكن لهؤلاء الغرباء أن يتفاهموا مع السكان، بلغة القاء المواعظ بها وحصول «القبول العظيم» لهم لدى العامة، كما وقع للواعظ الغرناطي آنف الذكر. ومن الجدير بالذكر ان إربل استقبلت لعددًا غير قليل من الوعاظ، ولاشك انهم كانوا يلقون مواعظهم باللغة العربية. وفي مقدمة هؤلاء الوعاظ يأتي أحمد الغزالي المتوفي في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م، وهو أخو أبي حامد الغزالي (مخطوطتنا ورقة ١ ب). ومنهم الحسين الأواني المتوفي في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م (المصدر السابق ورقة ٧٧ ب)، وأوانا التي يُنسب إليها هي من قرى بغداد. ومنهم محمد بن أحمد القزويني المتوفى في سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م، وكان واعظاً أيضاً، وحصل له قبول عظيم بإربل (المصدر السابق ٧٧ ب). وهنا يمكننا أن نضيف إلى ما تقدم، القول بأنه لو لم تكن اللغة العربية راسخة الأساس بإربل، لما تشجع هذا العدد الكبير من الأدباء والمحدثين والمؤرخين والوعاظ - الذين ضمهم كتاب ابن المستوفي - على زيارة إربل، ولوقف حاجز اللغة حجر عثرة في سبيلهم، وفوق ذلك لما كان بالامكان ان يبرز من أبناء إربل نفسها أدباء وشعراء من طراز عال، أمثال محمد بن يوسف البحراني، وعيسى الحاجري، وأسعد بن ابراهيم النشابى، وغيرهم ممن أسلفنا ذكرهم. ومالنا نذهب بعيداً وعندنا ابن المستوفي نفسه الذي كان من الشعراء المعبودين، فقد ذكر له حاجي خليفة «ديوان شعر» في «كشف الظنون»، بل هو معبود من كبار النقاد، فقد سمح لنفسه بالتصدي لشرح شعر عملاقين من عمالقة الشعر العربي، أبي تمام والمتنبي، وفي هذا ما يكفي لادراك علو منزلته في اللغة والأدب.

٣ - الحياة الاقتصادية والشؤون المالية لإربل:

انه من العسير حقا الحصول على معلومات واقية لرسم صورة الحياة الاقتصادية في إمارة إربل، ومعرفة مواردها المالية، وذلك لعدم تيسر المراجع الباحثة في هذا الموضوع.

ولكنني أثرت أن أتعرض بإيجاز لهذه الناحية بدلا من إغفالها، على أمل أن يقوم غيري من ذوي الاختصاص، بمحاولات أخرى ويكون أحسن حظا مني في العثور على المعلومات المطلوبة، وعلى أي حال، فقد كان لاريل زراعتها، وإن سهولها معروفة منذ القدم بخصبها، وإن قطنها كان يعتبر من أجود الاقطان، وكذا الذرة (الموسوعة الاسلامية ٢/ ٥٢٣ ط ١٩٢٧م). وإن الري فيها كان يعتمد على القنوات المحفورة في باطن الأرض منذ العهد الآشوري، وقد أشار ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩ أ) الى قناة منها كانت تسقي بستانا نضراً من بساتينها. وهناك إشارات الى أن بعض تلك القني كانت تدخل الى المدينة لسقاية دار السلطنة وبعض المساجد. وعلاوة على ذلك فإن إقليم إربل فيه جبال كثيرة تغطيها الاشجار المثمرة وأشجار الأخشاب، وقد ذكر ياقوت (بلدان ٣/ ٢٠٨) أن الفواكه كانت ترد اليها من تلك المناطق الجبلية (موسوعة البستاني ١/ ٧٧). ولابد أنها كانت تعتمد أيضا على الأخشاب الواردة منها، في تشييد مبانيها وصنع الاثاث، وللحصول على الاحطاب والفحم، مما هو قائم حتى الآن. وقصلا عن ذلك فإن المنطقة المنتجة للنفط^(١)، وقد كان معروفا في تلك العصور، تقع بالقرب من الكرخيني، وهو كركوك الحالية، وقد كانت من توابع إربل. ولابد أن حكومة إربل والسكان قد حصلوا على فوائد جمة من هذا المعدن الثمين، ثم إن ياقوت (بلدان ٤/ ٩٧٠) ذكر أن حصن مرزور التابع لاريل، كان غنيا بمعدن الحديد وبمعدن «الموميا» وهو ما يسمى بالانكليزية PISSASPHALT وهي مادة تخرج من العيون كالقار والنفط.

هذا وقد كان لاريل تجارها الذين يجوبون الافاق، وهناك إشارات متفرقة عنهم. ومن هؤلاء التجار، مبارك بن الحسن الشعار الاربلي، الذي كان يعمل الشعر ويبيعه، ثم صار تاجراً يضرب الأرض في طلب الرزق (مخطوطتنا ورقة ١٥٥ أ)، ويوسف بن محمد البحراني، وهو والد محمد شيخ ابن المستوفي، وكان تاجراً يتردد من إربل الى البحرين،

(١) ذكر ياقوت في بلدانه ٢/ ٣٩٣ وجود عين عظيمة للنفط في خانقين. كذلك من المعروف أن الخليفة الناصر أرسل الى صلاح الدين أحمالا من النفط العراقي وبعض النفاطين لاستخدامهم في حربه ضد الصليبيين.

ويقيم بها لاجل تحصيل اللؤلؤ من المغاصات (ابن خلكان ٤/ ١٠٣ وتاريخ أبي الفداء ٣/ ٧٧)، ويذكر اليونيني (ذيل ٤/ ١٢١) تاجراً إربلياً آخر هو القاسم بن أبي بكر الاربلي المقرئ، ويقول أنه كان من أعيان التجار، فكان يتردد على مصر ويلاذ العجم وخوارزم. والجدير بالذكر ان ياقوت أشار الى أهمية بعض المراكز التابعة لإربل بالنسبة للقوافل، فعند حديثه عن تل هفتون (حبتون) ذكر انها تقع على طريق القوافل بين إربل وأذربيجان (معجم البلدان، ج ٢ ص ٤٥)، مما يدل على انتظام سير القوافل التجارية بين المنطقتين، كما أشار الى بعض الصناعات الاربلية، فقد ذكر عند حديثه عن حزة بأنها اشتهرت بالنصافى وهي ثياب قطنية تصنع من القطن المحلي (معجم البلدان ج ٢، ص ٢٥٦). هذا وقد ذكر ابن المجاور ان مسافري خراسان يشترتون جلود النعال من رستاق الموصل وسواد إربل وتُدبغ بمكة (تاريخ المستبصر، ج ١، ص ١٣)، وهى إشارة واضحة الى النشاط التجاري للمنطقة.

والظاهر ان إربل عرفت حياة اقتصادية مزدهرة، فكانت فيها الاسواق والخانات والقيساريات، ومنها سوق الصفارين وخان الصفارين، وسوق الخراطين، وموضع للفحامين الذين سُميت باسمهم إحدى أبواب سور المدينة (مخطوطتنا ورقة ٥٦ أ و ٧٥ ب و ١٠٤ و ١١٩). وعلاوة على ذلك عرفت إربل بعض الصناعات كالخراطة وعمل النشاب، وقد عُرف به أحد شعرائها، وهو المجد النشابى الذي نوهنا بذكره أكثر من مرة، وصناعة الموازين، وقد عُرف بها الياس بن عمر بن جعفر الاربلي (المصدر السابق ورقة ١٧٤ ب) وعمر بن محمود بن علي الاربلي الموازيني، وقد ترجم له ابن الشعار (مع استانبول ه ورقة ٢٢٠). والذي لا شك فيه ان إربل عرفت صناعات وحرفاً أخرى، لكن المراجع التي بين أيدينا لم تشر اليها.

ويكفى للدلالة على مدى الازدهار الاقتصادي الذي شهدته إربل، أن نتذكر بأن كوكبوري قد تعهد لصالح الدين بأن يدفع اليه خمسين ألف دينار فى السنة مقابل توليته حكم إربل، وانه كان ينفق في كل عام مبالغ طائلة منها:

١٠٠,٠٠٠ دينار على فكاك الأسرى في كل سنة (مرآة السبط ٨ / ٦٨٠).

٣٠٠,٠٠٠ دينار على الاحتفال بالمولد النبوي في كل سنة (راجع ص ٧٠ من هذا الكتاب).

٣٠,٠٠٠ دينار على السبيل الذي يرافق الحجاج وصدقات الحرمين في كل سنة (مرآة السبط ٨ / ٦٨٠)

٢٠٠,٠٠٠ دينار على الخانقاه الخاصة بالصوفية في كل سنة (المصدر السابق ٨ / ٦٨٠).

١٠٠,٠٠٠ دينار على نفقات دار المضيف في كل سنة (المصدر السابق ٨ / ٦٨٠)

هذا علاوة على نفقات المدارس ودار الحديث والملاجئ، ونفقات الواردين الى إربل والهدايا المعطاة اليهم، والتبرعات الطارئة (مثال ذلك ان كوكبوري أرسل ٤٠٠٠ دينار لأكمال جامع كان بني بدمشق - مرآة السبط ٨ / ٥١٠)، فضلا عن نفقات الدولة وتجهيز الجيش وما الى ذلك. ومن الطبيعي ان هذه النفقات كلها كانت من حصيلة الضرائب التي تجبها الدولة، وليس بوسع الدولة، أي دولة، أن تجبي مثل تلك الضرائب لو لم يكن السكان بخير وفي حال ميسور، ولديهم فضلة كبيرة في أموالهم يؤدون عنها الضرائب المفروضة. وإلحق أن مجرد إقبال الغرياء على الإقامة بإربل وسكنائها لدليل كاف على تيسر الاعمال وتوفر الأموال بكثرة كانت تغريهم على القدوم والاستيطان.

ومما له علاقة وثيقة بالحياة الاقتصادية النقد، وما انني هنا القي نظرة عجل على هذا الموضوع تماما للفائدة:

ضرب النقد في إربل:

كان ضرب النقد في بلد ما دليلا على أهميته، ومظهراً آخر من مظاهر تمتعه بالحكم الذاتي أو الاستقلال، خصوصا اذا حملت العملة اسم حاكم ذلك البلد الى جانب اسم الخليفة والسلطان المسيطر على جهاز الحكم. وقد كان لإربل هذا الامتياز منذ أيام كوكبوري على ما أعتقد، لانني لم أعثر على ذكر لأية عملة ضربت في عهد من سبقه من

حكام إربل، ان أقدم نقد معروف ضُربَ بـإربل، يرجع تاريخ ضربه الى سنة ٥٨٧ هـ/ ١١٩١ م، وهو فلس من النحاس يحمل اسم كوكبوري الى جانب اسم الخليفة العباسي الناصر، واسم صلاح الدين (لين بول - كتالوغ العملات التركمانية في المتحف البريطاني ص ٢٣٢ - ٢٣٣ و ٢٣٨ وكتالوغ المتحف العثماني بالفرنسية اعداد اسماعيل غالب أدهم - ص ١٤٤ - ١٦٥). ولعل من المفيد أن أدرج هنا معلومات عن بعض العملات الاربلية التي أمكن العثور عليها، لانها تعكس أحيانا التطور السياسي لدولة إربل، وعلاقاتها بالجهات الاخرى صاحبة السيادة العليا:

أ/ يوجد فلس نحاسي مضروب بـإربل في سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣ م، وهو يحمل اسم كوكبوري الى جانب اسم الخليفة الناصر. والملاحظ سقوط اسم صلاح الدين منه. إذ قد توفي في السنة السابقة. ويبدو ان كوكبوري لم يكثر بخلفاء صلاح الدين. وتوجد نماذج من هذا الفلس ومطابقة له، ضُربت في السنوات ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م و ٦٠٥ هـ/ ١٢٠٨ م و ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠ م و ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢ م (لين بول - المصدر السابق ص ٢٢٤ - ٢٣٧ واسماعيل أدهم - المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣).

ب/ والظاهر ان الدينار قد ضُربَ بـإربل أيضا، فهناك دينار ذهب مضروب بها في سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م، وعليه اسم كوكبوري الى جانب اسم الخليفة الناصر، واسم الملك الكامل محمد (يقول المرحوم العزاوي - مجلة مجمع دمشق ص ٥٢٩ - ان كوكبوري استمر يذكر أسماء الملوك الايوبيين في تقوده حتى سنة ٦٢٧ هـ/ ١٢٢٩ م، انظر أدهم - المصدر السابق ص ١٤١)، ويخبرنا المرحوم ناصر النقشبندى (كتالوغ الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ص ٥٣) بأن الدينار ضُرب كذلك بـإربل في عهد الخليفة المستنصر، الذي حكم بين ٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م و ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢ م.

ت/ وعلاوة على الدينار والفلس، فان الدرهم قد ضُربَ بـإربل أيضا، وأقدم درهم مضروب بـإربل أمكن العثور عليه، يرجع الى سنة ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢ م، وهو يحمل اسم الخليفة المستنصر فقط. ولقد عُثِرَ على دراهم مماثلة ضربت في السنوات ٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦ م و ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م و ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥ م، وكلها باسم المستنصر (كتالوغ موزه هـايون ص ٢٧٦ - ٢٧٧).

وأنجدير بالذكر أن زامباور يذكر في كتابه عن دور الضرب الإسلامية (١/ ٤٠) بين المدن التي ضربت فيها العملة الإسلامية، كلاً من إبريل وشهرزور. كما أن ابن الشعار ذكر أن عثمان بن إبراهيم بن علي الأربلي المتوفي سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م كان يتولى الإشراف على دار الضرب بربيل (عقود الجمان ج٤، ورقة ١٤٥)، مما يؤيد ما ذكره زامباور في هذا الشأن.

كذلك يحسن بي أن أشير قبل إنهاء هذه الفقرة، إلى خبيرين ذكرهما ابن المستوفي (مخ ورقة ١٧٢) وابن شداد (الاعلاق ص ٨٦)، مفادهما أن كوكبوري قد وصل أحد المحدثين، وقد زار إبريل في سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م، بدنانير مصرية، وأن كوكبوري أيضاً بعث لأكمال بناء جامع بدمشق بثلاثة آلاف دينار أتابكية. فلعل في هذين الخبيرين ما يلقي الضوء على تداول العملات الإسلامية في مختلف أقطار العالم الإسلامي، بصرف النظر عن أمكنة ضربها (يرجى ملاحظة ما ذكره السبط في مرآته ٨ / ٥١٠ من أن المبلغ المرسل إلى دمشق هو ٤٠٠٠ دينار).

ه - إبريل في نظر الشعراء:

وإبريل شأنتها شأن كثير من المدن حظيت باهتمام الشعراء، فمنهم من مدحها، ومنهم من ذمها، ومنهم من جمع بين المدح والذم، ولقد روى لنا ياقوت (بلدان ١/ ١٨٧) بعض شعر نوشروان البغدادي الضرير، المعروف بشيطان العراق، ذكره الصفدي في «نكت الهميان» ص ١٢٢ وسماه «نوشروان»، وقال هو الشاعر الضرير المعروف بشيطان العراق، وأنه سافر إلى بلاد الجزيرة وما والاها، ومدح الملوك والأكابر. والغالب على شعره الخلعة والمجون والهزل والفحش. وعاد إلى بغداد في سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م، ومدح المستضيء، ومن شعره قصيدة يهجو بها إبريل - وهي التي ذكرنا أبياتاً منها فيما بعد -، ثم أنه بعد ذلك اعتذر من هجائها ومدح الرئيس مجد الدين داود بن محمد. وذكر الصفدي بأن القصيدة طويلة، وقد ساق بعضها في «تاريخه الكبير» في ترجمة نوشروان المذكور. أقول ولعله يقصد بذلك كتابه «الوافي بالوفيات»، إلا أنني لم استطع التحقق من ذلك لأن الجزء الذي فيه ترجمة نوشروان المذكور لم يصدر بعد، وقد ذم إبريل بقصيدة طويلة، نقتطف منها هذه الأبيات:

تباً لشيطاني وما سولا لأنه انزلني إريلا
نزلتها في يوم نحس فما شككتُ أني نازل كريللا
وقلتُ ما أخطأ الذي مثلاً باريل إذ قال بيت الخلا

ثم نقل عنه ياقوت قصيدة أخرى، يعتذر فيها من هجائه هذا، ويمدح الرئيس مجد الدين داود بن محمد، وهي قصيدة طويلة أيضاً، نقتطف منها بعض أبياتها:

قد تاب شيطاني وقد قال لي: لاعدتُ أهجو بعدها إريلا
كيف وقد عاينتُ في صدرها صدراً رئيساً سيداً مقبلاً
مولاي مجد الدين يا ماجداً شرفه الله وقد خولا
عبدك نوشروان في شعره مازال للطيبة مستعجلاً
لولاك مازارت ربي إريلا أشعاره قط ولا عولا
ولو تلقاك بها لم يقل: تباً لشيطاني وما سولا

وهذا ليس بغريب أن يصدر من شاعر غريب عن إريلا، لا تربطه بها أية آصرة، ولكن الغريب أن يهجوها شاعر من أبنائها، هو طه بن إبراهيم الهذلي، المولود بها في سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م، والمتوفى بالقاهرة في سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م، فقد مدح ابن المستوفي، ولكنه ذم إريلا بقصيدة ذكرها اليونيني (ذيل ٣ / ٣٠٣) مطلعها:

ألا قف بالأجير والكثير وناد نحوه هل من مجيب
وفيها يقول:

يجاءك (كذا) من بلد خبيث فلست تطيب إلا للغريب
إريلا لاسقاك الله غثيا فقد أقفرت من رجل لييب
أرى العزاء قد مكنت لنا ما وقد ضاقت على الشيخ الوهب
فما في مالكيها من معين على صرف الزمان ولا الخطوب

ولا في قاطنيتها أريحييُ ولا في ساكنيتها من طروب
ألا أجزى الإله بليد سوء تحكّم فيه عبّاد الصليب

ولئن عرق إربلي مدينته، فإن موصلها زارها في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م، وهو محمد بن منصور بن دبّيس الموصلّي، قد مدحها بابيات منها (مخطوطتنا ورقة ٢٣٠ ب).

حييت إربل من دار ومن وطن ولا تعدّك صوب العارض الهتن
وطاب منك نسيم الريح في السحر الأعلى لآنك مأوى الألف والسكن
وكيف لا أخلص الود الصحيح لغنا ك الانيس - رعاك الله - من وطن
وفي مغانيك مياد القسوام له لخطّ يغلّ سيوف الهند واليمن

كما أن أديبا إربليا، هو جبريل بن محمد بن منعة الاربلي (مخطوطتنا ورقة ١٢٥) مدحها بقوله.

يا ربع إربل أنت نعم الدار بم عامراً تنمي بك الأعمار
فلقد أنار بك الربيع وفوّقت منك الربوع بزهرها الامطار
وكسا القطار ربك وشي ملابس ضباعت بأرج نسيمها الاقطار

وعندما عادت إربل الى حظيرة الخلافة في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م، نظم القاضي القاسم بن أبي الحديد المدائني (١) قصيدة بالمناسبة، جاء فيها (الحوادث الجامعة ص ٤٧).

ما فتح إربل عن بخت لذي دعة ولا اتفاقا كبعض النصر والظفر
لكنه كان قصد القادرين وأفعال المطيعين عن قصد وعن فكر

(١) ويسمى «أحمد» ولقبه موفق الدين (ابن خلكان ط احسان عباس ج ٥ ص ٣٩٢ والقوات ط احسان عباس ج ١ / ١٥٤ والوافي ج ٨، ص ٢٢٥)

وقال أخوه عبد الحميد الكاتب^(١) قصيدة بالمناسبة، وقد أشار فيها الى استيزار وزير الخليفة أيضا (المصدر السابق ص ٤٧ - ٤٨ وابن خلكان ٢٧ / ٥ ومعجم ابن الفوطي ١ / ١٩٠) جاء فيها:

يا يوم سابع عشر شوال الذي دُثِقَ السعادة أولاً وأخيراً

هتئت فيه بفتح إربل مثلاً هتئت فيه وقد جلست وزيراً

وممن ذكر إربل في شعره سعد (توهم العزاوي «فسماه أسعد» انظر عباس العزاوي - مجلة مجمع دمشق ص ٢٢٥ - بينما ترجم له ابن خلكان - ١٠٩ / ٢ - باسم «سعد») بن علي الحظيري الشاعر، المتوفى في سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، فقد أقام بربل مدة في عهد قايماز، ثم اشتاق الى أهله بالخطيرة (ابن خلكان ٢٤٧ / ٣) فقال:

ألاً مَنْ لَصَبٍ قَلِيلِ العزاء غريب يحنُّ إلى المنزلِ

ينادي بربل أحبابه وأني الخطيرة من إربلِ

هذا وقد روى ياقوت (بلدان ١ / ٧٨١) ان عبد الرحمن بن المستخف، أنشده لنفسه

وقد ذكر قرية بيت النار، من قرى إربل - هذين البيتين في ذم إربل:

إربل دار الفسق حقاً فلا يعتمدُ العاقلُ تعزيزها

لولم تكن دار فسوقٍ لَمَا أصبح بيت النار دهلِيزها

وعبد الرحمن هذا رثاه ابن المستوفي بأييات سنذكرها - إن شاء الله - ضمن ما نقتبسه من شعره.

(١) انظر ترجمته علاوة على المراجع الواردة أعلاه في الفوات ١١ نسان عباس ج ٢ ص ٢٥٩

وروضات الخوانساري ص ٤٢٢

القسم الثاني الفصل الأول - حياة ابن المستوفي

١- اسمه ونسبه :

هو " أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب (سماه ابن الشعار - مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ ب و ٢٣ أ - مرة "ميمون" ومرة "موهوب" ، وقد أخذنا بالتسمية الأخيرة لورودها في "وقيات ابن خلكان" ولان ابن المستوفي نفسه كتبها بخط يده في خاتمة "ديوان القطامي" التي نسخها - انظر أعلام الزركلي ٦ مقابل ص ١٥٢ ، نموذج ٨٩٨) بن غنيمة بن غالب ، المستوفي أبوه " ، وهذا النسب كتبه ابن المستوفي بخط يده في ختام "ديوان شعر القطامي" ، وفقا لما نقله الزركلي مصوراً (أنظر الحاشية السابقة) ، وهو يتفق مع النسب الذي ذكره ابن خلكان (٢٩٤/٣) ، وابن الشعار اللذين زادا فيه " اللخمي الاربلي " ، وكان جده ، الرئيس أبو البركات المبارك بن موهوب من الموصل ، ومن أبناء رؤسائها ، ومن ذرية النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، ملك الحيرة ، وقد انتقل هو وأولاده في أيام أبي الهيجاء الحسين بن الحسن موسى بن جلويه الكردي الهذلي ، صاحب إربل ، فتولى له الاستيفاء في ديوانه (ابن الشعار - مخ استانبول ٦ ورقة ٢٣ أ) ، ولقبه شرف الدين .

وقال ابن الشعار : وهم أهل بيت معروف بالجلالة والرئاسة والاصالة ، وان كل واحد منهم ، وهو وأبوه وجده وجد أبيه وعمه وأخواه ، كل يعرف بالمستوفي . والصاحب أبو البركات - أي المؤلف - واسطة عقد البيت ، به كملت سيادتهم ، واليه انتهت رئاستهم ، وزين عثرته وعزاً سرته (المصدر السابق) . ولكن ابن الشعار لم يصعد النسب فيوصله الى النعمان ، كما جرت عادة المؤرخين ، بل اكتفى بالقول بانه " من ذرية النعمان بن المنذر بن ماء السماء " . والمؤسف ان ابن المستوفي نفسه - في الجزء الذي بين أيدينا من تاريخ إربل - لم يتعرض لنفسه أو يترجم لاحد من أهل بيته ، ولعله قد ترجم لبعضهم في الاجزاء التي لاتزال مفقودة من تاريخه .

وعلى أي حال ، فان ابن المستوفي عربي لخمي بشهادة مؤرخين جليلين عرفناه حق

المعرفة ، ولقياه شخصيا ، هما ابن الشعار الذي عايشه ولازمه مدة غير قصيرة ، وابن خلكان موطنه وأحد المعجبين به ، وقد سمع منه كثيراً ، وسمع بقراءته على المشايخ الواردين الى إربل ، وذلك خلافا لما توهمه السيد أمين زكي ، مؤلف " تاريخ الكرد " (ص ٣٥١ - ٣٥٢) فظنه " كرديا " ، بل وصار يعاتبه لانه وغيره من المؤلفين الاكراد (كذا) كتبوا مؤلفاتهم بغير لغتهم القومية ، وتابعه في هذا الوهم السيد جمال بابان ، عندما ذكر ابن المستوفي في عداد " أعلام الكرد " ، في زاوية كان ينشرها في جريدة " القآخي " البغدادية .

أما سبب نسبته الى " المستوفي " ، فهي واضحة لاتحتاج الى تبيان .
وهناك شيء واحد لم يتناوله المؤرخون بهذا الصدد ، هو السبب الذي حمل جد المؤلف على هجرة الموصل والاقامة بربل .

٢- أسرته :

سبق وان أشرنا الى جده الرئيس المبارك الذي هاجر من الموصل الى إربل ، وتولى الاستيفاء فيها ، وكما قال ابن الشعار ، فان أباه وجده وجد أبيه وعمه وأخويه ، كل واحد منهم كان يعرف بـ " المستوفي " ويبدو ان هؤلاء كلهم قد تولوا هذا المنصب ، غير ان ابن خلكان قد ذكر ان أباه وعمه فقط ، علاوة على المؤلف نفسه ، هم الذين تولوا الاستيفاء بربل .

ولقد أشار المؤلف عابرة الى كل من والده وعمه وأحد أخويه ، فذكر ان والده كان يتولى عملا رسميا ، وانه عند سفره للحج في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م ، ناب عنه عمه (مخ ورقة ٢٠٤ ب) ، وذكر قيام والده ببناء قبة فسي أحد مساجد إربل ، ليقيم فيها بعض القادمين من العلماء (مخ ورقة ٤٤ أ و ٤٦ ب و ١٧٢ ب) ، وقد نقل الصفدي (الوافي ١/ ١٤٣) عن ابن المستوفي ، قوله بان محمد بن محمد بن أبي حنيفة الفرضي البغدادي ، ورد إربل ومدح والده ، فاتخذة مؤدبا لولده ، أقول ان هذا مما يدل على مكانة والده الذي كان يقصده الشعراء ، وينظمون في مدحه ، كذلك ذكر ابن المستوفي عمه في عدد من المناسبات ، منها روايته عنه بعض الاخبار ، ونقله بعض

المعلومات من تعاليقه (مخ ورقة ٣٣ أ و ٤٥ أ و ١٤٠ أ و ١٧٤ ب) ، وقد ذكر ابن خلكان عنه هذا ، وهو على بن المبارك ، ولقبه " صفى الدين " وقد كان من أهل العلم والفضل ، إذ ترجم كتاب " نصيحة الملوك " تصنيف الامام الغزالي ، من اللغة الفارسية الى اللغة العربية (ابن خلكان ٢ / ٢٩٨ وكشف الظنون ص ١٩٢٦ و ١٩٥٨ وبركلمان ١ / ٤٢٣ حاشية ٣ . وقد ذكر الاخير نقلا عن "Vol. III, No. 1875 -7 Pertsch" وجود نسخه من الكتاب المذكور في مكتبة غوتا . كذلك توجد نسخة من " التبر المسبوك في نصيحة الملوك " في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وفقا لما ذكرته " مجلة مجمع دمشق " مج ٤٨ - نيسان ١٩٧٣ ص ٣٢٦) ، الأمر الذي يدل على سعة ثقافته وعلوكعبه .

والظاهر انه كان ممن يقتنون الكتب ، إذ أشار المؤلف الى بعض مقتنياته منها (مخ ورقة ١٤٠ أ) .

وذكر ابن المستوفى أخاه أبا السعادات محمد بن أحمد ، ولم يذكر عنه شيئا سوى انه توفي في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، وانه تلقى كتاب تعزية من حماد ابن محمد البوازيجي ، مشفوعة بمقطوعة شعرية بالمناسبة ، الأمر الذي يدل على انه كان قد برز بين رجال زمانه حتى استحق كتاب تعزية من شخص كبير كحماد البوازيجي ، الذي كان يغشاه الاكابر ويتردد عليه كوكبري نفسه (مخ ورقة ١٢٠ ب - ١٢١ أ) ، أما أخوه الآخر الذي نوه بذكره ابن الشعار (مخ استانبول ١ ورقة ٧٢) فلانعرف شيئا عنه سوى أن اسمه " المظفر بن أحمد " ، وان له ولداً اسمه " إبراهيم " ، وقد كان من الادباء الذين تولوا بعض الوظائف الرسمية بارييل .

٢- مولده ونشأته :

ولد المبارك بن أحمد في النصف من شوال من سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، بقلعة إربل ، وفقا لما ذكره ابن خلكان وتابعه السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) ، والغريب ان ابن الشعار لم يذكر شيئا عن ولادته ، رغم الترجمة الضافية التي كتبها له ، وقد استغرقت ٢١ ورقة . ثم ان الفرصة لم تسنح للمؤلف كي يذكر شيئا عن ولادته في كتابه " تاريخ إربل " ولعله

قد فعل في الاجزاء الضائعة ، أسوة بما كان يفعله بعض المؤرخين في زمانه (ذكر ابن خلكان ٢ / ٩٢ - مثلا ان ولادته كانت بالمدرسة المظفرية باربل ، وقال مثل ذلك المنذرى - انظر " المنذرى " لبشار معروف ص ٢٤) ، وعلى كل حال فان المبارك كان إربلى المولد والنشأة .

أما الاخبار عن صباه فقليلة ، الا ان ابن الشعار يقول : بأنه منذ أكمل العشر من السنين ، استظهر القرآن المبين ، وأغري بنظم القريض ، حتى صار له فيه الباع العريض ، ثم سمع الكثير من الاحاديث النبوية ، وقرأ العلوم الادبية . وجالس العلماء وحاضر الفقهاء وأحسن اليهم . وأحرز علوم الآداب وأقانيها ، وأحكم اصول الفضائل وأتقن قوانينها ، وصار أوجد زمانه ، مبرزاً على نظرائه وأقرانه ، ثم انه أعلم أهل زمانه بعلمي المعاني والبيان بمعرفة الاشعار النادرة ، والامثال السائرة والرسائل ، والتبحر في فنون الفضائل ، والاطلاع على التواريخ وسير المتقدمين ، وعلم التصرف مما يتعلق بقن المساحة والاشغال الديوانية الخ ...

ويتضح مما تقدم ، ان المبارك بن أحمد قد درس منذ صباه كل ما تيسر له من العلوم ، سواء أكانت أدبية أو دينية أو ديوانية ، وقد ذكر هو نفسه ، بأنه كان يرافق والده الى المسجد لسماع المشايخ ومناظراتهم (مخ ورقة ٢٩ ب و ٤٤ أ) . ويبدو ان الجو العائلي الذي عاش فيه ، والبيئة التي وجد نفسه فيها ، قد يسرا له سبل التعلم ، بل والتقدم ، إذ كان في متناول يده - كما أسلفنا - تعاليق عمه صفي الدين ، الذي لا بد وانه كان يملك مكتبة خاصة ، فقد كان - كما قال ابن الشعار ، وأيده ابن خلكان - من بيت كبير فيه جماعة من الرؤساء والادباء . فأسرة هذا شأنها ، لا بد وانها تبذل عناية خاصة بتربية أبنائها ، لاسيما وانها كانت تعدهم للخدمات السلطانية ، وتولي المناصب العليا في الدولة ، وهذا يتطلب الثقافة الواسعة والعلم الغزير . ولقد ساعد على تحقيق هذه الغاية ، وجود أساتذة كبار باربل ، مما أتاح للمؤلف فرصة التلمذ عليهم - كما سنرى - في الفصل الآتي إن شاء الله - علاوة على وجود عدد من المدارس باربل (راجع الفصل الخامس من القسم الاول من هذا الكتاب) .

٤- رحلاته :

ليس لدينا معلومات واضحة عن أسفار ابن المستوفى ، إذ لم يتعرض لها من ترجم له على الإطلاق ، ولم يذكروا سوى سفرته الأخيرة - أوعلى الاصح هجرته - الى الموصل في سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦ م . ولكنني باستقراء ماورد في تاريخه ، تمكنت من العثور على مايشير الى سفره الى الموصل غير تلك المرة وهذا طبيعى جداً ، إذ هو من عائلة موصلية الاصل ، ولا بد أن كان له أقارب فيها ، ولعله سافر اليها بدافع صلة الرحم . ثم ان إربل كانت تابعة الى الموصل يوم ولد ابن المستوفى ، وظلت تابعة لها حتى بلوغه سن السابعة عشرة . ومن الطبيعى أن تهفو اليها قلوب أهل إربل ، باعتبارها العاصمة لمملكتهم الاتابكية . وفضلاً عن ذلك ، فإن الموصل كانت غنية باهل العلم . وقد ذكر ابن خلكان (٣٦٥/٤) بأن ابن المستوفى اشتغل على العالم النحوي مكي بن ريان الماكسيني في الموصل (توفي مكي في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م) .

وان ابن المستوفى نفسه ذكر صراحة (مخ ورقة ٥ ب و ٦٧ ب و ٨٢ ب و ٨٧ ب ، و ١٢١ ب و ١٢٢ أ و ١٥٢ أ) سماعه بالموصل على كل من علي بن محمد الجزري ، و ابراهيم بن البرني ، ورؤيته لعثمان بن جلدك بها ، وسماعه مع ابن طهير في عدة مواضع بالموصل ، وكذلك سماعه مع أحمد بن القاسم الاسكندري القيسي بالموصل على عدة مشايخ ، الا انه لم يذكر تاريخ ذلك . لكنه ذكر في موضعين (مخ ورقة ١٤ ب و ١٦٨ ب) من كتابه وجوده في الموصل مرتين ، الاولى في ذي الحجة من سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، حيث قرأ على عبد الله بن الحسن الموصللي الشاهد . والثانية في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، إذ رأى فيها الحسن بن محمد بن أبي حروية الشيباني ، ولا شيء غير هذا (فيما يتعلق بوجود ابن المستوفى بالموصل ، راجع أيضاً " امارة الموصل " للرويشدي ص ٧ و ١٦٠ و ١٩٦) .

ويصرح ابن المستوفى بأنه كان موجوداً في شهرزور ، يوم زارها ابراهيم السنهري لمقابلة كوكبوري (مخ ورقة ١٢٢ ب) الا انه لم يذكر تاريخ تلك الزيارة . ووجود ابن المستوفى في شهرزور أمر طبيعى جداً ، .

لأنها كانت من أعمال إربل ، ثم أن كونه مستوفي الديوان " وكاتب الانشاء يستلزم تنقله بين أنحاء الولاية الاربلية ، ومرافقة أميرها في أغلب الاحيان ، وعلى قدر علمي لم يسافر ابن المستوفى الى أى مكان آخر غير الموصل وشهرزور ، وهنا يصح التساؤل ، عما اذا كان المؤلف قد زار بغداد واجتمع الى علمائها ، أو انه حج الى بيت الله الحرام ، ومر ببغداد في طريقه الى الحجاز وعند عودته منها ، خصوصا وقد جرت عادة العلماء أن ينتهزوا فرصة حجهم فيعرجوا على أكبر عدد من المدن ، بل انهم كثيراً ما كانوا ينحرفون عن الطريق القصير المعتاد لتحقيق هذا الغرض ، وهدفهم الاول من ذلك هو الاجتماع الى أهل العلم وأرباب الحديث ، والرواية عنهم . وقد حدثنا ابن المستوفي عن عدد من هؤلاء ، والذي استطيع تأكيده بهذا الصدد ان " تاريخ إربل " خال من أى اشارة قد توحى بسفر المؤلف الى غير المدينتين سالفتي الذكر ، أو انه قد أدى فريضة الحج أسوة بوالده . وهذا أمر غريب جداً أن يحصل من رجل بحاته مؤرخ محدث أديب كابن المستوفى .

هـ - وظائفه :

يبدوان ابن المستوفي ، بما كان يتمتع به من ثقافة واسعة متنوعة شملت معارف زمانه كلها أو أكثرها ، قد أهلته لتولّى الوظائف السلطانية المهمة على اختلاف أنواعها . وقد لخص ابن الشعار ذلك بقوله " خدم السلطان الملك المعظم ، مظفر الدين أبا سعيد كوكبورى .. في ديواني الوقوف والاستيفاء ، وكتب له الانشاد أربعين سنة ، لم يتناول على ذلك اجراً أو جراية ، كما استمرت عادة المتصرفين في الولايات ، على انه لم يسلم ويرجو السلامة منه والخلص ، فلم يتهياً له ذلك ، ثم اعتقله فى السجن وقيده بقيد ثقيل ، وأخذ منه سبعة آلاف دينار مصادرة ، استدان بعضها ، والباقي استأصله من مغل أملاكه ، البساتين والافناء المعروفة التى كانت بمدينة إربل ، والاقصا أحرز درهما ولاديناراً ، ولم يلتص من أحد رشوة ، شرف نفس ونزاهة ولما قبض الملك المعظم وزيره أبا اسحق إبراهيم بن علي بن الموالي الموصلية ، ورأى نصيحة صاحب أبي البركات - أبده الله تعالى - وكفايته بالامور السلطانية ، ونهوضه بأدوات الملكة ، فوض اليه أمر

وزارته ، واستقل بمنصب الوزارة ، وهو في داره لذلك غير مجيب الى مادعي اليه ، وذلك في المحرم سنة ٦٢٩ هـ / تشرين الاول ١٢٣١ م . فاستبشر الناس بيمين طلعتة ، وقُضيت حوائجهم وأشغالهم ، وأمنت أحوالهم في الديوان ، ولما توفي الملك المعظم - رض - وجاءت الدولة المستنصرية - ثبتها الله وأيدها - وتولى الامير باتكين بن عبد الله ، ندبه لوزارته أُلخ ... " وقد استعفى - كما سنرى - . ويتضح مما تقدم أن ابن المستوفي تولى أربع وظائف كبيرة ، على الأقل ، هي : -

١ / النظر في ديوان الوقوف ب / ديوان الاستيفاء
ت / كتابة الانشاء ث / الوزارة .

الا أن الذهبي (عبر ١٥٥/٥ سماه " وزير إربل وقاضيه (والجدير بالذكر ان هذه العبارة وردت في " الشذرات " ١٨٦/٥ ، وهو ينقل كثيراً عن " عبر الذهبي " وزير إربل وفاضلها ومؤرخها ، وأظن ان محقق " العبر " أو الناسخ قد صحف " فاضلها " الى " قاضيه ") ومؤرخها " . وإن صح ذلك ، فوصف المؤلف بالقاضي ، أمر انفرد به الذهبي ، ولم أجد له سنداً في أى مرجع آخر ، أما صاحب " الحوادث الجامعة " (ص ١٣٥) ، فقال انه " تولى ديوان إربل " دون تخصيص ، ولعله يقصد ديوان الاستيفاء ، إذ كان المستوفي وفقاً لوصف الحريري في " المقامات " (ص ١٦٦ - ١٦٧) ، " هو يد السلطان وقطب الديوان ، وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال ، واليه المال في السلم والهرج ، وعليه المدار في الدخل والخرج ، وبه مناط الضر والنفع ، وفي يده رباط الاعطاء والمنع ... " (نقل حسين امين في " العراق في العصر السلجوقي " ص ٣٦٤ ، نص مرسوم بتعيين مستوف في سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ، وفيه إيضاح لمهام هذه الوظيفة وبيان أهميتها وهو منقول عن الفارسية عن " تاريخ وزراء السلاطين العظام " تصنيف عباس إقبال) ، وذكر ابن خلكان (٣ / ٢٩٤ - ٢٩٨) ، انه عندما غادر إربل في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، كان ابن المستوفي هو " مستوفي الديوان " ، وان الاستيفاء في المشرق منزلة عليّة ، وهي تلو الوزارة . ثم وصف براءة المؤلف في علم " الديوان " وحسابه وضبط قوانينه (أنظر ايضاً بغية السيوطي ٢ / ٢٧٢) .

وعرف القلقشندي (صبيح ٤٦٦/٥) المستوفي بأنه هو الذي يضبط الديوان ، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك ، أقول ويبدو أنه كان لكل مدينة مستوفيا ، إذ يذكر ابن المستوفي . مخ ورقة ٩٢ أ و ١٢٦ ب)

انه كان لكل من البوازيج ومازندر ان مستوفيا ، والظاهر ان من مهام هذه الوظيفة أيضا ، القيام بمحاسبة من يتولى عملا للسلطان وله صبغة مالية . ويحدثنا ابن المستوفي نفسه (مخ ورقة ٦٨ ب و ٧٤ ب و ١٤٩ أ) عن توليه محاسبة بعض هؤلاء ، كما انه كان يتولى إيصال صلات السلطان الى أربابها ، وقد قام بذلك ابن المستوفي فعلا (مخ ورقة ١٢٢ أ) . ويبدو ان المؤلف لم ينس كونه مسؤولا عن الصرف والانفاق ، فقد حمل كوكبوري على رد طلب ابراهيم السنهوري المصري ، عندما أراد الاخير أن يكتب له كوكبوري الى بغداد لتجهيزه بكتب قيمتها ٥٠٠ دينار (مخ ورقة ١٢٢ ب) .

أما الوزارة فقد تولها ابن المستوفي في المحرم من سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ، وفقا لما ذكره ابن الشعار وابن خلكان . وتولى لهذا المنصب الكبير متفق عليه من قبل جميع المؤرخين (سماه الذهبي وابن العماد - كما مر معنا - " وزير إربل " وفعل مثل ذلك اليوناني في ذيله ١ / ٧٥ و ٣٦٨ / ٢ و ٣٦٩ و ٤٨٠ و ١٥٣ / ٤) ، والجدير بالملاحظة ان ابن خلكان (٢٩٧ / ٣) قال انه كان وزيراً في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م ، ثم عاد وذكر بانه تولها في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م . أقول ولعل منشأ هذا الخلاف ، ان الوزير إبراهيم بن علي الموصللي قبض عليه في سنة ٦٢٨ هـ ، واستوزر كوكبوري بعده ابن المستوفي (ذيل اليوناني ٣٦٨ / ٢ - ٣٦٩) ، والظاهر ان الاخير لم يقبل الوزارة إلا في المحرم من سنة ٦٢٩ هـ ، وعلى هذا الاساس يكون كلا التاريخين صحيحا ، كذلك جميع المؤرخين قد أجمعوا على أنه ، عندما تولى الوزارة ، كان حسن السيرة ، وقد ذكروا انه بطل عن العمل وقعد في بيته بعد وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، وعودة إربل الى حظيرة الخلافة ، وان الناس استمروا يلزمون خدمته حتى سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، عندما هاجر من إربل تحت وطأة الهجمات التترية - وليس استيلاء الصليبيين على إربل ، كما توهم الاستاذ الزركلي في " الأعلام " ١٤٦ / ٦ - ، غير ان ابن الشعار ،

وهو في اعتقادي ، كان أقرب الى ابن المستوفي من أي شخص آخر ، قد زاد هذا الوضع إيضاحاً بقوله ، ان الأمير باتكين ، حاكم إربل من قبل الخليفة ، قد ندب ابن المستوفي الى خدمته "وعرض عليه الوزارة ، وأن يكون نائبه في الاشغال الديوانية ، وحكمه في الأمر والنهي ، وألقى اليه مقاليد الأمور ، واعتمد عليه ، وقرر له جارياً سنياً يصل اليه كل شهر ، فاستعفى من ذلك ، وامتنع امتناعاً شديداً ، واحتج بأنه شيخ كبير عاجز عن العمل ، فأعفاه عن الولاية . فكان يستدعيه الى مجلسه ويسأله عن أشياء من العلم ، ويحاضره ويجالسه ، ويقبل عليه ويكرمه ويجد به أنساً الخ .. " .

ولكن ابن المستوفي - فوق توليه المناصب العالية - احتل مكانة عالية في نفوس معاصريه ، لما كان يتصف به من حسن الخلق ورحابة الصدر ، ولذا كان أصحاب الحاجات يلوذون به ، ليقدمهم الى الملك ، وفي كتابنا (مخ ورقة ٢١٩ ب) ذكر لاديب من اصفهان ، التمس في قصيدة من نظمه ، أن يزكيه المؤلف لدى السلطان ، كي يفوز ببغيته ، بل ان الملك المحسن بن صلاح الدين الايوبي ، صاحب دمشق ، كتب الى ابن المستوفي يلتبس بإنفاذ المحدثين الشهيرين ، ابن طبرزد وحنبل الى دمشق (مخ ورقة ٧٠ أ) . وهذا يدل ولاشك على منزلته ، حتى لدى الملوك .

هذا ويجدر بي أن أذكر ، بان ابن المستوفي كان يلقب بـ " صاحب " . ولقد كثر ابن الشعار هذا اللقب في مواضع كثيرة من كتابه ، فضلاً عن الترجمة ، وفيها سماه " الوزير صاحب " . والصاحب هو من ألقاب الوزراء ، الا أنه مختص بأرباب الاقلام منهم ، وأول من تلقب به صاحب بن عباد (طبقات الاسنوي ٦٠٦/٢ - ثبت الاصطلاحات ، وقاموس دوزي وقاموس لين) .

٦- تدينه وأخلاقه :

أجمع المؤرخون على ان ابن المستوفي كان رئيساً جليل القدر ، كثير التواضع ، واسع الكرم ، قد جمع الفضائل (ابن خلكان ٢٩٤/٢ - ٢٩٨) . ولقد بالغ ابن الشعار كثيراً في وصفه حين قال : " شمس إربل وبدرها ، وعالمها البارع وصدرها ، وفخر أمثالها وجمال أفاضلها ، لم تر الدنيا له نظيراً ، ولا سمحت

يمثله جليلاً ولا خطيراً . بقية الأكارم الأجواد ، وأحد الأعيان الأمجاد ، الأريحيي
المفضال ، وولي الانعام والاقضال ، ذو الفضل الكامل ، والجود الشامل ، والمحاسن
الوافرة ، والمفاخر المتكاثرة ، والعقل الرصين والدين المتين ، المهذب الاخلاق ، الطيب
الاعراق ، الرفيع الشأن ، الموصوف بكل لسان ، طوار مصره المشار اليه في عصره ،
اكرم الناس طباعاً ، واطولهم في المكرمات باعاً . ربه مقصد الوافدين ، وجنابه كعبة
القاصدين ، فهو من اسداء المعروف ، وسعة الأنفاق ، ماسارت به الامثال في أقطار
الأفاق . فلوان الكرم تاج لكان درته ، أو كان المجد محياً لكان غرته . فقد ألبسه الله من
المكارم جلباباً ضافياً ، وأحيا به ريع الفضل بعد أن كان طامساً عافياً الخ .. " (مخ
استانبول ٦ ورقة ١٨) . وذكر ابن الشعار في موضع آخر ، انه في عهد باتكين الذي
عرض عليه الوزارة ، استمر " ناصحاً للمسلمين ، مشفقاً على الفقراء والمساكين ،
ناظراً في أمور الرعية والاجناد ، عادلاً في سيرته " ، وهذا قليل من كثير مما ذكره ابن
الشعار ، أما ياقوت الحموي (بلدان ١/١٨٧) الذي لقيه شخصياً ، فقد قال عنه بأنه
" متحقق بالادب ، محب لاهله ، مفضل عليهم ، وله دين واتصال بالسلطان الخ .. " .

وإنني ، بعد أن درست كتابه " تاريخ إربل " اتفق ومقاله المؤرخون عنه ، إذ يلمس
القارئ في ثنايا الكتاب ، وبكل وضوح ، تدن الرجل وسمو أخلاقه فيجده رجلاً تقياً ذا
حياء ، يخاف الله ويلتمس البركة بسماع الحديث ، ويؤمن بفوائد الدعاء ، ويستغفر الله ،
عندما يضطر الي ذكر شيء ما قد يوحي بما يمس العقيدة ، ويتجنب الاجتماع بمن في
عقيدته شبهة (مثل ظريف الباقداري ، الذي يقول بالحروف والاصوات - مخ ورقة ١٧١
أ) ، وعلى العكس فانه يلتمس البركة لدى المشايخ ، ويقوم بزيارتهم أحياناً ، ويتفقدهم
إذا مرضوا ، وكان يسعى للسماع عليهم ، كما انه يتبرك بزيارة قبور الصالحين وينقل
في كتابه ، بعض النصوص والاحاديث عنهم ، لمجرد البركة لاغير (مخ ورقة ٣ وبه أ وب
٦ ب و ١٢ ب و ١٣ ب و ١٧ ب و ١٧ ب و ١٧ ب) .

وكان يترفع عن ذكر ما يسمعه من قبيح الاخبار عن بعض الناس ، بل يضرب صفحا
عن ذكر الراوي لها ، خلافا لعاداته في النقل ، إذ جرى على ذكر مصادره الأفي هذه

الحالات ، حرصا منه على الستر ، ولم يكتف بذلك ، بل يطلب لهنّ لاء الناس - الذين تروى عنهم أخبار قبيحة - ولنفسه الرحمة والغفران ، فيقول مثلا : " كان يحكي عن نفسه ، ما الله سائر بأمثاله وغافرها ، ثم أطلع عن ذلك (مخ ورقة ١١٩ ب) ، أو يقول : " تحدث الناس في دينه بما لا يسع ذكره - عفا الله عنه " - (مخ ورقة ١٠٠ أ) ، أو كقوله " تحدث الناس في قلة دينه وسوء معتقده ، وما يتجاهر به من أشياء ، نعوذ بالله منها ونستغفره عنها " (مخ ورقة ١٠٣ ب) ، وقد روى عن عمه أخباراً تتعلق بقضيب البان ، فقال : " وذكر عنه أحوالا أضربت عن ذكرها " (مخ ورقة ١٧٤ ب) . وفي حالة أخرى قال : " حدثت عنه بأشياء أضربت عن ذكرها لقبها - غفر الله لنا وله برحمته - " (مخ ورقة ١٥١ ب) . ولقد امتنع عن زيارة سيدة مقربة وردت الى إربل ، لأن ابن أختها حدثه بواقعة كانت بينهما في طريق الحج (مخ ورقة ١١٨ أ) ، الا انه - أى المؤلف - لم يذكر لنا ماهية تلك الواقعة ، تمسكا منه بالمبدأ الذي سار عليه .

ومن كرم أخلاقه كان يحاول أن لا يصف احداً بما قد يجرح شعوره لو أتاحت له فرصة الاطلاع على ما كتبه عنه ، إلا في حالات قليلة اقتضتها السياق . في هذا نقيض ابن الشعار (مخ استانبول ٢ ورقة ١٥٦) الذي وصف مثلاً الحسين بن عبد الله بن رواحة بسوء الاخلاق ، في حين جاءت ترجمته في " تاريخ إربل " خالية من هذا الوصف ، رغم كون كلا المؤلفين لقياً ابن رواحة في آن واحد بإربل ، ولابد انهما لاحظا سوء أخلاقه سوياً ، وقد اكتفى ابن المستوفي (مخ ورقة ١٩٦ أ) بالقول ان كوكبوري قد أكرم ابن رواحة هذا ، في حين قال عنه ابن الشعار ، إمعانا في إهانته ، انه " جاء مجتديا نواله - أي نوال كوكبوري - طالبا رفته ، شأن الذين يردون إربل للاستجداء " . ومثل آخر أسوقه بهذا الصدد ، هو ان ابن الشعار (مخ استانبول ٥ ورقة ٢٣٧) عندما ترجم لعيسى بن عبد الله الحميري ، قال انه وصل إربل " للاستجداء " ، بينما ترفع ابن المستوفي عن ذكر ذلك ، بل قال عنه انه " ذكى لطيف الاخلاق ، فاضل " (مخ ورقة ٢١١ ب) . وقد اتبع هذا المسلك حتى في الامور العلمية ، من ذلك مثلا ، انه أشار الى معنى بعض الكلمات الواردة في مقطوعة شعرية وقال إن كان هدف الشاعر القول

كذا وكذا ، فهو مخطئ ، وإن أراد بقوله كذا وكذا فهو مصيب ، ولا أظنه إلا قصد الثانى - مخ ورقة ١٨٣) . وعندما كان يتولى محاسبة أناس ظهر النقص في الأموال التى أوكلت اليهم ، لا يذكرهم بأى كلمة جارحة ، وكانوا كثيراً ما يحصلون على إسقاط مابقي في ذمتهم (مخ ورقة ٦٨ ب و ٧٤ ب و ١٤٩ أ) ، خصوصاً وان أكثر هؤلاء كانوا من أهل الدين والتصوف ممن لا يحسنون ضبط الحساب .

أما تواضعه ، فيمكن ملاحظته من خبره صفحاً - فى غالب الاحيان - عن إثبات الشعر الذى قيل في مدحه ، ولقد مدحه عيسى بن عبد الله الحميري ، أنف الذكر ، بشعر فلم يثبتته في كتابه ، ولولا أن رواء ابن الشعار في ترجمة عيسى هذا ، لما كنا عرفناه . وفعل مثل ذلك بالشعر الذى مدحه به عبد الله بن أسعد الواسطي (مخ ورقة ٢٢٨ أ) الا ان ابن الشعار (مخ استانبول ٣ ورقة ١٤٨) أثبتته في كتابه . وكذلك مدحه عبد القادر بن بهاء الحراني بقصيدة طويلة ، ذكرها ابن الشعار (المصدر السابق ٤ ورقة ٢١) ولكن ابن المستوفي الذى ترجم لعبد القادر هذا ، لم يثبت من تلك القصيدة بيتاً واحداً (مخ ورقة ١٥٢ أ) ، وإذا شذُ وأُثبت شيئاً من ذلك ، فانه لا ينبه اليه ، فيفوت على القارئ الانتباه الى كون ذلك الشعر مدحا للمؤلف (مخ ورقة ٦٨ ب و ١٠٨ ب و ١١٧ ب و ٣٦ ب و ٢١٥ أ و ٢٢١ ب) ، بل انه يستميع القارئ عذراً عن إيراد مثل هذا الشعر ، وقد قال مرة : " إنني أثبتُ هذه القصيدة - وكانت في مدحه - جمعاء لاننى لم أجد له - أي للشاعر - غيرها " (مخ ورقة ١٠٩ أ) .

ولقد كان ابن المستوفي مؤدبا يراعي القواعد المتعارفة ، فقد لاحظ ان ابراهيم الغساني المصري ، كان يتردد على باب الوزير علي بن شماس الاربلي طلباً للنوال ، ولكنه لم يقم للوزير عند دخوله ، خلافا للعادة الجارية ، فعاتبه واستغرب التناقض في سلوكه ، بأن يقف أياماً على باب الوزير ثم يبخل عليه بالوقوف تعبيراً عن الاحترام (مخ ورقة ١٢٢ ب) . وبلغ به الأدب الى درجة انه ترجم لابن الشعار (مخ ورقة ١٨١ أ) ، وكان فى خدمته وفقاً لما ذكره ابن خلكان (٢٩٦/٣) ، بل انه لم يصرح بوجود تلك الخدمة مكتفياً بوصف دأب ابن الشعار على جمع الشعر وأخبار الشعراء ، وذكر

مصنفاته ، وإن أدبه حمله على عدم التصريح باسمه أو بأسماء أفراد عائلته إذا جاء ذكر تلك الاسماء فى معرض الثناء ، مكتفيا بذكر كلمة " فلان " (مخ ورقة ١٢١ أ و ١٤٠ ب) .

ولكنه فى الوقت نفسه ، لم يكن يتسامح فيما له مساس بالعلم ، فنراه مثلاً يثور على السنهوري المصري ، أنف الذكر (مخ ورقة ١٢٣ أ) ، عندما زعم بأن ابن دريد ذكر فى " الجمهرة " بأن الياس - ع - لم يكن نبيا . فرد عليه رداً علياً مورداً الآية الكريمة التى تؤكد كون الياس من المرسلين ، ودافع عن ابن دريد ، ثم تحدى السنهوري بأن يكتب ما زعمه حتى يتم الرجوع الى الكتاب وأصحاب العلاقة الذين روى عنهم ذلك الزعم ، ويأتى بالدليل المكتوب منهم . فكتب السنهوري ما طلب منه ، الا انه لم يوف بوعده ، بل صار يتجنب الاجتماع بابن المستوفى فى زيارته التالية لاربل .

ومن الطريف أن المؤلف (مخ ورقة ١٩٩ ب) اكتشف أن أحد العباسيين ، كان يكذب عليه فى انتحال شعر ليس من نظمه ، وقد طلب هذا العباس الى المؤلف أن يرب سيئاً مما يكتبه فى " تاريخ إربل " ، فأبى عليه ذلك ، ولعله أراد أن يعاقبه على كذبه .

٧- مذهب الدينى :

ليس بالامكان القطع بالمذهب الدينى الذى كان يقلده ابن المستوفى ، إذ لم اجد له ذكراً فى كتب طبقات أصحاب المذاهب المعروفة ، كالشافعية والحنفية والحنابلة ، ولكن المعروف ، كما سبق وبيننا فى القسم الاول من هذا الكتاب ، ان المذهب الشافعى كان هو المذهب السائد باربل . وذكرنا ان المدارس التى أنشئت بها ، كانت للشافعية (مخ ورقة ٦٤ ب) ، ماعدا مدرسة واحدة أوقفها كوكبورى على فقهاء المذهبين ، الشافعى والحنفى ، وان قضاة إربل ومدرسيها ، كانوا من الشوافع أيضا (مخ ورقة ٣١ ب) . وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٥٠) وهذا قد يحملنا على الاعتقاد بأن ابن المستوفى كان شافعيًا ، لاسيما وان أحد شيوخه ، وهو المبارك بن طاهر الخزاعي ، كان شافعيًا متعصبا (مخ ورقة ٦ ب) كما ان أميري بن بختيار ، الذى سمع عليه ابن المستوفى ، كان شافعيًا متعصبا (مخ ورقة ٦ ب) ، كما ان أميري بن يختار الذى سمع عليه ابن

المستوفى كان شافعيًا هو الآخر (مخ ورقة ١١ أ وطبقات السبكي ٥١/٤ ط حسينية) ، ومن الجدير بالملاحظة ، ان المؤلف (مخ ورقة ١٦٣ ب) قال عن الحسين بن خلكان أنه " عارف بالمذهب معرفة تامة " ، دون ان يخصص أى مذهب يعني ، وحيث أن الحسين لهذا كان شافعيًا ، فمن المسلّم به ان ابن المستوفى لم ير ضرورة لتسميته بالمذهب الشافعي ، لأنه كان المذهب السائد . وهذا قد يعزز الاعتقاد بأن المؤلف كان شافعيًا ، إذ جرت العادة على ان أتباع مذهب معين عندما يشيرون إلى مذهبهم ، لايسمونهم باسمه ، وانما يكتفون بالإشارة إليه علي أنه " المذهب " ، الا انه ليس بالامكان الجزم بشيء (انظر أيضا مخ ورقة ١٦٢ أ) .

وقد يتبادر الى الذهن ان يكون ابن المستوفى حنفيًا ، الا انني لا أرى ذلك ، لانه عندما وصف (مخ ورقة ١٣٩ أ) الرشيد الدمشقي ، قال عنه . " كان حنفيًا إمامًا مقدما في (مذهبهم) أثني عليه بعض الحنفية .. " أقول لو كان ابن المستوفى حنفيًا لما قال : " في مذهبهم " . هذا وليست هناك أية إشارة قد تحمل على الظن بكونه حنبيًا أو مالكيًا ، وإنما هناك إشارة قد تحملنا علي القول بكونه شيعيًا ، إذ وصفه ابن الشعار بأنه " الخالص في ولاء العترة النبوية ، المذعن بمحبة السادة العلوية " ، وذكر له قصيدة يمدح فيها آل البيت الكرام - رض - ، ويذم معاوية (رض) ذمًا شديدًا ، الى درجة حملت أحد قراء كتاب ابن الشعار ، على استنكار ذلك ، متهما ابن المستوفى بالتجاسر على أحد أصحاب الرسول - ص - وذم كاتب وحيه (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٦ أ - والحاشية) ، لكن ذلك الظن لايقوى على الصمود أمام قرائن أقوى تنفى ماقد يُستخلص من قول ابن الشعار ومن القصيدة المذكورة ، منها ان صاحب " الذريعة " - وهو من كتب الشيعة - (٥ / ٢٧٨) ، قال عن " تاريخ إربل " انه " لبعض العامة " ، والعامة عند الشيعة ، كما هو معروف هم المسلمون من أهل المذاهب الاخرى ، وفضلا عن ذلك ، فان أغا يزرك الطهراني لم يذكر ابن المستوفى في كتابه " الأنوار الساطعة " الذي أرخ فيه لأعيان الشيعة من أهل المائة السابعة ، وعلاوة على ذلك فان " تاريخ إربل " فى عمومها

لأيستدل منه أن مؤلفه كان شيعيا ، لأن الحديث الذي رواه - وهو كثير - كان كله مسنداً الى أئمة من أهل السنة ، ثم ان المؤلف جرى على ابداء كامل الاحترام والتقدير للصحابه مثل عمر بن الخطاب - رض - وأبدى مثل ذلك تجاه أئمة المذاهب السنية ، كالامام الشافعي - رح - كلما جاء ذكر واحد من هؤلاء ، بل انه قال (مخ ورقة ١٣٣ أ) بصدد كتاب " مختصر في أصول الدين على مذاهب أهل السنة والجماعة " ، قال " كثرهم الله - عز وجل - " .

هذا من جهة ، أما من الجهة الاخرى ، فان المؤلف اعتاد أن يقول ، عند ذكر الامام علي وآل بيته " كرم الله وجهه ورضي عنهم " (مخ ورقة أ وب و ٥٤ ب) ، خلافا لما اعتاد عليه الشيعة والتزموا به من القول " عليهم السلام " . وفضلا عن ذلك ، فانه ليس بين الاشخاص الذين ترجم لهم أحد من الشيعة ، سوى ابن فطيرا (مخ ورقة ٢٠٤ ب) ، ومع ذلك فانه لم يصرح عن كونه شيعيا ، ولكنه قال عن بعض المترجمين . مخ ورقة ٢٣ أ و ٩٢ أ) ان أحدهم كان يميل الى التشيع وان الآخر " فيه تشيع " ، دون أن يذكر مذهبهما الاصيلي . والذي أميل اليه ان ابن المستوفي كان يميل الى مايسميه " الصحيح من التشيع " ، إذ وصف عليا ابن محمد بن محمود الكفرعزي ، أخا قاضي إربل ، بأنه كان شافعيًا " مائلا الى الصحيح من التشيع (مخ ورقة ٣١ ب) وهذا يحمل على الظن أنه كان نفسه من هذه الفئة ، لاسيما وأنه روى عددا من الأحاديث والأقوال في حب آل البيت - رض - (مخ ورقة ٨ ب و ٢٣ أ و ٢٧ أ و ٣٣ أ وب و ١٠٥ أ و ١١٢ أ و ١١٣ أ و ١٢٥ أ) ، هذا علاوة على ما ذكره ابن الشعار عن تعلقه بحب العترة النبوية ، وقصيدته التي أشرنا اليها آنفا .

ولكن ابن المستوفي - على ما يظهر من خلال كتابه " تاريخ اربل " ، لا يرتاح على أى حال ، الى المغالاة في المذاهب ، ولقد قال (مخ ورقة ٦ ب) عن شيخه الخزاعي أنف الذكر أنه " كان شافعيًا كثير العصبيّة لمذهبه ، يكره الرأى والقياس ، ويميل الى النص والنقل " ، وقال (مخ ورقة ٣٤ أ) عن أحد الاشراف العباسيين انه " حنبلي شديد المغالاة في مذهبه " ، وقال عن الفخر ابن تيمية (مخ ورقة ٣٤ ب) أنه " مغال في

معتقده ، قائم على حفظ مذهبه " . وقال (مخ ورقة ٦٧ ب) عن ابن البرنى أنه حنبلى المذهب من المغالين فيه وقال (مخ ورقة ١٦١ ب) عن خالد النابلسي انه " كان مغاليا في مذهب أهل السنة " . ووصف عمر الدريزيجاني (مخ ورقة ١٧٢ ب) بأنه " حنبلى المذهب ، مغال في السنة " ، وأخيراً قال (مخ ورقة ٥٤ ب) عن عبد القادر الرهاوي بأنه " حنبلى المذهب ، الا انه لم يكن غاليا فيه " . وبناء على هذا ، فان هذه الاشارات ، وإن كان ابن المستوفي قد نقلها نقل مؤرخ ، الا انها توحى ، ولاشك ، بأن المؤلف لم يكن يرتاح للطرف ، وإلا لما كان هناك داع لذكر ما ذكر عن المغالاة . بل ان مجرد وصفه لشيوخه الخزاعي بالعصبية لمذهبه وكرهه للرأى والقياس ، وميله الى النص والنقل ، يدل على أنه كان يعارض تلك الاتجاهات ، إذ كان بإمكانه ، لو لم يكن هذا موقفه ، أن يستعمل عبارات أخف شدة ، كأن يقول عنه انه " يعارض " الرأى والقياس ... وانه " كثير التعلق بمذهبه ... وما الى ذلك من عبارات خفيفة اللهجة .

٨- هجرته الى الموصل ووفاته فيها :

لقد سبق وبيننا أنفاً بأن ابن المستوفي هاجر من إربل على اثر هجوم التتر عليها ، في شوال من سنة ٦٣٤ هـ ١٢٣٦ م ، واحتلالهم لريضها ، وقتلهم السكان الأمنين ، وسبيهم لمن سلم من القتل ، وتخريبهم للمباني والاسواق ، وإحراقهم الدور ونهبهم للاموال والممتلكات ، وحصارهم للقلعة التي التجأ اليها ابن المستوفي ، فيمن التجأ (وقد روى له ابن الشعار - مخ استانبول ٦ ورقة ٣٢ ب - قصيدة يرثي بها إربل) . وقد انتهز فرصة تراجع التتر بعد فشل الحصار الذي ضربوه حول القلعة ، فارتحل مع المهاجرين الى الموصل . فسمع به الامير لؤلؤ بن عبد الله البدرى ، حاكم الموصل ، فانتدب اليه جمالا ويغالا لحمل متاعه ، وعندما دخل الموصل ، استقبله الامير بالاكرام الوافر والتبجيل والحرمة التامة ، وأنزله في دار هيئت له ، ورتب له جاريا ، ومال اليه بكليته - على حد قول ابن الشعار - ولم يكن يصبر عنه ، وقصد رؤساء الموصل زيارته ، واستبشروا بقدومه ، وكل كان يتمنى لقاءه .

الا ان عيشه قد تنكد ، وتبدل فرحه ترحا ، وسروره حزنا ، بسبب قيض الامير لؤلؤ

المذكور (لم يفصح ابن الشعار عما يقصده بكلمة " قبض " ، وهل هو يريد اعتقاله أو موته ، فان كانت الاولى فلم أجد في كتب التاريخ ما يشير الى اعتقال لؤلؤ البدري بين سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، وهي سنة ورود ابن المستوفي الى الموصل ، وسنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م وهي سنة وفاته ، كما سنرى ، أما وفاة لؤلؤ فقد تأخرت الى ما بعد سقوط بغداد على يد المغول في عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)^(١) مما ضاعف آلامه وزاد في همومه ، ونكد عيشه ، وقد ظل على هذه الحال الى أن اخترمته يد المنون في يوم الأحد ، الخامس من المحرم من سنة ٦٣٧ هـ / آب ١٢٣٩ م (لم يذكر ابن الشعار " مخ استانبول ٦ ورقة ٢٤ أ " تاريخ الوفاة ، وقد ترك موضعه بياضاً . اما التاريخ الذي ذكرناه في المتن فهو منقول عن ابن خلكان) . وقد دفن بالمقبرة السابلة ، خارج باب الجصاصة بالموصل ، ولقد كانت وفاته صدمة كبيرة لابن الشعار ، مما حملته على القول : " فلم يبرح ذا هموم زائدة وغموم متوافرة الى أن ناداه الحي القيوم ، وفاجأه الأجل المحتوم ، وأصابته عين الكمال ، واخترمته ريب المنون ، ولم ينفعه يومئذ لآمال ولا بنون ، فيا لله ، أى نجم للفضائل هوى ، وغصن للمكارم نوى ، فلقد تهدم ركن السماحة ، وفل شبا الفصاحة ، وميلت اليراع أسفا عليه قدودها ، ولطمت الدوى كآبة عليه خدودها ، وبكت عيون الآداب وشقت جيوبها فسقى الله صفيحة منهمر الشآبيب وألبسه من رضوانه أقر الجلايب ، وأحسن منقلبه ومثواه ، ونقع جسده ورواه ، وحشره مع أحبابه الميامين الغرر ، فلقد مضى محمود الخلائق ، مشكور الطرائق ، جميل العواقب ، جم المناقب ، قد أخذ حزنه من كل قلب بسهم ، وأيتم فقده كل ذى أدب وفهم ، وعاد روض الفضل ذأويا ، ورسم الجود دارسا خاويا ، فلقد مضى لي معه أوقات مذهبات ، كانت للاتراح مذهبات ، أدركنا فيها كنوس المذاكرة ، وفتقنا نواجح المحاورة ، وجاذبنا أهداب المناقشة ، وأجلنا في ميادينها خيل المحادثة ، وتذاكرنا غرراً من أصناف الفوائد ، ما لو كن حلياً كانت في

(١) بشأن حياة بدر الدين لؤلؤ راجع " امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ " تأليف سوادى بن عبد الرويشدى ، بغداد ١٩٧١ م ، علماً بأن وفاة لؤلؤ وقعت في سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م (ابن خلكان ١٦٦/٥ وعبير الذهبي ٢٤٠/٥)

نحور الحسان الخرائد ، فوا أسقى على ذلك الزمن النضر ، الذي كان بقرية فرصة
العمر ، والعيش الأنيق ، والوقت الرفيق ، فكأنه كان خط ماشق ، أو استراق نظرة من
عاشق * (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٠ - ٢١) .

وقد رثاه يوسف النفيس الاربلي ، الشاعر المعروف بشيطان الشام ، بقوله :

أبا البركات لو درت المنايا بأتك فرد عصرك لم تصبكا

كفى الاسلام رزء فقد شخص عليه بأعين الثقلين يبكي

وقال ابن خلكان (٢ / ٢٩٨) الذي روى هذين البيتين " كان - يرحمه الله تعالى - من
محاسن وقته ، ولم يكن في آخر الوقت في ذلك البلد - أي إربل - مثله في فضائله
ورئاسته " .

والجدير بالذكر ، ان الذين ترجموا لابن المستوفي ذكروا وفاته في سنة ٦٢٧ هـ /
١٢٢٩ م ، ماعدا ابن كثير (تاريخ ١٣ / ١٣٩) فقد انفرد بجعلها في سنة ٦٣٠ هـ /
١٢٢٢ م . ويغلب على الظن ان وفاة ابن المستوفي التبس تاريخها لدى ابن كثير بتاريخ
وفاة كوكبوري ، الذي توفي في السنة المذكورة ، وتوهم المرحوم مصطفى
جواد (معجم ابن الفوطي ١ / ٧٩ - حاشية ٣) فذكر ان وفاة ابن المستوفي وقعت في
سنة ٦٢٧ هـ ، وفقا لما ورد في " الحوادث الجامعة " أو في سنة ٦٢٨ هـ (كذا) وفقا لما
ذكره ابن خلكان ، أقول في الواقع ان ابن خلكان أرخ الوفاة في سنة ٦٢٧ هـ ولكنه
أشار في الفقرة الاخيرة من ترجمة ابن المستوفي ، الى تاريخ وفاة الشاعر يوسف بن
النفيس الاربلي (ولد الشاعر بربل في سنة ٥٨٦ هـ - ابن خلكان ٢ / ٢٩٨) الذي
رثى ابن المستوفي بالبيتين اللذين نقلناهما أنفا ، وقد توفي هذا في سنة ٦٢٨ هـ ،
فظن الاستاذ جواد أن هذا التاريخ هو تاريخ وفاة ابن المستوفي (راجع ابن خلكان
٢ / ٢٩٨ والحوادث الجامعة ص ١٣٥ وبغية السيوطي ٢ / ٢٧٢ ومبرر الذهبى ٥ / ١٥٥
وشذرات ابن العماد ٥ / ١٨٦ و امرأة الياقعي ٤ / ٩٥ والتعريف بالمؤرخين للعزاوي ص ٦٠
وكوكبوري لطيمات ص ٢٢٤) .

٩- عقب ابن المستوفى :

لم أجد في المراجع التي ترجمت لابن المستوفى ذكراً لعقبه ، وقد استقصيت كتب التراجم التي تناولت ذكر الارابلة ، فلم أوفق بشيء . الا ان ابن الفوطى (معجم ٤ / ٧١٨) ذكر شخصا هو " قطب الدين أبو علي مزيد بن يوسف بن أبي البركات الاربلي الفقيه " غير انه لم يذكر تاريخ وفاته ، أو شيئا عن حياته ، مما قد يفيد في تحقيق نسبه ، ومعرفة عما اذا كان مزيد المذكور حفيداً لأبي البركات المبارك بن أحمد بن المستوفى ، أم لا .

هذا وقد ترجم ابن الشعار (مخ استانبول ١ / ٧٢) لأبي إسحق إبراهيم بن المظفر بن أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمه بن غالب المستوفى الاربلي ، المولود في سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م . وهو ابن أخي المؤلف . وقد قال عنه بأنه من بيت جليل في الرئاسة باربل ، وانه حفظ القرآن الكريم وجمله من الشعر ، وكان يتولى التصرف لأمير بلده ، وفيه ذكاء وروى شيئا من شعره ، الا انه لم يذكر تاريخ وفاته ، واكتفى بالقول بأنه شاب .

الفصل الثاني دراسة ابن المستوفي وشيوخه

١- دراسته :

لقد سبق وذكرنا في الفصل السابق ، بأن ابن المستوفي بكرُ به أهله في طلب العلم حتى استظهر الكتاب العزيز وهو ابن عشر سنوات (يبدو ان هذا تقليد في عائلة المؤلف ، حيث ان ابن اخيه حفظ القرآن الكريم أيضا وجملة من الشعر - وفقا لما ذكره ابن الشعار ، مخ استانبول ١ / ٧٢) ، وأغري بنظم الشعر وسماع الحديث وقراءة العلوم الادبية . كذلك أشرنا الى مجالسته للعلماء (نقل الفوطي - معجم ١ / ٥٧٦ - عن الجزء الضائع من " تاريخ إربل " بأن ابن المستوفي لقي في سنة ٥٨٢ هـ / ١٨٦ م ، أى عندما بلغ سن الثامنة عشرة ، الحسن بن سعيد بن عبد الله الشاتاني الاديب ، المتوفى في سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م ، وأنه كان شاعراً يحفظ جل أشعاره) ، وملازمته لهم حتى برز بينهم وصار يشار اليه بالبنان ، وعلاوة على ذلك فان بيته كان بيت فضل وعلم - ولاسيما بوجود عمه صفي الدين - فانتفع بوجوده في مثل تلك البيئة العلمية الرائعة ، الا ان ذلك كله لا يؤدي الى النتيجة المرجوة مالم يقترن بدراسة منتظمة تتحدد فيها مسؤولية الطالب والاستاذ ، ويتميز موضوع الدرس وتبين حدوده ، ولذلك فان ابن المستوفي ؛ شأنه شأن أبناء الكبراء من أهل زمانه ، كان له أساتذته ومدرسه ، ممن سنتعرض لذكرهم في موضع آخر من هذا الفصل ، إن شاء الله .

وهنا يحسن بي أن أشير الى ما ذكره الصفدي (الوافي ١ / ١٤٣) نقلا عن الجزء المفقود من " تاريخ إربل " ، قول ابن المستوفي بأن محمد بن محمد بن أبي حنيفة الفرضي البغدادي ، هو مؤدبه ، وأنه ورد إربل ومدح أباه فاتخذة مؤدبا له ، وأنه أقام بإربل مدة ، وأهمية هذه الإشارة ، كونها منقولة عن خط ابن المستوفي نفسه ، وأنه سمى الفرضي هذا " مؤدبي " (أنظر مجلة مجمع دمشق - مقال العزاوي ص ٢٢٤) ، والتأديب ، كما هو معروف ، كان للأطفال ، وليس للبالغين الذين كان مدرسوهم يسمون " شيوخا أو أساتذة " . هذا ولم أستطع الاهتداء الى معرفة أي شخص آخر ممن تولى

تأديب ابن المستوفى في صباه ، ولعل محمد بن يوسف البحراني الاربلي ، المتوفى في سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ، كان أحد هؤلاء المؤيدين ، لانه مات وابن المستوفى لم يتجاوز سن الحادية والعشرين ، فلربما تتلمذ عليه في صباه . وقد حاولت في هذا الفصل ، أن استقصي - على قدر الامكان - أسماء هؤلاء الشيوخ ، على أنني لا أطمع في كتابة " مشيخة " لابن المستوفى ، والمشيخة - كما هو معروف - هي معجم الشيوخ الذين درس عليهم أحد العلماء أو الذين أجازوه أو الذين سمع عليهم ، لان ذلك أكبر من أن أقوم به في دراستي هذه ، لاسيما وان بعض المشيخات بلغت العشرين مجلداً ، كمشيخة ابن الساعي (كشف الظنون ص ١٦٩٧) ، بينما اشتملت مشيخة ابن النجار على ٣٠٠٠ شيخ و ٤٠٠ امرأة (معجم ابن الفوطي ١ / ١٣٥ - ١٣٦ حاشية) ، وتضمن معجم شيوخ الذهبي ١٣٠٠ شيخ (الوافي ٢ / ١٦٤) ، وان معجم شيوخ السلفي ، من الاصفهانيين فقط بلغ ٦٠٠ (معجم السفر - مقتطفات نشرها الدكتور إحسان عباس ص ٦) ، في حين ان مشيخة ابن الفوطي (المعجم ١ مقدمة ص ٤٥) احتوت على ٥٠٠ شيخ ، بل ان ابن المستوفى - مخ ورقة ١١٨ أ و ١٦٧ أ) نقل عن أسحق بن محمد المصري الهمزاني قوله بأن عدد شيوخه قد بلغ الالف ، وقال مثل ذلك عن عدد شيوخ إسماعيل بن عبد الله الانماطي (مخ ورقة ٧٢ ب) .

وانني ، ولاشك ، لو تصديت لاحصاء شيوخ ابن المستوفى ، لبلغوا المئات عدداً ، إذ كان حريصاً جداً على السماع من المشايخ الواردين الى إربل ، فانه كان يعتمد القراءة بنفسه " ، كما يقول ابن خلكان وانه لم يصل الى إربل أحد الفضلاء ، إلا ويأدر الى زيارته وحمل اليه ما يليق بحاله ، ويقرب الى قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أرباب الادب ، فقد كانت سوقهم لديه نافقة " (ابن خلكان ٣ / ٢٩٤ - ٢٩٨ وموسوعة البستاني ١ / ٦٨٨) . وهذا واضح كل الوضوح مما تجده في " تاريخ إربل " نفسه ، فلم يكن المؤلف يضيع الفرصة إلا نادراً ، وكان حريصاً على مقابلة كل وارد الى إربل ، سواءً علت منزلته أو صغرت ، أكان شيخاً أو شاباً (قرأ على القطيعي "كتاب البخاري" وكان شاباً ، كما سمع الحديث من المطهر النوزكاشي ، وكان شاباً فقيراً لا يملك غير أجزاء الحديث ،

وروى الشعر عن العباس بن بزوان ، وهو فقير لا يملك طعام ليلة - مخطوطتنا ورقة ٢٩ أ و ٥٥ ب و ٢٢٧ أ) ، أكان حراً أو رقيقاً ، أكان رجلاً أو امرأة ، أكان قارئاً أو محدثاً ، أكان مؤرخاً أو أديباً ، قالكل عنده سواء ، ولكل مكانته فى عالم المعرفة ، بل انه كان يسمع حتى من الذين لا يرتاح لآخلاقهم (مثل ابن المشتري الذي قال عنه " فى أخلاقه زعارة " - مخ ورقة ١١٣ ب) ، وان نظرة عجلى على أسماء الذين اتصل بهم - ممن أنا ذاكرهم بعد - تعطي فكرة أكثر وضوحاً عما ذهبت اليه .

٢- مدرسه وشيوخه

ولغرض الوقوف على الثقافة التى نالها ابن المستوفي ، أرى من المناسب التحدث عن مدرسيه وأساتذته ، ولكن بصورة موجزة ، ومنهم .

١ / الفرضي البغدادي :

سبق وتقدم ذكر مؤدبه الأول ، محمد بن محمد بن أبي حنيفة الفرضي البغدادي . وأضيف هنا بأن الفرضي ، عقب مغادرته لاربيل التحق بخدمة الملكين الايوبيين المغيث والقاهر ، ولدي العادل . وقد توفى بالقاهرة فى سنة ٦٠٢ هـ / ١٣٠٥ م (الوافي ١ / ١٤٣) ، كذلك ترجم له ابن الشعار ، وأضاف على نسبة " الاربلى "

ب / البحراني الاربلي :

هو محمد بن يوسف بن محمد بن قائد ، الملقب بموفق الدين الاربلي الشاعر . كان إماماً مقدماً فى علم العربية ، ومن العارفين الحاذقين بالعروض وتقد الشعر ، والمشهورين بمعرفة جيده من رديئة ، اشتغل بعلوم الأوائل وحل " كتاب اقليدس " . وقد كان شيخ مؤلفنا الذى اشتغل عليه بعلوم الشعر ، وبه تخرج ، وقد سماه " شيخنا " (مخ ورقة ١٠٩ ب) ، وقال السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) أنه قرأ عليه عيه القرآن والادب ، وقد رحل البحراني الى شهنشور ، ثم الى دمشق حيث مدح صلاح الدين . وله قصيدة فى مدح زين الدين يوسف ، صاحب إربل (ذكر اليافعي فى مرآته ٣ / ٤٣١ بأن القصيدة فى مدح " أبي المظفر " صاحب إربل . ولا أدري من يعنى ، ولعله ، أراد مظفر الدين كوكبوري) وهي طويلة - كما يقول أبو الفداء - اقتبس منها هذه الأبيات :

عكف الركب عليها فبكاها	رب دار بالحمى طال بلاها
فسقى الله زماني وسقاها	كان لي فيها زمان وانقضي
كلما أحكمتها رثت قواها	قل لجير ان مواثيقهم
شجراً لا يبلغ الطير ذراها	كنت مشغوفاً بكم إذ كنتم
عرض البأس لنفسي فثناها	واذا ما طمع أغرى بكم
طمع النفس وهذا منتهاها	فصبايات الهوى أولها
كشف التجريب عن عيني عماها	لاتظنوا بي اليكم رجعة
لم تدع لي رغبة فيما سواها	أن زين الدين أو لاني يداً

وكان والد البحراني تاجراً يتردد الى البحرين ، لتحصيل اللؤلؤ من المغاصات ، وقد توفي الشاعر في سنة ٥٨٥ هـ ١١٨٩ م (ابن خلكان ٤ / ١٠٢ ، وتاريخ أبي الفداء ٣ / ٧٧ و امرأة الياقعي ٣ / ٤٣١ وبغية السيوطي ١ / ٢٨٦) .

ت / الماكسيني :

هو مكي بن ريان الماكسيني الموصلى النحوى الضرير . درس ببغداد وأخذ العربية عن أبي محمد بن الخشاب والكمال الانباري ، كما أخذ عن يحيى بن سعدون القرطبي الكثير من القراءات واللغات ، فدرس وأقرأ الناس ، وسافر الى الشام وانتفع به كثيرون ، وقد ذكر ابن خلكان (٤ / ٣٦٥) بأن ابن المستوفي اشتغل عليه بالموصل ، وسماه ابن سعيد (الغصون ص ٨٣) باستاذ ابن المستوفي ، وقد نعتـه ابن المستوفي نفسه بـ " شيخنا " (مخ ورقة ١٤٨ ب ١٨٣ ب) . وقد ذكر السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) بأن المؤلف قد قرأ عليه القرآن والأدب ، توفي الماكسيني بالموصل في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م (تكملة المنذري ٣ / ١٨٠ ومعجم الادباء ٧ / ١٧٦ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٠٠ ونكت الصفدي ص ٢٩٦ وانباه الرواة ٣ / ٣٢٠ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٤٦ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٥١٩ و ٥٣٩ و ٣ / ٤٠ وطبقات الجزري ٢ / ٣٠٩ وشذرات ٥ / ١١ وبغية السيوطي ٢ / ٢٩٩ وتكملة ابن الصابوئي ص ٢٦٣ وفهرس مخطوطات الموصل ص ١٢ ومخطوطتنا ورقة ٢٥ أ و ١٤٨ ب و ١٨٣ ب) .

ث / الخزاعي :

هو المبارك بن طاهر الخزاعي البغدادي المقرئ ، المتوفي بباربل في سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ، كان من الزهاد ، وقد انقطع لتعليم القرآن الكريم ، كما انه سمع الحديث ، وله إجازات كثيرة . وقد أثنى عليه كثيراً ابن المستوفي وترجم له (مخ ورقة ٦ - ٩) . وقد ذكره في عدة مواضع من " تاريخ إربل " . وكان يسميه دائماً " شيخنا " (مخ ورقة ٦ أ و ١٩ و ٧٢ أ و ٧٤ ب و ٨٤ أ و ١٣٧ ب) . وروى عنه بعض الحديث والشعر ، الا انه لم يذكر الموضوع الذي درسه على الخزاعي هذا ، ولعله قرأ عليه القرآن ، إذ كان مقرئاً منقطعاً لتعليمه (تكملة المنذري ٣ / ٣٩) . وقد دعا الله ابن المستوفي مرة (مخ ورقة ٦ ب) ، ان يعيد عليه بركة " أدب " الخزاعي ، ومعنى هذا انه قد أدبه . ولا أظنه يعني انه درس عليه الأدب ، إذ ليس للأدب بركة على ما اعتقد .

ج / صاعد الواسطي :

هو الشيخ صاعد بن علي الواسطي الواعظ . ولد في سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م ، وقد سمع الحديث ببغداد على الأئمة المعروفين ، ثم خرج منها بعد سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م وأقام بباربل وصار له بها قبول بحدث بها كثيراً . وقد قرأ عليه بباربل المؤرخ ابن الديبثي . كما نقل عنه ابن المستوفي أحاديث وأخباراً في مواضع عدة ، وكان يسميه " شيخنا " (مخ ورقة ٥٩ ب و ١٣٨ أ) ، وسمع منه أيضاً (مخ ورقة ٧٧ ب و ٨١ أ و ١٣٨ أ) ، الا أنه لم يذكر ماذا درس عليه ، توفي صاعد في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م (المختصر المحتاج ٢ / ١١٣ ، ومخطوطة ابن الشعار ٢ ورقة ١٧٤ ومخطوطتنا ورقة ٣ أ و ١٣ ب و ١٨ أ ، ٣٤ أ و ٤٤ ب و ٧٧ ب و ٨١ أ و ١١٣ ب و ١٥١ ب و ١٦١ أ و ١٩٤ ب) .

ح / أميري بن بختيار الاشنهي :

فقيه زاهد من أهل التصوف ، أقام بباربل حتى وفاته بها في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م . وقد أثنى عليه ابن المستوفي ، وروى عنه بعض الحديث ، وسماه " شيخنا " (مخ ورقة ١٢٣ ب و ٢٠٢ أ) وترجم له . كان لقبه " القطب " (تكملة المنذري ٤

/ ٢٧٥ طبقات السبكي ٨ / ١٣٢ ومخطوطتنا ورقة ١١ - ١٢ ب و ١١٥٠) .

خ / عبد اللطيف السهروردي :

هو من أولاد عبد القاهر السهروردي ، وكان عبد القاهر من كبار مشايخ الصوفية المشهورين ببغداد ، وقد اتصل عبد اللطيف هذا بصلاح الدين ، فقدّمه وولاه قضاء كل بلد افتتحه بالساحل ، علاوة على الامامة والخطابة (مرآة السبط ٨ / ٣٩٥) . وقبل وفاته سكن إربل ، وبها لقي حظوة كبيرة لدى كوكبوري ، وكان يعقد مجالس السماع فيحضرها كوكبوري وكبار رجال الدولة والعلماء . وقد قرأ عليه ابن المستوفي كتابا من تصنيفه ، وسمع عليه الحديث ، وأجاز له . وكان يسميه أيضا " شيخنا " (مخ ٤٢ ب و ٤٢ ب و ٦٧ ب و ١١٨ أ و ١٦٨ ب) . توفي ياريل في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (تاريخ ابن الدبيثي - مخ كمبرج ورقة ٧٧ ومخطوطتنا ورقة ٧٦ - ٧٧ وتكملة المنذري ٤ / ٦٦ وطبقات السبكي ٨ / ٣١٢ وطبقات الاسنوي ٢ / ٦٦ ولسان الميزان ٤ / ٥٤) .

د/ نصر الله الهيتي :

هو نصر الله بن سلامة الهيتي المقرئ . شيخ صالح محدث ، حدث ببغداد والموصل وأثنى عليه ابن المستوفي وسمع عليه ، وقد قال بأنه أخذ عنه كثيراً من أجزائه ، وسماه " شيخنا " (مخ ورقة ٢٨ أ و ٧٧ ب) ، توفي الهيتي في سنة ٥٩٨ هـ / ١٢٠١ م (تكملة المنذري ٢ / ٣٥٢ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٥٤٦ ومخطوطتنا ورقة ٣٨ - ٣٨ ب و ١٧١ ب) .

ذ/ الحسين الضرير :

هو الحسين بن أبي صالح بن فناخسرو الضرير التكريتي ، من أهل بغداد . كان من المحدثين البارزين في زمانه ، وقد حدث بالموصل وإربل ، وخصوصا بصحيح البخاري . وقد قرأ عليه ابن المستوفي الكتاب المذكور في منزله - أي منزل ابن المستوفي بإربل - في مجالس ، آخرها في مستهل ربيع الآخر من سنة ٦١٤ هـ / آب ١٢١٧ م ، بحضور جماعة من أهل الحديث ، أثبت أسماءهم في النسخة المحفوظة لديه (مخ ورقة ٩٠ أ وقد أشار ابن الفوطي ، معجم ١ / ٥٠٧ و ٨٤١ / ٢ ، و ٥٨٠ / ٣ - الى هذا السماع) . توفي

الحسين هذا بالموصل في سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م (مخطوطتنا ورقة ٩٠ - ٩٠ ب والمختصر المحتاج ٢ / ٤٧) .

٣- من أجاز الابن المستوفي أو من قرأ عليهم :

ذكر ابن المستوفي في ثنانيا تاريخه - وبصورة عارضة - أسماء من أجازوه ومن قرأ عليهم ، وفيما يأتي ذكر لبعض من استطعنا استقصاء ذكره ، والجدير بالذكر انه ذكر (مخ ورقة ٣٢ ب) قراءته على شخص اسمه ابوالبركات محمد بن عمر القزاز ، وهو شخص لم أمتد الى معرفة هويته .

١ / ابن الجوزي :

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي ، المعروف بابن الجوزي ، المؤرخ المشهور ومصنف كتاب : المنتظم " وعدد من الكتب الاخرى . وهو من فقهاء الحنابلة البارزين ، وقد ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ١٢ أ) انه أجاز له الرواية من تاريخه (وهو المنتظم) . وقد توفي ابن الجوزي في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م (المختصر المحتاج ٢ / ٢٠٥ وتكملة المنذري ٢ / ٢٩١ ومرة السبط ٨ / ٤٨١ وذيل الروضتين ص ٢١ وعبر الذهبي ٤ / ٢٩٧ والتذكرة له ٤ / ١٣٤٢ ونجوم ابن تغري ٦ / ١٧٤ وطبقات الجزري ١ / ٣٧٥ وتاريخ ابن كثير ١٢ / ٢٨ وشذرات ٤ / ٣٢٩ والرسالة المستطرفة ص ٣٩) .

ب / العماد الاصفهاني :

هو محمد بن حامد الاصفهاني ، الكاتب المعروف وصاحب المؤلفات الشهيرة ، ومنها " خريدة القصر " و" الفتح القسي " ، وقد كان كاتباً لصلاح الدين . وذكر ابن المستوفي بانه أجاز له الرواية من كتاب لم يذكر اسمه (مخ ورقة ٢ ب) . توفي العماد في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م معجم الأدباء ٧ / ٨١ والمختصر المحتاج ١ / ١٢٢ وكامل ابن الاثير ١٢ / ٧١ وتاريخ ابن الساعي ص ٦١ وابن خلكان ٤ / ٢٢٣ ومعجم ابن الفوطي ٢ / ٨٤٥ وتكملة ابن الصابوني ص ٢٢٥ والوافي ١ / ١٣٢ ، وطبقات السبكي ٤ / ٩٧ ط حسينية ، وتكملة المنذري ٢ / ٢٨٨ والروضتين ١ / ١٤٢) .

ت/الزrzاري :

هو أحمد بن عثمان الكردي الزرزاري ، من أهل إربل . كان من الائمة الزاهدين وأهل العلم والورع . سمع الحديث وبرز في القراءات ، وصنف فيها أكثر من كتاب ، وقد حدث بالموصل وإربل ، وسمع عليه ابن المستوفي ، وسأله أن يجيزه ، فأجازه (مخ ورقة ٤ ب) . توفي الزرزاري بإربل في سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م (مخطوطتنا ورقة ٤ - ٦ تكلمة المنذري ١ / ٤٢٦) .

ث / علي بن عثمان :

هو علي بن عثمان البهرزي المعروف بابن القاضي ، وكان من المتصوفة . زار إربل في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م أو في السنة التي بعدها ، وحدث بها ، وأجاز لابن المستوفي جميع مايجوز له روايته عنه (مخ ١٤ ب) ، ويقول ابن المستوفي انه سمع عليه أحد الاجزاء من روايته ، ثم رآه شيخا مغفلا فترك الرواية عنه (مخ ورقة ١٣ ب) . هذا ولم أهدأ الى تاريخ وفاة علي هذا ، ولا الى أى ذكر له في المراجع المتيسرة ، عدا ترجمته في مخطوطتنا (ورقة ١٣ ب - ١٤ ب)

ج / القاضي المراغي :

هو عبد المحسن بن شفا الحميري ، قاضي مراغة . ورد إربل عدة مرات ، وحدث بها . وقد قرأ عليه ابن المستوفي في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م بعض الحديث (مخ ورقة ٢٦ ب - ٢٧ ب) . الا انني لم أهدأ الى تاريخ وفاة المراغي هذا ، كما انه ليس له ذكر في المراجع المتيسرة .

ح / عبد العزيز الجيلي :

هو عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الجيلي ، ووالده هو الصوفي الكبير المعروف . سمع عبد العزيز الحديث ورواه ، وحدث بإربل ، وقد قرأ عليه ابن المستوفي (مخ ورقة ٣٣ و ٣٤) . الا انني لم أهدأ الى تاريخ وفاته ، وقد ذكر ابن الديبشي انه : ولد في سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م (مخطوطة كمبرج ورقة ٦٢) .

خ / قاضي بيلقان :

هو خدازان بن أبي القاسم بن خدازان البيلقاني ، قاضي بيلقان . كان فقيها زاهداً ، وقد ورد إربل عدة مرات ، ولقيه ابن المستوفي في سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م ، وأخذ عنه وقرأ عليه (مخ ورقة ٣٦ ب - ٣٧ ب) . الا أنني لم أمتد الى تاريخ وفاته . ترجم له ابن الفوطي (معجم ٣ / ٥٢٥) وسماه " هبة الله بن أبي القاسم بن هبة الله " .

د / محمد الواسطي :

هو محمد بن محمد الواسطي الشاعر ، وقد أجاز لابن المستوفي رواية أشعار رواها هو بدوره عن الزاهد محمد بن البستي (مخ ورقة ٤٤ ب) . هذا ولم أمتد الى ترجمة الواسطي الشاعر في المراجع المتيسرة .

ذ / الرهاوي :

هو عبد القادر بن عبد الله الرهاوي ، من أئمة الحديث ، وقد ولي التحديث بدار الحديث المظفرية في الموصل . رحل في طلب الحديث ، وبرز فيه وسمع عليه ابن المستوفي ، وأجاز له . توفي الرهاوي في سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م (مخ ورقة ٥٤ ب - ٥٥) وتكلم المنذري ٤ / ١٦٠ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٣٨٧ وذيل الروضتين ص ٩٠ وشذرات ٥ / ٥٠ و مرآة اليافعي ٤ / ٢٢ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٦٩ وطبقات ابن رجب ٢ / ٨٢ ونجوم ابن تفسري ٦ / ٢١٤ وبلدان ياقوت ٢ / ٨٧٧ والرسالة المتسطرة ص ١٠٤) .

هـ / الخراط :

هو أحمد بن المظفر الخراط المتزهدي ، ويبدو انه إربلي ، قرأ عليه ابن المستوفي بعض الأجزاء (مخ ورقة ٦٥ أ) . ولكنني لم أمتد الى شيء من أخباره في المراجع المتيسرة .

ز / ابن طبرزدي :

هو عمر بن محمد البغدادي الدارقزي ، المعروف بابن طبرزدي المحدث المشهور . وقد أشار ابن المستوفي على كوكبوري باستقدامه من بغداد ، ليسمع الحديث في دار

الحديث المظفرية باربل . وقد قرأ عليه ابن المستوفي . توفي ابن طبرزد في سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م (مخ ورقة ٦٩ ب - ١٧١ أ و ب وابن خلكان ٢ / ١٢٥ و ذيل الروضتين ص ٧٠ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١١٤ وتكملة المنذري ٣ / ٣٣٤ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٦١ وبغية السيوطي ٢ / ٢٧٢ وشذرات ٥ / ٢٦ ونجوم ابن تغري ٦ / ٦٠٧ وعبر الذهبي ٥ / ٢٤ وميزان الاعتدال له ٣ / ٢٢٣ ولسان الميزان ٤ / ٣٢٩) .

س / ابن الاخضر :

هو الحافظ عبد العزيز بن محمود ، المعروف بابن الاخضر الجُنَابْذِي البغدادي . سمع الحديث ، وصنف الكتب ، وكانت له حلقة بجامع القصر ببغداد يقرأ فيها الحديث ، أثنى عليه المؤرخون وأهل الحديث ، وسماه الذهبي " محدث العراق " وسمع عليه عدد من المشاهير ، كابن الديبشي وابن النجار . ولكل من ياقوت الحموي والمنذري منه إجازة . وقد ذكره ابن المستوفي ، وذكر مكاتبتة له وسماه " شيخنا " (مخ ورقة ٥٤ أ) . توفي ابن الاخضر في سنة ٦١١ هـ / ١٢١٥ م (تاريخ ابن الديبشي - مخ كمبرج ورقة ٦٣ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٢٦ و ذيل الروضتين ص ٨٨ وتكملة المنذري ٤ / ١٣٥ وعبر الذهبي ٥ / ٣٨ والتذكرة له ٤ / ١٣٨٣ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٦٨ وتاريخ أبي الفداء ٢ / ١٢٢ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٧٩ ونجوم ابن تغري ٦ / ٢١١ وشذرات ٥ / ٤٦ وبلدان ياقوت ٢ / ١٢١) .

ش / ابن البرني :

هو إبراهيم بن المظفر الحربي الواعظ ، من أهل بغداد . أقام بالموصل وتولي مشيخة دار الحديث المهاجرية بها . وقد زار إربل . فلقني تكريما من كوكبوري الذي حضر مجلس وعظه بالقلعة . وذكر ابن المستوفي انه سمع عليه باربل والموصل توفي ابن البرني في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (مخطوطتنا ورقة ٦٧ أ - ٦٨ أ والمختصر المحتاج ١ / ٢٣٦ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٤٩ والوافي ٦ / ١٤٧ ومشتبه الذهبي ص ٣١ و ١٠٠ والعبر له ٥ / ٨٩ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٠٩ وشذرات ٥ / ٩٩ ، ولسان الميزان ١ / ١١١ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ١ ورقة ٢٦) .

ص / ابن الاثير :

هو علي بن محمد الجزري الشيباني ، المعروف بابن الاثير المؤرخ الشهير ومصنف " الكامل " وغيره . كان إماما في الحديث والتاريخ والأنساب ، وقد ذكر ابن المستوفي قراءته عليه بالموصل (مخ ورقة ٥ ب) . توفي ابن الاثير في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م (ابن خلكان ٣ / ٣٣ وعبر الذهبي ٥ / ١٢٠ وطبقات الاسنوى ١ / ١٣٢)

ض / حنبل الرصافي :

هو حنبل بن عبد الله البغدادي الحنبلي ، راوي : مسند أحمد بن حنبل وهو أيضا ممن أشار ابن المستوفي على كوكبوري باستقدامه من بغداد ليسمع الحديث بارييل ، وقد ورد لها صحبة ابن طبرزد أنف الذكر . وقد قرأ عليه ابن المستوفي ، توفي حنبل في سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م (مخطوطتنا ورقة ٧٠ ب و ٧١ أ - ب وبغية السيوطي ٢ / ٢٧٢ والمختصر المحتاج ٢ / ٥٤ وتكملة المنذري ٢ / ١٩٤ وتاريخ ابن الساعي ص ٢٤٥ وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٨٤ ومرآة السبط ٨ / ٥٣٦ وذيل الروضتين ص ٦٢ وعبر الذهبي ٥ / ١٠ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٥٠) .

ط / القزويني :

هو محمد بن أحمد بن إسماعيل القزويني ، من الرحالين الذين وردوا إربل عدة مرات ، وقد نقل عنه ابن المستوفي بعض الحديث والخبار ، وقرأ عليه كتابا من تأليفه عن حياة " الخضر والياس " ، بدار الحديث بارييل بحضور كوكبوري نفسه . توفي القزويني في سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م (مخطوطتنا ورقة ٧٧ ب - ٧٩ ب والمختصر المحتاج اليه - المستدرک ٢ / ٢٣٧ وتكملة المنذري ٤ / ٢٧٠ وميزان الاعتدال للذهبي ٢ / ٤٦٤) .

ظ / الخطيب الطوسي :

هو عبد المحسن بن عبد الله الطوسي ، خطيب الموصل ، وهو من بيت الحديث والخطابة بالموصل . قرأ عليه ابن المستوفي وأجاز له غيره مرة . توفي عبد المحسن في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (مخطوطتنا ورقة ٨١ ب - ٨٢ أ وتاريخ ابن الدبيشي - مخ كمبرج ورقة ٩٨ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٤ ورقة ٤٥ ولسان الميزان ٤ / ٥٦) .

أبو الفتح الجصاص :

هو محمد بن عيسى الجصاص البغدادي ، من أهل الحديث ، ورد إربل وقرأ عليه ابن المستوفي ، توفي الجصاص في سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م (مخطوطتنا ورقة ١٨٥ - ب والمختصر المحتاج ١ / ١٠٤ وتكملة المنذري ٤ / ١٠٥ وتاريخ ابن المكرم - مخ كمبرج ورقة ٢٦) .

غ / أبو الفضل الطبري :

هو منصور بن أبي الحسن ، المعروف بالديني الخزومي . ورد إربل وأسمع الحديث بها ، وقد كتب اجازة لابن المستوفي . توفي منصور هذا في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م (مخطوطتنا ورقة ٨٧ أ - ب ومعجم ابن القوطي ١ / ٢٦٥ وتكملة المنذري ٢ / ١٦٠ وطبقات السبكي ٧ / ٣٠٥ ونجوم ابن تغري ٦ / ١٥٤ ولسان الميزان ٦ / ٩٢ وشذرات ٤ / ٣٢١) .

ف / عمر السهروردي :

هو عمر بن محمد السهروردي البغدادي ، الصوفي المعروف ، وصاحب المنزلة العالية لدى الخلفاء ، ومصنف العديد من الكتب . ورد إربل غير مرة رسولا من ديوان الخلافة . وقد قرأ عليه ابن المستوفي ، توفي السهروردي في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م (مخطوطتنا ورقة ٨٨ - ٨٩ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٥ ورقة ١٥٤ وتاريخ ابن الديبشي - مخ كمبرج ورقة ١١٧ والحوادث الجامعة ص ٧٤ وابن خلكان ٣ / ١١٩ وذيل الروضتين ص ١٦٣ وبلدان ياقوت ٣ / ٢٠٤ وطبقات السبكي ٨ / ٢٣٨ وعبر الذهبية ٥ / ١٢٩ والتذكرة له ٤ / ١٤٥٨ ، وطبقات الاسنوي ٢ / ٦٣ ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٨٣ و امرأة الياغمي ٤ / ٧٩ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٤٣ وشذرات ٥ / ١٥٣) .

ق / مسمار النيار :

هو مسمار بن عمر النيار البغدادي ، المقرئ الحائك . سمع الحديث ، وورد إربل وحدث بها ، وقد قرأ عليه ابن المستوفي . ولقيه ياقوت الحموي بالموصل وروى عنه . توفي مسمار في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخطوطتنا ورقة ٩١ أ - ب ومعجم ابن

الفوطي ١ / ٣٧٧ وبلدان ياقوت ٢ / ٥٥١ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٤٠٣ ونجوم ابن تغري
٦ / ٢٥٤) .

ك / المقرئ الشهرستاني :

هو إسماعيل بن إبراهيم الشهرستاني البغدادي ، من أهل الحديث . ورد إربل
وحدث بها ، وقرأ عليه ابن المستوفي ، توفي الشهرستاني في سنة ٦٢٤ هـ /
١٢٢٦ م (مخطوطتنا ورقة ١٠٥ ب - ١٠٦ أ والمختصر المحتاج ١ / ٢٣٨ وعلماء بغداد
للقاسي ص ٢٢) .

ل / عبد الوهاب البغدادي :

هو عبد الوهاب بن هبة الله ، المعروف بابن حنة البغدادي ، من أهل الحديث
المعروفين . وقد توفي بحران في سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م . وقد أجاز لابن المستوفي
(مخطوطتنا ١٠٨ أ وتاريخ ابن النجار - مخ كمبرج ورقة ٢٢١ وتكملة المنذري ١ / ٣٠٨
ومشنتبه الذهبي ص ٢١٣ والعبر له ٤ / ٢٦١ وشذرات ٤ / ٢٩٣ و ١٨٦ / ٥)

م / ابن عساكر :

هو علي بن القاسم الدمشقي ، المعروف بابن عساكر ، حفيد مؤرخ دمشق المشهور .
من أهل الحديث الراجلين فيه . ورد إربل وحدث بها ، وقرأ عليه ابن المستوفي ،
فأجاز له وروى عنه (مخ ورقة ١١٢ أ و ١٢٨ ب) . توفي علي هذا في سنة ٦١٦ هـ /
١٢١٩ م (مخطوطتنا ورقة ١١١ ب - ١١٢ ب وكامل ابن الاثير ١٢ / ١٤٧ وذيل
الروضتين ص ١٢٠ - ١٢١ وتكملة المنذري ٤ / ٣٨٤ وتاريخ أبي الفداء ٣ / ١٢٤ ومعجم
ابن الفوطي ٢ / ٧٨٧ وعبر الذهبي ٥ / ٦٢ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ٨٥ وطبقات السبكي
٨ / ٢٩٦ و امرأة الياضي ٤ / ٣٥ ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٤٦ وشذرات ٥ / ٦٩) .

ن / راجية بنت عبد الله :

وقيل اسمها رومية أيضا ، وهي جارية أرمنية الاصل أعتقها عبد اللطيف
السهروزي أنف الذكر ، وكانت أم ولده . وقد سمعت الحديث مع مولاه ، وقدمت معه
الى إربل ، فقرأ عليها ابن المستوفي . وقد توفيت بإربل في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م
(مخطوطتنا ورقة ١١٣ أ) .

هـ / ابن المشتري :

هو عبد الرحمن بن المبارك الحلي ، المعروف بابن المشتري ، من محدثي بغداد ، زار إربل ونزل بأحد ربطها ، وقرأ عليه ابن المستوفي وروى عنه . توفي عبد الرحمن هذا في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (مخطوطتنا ورقة ١١٣ - ١١٤ ب ، وتاريخ ابن الديلمي - مخ كمبرج ورقة ٤٥ ومشتبه الذهبي ص ٤٨٣) .

و / ابن بَصَلَا :

هو عبد الحميد بن أبي المكارم البندنجي ، المعروف بابن بَصَلَا . قدم إربل عدة مرات ، وحَدَّث بها ، وكان له رسم من كوكبوري . وقد قرأ عليه ابن المستوفي وروى عنه . توفي عبد الحميد هذا في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م ، (مخطوطتنا ورقة ١٢٤ ب - ١٢٥ ب وتكملة المنذري - مخ كمبرج ورقة ١١٦) .

لا / الواعظ الغزنوي :

هو أحمد بن علي الغزنوي الواعظ . روى الحديث ببغداد ، وأجاز لابن المستوفي ، وروى عنه . توفي الغزنوي في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م (مخطوطتنا ورقة ١٢٨ ب - ١٢٩ ب والمختصر المحتاج ١ / ٢٠٠ ومشتبه الذهبي ٣٦٣ ولسان الميزان ١ / ٢٣٢) .

ي / ابن التانرايا :

هو عبد الرحمن بن علي البغدادي ، المعروف بابن التانرايا . ورد إربل عدة مرات ، وصنف كتابا في سيرة ملكها . وقد أجاز لابن المستوفي . توفي عبد الرحمن هذا في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (مخطوطتنا ورقة ١٥٦ - ١٥٧ وتاريخ ابن الديلمي - مخ كمبرج ورقة ٤٠ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٧٣ ط الفقي وشذرات ٥ / ١١٩) .

١١ / الروذَرَاوَرِي :

هو محمد بن أحمد الهذباني . قدم إربل في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ، وقرأ عليه ابن المستوفي . الا انني لم أهتم الى تاريخ وفاته (مخطوطتنا ورقة ١٦٤ ب) .

أب / الكاشغري :

هو إبراهيم بن عثمان الكاشغري ، من أهل الحديث ، ولي مشيخة المدرسة

المستنصرية ببغداد ، وورد إربل ، ولم يلقه ابن المستوفي ، الا انه أجاز لابن المستوفي الذي روى عنه بعض الحديث والاختبار ، رواية عن بدل بن أبي المعمر التبريزي ، توفي الكاشغري في سنة ٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م ، (مخطوطتنا ١٦٧ أ - ١٦٨ ب وجواهر القرشي ١ / ٤٢ وعبر الذهبي ٥ / ١٨٥ و امرأة الياضي ٤ / ١١٢ ولسان الميزان ١ / ٧٩ والوافي ٦ / ٥٥ وشذرات ٥ / ٢٣٠) .

أ ت / أبو عبد الله الواسطي :

هو محمد بن حسان بن أحمد الواسطي . ورد إربل في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، وسمع عليه ابن المستوفي ، وأجاز له إجازة شاملة . لكنني لم أهتد الى تاريخ وفاته . (مخطوطتنا ورقة ١٧٤ أ) .

أ ث / الهذباني :

هو أحمد بن محمد الهذباني الاربلي ، المجاور بالحرم المكي . وقد عاد الى إربل وقرأ عليه ابن المستوفي . الا انني لم أهتد الى تاريخ عودته لاربيل ولا الى تاريخ وفاته . (مخطوطتنا ورقة ١٧٥ ب) .

أ ج / السبيي :

هو عثمان بن إبراهيم السبيي الخباز ، من أهل الحديث ، قدم إربل وحدث بها ، وأجاز لابن المستوفي إجازة شاملة ، توفي عثمان هذا في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (مخطوطتنا ورقة ١٧٦ ب وتاريخ ابن الديبشي - مخ كمبرج ورقة ١٢٢ وتاريخ ابن النجار - مخ كمبرج ورقة ٣٧ وتكملة المنذرى ٤ / ٦٩) .

أ ح / الأثري :

هو عبد الكريم بن منصور الأثري الموصللي ، من أهل الحديث ، ورد إربل ، الا انه لم يلق ابن المستوفي - رغم انه رآه - وانما أجازته (مخ ورقة ٢٢٥ أ) . توفي الأثري هذا في سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م (مخطوطتنا ورقة ٢٢٤ أ - ٢٢٦ ب وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٥ ورقة ١٩٨ وتكملة ابن الصابوني ص ١٤ ، ومشتبه الذهبي ص ٣ وشذرات ٥ / ٢٠٨) .

أخ / أبو محمد الموصلی :

هو عبد الله بن الحسن النخعي الموصلی ، من الشهود العدول وكتّاب الشروط بالموصل . سمع الحديث ودرس القراءات . ورد إربل رسولا من صاحب الموصل ، وقد قرأ عليه ابن المستوفي بالموصل في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ، توفي عبد الله هذا في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م (مخطوطتنا ورقة ١٤ ب - ١٧ ب وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٣ ورقة ١٤٤ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٤٨٥) .

أد / القطيعي :

هو محمد بن أحمد القطيعي البغدادي ، من أهل الحديث والتاريخ ، وقد ذيل على " تاريخ بغداد " تصنيف ابن السمعاني . ورد إربل وقرأ عليه ابن المستوفي " كتاب البخاري " توفي القطيعي في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، (مخطوطتنا ورقة ٥٥ ب - ٥٦ أ والمختصر المحتاج ١ / ١٩ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٢ وبلدان ياقوت ٤ / ١٤٢ وعبر الذهبي ٥ / ١٣٩ ولسان الميزان ٥ / ٤٦ ، والوافي ٢ / ١٣٠ ومراة اليافعي ٤ / ٨٦ ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٩٨ وشذرات ٥ / ١٦٢) .

أذ / أبو الفرج الواسطي :

هو محمد بن عبد الرحمن الواسطي ، من أهل الحديث . كان يتردد علي إربل ليحظى بنوال كوكبوري . وقد قرأ عليه ابن المستوفي بعض الحديث . توفي محمد هذا في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م (مخطوطتنا ورقة ٥٨ أ - ٥٩ ب والمختصر المحتاج ١ / ٦٨ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٥٢٠) .

أر / المؤدب الموصلی :

هو علي بن منصور بن مكارم ، المؤدب الموصلی ، من أهل الحديث . ورد إربل في سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م ، وقرأ عليه ابن المستوفي وترجم له ، الا أنه لم يذكر تاريخ وفاته (مخطوطتنا ورقة ٧٤ أ - ب) ، كما انني لم أهتم اليها في المراجع المتيسرة .

أن / ابن خليفان :

هو علي بن أحمد الهاشمي العباسي البغدادي . قدم إربل وحديث بها ، وقرأ عليه ابن

المستوفي . توفي ابن خليفان في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (مخطوطتنا ورقة ٧٥ ب - ٧٦ أ وتاريخ ابن الديبشي - مخ كمبرج ورقة ١٢٨ وتاريخ ابن النجار - مخ كمبرج ورقة ٥٧٥ وتكملة المنذري ٤ / ٢٩ وميزان الاعتدال للذهبي ٣ / ١١٤ ولسان الميزان ٤ / ١٩٨) .

أس / ابن السراج :

هو الخضر بن علي الأربلي الصوفي ، نزيل مكة وشيخ الصوفية بها ، كان من أهل الحديث ، وقد أجاز لابن الديبشي ، كما أجاز لابن المستوفي من مكة المكرمة . وكان كوكبوري يشركه في توزيع الصدقات المرسلة الى الحرمين ، توفي ابن السراج في سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م (مخطوطتنا ورقة ٨٤ ب - ٨٥ أ والمختصر المحتاج ٢ / ٥٦ وتكملة المنذري ٢ / ٣٦٦ ومعجم ابن الفوطي ٣ / ١٦٧ والعقد الثمين للفاسي ٤ / ٣١٧) .

أش / سبط الهمذاني :

هو محمد عبد الرشيد الهمذاني ، سبط أبي العلاء الهمذاني . كان من أهل الحديث ، وورد إربل عدة مرات وحدث بها ، وآخرها في سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م . قرأ عليه ابن المستوفي وترجم له ، الا انه لم يذكر تاريخ وفاته ، وقد بقي حيا حتي سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م (مخطوطتنا ورقة ٩١ ب - ٩٢ أ والمختصر المحتاج ١ / ٨٠) .

٤- سماعات ابن المستوفي :

ان الشيوخ الذين سمع منهم ابن المستوفي ، أو روى عنهم الحديث والخبار ، عددهم ضخم جداً . ولذلك فليس بوسعي أن أورد أسماءهم جميعا ، وسأكتفي هنا بذكر البارزين منهم ، ممن لم يسبق لي أن ذكرتهم بين شيوخه أو بين الذين أجازوه . الا انني سوف أذكر - إن شاء الله - في آخر هذه الفقرة ، مواضع سماعه على جميع هؤلاء ، لعل بعض القراء يهمهم معرفتهم . وأود أن أذكر بهذه المناسبة ، بأن ابن المستوفي - رغم حرصه على إيراد أسماء من يروى عنهم - فإنه في بعض الأحيان - وفي حالات قليلة تمكنت من حصرها بحوالي ٢٠ مرة في الكتاب كله - يشير إليهم بإشارات غامضة . فيقول مثلا " سمعت بعض أصحابنا يذكر " ، أو يقول " حدثني الثقة الصدوق " ، أو

"أخبرني بذلك الثقة" ، أو "أخبرني من أثق به" أو "أخبرني بذلك جماعة من أهل دقوقا" ، أو "حدثني بعض مشايخنا" ، أو "سمعت من غير واحد" ، أو "ذكر أنه" ، أو "كما نقل إلي" ، أو "حدث أنه" ، أو "وقفتني أهل دقوقا على ... " ، أو "ذكر جماعة" ، أو "حدثني بعض أهل مراغة" ، أو "حدثني غيره أنه .." أو يقول : "فيما قيل لي" ، أو "نقل لي" ، أو "بلغنا أنه" ، أو "سمعت من يذكر أنه" ، أو "حدثني من ذكر أن ... " ، أو "حدث عنه أنه" (مخطوطتنا ورقة أب و ٢٩ و ٥٠ و ٧٦ ب و ٨٧ أ و ٩٠ و ١٠٠ ب و ١٠٦ ب و ١١٢ ب - ١١٣ ب و ١١٥ أ - ١١٦ أ و ١١٨ أ ، و ١٢٢ أ و ١٢٩ أ و ١٣٥ أ و ١٥٥ ب و ١٨٦ أ) . وفيما عدا ذلك فإنه يورد أسماء الرواة بكل دقة ، وما انتني ذاكر أشهر من سمع منهم ابن المستوفي ، أو روى عنهم :

أ / بدل التبريزي :

هو بدل بن محمود التبريزي ، من أهل الحديث الراحلين في طلبه ، قدم إربل وحدث بها ، وتولى مشيخة دار الحديث فيها ، وروى عنه ابن المستوفي كثيراً (مخ ورقة ١١١، ١٢٢ أ و ٦١ أ و ٨٢ ب و ٨٧ ب و ١٠٤ ب و ١٢٢ أ و ١٣٠ أ ، ١٦٧ ب و ١٦٨ أ و ١٩٤ ب و ٢٠٢ أ و ٢٢٩ أ و ٢٣٠ أ) . وقد ترك إربل عندما هاجمها التتر في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م وسافر إلى حلب ، وبها توفي في سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م (مخطوطتنا ورقة ٦١ أ وعبر الذهبي ٥ / ١٣٦ والتذكرة له ٤ / ١٤٢٤ ونجوم ابن تغري ٦ / ٣١٤ وشذارات ٥ / ١٨٠) .

ب / كوكبوري :

هو مظفر الدين كوكبوري ، صاحب إربل ، وقد مرت ترجمته في القسم الأول من هذه الدراسة . ويكفي أن أقول هنا بأن ابن المستوفي قد روى عنه بعض الاخبار (مخ ورقة ٢٧ ب و ٤٥ أ و ب و ٥٥ أ و ١٧٤ ب و ١٢٢٩) .

ت / الخزرجي :

هو علي بن شماس الخزرجي ، كاتب الانشاء بربل ، وأحد وزراء حكومتها ، وقد تقدم ذكره في القسم الأول من هذه الدراسة . توفي في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م . وقد

روى عنه ابن المستوفي (مخطوطتنا ورقة ٢٩ ب و ٣١ أ وعقود ابن الشعار - مخ
استانبول ٤ ورقة ٢٠٠ ومعجم ابن الفوطي ٢ / ١١٥٩) .

ث / ابن شحانة :

هو عبد الرحمن بن عمر الحراني ، كان محدثاً ومؤرخاً ، صنف كتاباً في تاريخ
حران . ورد إربل وروى عنه ابن المستوفي ، وكان يكاثبه . توفي ابن شحانة هذا في
سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م (مخطوطتنا ورقة ٣٥ ب و ٤٢ أ و ٧٣ ب ، و ٩٥ ب و ١٠٣ ب
و ١٤٢ ب و ١٤٣ أ و ١٤٥ أ ب و ١٥٥ أ و ١٦٥ أ - ١٦٦ ب وعقود ابن الشعار - مخ
استانبول ٣ ورقة ٢٤٥ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٤٣٢ وطبقات ابن رجب ٢ / ٢٤٠ ط
الفاقي ، وشذرات ٥ / ٢٢٠) .

ج / ابن الدبيثي :

هو محمد بن سعيد الواسطي ، المؤرخ المعروف الذي ذيل على " تاريخ بغداد " .
تصنيف ابن السمعاني . ورد إربل وقد روى عنه ابن المستوفي كثيراً ، ونقل من كتابه
(مخ ورقة ٤٤ ب و ٥١ أ و ٦٥ أ و ٧٠ أ و ٧١ ب و ٧٣ أ ، و ٧٥ ب و ٧٦ أ و ٧٨ أ و ٨٣ أ
و ٨٤ ب و ٨٥ أ و ٨٨ ب و ٨٩ ب و ٩١ أ و ٩٦ أ و ١٢٥ أ ، و ١٣٥ أ و ١٣٨ أ و ١٦٩ أ و ١٧٧
أ ب) . توفي ابن الدبيثي في سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ، (مخطوطتنا ورقة ٨٩ ب -
٩٠ أ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٧ ورقة ٦٤ وابن خلكان ٤ / ٢٨ والحوادث
الجامعة ص ١٣٥ وأدباء ياقوت ٦ / ٣٦٥ وتذكرة الذهبي ٤ / ١٤١٤ والعبر له ٥ / ١٠٤
ومرآة اليافعي ٤ / ٩٥ وطبقات السبكي ٨ / ٦١ والوافي ٣ / ١٠٢ وطبقات الجزري ٢
/ ١٤٥ وشذرات ٥ / ١٨٥ وفوات الكتبي ١ / ٣٤ وطبقات الاسنوي ١ / ٥٤١ وتاريخ
ابن كثير ١٣ / ١٠٥ ونجوم ابن تغري ٦ / ٣١٧) .

ح / علي بن المبارك المستوفي :

هو عم المؤلف ، الملقب صفى الدين الذي تقدم ذكره في موضع آخر من هذا القسم .
وقد روى عنه ابن المستوفي أكثر من مرة ، ونقل من تعليقاته (مخطوطتنا ورقة ٣٣ أ
و ٤٤ أ و ١٧٤ ب) . الا انني لم أهتد الى تاريخ وفاته .

خ / الخواتيمي :

هو محمود بن علي الصائغ الاربلي ، من الفقهاء والنحويين ، الذين روى عنهم ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٩ ب و ٣٩ ب و ٤٠ أ و ٥٠ ب و ٨٤ أ) وأظهر مايدل على احترامه له ، توفي محمود هذا في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (مخطوطتنا ورقة ٨٣ أ ب - ٨٤ أ وبغية السيوطي ٢ / ٢٧٩) .

د / ابن الشعار :

هو المبارك بن أبي بكر بن حمدان الموصلي ، المؤرخ المعروف ، الذي صنف " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " بعشرة مجلدات ، وقد ورد إربل وخدم ابن المستوفي وتلمذ عليه ست سنوات . وقد روى عنه ابن المستوفي كثيراً من الاخبار (مخ ورقة ٥٣ أ و ٩٢ أ و ب ١٨١ ب و ١٨٢ أ و ١٩٢ أ و ٢١٠ ب ، و ٢١١ أ و ٢٢٤ ب و ٢٢٦ أ و ب) . توفي ابن الشعار في سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م (مخطوطتنا ورقة ١٨١ و ذيل اليونيني ١ / ٣٣ وعبر الذهبي ٥ / ٢١٩ وشذرات ٥ / ٢٦٦ والتعريف بالمؤرخين للزاوي ص ٣٥) . أما مصنفه عن الشعراء فلا يزال مخطوطاً في المكتبة السليمانية باستانبول .

ذ / الاسكندري :

هو أحمد بن أبي القاسم القيسي الاسكندري ، نزيل الموصل . كان فقيهاً مقرئاً محدثاً يجمع الشعر ، زامل ابن المستوفي في السماع ، وروى عنه كثيراً . توفي الاسكندري في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م (مخطوطتنا ورقة ٤٤ ب و ٦٨ أ ، و ٨٢ أ و ٨٥ ب و ٩٠ ب و ١٠٣ أ و ٩٥ أ و ١٥٢ أ و ١٧٤ ب و ١٩٩ أ و ٢٠٤ أ) .

ر / ابن الأصفر :

هو أحمد بن سلمان البغدادي ، من أهل الحديث ، ورد إربل وحديث بها ، وقد سمع عليه ابن المستوفي (مخ ورقة ١٠٥ أ) . توفي ابن الأصفر في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخطوطتنا ورقة ١٠٤ ب - ١٠٥ ب والمختصر المحتاج ١ / ١٨٢ وتكملة المنذري ٤ / ٤٢٤ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٤٠٠ و ٤٦٣) .

س / أحمد بن شجاع :

هو أحمد بن شجاع بن منعة الاربلي ، من طلبة العلم المنقطعين ، وقد نقل عنه ابن المستوفي بعض الشعر والخبار وله بعض المؤلفات . توفي أحمد هذا في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م (مخطوطتنا ورقة ٤٥ ب و ١٠٣ ب و ١٧١ ب و ١٧٢ ب و ١٧٤ ب - وترجم له المؤلف في ورقة ١٠٩ ب - ١١٠ ب) .

ش / ابن نقطة :

هو محمد بن عبد الغني البغدادي ، المحدث المعروف ومصنف " المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال " . ورد إربل وحدث بها ، وروى عنه ابن المستوفي توفي ابن نقطة في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م (مخطوطتنا ورقة ١١٨ أ - ب وابن خلكان ٤ / ٢٦ ومشتبه الذهبى ص ٥٦ والتذكرة له ٤ / ١٤١٢ والعبر له ٥ / ١١٧ وتاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٣ وشذرات ٥ / ١٣٢ وبهجة الاسرار للشنطوفي ص ١٢ وطبقات ابن رجب ٢ / ١٨٢ ومراة اليافعي ٤ / ٦٨ والوافي ٢ / ٢٦٧) .

ص / ياقوت الحموي :

هو ياقوت بن عبد الله البغدادي ، المؤرخ والبلداني المعروف ، زار إربل ولقي ابن المستوفي ، وأطلعه على كتابه " معجم الادباء " وناقشه في بعض ما أورد في مقدمته . وروى عنه ابن المستوفي بعض شعره . توفي ياقوت في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (مخطوطتنا ورقة ١٥٧ - ١٦٠ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٩ ورقة ١٧٠ وابن خلكان ٥ / ١٧٨ وعبر الذهبى ٥ / ١٠٦ ومراة اليافعي ٤ / ٥٩ ولسان الميزان ٦ / ٢٣٩ وشذرات ٥ / ١٢١) .

ض / القومساني :

هو عبد الغفار بن محمد القومساني الأعلمي الصوفي . كان يروي " كتاب التيهاب " للقضاعي . وقد سمع عليه ابن المستوفي في المدرسة المظفرية باربيل في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م (مخطوطتنا ورقة ١٦٢ أ وتاريخ ابن الديبشي - مخ كمبرج ورقة ٦٩ وجواهر القرشي ١ / ٣٢٢ و ٢ / ٣٢٣ ، وبلدان ياقوت ، مادة " قومسان ") .

ط / ابن المكرم الصوفي :

هو محمد بن هبة الله بن المكرم البغدادي الضرير ، من أهل الحديث الراجلين فيه . ورد إربل وحدث بها ، وقد سمع عليه كثيرون ، ومنهم ابن المستوفي وابن خلكان وغيرهما (مخطوطتنا ورقة ٢٠٠ ب و ٢٠١ أ وابن خلكان ٢ / ٣٩٢ - ٣٩٣ ومعجم ابن الفوطي ١ / ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٧١٣ / ٢ و ١٦٨ / ٣) . توفي ابن المكرم في سنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م (مخطوطتنا ورقة ٢٠٠ أ - ٢٠١ أ والمختصر المحتاج ١ / ١٥٨ ومشتبه الذهبي ص ٥٠٠ والعبر له ٥ / ٨٥ والواقعي ٥ / ١٥٥ ، ونجوم ابن تغري ٦ / ٢٦٠ وشذرات ٥ / ٩٦) .

كذلك سمع ابن المستوفي من ابن أخيه علي بن المكرم المتوفى في سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م (مخطوطتنا ورقة ٢٠١ أ - ٢٠٢ أ ومشتبه الذهبي ص ٥٠٠) .

ظ / أبو الروح الاندلسي :

هو عيسى بن عبد الله الحميري الاندلسي ، من أهل قرطبة . زار إربل في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م وقد روى عنه ابن المستوفي كثيراً من أشعار أهل الاندلس (مخ ورقة ٢١١ ب - ٢١٥ أ) توفي الحميري هذا في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م (مخطوطتنا ورقة ٢١١ أ - ٢١٥ أ وعقود ابن الشعار - مخ استانبول ٥ ورقة ٢٣٧ ونفح الطيب ٢ / ٨٧٧) . هذا والجدير بالذكر ان ابن المستوفي روى عن عدد من الاندلسيين والمغاربة (انظر مثلاً مخطوطتنا ورقة ٢١٥ ب - ٢١٧ أ و ٢٣٠ أ و ب) .

هؤلاء هم أشهر الذين سمع عليهم ابن المستوفي أو روى عنهم ، الا أن هناك عشرات غيرهم من مختلف الفئات ، وقد وردوا الى إربل من سائر أنحاء العالم الاسلامي ، مشرقاً ومغرباً ولن أراد المزيد قبوسعه مراجعة مخطوطتنا (ورقة ١ ب و ٢ ب و ٣ أ و ٥ ب و ٧ أ - ٨ ب و ١١ أ و ب و ١٤ ب - ١٥ ب و ١٦ ب و ١٧ ب ، و ١٨ أ و ب و ٢١ ب و ٢٢ ب . ٢٤ أ و ٢٦ ب - ٢٧ ب و ٢٩ أ - ٣٣ أ و ٣٤ أ و ٣٥ ب - ٣٩ أ و ٤١ أ - ٤٢ أ و ٤٣ أ و ٤٤ أ - ٤٧ أ و ٥٠ ب و ٥١ أ و ٥٢ أ - ٥٣ أ و ٥٤ أ و ٥٥ أ ، و ٥٧ أ و ٥٨ أ و ٥٩ أ و ب و ٦١ أ و ب و ٦٧ أ و ٧٢ أ - ٧٣ أ و ٧٥ ب و ٧٨ ب و ٨٠ أ و ب و ٩٤ أ و ب و ٩٩ ب - ١٠١ أ

و ١٠٢ ب - ١٠٤ ب و ١٠٥ ب و ١٠٦ ب و ١٠٧ ب و ١٠٨ ب و ١١١ ب و ١١٢ ب و ١١٥ ب و
ب ١١٦ ب - ١١٧ ب و ١١٩ ب - ١٢٠ ب و ١٢١ ب و ١٢٤ ب و ١٢٦ ب و ١٣١ ب و ١٣٤ ب و
ب ١٣٥ ب - ١٣٧ ب و ١٣٨ ب - ١٤٠ ب - ١٤١ ب و ١٤٢ ب و ١٤٣ ب و ١٤٤ ب و ١٤٦ ب
ب - ١٤٩ ب و ١٥٠ ب و ١٥١ ب و ١٥٢ ب - ١٥٥ ب و ١٦٠ ب - ١٦١ ب و ١٦٢ ب و ١٦٣ ب
و ب و ١٦٥ ب - ١٦٦ ب و ١٦٩ ب - ١٧٢ ب و ١٧٤ ب و ١٧٥ ب و ١٧٧ ب ، و ١٧٩ ب
- ١٨١ ب و ١٨٢ ب - ١٨٦ ب و ١٨٧ ب - ١٨٨ ب و ١٩١ ب و ١٩٢ ب - ١٩٦ ب و ١٩٧ ب
- ٢٠٠ ب و ٢٠٢ ب - ٢٠٣ ب و ٢٠٤ ب و ٢٠٦ ب - ٢١٠ ب و ٢١١ ب و ٢١٧ ب - ٢١٨ ب ،
و ٢٢١ ب - ٢٢٤ ب و ٢٢٧ ب - ٢٢٩ ب و ٢٣١ ب) .

٥- مصادر ثقافية أخرى :

لم تقتصر ثقافة ابن المستوفي على ما كسبه من معلومات عن شيوخه وأساتذته ، أو
على ما سمعه من الواردين الى إربل ، بل انه كان داثبا على القراءة ومراجعة الكتب وكل
مصدر يقع بين يديه ، سواءً أكان كتابا أو حاشية أو تعليقا ، بل وحتى الخطوط المكتوبة
على الحيطان ، وكان ينسخ بيده بعض الكتب التي تعجبه ، فالمعروف انه نسخ " ديوان
القطامي " و " معاني شعر أبي تمام " للأمدي (اعلام الزركلي - اللوحتان رقم ٨٩٧ -
و ٨٩٨ والحركة النقدية للروابدي ص ٥٤٣) ، وقد نسخ الاول في سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م
عندما كان عمره ١٨ عاما ، ونسخ الثاني في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م عندما بلغ
الخامسة والعشرين من عمره ، وفقا لما ذكره هو في كتابه " النظام " (١ / ٦١٣) .
وبهذه الوسيلة استطاع ابن المستوفي أن يحصل على معلومات كثيرة جداً ، نوه عنها في
الجزء الذي بين أيدينا من " تاريخ إربل " .

وحيث ان هذه المادة تؤلف جزء مهما من مصادره ، فسوف نرجي الحديث عنها الى
القسم المتعلق بتلك المصادر .

ويكفي هنا أن نقول بأن المؤلف أشار الى أكثر من ١٥٠ مرجعا في جزء واحد فقط
من تاريخه ، وهو واحد من مؤلفاته الكثيرة ، مما يدل على سعة اطلاعه ، وهو بلاشك قد

قرأ بعض هذه الكتب ، أو راجعها على الأقل ، وهي تختلف في مواضعها الى درجة انها شملت أغلب العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصره .

٦- زملاء المؤلف :

ولكي تتم الصورة عن دراسة ابن المستوفي ، رأيت من المفيد ذكر بعض زملائه في الدراسة والسمع ، ممن استطعت الاهتداء الى أسمائهم :

أ / أحمد بن شجاع بن منعة الابرلي - و - عدم ذكره - كان من مشايخ النحويين محمد بن يوسف البحراني ، شيخ ابن المستوفي (مخطوطتا ورقة ١٠٩ ب) ، وهذا يستتبع ، بطبيعة الحال ، أن يكون زميلا للمؤلف ، لاسيما وكلاهما إربلي .

ب / عمر بن بدر بن سعيد الحنفي الموصللي ، وكان معيداً في إحدى مدارس الموصل . وقد سمع مع ابن المستوفي على المحدث ابن طبريز (المصدر السابق ورقة ١١٢ ب) . ولعمري هذا كتاب بعنوان " المغني عن الحفظ والكتاب " ، وقد صنف أبو اسحق الجويني الأثري كتاباً في نقده سماه " جنة المرتاب " طبع في بيروت في عام ١٩٨٧ م .
ت / محمد بن عبد الغني ابن نقطه - وقد تقدم ذكره - سمع مع ابن المستوفي علي الشيخ عبد اللطيف السهروردي في إربل نفسها (المصدر السابق ورقة ١١٨ أ) .

ث / موهوب بن سعيد بن المبارك البغدادي ، المعروف بابن الجمال ، ورد إربل في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م ، وسمع مع ابن المستوفي علي عبد الرحمن بن المبارك ، المعروف بابن المشتري (المصدر السابق ورقة ١٣٤ ب) .

ج / عبد الرحمن بن محمود الابرلي ، الذي سمع مع المؤلف على نصر الله بن سلامة الهيتي ، وعلى المبارك بن طاهر الخزاعي ، شيخ ابن المستوفي . وقد مر ذكره (المصدر السابق ١٧١ ب) .

ح / أحمد بن الحسن بن طهير الموصللي ، وقد سمع مع ابن المستوفي في عدة مواضع بالموصل (المصدر السابق ورقة ١٢١ ب) .

خ / العباس بن بزوان الشيباني الابرلي - وكان فقير الحال لا يملك عشاء ليلة . وقد سمع الحديث مع ابن المستوفي (المصدر السابق ورقة ١٢٢٧ أ) .

د/ ذكر ابن المستوفي (المصدر السابق ورقة ٩٠ ب) انه عُقد مجلس في داره يوم الجمعة التاسع من ربيع الاول سنة ٦١٤ هـ / حزيران ١٢١٧ م لسماع الشيخ الحسين ابن أبي صالح التكريتي - وقد تقدم ذكره - ، وحضر السماع معه كل من :
(١) أحمد بن أبي القاسم القيسي (ذكر المؤلف انه وأحمد هذا سمعا سوياً بالموصل على عدة مشايخ - المصدر السابق ورقة ١٥٢ أ) .

(٢) بشير بن إبراهيم

(٣) سعد الله بن عثمان الجمال

(٤) أحمد بن أحمد ، المعروف بحميدة .

(٥) عبد الرحمن بن عثمان البزان .

(٦) ریحان بن عبد الله الحبشي (فتي الشيخ الحسين التكريتي) .

ذ/ وقد ذكر ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) انه سمع بقراءة ابن المستوفي على المشايخ الواردين الى إربل شيئاً كثيراً ، فان ابن المستوفي كان يعتمد القراءة بنفسه . وعلى هذا الأساس يكون ابن خلكان من جملة زملاء المؤلف في السماع .
ر / ونوه ابن الفوطي (معجم ١ / ٥٠٧ و ٨٤١ / ٢ و ٨١ / ٣) ببعض القراءات التي قام بها ابن المستوفي - وهي التي أشار اليها ابن خلكان (انظر فقرة ذ - السابقة) - فذكر ان كلا من :

(١) عمر بن سليمان بن محمد الهكاري

(٢) أحمد بن داود بن بلال الاربلي

(٣) محمد بن عمر بن علي الحديثي المحدث .

سمعوا " صحيح البخاري " على الحسين بن أبي صالح التكريتي ، أنف الذكر ، بقراءة صاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي في مجالس أخرها في ربيع الآخر سنة ٦١٤ هـ / تموز ١٢١٧ م . (يبدو ان هذه المجالس قد تلت تلك التي أشرنا اليها في الفقرة - د - اعلاه) .

ز / ذكر ابن المستوفي (مخ ورقة ٧٦ ب - ١٧٧ أ) انه قرأ كتاب " معاني الحقيقة " تصنيف عبد اللطيف السهروردي ، على المصنف ، في مجلس حضره فقهاء البلد ومعهم كوكبوري . أقول ولا بد أن العدد كان كبيراً بالنظر لأهمية المناسبة وهي حضور كوكبوري . وعلى أي حال فإن كوكبوري يمكن اعتباره زميلاً لابن المستوفي في السماع .

الفصل الثالث

مكانة ابن المستوفي العلمية

وصف ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) ابن المستوفي بأنه كان " عارفا بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه ، وأسماء رجاله ، وجميع مايتعلق به ، وكان إماما فيه . وكان ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي ، وعلم البيان ، وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وكان بارعا في علم الديوان وحسابه ، وضبط قوانينه على الأوضاع المعتمدة عندهم . " علاوة على الشعر الذي كان له ديوان فيه ، وقد " أجاد فيه " - على حد قول ابن خلكان - ، ثم قال في ختام ترجمته : " ولولا خوف الاطالة ، لذكرت كثيراً من وقائعه وأخباره ، وماجرياته وتفاصيل أحواله ، وما مدح به ، ولقد كان - رحمه الله تعالى - من محاسن وقته ، ولم يكن في آخر الوقت ، في ذلك البلد ، مثله في فضائله ورئاسته " . وقال ياقوت (بلدان ١ / ١٨٧) عن إربل " ودخلتها فلم أرفيها من يُنسب الى فضل ، غير أبي البركات المبارك بن أحمد ... يعرف بالمستوفي ، فانه متحقق بالادب ، محب لاهله ، مفضل عليهم " .

أما ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ١٨ - ١٩) فقد قال عنه : " فقد ألبسه الله من المكارم جلبابا صافيا ، وأحيا به ربيع الفضل بعد أن كان طامسا عافيا ، فانه منذ أكمل العشر من السنين ، استظهر القرآن المبين ، وأغري بنظم القريض ، حتى صار له فيه الباع العريض . ثم سمع الكثير من الاحاديث النبوية ، وقرأ العلوم الادبية ، وجالس العلماء ، وحاضر الفقهاء وأفضل عليهم ، وأحسن اليهم ، وأحوز علوم الآداب وأفانينها ، وأحكام أصول الفضائل وأتقن قوانينها ، وصار أوحده زمانه ، مبرزاً على نظرائه وأقرانه ، ثم انه أعلم أهل هذا الزمان ، بعلمي المعاني والبيان ، ومعرفة الاشعار النادرة ، والأمثال السائرة والرسائل ، والتبحر في فنون الفضائل ، والاطلاع على التواريخ وسير المتقدمين ، وعلم التصرف ، ومما يتعلق بفن المساحة والاشغال الديوانية ، مما فاق به كل بليغ في بيانه ، وعالم في فنه واتقانه " .

ثم قال ابن الشعار في موضع آخر مبدياً أسفه على وفاته : " فلقد تهدم ركن

السماحة ، وفلَّ شبا الفصاحة . وملَّيت اليراع أسفا عليه قدودها ، ولطمت النوى كآنة عليه خنودها ، ويكت عيون الآداب وشقت عليه جيوبها .. قد أخذ حزنه من كل قلب يسهم ، وأيتم فقده كل ذي أدب وفهم " ثم وصف ملازمته له ، فقال : " مضى لي معه أوقات مذهبيات كانت للاتراح مذهبيات ، أدركنا فيها كؤوس المذاكرة ، وفتقنا نواجيح المحاور ، وجادبنا أهداب المناقشة ، وأجلنا في ميادينها خيل المحادثة ، وتذاكرنا غرراً من أصناف الفوائد ، مالم يكن حلياً كانت في نخور الحسان الخرائد .. " .

ووصفه السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) فقال : " كان إماماً في الحديث ، ماهراً في فنون الادب من النحو واللغة والعروض ، والقوافي ، وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأمثالها ، بارعاً في علم الديوان وحسابه ، وضبط قواعده " . ويبدو انه نقل هذا عن " وفيات ابن خلكان " . وقال مثل ذلك البستاني (موسوعة ١ / ٦٨٨) . ولقد أجمع مترجمو ابن المستوفي على إطرء علمه وأدبه وسعة اطلاعه وعلو مكانته العلمية . وفي ظني ان خير وسيلة لمعرفة طول باعه في هذه الميادين هي إلقاء نظرة على أسماء مؤلفاته ، مما سندرجه في آخر هذا الفصل - إن شاء الله - . أما الآن فلنلق نظرة على الفنون التي برز فيها ابن المستوفي ، وهي :

١ - الحديث :

سبق ونوهنا بما قاله ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) عن ابن المستوفي ، من أنه كان عارفاً بالحديث وعلومه وأسماء رجاله ، وجميع ما يتعلق به ، وأنه كان إماماً فيه . وتابعه في ذلك السيوطي . وذكر ابن التتعار سماع المؤلف لكثير من الحديث النبوي ، وقال ياقوت (بلدان ١ / ١٨٧) عنه : " وقد سمع الحديث الكثير ممن قدم عليهم إربل " . ووصفه ابن كثير (تاريخ ١٣ / ١٣٩) بأنه كان إماماً في علوم كثيرة كالحديث وأسماء الرجال ، وذكر ابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) سماع ابن المستوفي من مشايخ الحديث البارزين أقول ، ان " تاريخ إربل " في الحقيقة ، أو الجزء الذي بين أيدينا منه على الأقل ، يكاد يكون خاصاً بالمحدثين ، وان اهتمام المؤلف بهم واضح جداً ، فكان يحرص على السماع منهم - وفقاً لما أسلفنا في الفصل السابق - إذ رأينا كيف كان ابن المستوفي

يُقبل بحماس على السماع ، حتى من الشباب كالقطيبي وزكريا الجيلي الذي قرأ عليه من كتاب كان معه (مخ ورقة ٥٥ ب و ٥٦ أ) . ولقد روى في الجزء الثاني من " تاريخ إربل " وحده ، ما يزيد على سبعين حديثاً ، حرص كل الحرص على روايتها بأسانيدها . بل انه لم يكتف بمجرد الرواية ، إذ كان يبحث ويدقق للتحقق من صحة ما يروى له . فقد روى له أحدهم حديثاً ، سمعه من الرسول - ﷺ - في منامه ، فدأب ابن المستوفى على مراجعة كتب الحديث يطلبه ، حتى كاد يئأس من العثور عليه ، لكنه وجده في أحد الكتب وفي تعليق لعمه صفى الدين . الا انه لم يكتف بما وُفق إليه ، بل حرص على سماع الحديث المذكور من مشايخ الحديث المعتمدين ، ومن طرق عدة (مخطوطتنا ورقة ٣١ ب - ١٢٢) .

وكان هذا دأبه في عدة أحاديث أخرى ، من ذلك مثلاً حديث " انما الأعمال بالنيات " ، فقد رواه في ستة مواضع عن شيوخ مختلفين ، ولم يكن في ذلك هدفه التبرك وحده ، بل وحرصه على الفوز بالسند الصحيح (مخطوطتنا ورقة ٣٦ أ و ٤١ ب و ٧٢ ب و ٩٨ ب و ١٢٠ ب و ١٨٥ ب) . ومثل ذلك حديث معارضة الرسول - ﷺ - في تزويج بني هشام بن المغيرة ابتنتهم من الامام علي - رض - ، فقد رواه المؤلف عن أكثر من طريق ، ولم يكتف بذلك ، فعلق عليه قائلاً : " هذا الحديث صحيح ، أخرجه الأئمة في كتبهم عالياً ونازلاً " . ثم أشار الى سند رواياته كل من البخاري ومسلم وأبي داود ، وفاخر بأنه سمع هذا الحديث باسناد عال ، فقال : " فباعتبار هذا الاسناد ، كائني سمعته من البخاري ومسلم وأبي داود السجستاني " (مخطوطتنا ورقة ٦١ ب - ٦٢ ب) . وحديث " الحلال بين والحرام بين " ، فانه يرويه بسندين (مخ ورقة ٦٢ ب و ٩٤ أ) ويطلق عليه قائلاً : " أخرجه الأئمة في كتبهم من طرق كثيرة " ثم يتناول الطريق الذي أخرجه به مسلم ويقول مفاخراً : " فباعتبار هذا الاسناد ، كائني سمعته من مسلم " . ويتحدث (مخ ورقة ٥١ أ و ب) عن سماعه " كتاب الشهاب " للقضاعي ، من محمد بن أحمد الارموي ، بسند عال عن مؤلفه ، ويقول : " وهذا سند عال يعز وجوده بل يستحيل " . وفعل مثل ذلك في رواية حديث هوازن وجوئها الى الرسول - ﷺ - من أجل إطلاق أسراها ،

فرواه بطرق عدة ، وفاخر بأنه وقع له "سباعيا" ثم قال : " كأتى سمعته من أبي داود وأبي عبد الرحمن النسائي " (مخ ورقة ٦٢ أ - ٦٤ ب) . وقال مثل ذلك عن حديث " ياعمير ما فعل النغير ؟ " (مخ ورقة ٦٤ ب) . وقال عن حديث آخر ، بأنه وقع له من غير طريق (مخ ورقة ٨٨ أ) .

والأمثلة على عنايته بالسند كثيرة ، من ذلك مثلاً ان الواعظ الغزنوي أجازته رواية حديث عنه ، ولكنه لم يكتف بذلك ، بل عزز تلك الإجازة برواية الحديث نفسه عن طريق شخص آخر رواه عن الغزنوي المذكور (مخ ورقة ١٢٩ ب) . وروى حديث " أتى يوم القيامة ، فاستفتح " في موضعين بسندين مختلفين (مخ ورقة ١٧٢ أ و ١٤٢ ب) . وكذلك روى حديث " صفة النبي - ﷺ - " في موضعين أيضاً وبسندين مختلفين (مخ ورقة ٥٧ ب و ١٧٥ ب) . وكما قلنا ، فإن المؤلف لا يكتفي برواية الحديث ، وإنما يشير الى درجة صحته ، ويشرح ما غمض من معناه . من ذلك مثلاً ، حديث عمير مولى أبي اللحم الذي ضربه سيده ، لأنه أطمع اللحم بدون إذنه ، وقول الرسول - ﷺ - " الأجر بينكما " . فقد قال المؤلف : " أنه حديث صحيح " ، ثم شرح معاني الكلمات الواردة فيه ، وعلاوة على ذلك فإنه كثيراً ما يبدى رأيه في ضبط بعض الالفاظ - مخ ورقة ٧١ أ و ١٦٨ أ و ٢٠٠ ب) .

ولقد وجدتُ ، بعد مراجعة كتب الحديث ، ان ما يقوله ابن المستوفى عن درجة صحة الاحاديث التي يرويها ، وضبطها كان صحيحاً ، وكذلك الأمر بالنسبة لما يقوله عن مظان وجودها في المراجع المعروفة ، الأمر الذي يدل على علم واسع واحاطة تامة بهذا الموضوع . والحقيقة ان كوكبوري عرف هذه المزية في ابن المستوفى ، إذ استشاره فيمن يستقدم للتحديث بدار الحديث المظفرية باريل ، وهو الذي أشار عليه باستدعاء ابن طبرنذ وجنبل (مخ ورقة ١٧٠ أ ، و ١٦٢ أ) . وقد حرص على أن يتم السماع عليهما في مجلس واحد وفي آن واحد (مخ ورقة ٧٠ ب) ، وهذه من المناسبات القليلة التي يتوافر فيها شيخان في مجلس واحد ، ويكونان قد روى حديثاً واحداً عن أشياخهما فيروياهما سوية للسامعين عليهما .

• ثم ان ابن المستوفي ، قد أبدى معرفة ممتازة في هذا الحقل ، إذ استطاع أن يكشف الاضطراب الذي يقع فيه رواية الحديث ، فقد ذكر لنا ان أحدهم قرأ بعض مسموعات أبي الوقت ، وكان فيها موضع مضطرب الاسناد ، فركب المتن على غير رجالة ، وانه خلط في جزء من " كتاب النسائي " (مخ ورقة ٨٧ أ) . بل ويبدى رأيه في بعض رجال الحديث كأبن الديلمي الذي قال فيه انه " لم يكن قديم الرواية " (مخ ورقة ٨٩ ب) على علو شأن ابن الديلمي وسمو منزلته ، حتى ان ابن النجار قال عنه انه " من الحفاظ المكثرين " (طبقات السبكي ٨ / ٦٢) . هذا وقد بلغ من إقباله على الحديث وحرصه فيه ، انه كان يقرأ كتبها بكاملها - كما مر معنا - ، ولقد قرأ مثلاً " صحيح البخاري " كله على الحسين التكريتي الضريع ، بروايته عن الرواي الشهير عبد الاول السجزي ، وقد تم ذلك في داره (أي دار ابن المستوفي) مع جماعة ، وقد احتفظ بالنسخة المدون عليها السماع (مخ ورقة ٩٠ أ) . وقرأ " كتاب الشهاب " للقضاعي ، على محمد بن أحمد الاموي (مخ ورقة ٥١ أ) .

ومن الجدير بالملاحظة ، بان تخلّق ابن المستوفي بأخلاق المحدثين جعله حريصاً على إيراد السند ، حتى في رواية الشعر أو الكتب ، بل كان يحرص أيضاً على ذكر تاريخ الرواية ، مما سنتعرض له عند تناولنا أسلوبه في تدوين الوقائع ، إن شاء الله ، قال الربدائي (ص ٥٣٩) : " أما طريق رواية (ديوان أبي تمام) ، فقد تحدث عنها ابن المستوفي ووصفها بدقة علي طريقة المحدثين " ، من ذلك مثلاً انه يأتي بسند قراءته للديوان على محمد بن عيسى الجصاص في سنة ٦٠٩ هـ بمنزله بابل ، ويستمرني ذلك السند الى أن يصل به الى أبي تمام نفسه . هذا ويتضح من الأحاديث التي رواها المؤلف ، انه كان دقيقاً في النقل ، أميناً في الرواية (نقل ابن المستوفي سند حديث عن " مستدرك الحاكم " ، ولدى المراجعة وجدته مطابقاً للسند الوارد في النسخة المطبوعة من الكتاب المذكور - مخطوطتنا ورقة ٤٢ ب والمستدرك ١ / ٤٢١) ، إذ ان معظم ما رواه جاء مطابقاً في المتن والسند لما ورد في الكتب المعتمدة ، على الرغم من كون كتابه ، في الاساس ، ليس كتاب حديث ، وانما رُويت الأحاديث فيه للبركة أحياناً (مخ ورقة ١٧٥ ب) ،

وهي في الغالب تروى على أنها مكملية للمعلومات الواردة في التراجم ، الأمر الذي أدى الى تكرار رواية الحديث أكثر من مرة ، تبعا لوروده في كل ترجمة من تراجم رواة ، أوتبعاً لتعدد المناسبات (مخ ورقة ٣١ ب - ١٣٣ أ و ٣٦ أ و ٤١ ب و ٧٢ ب و ٩٨ ب ، و ١٣٠ ب و ١٨٥ ب) .

ومن الملاحظ أيضا ، ان الأسانيد التي يروي بها المؤلف بعض الاحاديث كانت فريدة في بابها ، من ذلك مثلاً روايته لحديث " يامعشر من أمن " عن جابر وابن عباس بسندين لوجود لهما في كتب الحديث التي تناولت هذا الحديث (مخ ورقة ٢٢ ب) ، مما يجعل لكتابنا أهمية خاصة حتي في علم الحديث ، بل ان روايته للحديث المذكور عن برزة ، تختلف من حيث السند عن روايته الأخرى عن برزة نفسه (مخ ورقة ٣٢ أ و ٣٣ أ) ، وقد انفردت الرواية الأخيرة بسند لا وجود له في كتب الحديث المعروفة . وروى أيضا حديث : إنما الأعمال بالنيات ... " بسند يكاد ينفرد به ، عن يحيى بن سعيد (مخ ورقة ٣٦ أ و ٧٢ ب) ، وكذلك رواه عن عبد الله بن المبارك (مخ ورقة ٤١ ب و ١٣٠ ب و ١٨٥ ب) ، وانفرد ابن المستوفى في رواية حديث " بُعثتُ بجوامع الكلم ... " عن أبي هريرة ، بسلسلة سند تختلف عن جميع السلاسل المسندة الي أبي هريرة (مخ ورقة ٥٩ أ) . وجاء في روايته لحديث " الحلال بين ... " برجال لم يرد ذكرهم في أسانيد كتب الحديث (مخ ٦٢ ب و ٩٤ أ) . وفعل مثل ذلك في حديث " أتى باب الجنة " (مخ ورقة ٧٢ أ و ١٤٢ ب) ، أما روايته للحديث الواحد من طرق عدة ، كحديث " ان بني هشام بن المغيرة .. " (مخ ورقة ٦٢ أ - ب) والأحاديث التي تقدم ذكرها ، هي خدمة كبيرة قام المؤلف بتقديمها لطلبة الحديث ، يضاف اليها السلاسل الجديدة من الاسانيد التي تُغني - على قلتها - كتب الحديث . وفضلا عن ذلك ، فان ابن المستوفى لا يتردد عن إبداء ملاحظاته على كتب الحديث ، عند الحاجة ، فنراه مثلاً (مخ ورقة ١٧٨ أ) يتحدث عن كتاب " شرح أحاديث المهذب " فيقول ان المؤلف " لم يف بما ذكره من شرحها ، وهي مجردة من إسناد " .

ان اهتمام ابن المستوفى بالحديث ، ورسوخ قدمه في علومه وحرصه على الاكثار من

روايته ، كل ذلك جعلني أتوقع ان يكون له مصنف أو أكثر في هذا الموضوع ، الا انني لم أجد لذلك ذكراً ، ولعله قد صنف شيئاً فيه وضاع . ولكنني من ناحية أخرى ، كما سبق وبينتُ - يمكنني أن أعتبر هذا الجزء من " تاريخ إربيل " خاصاً بالمحدثين ، لانهم هم الفئة الغالبة بين أصحاب التراجم فيه ، وقد أشرك معهم الزهاد والعدول ، وفقاً لما أشار اليه في المقدمة .

٢- ابن المستوفي اللغوي الأديب :

سبق وبيننا ان مترجمي ابن المستوفي ، أشاروا الى إحاطته بفنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم المعاني والبيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وانه كان أعلم أهل زمانه بعلمي المعاني والبيان ومعرفة الأشعار النادرة والأمثال السائرة ، وما الى ذلك . والذي لاشك فيه ، ان مجموعة مصنفاته تدل على باع طويل في هذه الفنون . ومالنا نذهب بعيداً ، وبين أيدينا " تاريخ إربيل " ، وهو سجل واضح على سعة ثقافة مؤلفه وعمق اطلاعه في مختلف ميادين المعرفة ^٩ ١١ فبوسع القارئ أن يلمس لمس اليد ، بأن المؤلف لم يتخل - خلال الكتاب - عن كونه أديباً نحوياً لغوياً شاعراً ، وأبرز مظهر للكتاب انه جاء مشحوناً بحوالي ٢٥٠٠ بيت من الشعر ، في حين اننا لانجد في كتب التراجم الأخرى - اللهم الا الكتب الخاصة بتراجم الشعراء - مثل هذا المقدار الضخم من الشعر . وهكذا حفظ لنا المؤلف ثروة أدبية ضخمة من أن تكون عرضة للضياع .

ولقد سلم بعض معاصريه بعلو قدره ، وكفائته ، حتى ان أحد المترجمين طلب الى ابن المستوفي أن يمتحنه (مخ ورقة ٢٢٠ أ) ، وهذا اعتراف منه بفضله وطول باعه ، فقال له :

على انني حاشاي لستُ بشاعر
وإن كان شعري بالمناقب لايزدي
فعندي فنون الفضل إن شئت فامتحن
فبعض خفايا الشيء يظهر بالسبْر
وذكر البغدادي ، صاحب " خزانة الادب " (١ / ١٩) في حديثه عن المصادر التي يُرجع اليها لمعرفة شروح الشواهد اللغوية ، وقد عدَّ بعضها منها ، أقول ذكر بينها

" شرح أبيات المفصل " لابن المستوفي ، بل إن مجرد وجود ترجمة للمؤلف في " بغية الوعاة " (٢ / ٢٧٢) ، وهو كتاب مخصص النحويين ، دليل ثابت على أنه معدود بين النحويين ويكفيه فخراً اشتغاله على واحد من أئمتهم ، هو مكي بن ريان الماكسيني (ابن خلكان ٤ / ٣٦٥) . هذا ولعل من المفيد أن نشير الى بعض ماورد في " تاريخ إربل " بهذا الصدد ، من ذلك مثلاً انه روى (مخ ورقة ١٨ ب) .

كن في احتمالك لالذى كالارض تحظ وتُشكر
ويقدر مايلقى عليها من سماء تزهـر

قال المؤلف : " عطف (تشكر) مرفوعاً على (تحظ) مجزوماً ، ويجوز أن يكون " . أقول وهذا صحيح ، إذ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة . ثم قال المؤلف : " قال (السَّمَاد) بكسر السين ، وهو بفتحها " ، وهذا صحيح أيضاً ، إذ جاء في " لسان العرب " بفتح السين . وروى كذلك (مخ ورقة ١٨ ب) " فالتوث بالتدريج أصبح أطلساً بين الأنام " ، وقال : " أنشده (فالتوث) بالثاء المثناة أخيراً ، وهو بالثاء المثناة " ، وهذا صحيح أيضاً ، فقد ورد في " لسان العرب " انه بالثاء المثناة . وروى في موضع آخر (مخ ورقة ٨٣ أ) :

فوجدت مضمون العلو م جميعها ترك الفضول

وقال : " إن أراد بالفضول ، ماتستعمله العامة ، فاستعماله خطأ . وإن أراد به فضول المعيشة ، والزيادة على الحاجة ، فهو استعمال صحيح ، وما أظنه - إن شاء الله - أراد إلا ذلك ، لانه عقبه بقوله (والزهد في الدنيا) . وروى (مخ ورقة ٦٨ ب - ٦٩ أ) هذا البيت :

لذاكر ناشر نعماك قابق لنا ماغرد الورق في أيك وفي غرب

وقال : " اظنه اعتقد أن الأيك اسم لشجر " ، ثم استشهد بأية قرآنية على أن " الأيك الشجر الكثير الملتف " . أقول وبالفعل فإن مجاء في معاجم اللغة يؤيد ماذهب اليه ابن المستوفى .

وروى أيضا (مخ ورقة ١١٠ أ) قول أحدهم : " وهذه الليالي يصوم ، ولا شيء عنده سوى الأبيضين المويدين بالحين " ، وانتقد قوله : " يصوم الليالي " ، وإنما تُصام الأيام ، وأن " الأبيضين هما الماء واللبن ، ويعيش عليهما كثير من الناس . وانتقده كذلك على بعض الأخطاء الاملائية الواردة في مقطوعة شعرية ذكرها . كذلك انتقد أحد منشديه (مخ ورقة ١٥١ أ) لأنه أنشد المنادي المضاف بالرفع ، وقرأ " جون " بضم الجيم وهو بفتحها ، كما في معاجم اللغة . وروى أحدهم (مسخ ورقة ٢٠٤ أ) شعرا قرأ فيه " الزمرد " بفتح الزاي والذال المهملة ، فنبه ابن المستوفي الى ذلك . وقد جاء في " لسان العرب " انه بضم الزاي وبالذال المعجمة . وانتقد آخر (مخ ورقة ١٣٠ أ) لأنه رفع المفعول به ، فنبه الى خطئه ، في الحقيقة كان المؤلف يلاحظ حتى الأخطاء الاملائية وفقا لما أسلفنا (مخ ورقة ١١٧ أ) .

ونقد المؤلف (مخ ورقة ١٦٨ أ) أحد الرواة لأنه لم يضبط كلمة " حرم " ، فأورد الوجه الصحيح واحتمالاته المختلفة بما يتفق والقاموس . وعلاوة على ذلك ، فقد حرص ابن المستوفي على أن يضبط بالشكل بعض الكلمات الغريبة (مخ ورقة ٢١١ ب و ٢١٧ أ و ٢٢٢ أ) . أما بالنسبة لذوقه الأدبي ، فانه يستمتع برواية الشعر الذي يعجبه ، ولا يكتفم إعجابه . من ذلك مثلاً قوله (مخ ورقة ١٨٩ أ) عقب إيراده مقطوعة شعرية تنتهي ببيت أوله " فطويي لمن كان السعيد بقربها ... " ، فقال : " وأقول : طويي لمن نقل من هنا " اللفظ شيئا " . وكان لا يرى بأسا في إيراد الشعر البذيء ، مادام سياق الكلام يقتضي إيراده (مخ ورقة ١١٧ أ و ١٢٠ أ ، و ٢٠٩ ب و ٢١٠ أ) .

وأشار (مخ ورقة ٢٥ أ) الى قصيدة رُويت له بأنها كانت في الاصل في مدح " قايمان " ، وأن الشاعر سبهاه " قاماز " ولم يقل " قيمان " ، كأنه من اللغة التي لايجوز استعمالها إلا على ما فعلت العرب !!! ثم كشف عن تحايل الشاعر بتحويله القصيدة الى مدح شخص آخر اسمه " الياس " وقرأ أحدهم أمامه شعراً (مخ ورقة ٥٢ أ) ، استعمل فيه كلمة " بادر " و " ياست " ، فقال عن الاولى : " كذا انشدنا ، وصوابه (مبدرا) يكون من (بَدَر) اذا عَجَل " . وقال عن الثانية بأن ابن الجو اليقي - وهو نحوي -

تناول قولهم " ياست ؛ في كتابه المسمى " ما يلحن به العامة " فصلا يغني عن ذكره هنا
وعلق (مخ ورقة ٥٦ ب) على البيت المشهور :

انا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روح وحق انا بدنا

فقال : " أراد (بدنان) فأسقط النون كحال من قال (تبكي عليك نجوم الليل
والقمرا) ، أراد . القمران) فأسقط النون " ، ولاحظ ان أحدهم (مخ ورقة ٥٨ ب)
استعمل " ما طل " رباعيا بدلا من " مطل " عند التردد في تسديد الديون . وقال معلقا
على عبارة " أقدر له لحما " الواردة في حديث نبوي (مخ ورقة ٧٠ ب - ٧١ أ) شارحا
معناها بقوله : " أقدر له ، أي طبخ ، ويقال قدر واقتدر ، أي طبخ وأطبخ ، واقتدروا ،
أي طبخوا في القدر ، ويقال أتقدرون أم تشوون ؟ " . وعلق (مخ ورقة ٨٠ ب) على
قطعة نثرية كتبها الحيص بيص الشاعر ، وردت فيها عبارة " جاعلي وسيلة " ، فقال : "
الذي أورده (جاعلي وسيلة) فعلا ، والصحيح (جاعلي) اسما " . وأثبت قصيدة (مخ
ورقة ١٠٩ أ - ب) أنشدها أحد المترجمين ، وقال : " وكان إعرابها صحيحا ، لم يخطئ
في موضع منه " . ولكن انتقد هذا الشاعر - كما انتقد آخرين غيره لانه كتب " الألف "
ياء في غير موضعها ، وبالعكس ، كما كتب بالطاء ما يجب كتابته بالضاد ، علاوة على
خطأ في رفع المجرور . ومد أحدهم المقصور ، واستعمل كلمة " مشكا " بمعنى " شاكا "
وخفف آخر ما يجب تشديده ، واستعمل غيره كلمة " مخيفة " بدلا من " خائفة " ، ومع
ذلك حاول ابن المستوفى أن يجد لهذا أواخر مخرجا ، فقال : " وربما عضده التأويل "
(مخ ورقة ٢٥ أ و ١١٧ أ و ١٢٨ ب و ١٤٥ ب و ١٤٨ ب - ١٤٩ أ و ١٥٧ أ و ١٥٩ أ و ١٦٣
أ و ٢٠٢ ب و ٢١٥ أ) . وهذه من شيمة ، لأنه كان يميل الي أن يجد عذرا مقبولا في
مثل هذه الحالات . وذكر ان أحدهم (مخ ورقة ١١٦ ب) كان يحفظ شيئا من أبيات
عويص الاعراب ، مايلقيه على أهل هذه الصناعة ، أي صناعة النحو ، وانه أنشده بيتا
من تلك العويصات . ثم بادر المؤلف الى شرح المراد بذلك البيت . ولاحظ (مخ ورقة ١٥٠
أ - ب) ان أحد المترجمين أنشده بيتا ختمه بقوله : " وفراق الاحباب شيئا شنيعا "
وقال ان الناس أنشئوا هذا البيت بنصب الكلمتين الأخيرتين ، وأكد قائلا : " ولايحتمل

نصب (شنيعة) على الحال من (شيء) . لأنه أكثر النكرات ، ولا يصح معه المعنى إلا إذا رُفِعَ " . واعترض (مخ ورقة ١٦٦ أ) على استعمال (بالمسك) بدلا من (كالمسك) على سبيل التشبيه في البيت الآتي :

قد رقت في خدّها أرقما بالمسك في مذهب ثوب طسيم
كذلك اعترض (مخ ورقة ١٨٣ ب) على ضبط كلمة (الال) بفتح الهمزة ، لأن الذي عليه الجمهور هو بكسرها ، وأنه قرأ ذلك علي شيخه مكي بن ريان الماكسيني . أقول ولدي مراجعتي " لسان العرب " وجدت أن الكلمة وردت بالفتح والكسر على السواء ، ويبدو أن الماكسيني يميل إلى كسرها ، ثم أنه علق (مخ ورقة ١٨٦ أ) على إنشاد أحد المترجمين ، بأنه نصب الفاعل بوانه كان كثير اللحن . ولاحظ على أحدهم (مخ ورقة ١٩٣ ب) أنه قرأ (القلب) جمع قلب ، بفتح اللام ، وهو بضمها . ولاحظ على آخر (مخ ورقة ١٩٩ أ) بأنه " كان إذا أنشد لا يكاد يقيم إعرابا ، ويلحن في مواضع لا يكاد أحد يلحن فيها " .

وتجلت معرفة ابن المستوفي بالعروض في شرحه الأبيات التي تضمنت طرفا منه (مخ ورقة ٢٢٤ أ) ، كما تجلت قوة ذاكرته وحفظه بشكل بارز . من ذلك مثلا أنه عندما روي له بيت النابغة الذبياني (مخ ورقة ٤٣ أ) الذي أوله " هذا الشاء لئن بلغت معتبة " ، بادر إلى تصحيحه ، حيث أنه ورد في الاصل " فان " بدلا من " لئن " . أقول ومافي الديوان (ص ٢١٤) يؤيد ماقاله ابن المستوفي .

٣- ابن المستوفي الناقد :

لاشك أن أبرز صفة يمكن لقارئ تاريخ إربل " أن ينسبها لابن المستوفي - بعد وصفه بالمؤرخ - هي كونه ناقدًا إديبا حاضر الذهن ، قوى الذاكرة ، واسع المعرفة وهذه الصفات واضحة وضوح الشمس في ثنايا الكتاب . والحق أن من يتصدى لشرح أشعار عملاقي الشعر العربي ، أبي تمام والمتنبي ، ينبغي أن يكون عملاقا هو نفسه ، ذا حاسة نقدية قوية ، وذوق أدبي رفيع . وأود بهذه المناسبة ، أن أعترف للقارئ الكريم ، بأنني لست أهلا لاعطاء هذا الموضوع حقه ، لكنني سوف أحاول تسجيل النواحي التي

بدا لي فيها ابن المستوفي ناقداً واثرك لأهل الاختصاص تقدير مكانته بين النقاد .
ولقد عرف المؤرخون لابن المستوفي قدرته على النقد ، فقد نقل اليونيني (ذيل ١ /
٧٥) نقداً لابن المستوفي بحق علي بن محمد بن الرضا الحسيني ، المعروف بـ " ابن
دميرخان " المتوفى في سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م ، ذلك انه في بعض شعره الذي ادعاه
لنفسه ، أغار على أبيات حفظها في المكتب ، وقد ذكر اليونيني تلك الأبيات . ونقل ابن
خلكان (١ / ١٩٠ - ١٩٢) قصة تأليف ابن دحية - عند وصوله الي إربل - كتابه "
التنوير في مولد السراج المنير " الذي صنفه للملك كوكبوري ، وفي آخره قصيدة بمدح
الملك المذكور ، مطلعها :

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما وهموا

وذكر ان ابن دحية قرأ الكتاب والقصيدة على كوكبوري في سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م ،
ثم ان ابن خلكان نفسه ، سمع الكتاب - والقصيدة فيه - على كوكبوري في سنة ٦٢٦
هـ / ١٢٢٨ م ، الا انه اكتشف - بعدئذ - ان القصيدة هي لابن مَمَاتِي ، وقد نظمها في
مدح الملك الكامل الأيوبي . وأضاف ابن خلكان على ذلك قوله ، بأن ابن المستوفي ذكر
تلك القصيدة في " تاريخ إربل " ، وذكر انه سأل ابن دحية عن معنى بعض أبياتها ، فلم
يحر جواباً . فقال له ابن المستوفي ، لعل المقصود كذا وكذا ، واستشهد على ذلك
بأبيات لبعض الشعراء في المعنى ، فتبسم ابن دحية وقال : " هذا أردت " . ويتضح من
هذه القصة عمق إحساس ابن المستوفي بحقيقة ما يروى أمامه ، الا ان أدبه يمنعه في
بعض الأحيان من مجابهة الرواة أو منتحلي الشعر ، بالحقيقة المرة .

وعلى كل حال ، فإن من المفيد أن نتناول أمثلة حية من " تاريخ إربل " نفسه ، تجلت
فيها حاسة ابن المستوفي الحادة في النقد ، إذ انها خير وسيلة للتعرف على مكانته
كناقد :

١ / قدرة المؤلف على التمييز بين الشعر الأصيل والمنتحل ، ونسبته
الصحيحة :

حبا لله ابن المستوفي بحاسة حادة وذاكرة قوية ، فكان يستطيع بواسطتهما التمييز

بين الشعر الأصيل والمنتحل ، كما كان بوسعه أن يرجع نسبة مايرؤى له الى قائله الحقيقي . وتاريخ إربل " شاهد حق على ذلك (مخ ورقة ١٦١ ب) . فقد ذكر مثلاً (مخ ورقة ٢١ أ) ان عمر بن شماس الخزرجي صنف كتاباً " جمع فيه أوصافاً مختلفة في كل فن ، مستجادة الالفاظ والمعاني " ، الا انه أتبعها بقوله : " وفي نسبته أشعاره الى قائلها خلل " . وأنشده (مخ ورقة ١٥٣ ب) أحدهم شعراً ، وكان يلحن فيه ، فارتاب ابن المستوفي في أن يكون بعض ذلك الشعر له . والحق ان المؤلف لم يقتصر في هذا المسلك على الشعر وحده ، وانما كان هذا ديدنه في كل شيء . فلقد أشار (مخ ورقة ٤٠ أ) الى مقدمة كتاب رآه تناولت كثيراً من الخطبة التي قدمها الحريري أمام مقاماته .

هذا وقد أنشده أحد المترجمين (مخ ورقة ٩٢ ب) شعراً ادعاه لنفسه ، لكن المؤلف اكتشف فوراً انه لغيره ، واستند في ذلك الى رواية ابن الشعار ، وهو حجة فيما يقول بهذا الصدد . وروى له (مخ ورقة ٩٤ ب) أحدهم بيتين من الشعر على انهما لابن أبي الدنيا ، فبادر ابن المستوفي الى القول ، بأنهما لعمر بن الخطاب - رض - وان ابن أبي الدنيا لم يكن سوى الرواي للبيتين . وبالفعل فان ابن رشيق رواهما للخليفة عمر (العدة ١ / ٢٠) . وشخص آخر أنشده شعراً (مخ ورقة ١٠٧ ب) ، غير ان المؤلف شك في أن يكون له ، فكرر عليه القول باليسمين ، هل انه له ؟ فكان الجواب بالايجاب ، ولكن ابن المستوفي لم يقتنع ، فقال - " والله اعلم " . ويبدو ان الحق مع ابن المستوفي لان الشخص المذكور ، روى له بيتين من الشعر على انهما للامام الشافعي - رح - في حين نسبهما ابن خلكان (٩٠ / ٦) لاسحق بن ابراهيم ، قاضي السلامية ، ثم انهما غير موجودين في " ديوان الشافعي " .

وروى له أحد المترجمين (مخ ورقة ١٠٧ ب - ١٠٨ أ) مقطوعة شعرية على أنها لحمد بن عبد الله العلوي ، ثم وجد المؤلف رواية أخرى تتعلق بتلك المقطوعة مع قصة ، فذكرها باختصار ونبه الى ان الغرض هو " الجمع بين نسبتي الأبيات المذكورة " . وعندما روى له (مخ ورقة ١١٧ أ - ب) أحدهم شعراً وزعم انه لشخص يعرفه المؤلف ، فما كان من ابن المستوفي إلا أن راجع ذلك الشخص للتحقق من صحة ما نسب اليه .

فنفي هذا أن يكون ذلك الشعر من نظمه ، وعندها جابّة المؤلف الراوى بالحقيقة ، فلم يحر جواباً . وقد فعل الشيء نفسه مع شخص آخر (مخ ورقة ١٨٠ ب) في حالة مشابهة . وأنشده بعض المترجمين أشعاراً لم يسموا قائلها (مخ ورقة ١١٩ ب و ١٤٠ أ و ١٦٠ ب) ، ولكنه تمكن أن يجد القائلين لتلك الأشعار وسمّى كل واحد منهم . وعندما أنشده أحدهم (مخ ورقة ١٣٠ أ) مقطوعة من أربعة أبيات ، على أنها له ، رأى ابن المستوفى ان البيتين الثالث والرابع ليسا منها " لنقورهما عن ملأمة الأول والثاني " . وساور المؤلف الشك (مخ ورقة ١٣٧ أ - ب) في أمر أحد المترجمين ، الذي أنشده بعض الشعر ، فسأله عما اذا كان من نظمه فأيد ذلك باليمين . ولذلك طلب اليه أن ينشده مقطوعة أخرى ، فأنشده أبياتاً زاعماً انها له ، وانه قد نظمها منذ ١٢ سنة ، في حين ان تلك الأبيات منسوبة الى الامام الشافعي - رح - وفقاً لما ذكره ابن المستوفى ، وفي الواقع فأنني وجدتها في ديوانه (ص ٢٩) . والغريب أن هذا الرجل ، كان يصر على ان يذكر في نسبه " الشريف الحسني العباسي " ، رغم الإنكار عليه ، إذ كيف يمكن الجمع بين أن يكون المرء شريفاً حسنياً وعباسياً في آن واحد !! . وقرأ عليه أحدهم (مخ ورقة ١٦٩ ب) قصيدة فيها البيت الآتي :

ارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه

فبادر ابن المستوفى الى القول أنه " مضمّن " ، وبالفعل فان البيت رواه العماد الاصفهاني (الخريدة - عراق ١ / ٢٣٦) للحسن بن أحمد بن جكينا ، بينما رواه ابن خلكان وأبو الفداء (وفیات ٥ / ١٢٠ وتاريخ ٢ / ٤٣) لابن التلميذ الطبيب . وروى له آخر (مخ ورقة ١٧٩ ب) ان أحد نزلاء دار المضيف بارييل ، كتب شعراً الى صاحبه بصدد المطر الذي يعيق لقاء المحبين ، وجواب صاحبه اليه . فبادر ابن المستوفى الى ذكر القائل الحقيقي لتلك الأبيات ، كما كشف عن شخصية صاحب الجواب . ويؤيد ابن المستوفى في صحة نسبة هذه المقطوعة ، ابن الشعار (مخ استانبول ٤ ورقة ٢٠٨ - ٢١٠) .

ووصف المؤلف شعر أحد المترجمين (مخ ورقة ١٨٦ أ) بأنه شعر رديء لفظاً ومعنى ،

مسترق أكثره ، الا ان اسم الشاعر الذي أسترى المعنى منه ساقط من مخطوطتنا .
وأنشده أحدهم (مخ ورقة ١٩٨ ب) بيتين من الشعر زاعما بأن العماد الأصفهاني جهد
نفسه في أن ينظم مثلها ، فما استطاع . فساور ابن المستوفي الشك في أمر هذا
المدعي ، فقال بأنه لا يظن بأن البيتين المذكورين من نظم المنشد ، لاسيما وأنه استنشد
غيرهما فأبي . ولاحظ المؤلف بأن أحد العباسيين (مخ ورقة ١٩٩ ب) - وقد أنشده
بيتين وكان يلحن في الانشاد - ادعى بأنهما له ، فكرر عليه ابن المستوفي القول
يستثبته عما إذا كانا من نظمه ، لعله يرجع عن ادعائه . فأصرّ المذكور على ذلك ، بل
انه زاد في مزاعمه قائلا بأنه عملها ارتجالا في الليلة الفائتة . وقد أكد المؤلف بأن
البيتين هما أقدم من مولد ذلك العباسي بكثير . والجدير بالذكر انني وجدت ابن خلكسان
(١ / ١٥٤ ط احسان عباس) يرويها لجهول . وأنشده أحد الأشخاص مقطوعه
سعرية لحن فيها مرة واحدة (مخ ورقة ٢٠٩ ب) ، ولكن حدس ابن المستوفي حمله على
الظن بانها منتحلة ، وبالفعل فأنني وجدت في " نفح الطيب " (٢ / ٢٦٢) منسودة الى
محمد بن عبد الله الفراء الخطيب . كذلك أنشده أحد المترجمين (مخ ورقة ٢١٨ ب -
٢٢٠ ب) عدة مقطوعات طويلة ، وزيادة في التأكيد أعيدت قراءتها عليه مرة أخرى ، على
انها له . الا ان المؤلف اكتشف بأنها منتحلة من شعر شاعر آخر (مخ ورقة ٢٢٠ أ
و ب) . وأنشده فقيه واسطي ، اسمه ابن رشادة ، عدة مقطوعات (مخ ورقة ٢٢٨ ب -
٢٢٩ أ) ولكن ابن المستوفي لم ترتج نفسه الى كون المذكور هو الناظم لها ، فقال :
" أنا أشك فيما أنشده ابن رشادة جميعه " ، لاسيما وأنه كان قد سمع كوكبوري يردد -
فيما مضى - أحد الأبيات الوارد في تلك المقطوعات .

ب / قدرته على التمييز بين الجيد والضعيف ، وبين الصحيح
والمغلوط من الشعر :

لقد أبدى ابن المستوفي كفاءة عالية في الكشف عن عيوب ما يروى أمامه من الشعر
وها انني أسجل هنا طرفا مما ورد في " تاريخ إربل " . فقد روى أحدهم (مخ ورقة
١٤ ب) بيتا مغلوطا ، فما كان منه إلا أن نبه عليه وأثبت به شكله الصحيح . ثم أنه نقل

شعراً ، وكان ضعيفاً (مخ ورقة ٢٩ أ) ، فعلق عليه بقوله : " وهذا شعر من لا ينبغي له الشعر ، وإنما كتبته على عادة أصحاب التواريخ ، إذ المؤرخ ليس يختار ، وإنما هو حاك ما وقع إليه " . وقال عن مقطوعة (مخ ورقة ١٠١ ب) أخرى : " وهذا شعر يجب أن يطرح ، وإنما أكتب مثله على عادة المؤرخين " . ولكن المؤلف لم يقتصر في هذا المسلك على الشعر وحده ، بل كان ديدنه في كل ما يروى له . وقد أثبت (مخ ورقة ١٦١ أ) ، قطعة نثرية رآها عند أحد المترجمين ، فأعجبته فقال : " وهذا لفظ حسن ، ومعنى لطيف ، وتوصل إلى الغرض دقيق " .

هذا وقد أنشده أحدهم شعراً (مخ ورقة ٨٢ أ و ٢١٨ ب) ولم يبلغ المستوى الذي يريده ، فقال عنه : " فيه نظر " ، وشاعر آخر ، أنشده (مخ ورقة ٨٤ أ) بيتاً ناقص الوزن ، فقال عنه : " كذا أنشد البيت الاول ، على ما هو عليه " . ولاحظ مثل ذلك في حالة أخرى (مخ ورقة ١١٧ ب) غير ان الشاعر أصر على كون البيت موزوناً . وقال المؤلف شيئاً مماثلاً في حالات أخرى (مخ ورقة ١٣٥ ب و ١٥٠ ب) . وقد فاضل بين شعر لأحد المترجمين (مخ ورقة ١٠٢ أ) رآه في مرجعين مختلفين . وقد أنشده أحد الأشخاص (مخ ورقة ١١١ أ) بيتاً هو :

بل أرجى الزمان بالعيش واللب شر أليف العقار مادمت حيا

فنبه الي أنه نقله من خطه على تلك الصورة ، علوة على إنشاده إياه ، وقال : " وأشبه أن يكون (بالعصر واليسر) " ، وتحدث اليه أحدهم (مخ ورقة ١٥٩ أ - ب) ، بأنه أخذ على شارح بيت المتنبي ، في قوله :

له فضلة عن جسمه في اهابه تجيء على صدر رحيب وتذهب

لأنهم ذهبوا الى القول بأنه وصف صدر الحصان بالسعة ، بينما هو يرى أن المقصود هنا هو الذنب ، فتصدى له ابن المستوفي ، فرد عليه قائلاً بأن ذلك " خلاف ما عندهم ، وهو انهم لا يصفون الذنب بالسبوغ الى هذه الغاية " ، وذكره بقول امرئ القيس : " بضاف فوق الأرض ليس باعزل " ، فجعله فوق الأرض ليكون أبلغ في الوصف ، فمدحوه بهذا ، كما عابوا عليه قوله .

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر
ولكن محدثه لم يحرجوا (والبيتان في " ديوان امرئ القيس " ص ٢٣ و ١٦٤) .
هذا وقد صحح المؤلف رواية بيت من الشعر (مخ ورقة ١٧٥ أ) لنبؤه عن السياق ،
وفعل مثل ذلك (مخ ورقة ١٧٦ ب) عندما استعمل الشاعر كلمة غير ملائمة لسياق المعنى ،
واقترح في مناسبة أخرى استعمال عبارة " على الخلق " بدلا من " على الأرض " لأنها
أولى (مخ ورقة ١٨٣ أ ، وانظر أيضا مخ ورقة ١٨٨ ب و ٢٢٢ أ) . وعندما أنشده أحد
المترجمين شعراً لم يعجبه (مخ ورقة ١٧٩ أ) لم يتمالك نفسه من القول : " وهذا شعر
ردي جداً ، رحم الله قائله " ، وقال مثل ذلك في حالة مشابهة أخرى (مخ ورقة ١٨٦ أ) ،
وكان المؤلف ينبه على مايجده نابيا ، فنبه مرة (مخ ورقة ١٨٩ أ) الى ان أحدهم أنشد ،
بيتين يتطابق عجزهما تطابقا تاما ويتلو الواحد منهما الآخر ، كذلك نبه (مخ ورقة ٢٠٥
ب و ٢٠٦ أ) الى أبيات انها يُغنى بها ، وصحح شطراً ورد فيها ، مؤكداً بأن ذلك
أجود . كما انه نبه (مخ ورقة ٢١٥ ب) الى " معاضلة " وقعت في إحدى المقطوعات .
وقال مرة (مخ ورقة ٢٢٧ ب) عن بيت أنشده إياه أحد المترجمين بأنه " فاسد
المعنى " ، وهو :

سرى بأنفاس مقلتي قمر منقوط حـد العذار مشكول
وقال (مخ ورقة ٢٢٨ أ) عن مقطوعة لم تعجبه : " وهذا شعر ترك إثباته أولى
ولكنه أثبتته اتباعاً لمبدأه كمؤرخ - وإن لم يقل ذلك - وأنشده (مخ ورقة ٢٣٠ أ) أحد
المغاربة شعراً غثاً ، فقال : " وهذا شعر ينبغي أن يطرح ، ولكنني كتبتُه لغرابته نسب
قائله ، وبُعد منزله " .

ت / قدرته على كشف التشابه في المعنى بين مايروى له وبين الشعر
المراد محاكاته (السرقات الشعرية) :

وهذا أيضا ساعدت ابن المستوفي ، ذاكرته القوية وسعة حفظه على أن يكشف
المعاني التي أراد منشده محاكاتها . فلقد روى له (مخ ورقة ٢٤ أ) أحدهم شعراً جاء
فيه :

تبارك من كسا خديك ورداً تبدى تحست ريحان العذار
وصالك جنتي وهواك ديني ووجهك قبلتي وجفاك ناري
فقال ان الشاعر أخذ المعنى من شعر وجده المؤلف في " ديوان الوأواء الدمشقي"
وبالفعل لدى مراجعتي للديوان (ص ٢٢٨) وجدتُ الشعر الذي أشار اليه ابن المستوفي
وهو :

تبارك من كسا خديك ورداً تطلع من فروع الياسمين
وصالك جنتي وجفاك ناري ووجهك قبلتي وهواك ديني
وعندما أنشدته أحدهم (مخ ورقة ٢٤ ب) شعراً ورد فيه :
يامن يسلم طرفه من سحره سلم فؤاد محبه من هجره
نراه يبادر الى القول بأن ذلك مأخوذ من قول خالد الكاتب ، وهو :
يامن يسلم خصره من ردفه سلم فؤاد محبه من طرفه
وقال مثل ذلك عن شعر روي له في الصفحة نفسها ، وقال انه سلك فيه مسلك
الحيص بيص في أشعاره .

وقد روي له (مخ ورقة ١٤٠ أ) أحد المترجمين - دون ان يُسمى القائل - مقطوعة
شعرية ، فبادر المؤلف الى الكشف عن اسم قائلها ، كما انه فاضل بينها وبين مقطوعة
مماثلة في اللفظ والمعنى . وكتب له أحد المترجمين (مخ ورقة ١٤١ أ - ب) مقطوعة
شعرية ، ضمها بيتا لغيره ، فنبه الى ذلك ابن المستوفي ، وقال ان البيت المضمن هو
للعباس بن الأحنف ، وبالفعل فان ابن خلكان (٢ / ٢٣٠) ذكر البيت للعباس المذكور ،
الا ان المؤلف لم يكتف بما فعل ، بل جاء بمقطوعة أقدم عهداً ، ورد فيها أيضا البيت
المضمن المذكور أنفا .

وكان ابن المستوفي ، عندما يجد شئاً يتطلب الاستيضاح ، لا يتردد عن الاستفسار
من صاحب العلاقة ، وما ان أحد زملائه ينشده (مخ ورقة ١٥٢ أ) شعراً ويشير الى
وجود مناسبة بينه وبين قول قاله الأصمعي بصدد بيت لامرئ القيس ويبدو ان المؤلف لم

يتفق معه في الرأي ، وحاول الاستيضاح من زميله عنه ، فما أجاب ، وهذا الزميل نفسه ، أنشده (مخ ورقة ١٥٢ ب) بيتين هما :

وميلح الدلال معتدل القا مة في وجنتيه ماء ونار
شد زنارة على أهيف الخصر ، فياليتني له زنار

فبادر ابن المستوفي الى القول بأن صاحبه قد اقتبس المعنى من أبيات للشاعر الواواء الدمشقي ، ولم يكتف بذلك بل ذهب بعيداً في تاريخ الادب ، فربط ذلك بشعر قاله مدرك الشيباني ، ولقد وجدت بالفعل في " ديوان الواواء الدمشقي " (ص ١٠٢) قوله :

شد زناره على هيف الخصر وشد القلوب بالزنار
أما قول مدرك ، فهو - كما في " معجم الادباء " (١٥٢/٧) - البيت الآتي :
ياليتني كنت له زنارا يديرني في الخصر كيف دارا
وعندما أنشده شاعر موصل (مخ ورقة ١٦ ب - ١٧ أ) بيتا هو :

أغلا القرطاس أم قد أصبحت بعد سعى أحبل الوصل جذ اذا ؟
بادر ابن المستوفي الى القول ، بأن المعنى مأخوذ من قول ابن الرومي .
ترى حرمت كتب الاخلاء بيننا أين لي أم القرطاس أصبح غاليا ؟
وكشف أيضا (مخ ورقة ١٧ أ) في بيت للشاعر المذكور تشابها مع شعر لجريز ،
وأنشده (مخ ورقة ١٨ أ) عمر بن شماس الخزرجي ، بيتين هما :

يمينا بمن طاف الحجيج ببيته وعقدهم الاحرام من بعد حله
لقد شدت هذا من حلال فلاتقل : بنى مسجدا لله من غير حله

فما كان من ابن المستوفي إلا أن قال ، بأن الشاعر أراد الإشارة الى قول القائل :

بنى مسجداً لله من غير حله فكان بحمد الله غير موفق
كمطعمة الرمان من كسب فرجها فديتك لاترني ولاتتصدقني

وعندما أنشده أحدهم (مخ ورقة ٥٦ ب) شعراً لجنون ليلي ، الذي ورد فيه قوله :
ثم ارتجعت وقلت روعي روحها فاذا هممت بقتلها لم أقدر

تبادر الي ذهن المؤلف في الحال قول الصالح (ديوانه ص ٩٣) المشهور ، وهو :
أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روح وحوانا بدنا ... الخ
ثم أنشده أحد المترجمين (مخ ورقة ١٣٥ ب) شعراً ورد فيه .
إن زارني فبفضله أوزرتك فلفضله ، والفضل في الحالين له
بدر ابن المستوفى فوراً الى إيراد مقطوعتين في المعنى ذاته . وأنشده آخر (مخ
ورقة ١٥٣ ب - ١٥٤ أ) بيتين هما :

هيولى حياتي حل عقد نطاقه ولثم محياه ورشف حمياه
فأني أطيق الصبر عنه وأنه محال بقاء الشيء بعد هيولاه
فرأى ابن المستوفى وجه التشابه بينهما وبين بيتين آخرين هما :
هيولى حياتي قريبكم ودنوكم ووجه صبيح منكم أتجلاه
فإن أنتم بنتم قضيت لانه محال بقاء الشيء بعد هيولاه
وأنشد الشخص المذكور نفسه ، بيتين آخرين هما :

قد حار بطليموس في أمره وضائق الأرض بابر قلبي
لما رأى بدر الدجى قد غدت أنواره تطلع بالاطلس
فقال المؤلف بأن المعنى مأخوذ من قول للموفق النصيبني ، وهو .

قد ظل بطليموس مع ثالث في هيئة الكل وابر اقلس
إن كان ما قالوه حقاً فما بال هلال التّم في الاطلس ؟ !!
وكشف (مخ ورقة ١٦٠ ب) عن تشابه في المعنى ، بين شعر أنشده إياه أحدهم ،
وبين شعر كان يحفظه لأحد الشعراء ، وأنشده أحد المترجمين (مخ ورقة ١٦٥ أ) شعراً
لكثير عزة ، ورد فيه قوله :

حلت بساحتك الوفود من الورى فكأنما كانوا على ميعاد
قال المؤلف بأن الشطر الثاني مأخوذ من قول الأسود بن يعفر ، وهو :
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد
ولدى مراجعة " المفضليات " (ص ٤٤٩) ، وجدتُ بالفعل هذا البيت للأسود بن يعفر
سالف الذكر (انظر أيضا " الجمان " لابن ناquia - الكويت) ص ٣٠٨ .

وقبل ختام هذه الفقرة ، يحسن بي أن أشير إلى أن الدكتور محمد الريدائي قد تناول في كتابه المسمى " الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام " (ص ٥٢٥ - ٥٥٠) ، ابن المستوفى كناقد ، وتعرض لشرح المنهج الذي اتبعه في كتابه " النظام " فمما ذكره السيد الريدائي (ص ٥٤٠) أن ابن المستوفى اعتمد على عديد من الكتب في تأليف " النظام " ، منها سبعة شروح تتعلق بشعر أبي تمام وحده . وقال (ص ٥٣٨) : " وقد كان اطلاعه على الشروح الكثيرة معوانا له على اصطفاء أحسنها وأثبتها على محك النقد ، وقد كان فكره الثاقب يساعده على تمييز الفروق الدقيقة بين الشروح التي وضعتها القرون السابقة بين يديه فكان بهذا قد جمع بين دقة الرواية وحصافة الدراية ، فجاء كتابه ممثلا لقمة شرح شعريهما (أى شعر أبي تمام والمنتبي) ، وخلاصة لما قيل في نقديهما " . ثم قال (ص ٥٤١) : " لنقرأ شرح أية قصيدة فيه فنجده يبر بما وعد به من جمع الشروح المتصلة بهذا البيت من تلك القصيدة عارضا هذه الشروح تارة ، معلقا عليها تارة أخرى ، فهو إذاً ليس من الذين يقبلون الشرح بعجزه ويجرّه ، وإنما يعمل فيه ثاقب فكره ، فيقبل مايقبل ، وينفي ماينفي ، ويعدل في الشرح ، وقد يخالفه ، وينقد الشاعر " . ومما ذكره الريدائي (ص ٥٤٧ - ٥٤٩) أن ابن المستوفى ذكر مايدل على أنه اطلع على كتب أخرى غير تلك الشروح التي أشرنا إليها ، مما له علاقة بشعر أبي تمام . ثم قال (ص ٥٤٩ - ٥٥٠) بأن ابن المستوفى كان يتتبع الكثير من استعارات أبي تمام المخرقة في البعد ، ويشير إلى قبحها . كذلك أرى من المفيد هنا أن اقتبس ماقاله الدكتور محمد عبده عزام ، عن ابن المستوفى ، بعد أن اطلع على الكتاب المذكور (أي النظام) وذلك في مقدمة " شرح ديوان أبي تمام " للتبريزي (مقدمة ١ / ٤١ - ٤٣) ، فقال أن " أول مايمتاز به (كتاب النظام) هذا ، أنه جامع لاقوال كل شراح أبي تمام ، منذ بدأ الصولي شرحه إلى ابن المستوفى في القرن السابع الهجري ، وكذلك فعل في المنتبي . ثم أن ابن المستوفى عالم محقق ، ينسب كل قول إلى قائله ، بحيث إذا رجعنا مثلا إلى قول التبريزي في كتابه وجدناه مطابقا له ، أو إذا رجعنا لما ينسبه إلى المزدق في كتابه ، وجدناه مطابقا كذلك ، وهكذا ، ولقد بهرنا هذا الرجل

حقاً وملأنا أعجاباً ، لدقته وأمانته العلمية ، وكذلك لنقده الصائب في أكثر الأحيان ،
وتمقيباته على بعض من يورد لهم في كتابه ... " .

ثم أشار الاستاذ عزام الى دقته وأمانته في النقل عن المصادر التي اعتمدها في
شرحه ، حتى بلغت به " دقته العلمية انه كان أحياناً ينقل بعض الهوامش الغامضة ،
يوردها كما وجدها ، وينبّه على انه لم يفهمها ... " وأخيراً يقول : " وأكثر من ذلك نراه
عندما يشرح بيتاً من الأبيات ، ويجد ان غيره قد تقدمه بمثل ما قال ، لايتأخر أن يعلن
هذا في صراحة علمية محببة فيقول : (كتبته ولم أنظر - علم الله تعالى - ما ذكره أبو
العلاء إلا بعد فراغى منه) " .

٤- ابن المستوفي الشاعر :

أجمع كل من ترجم لابن المستوفي على أنه كان شاعراً ، وإن الذين وصفوه بهذه
الصفة كانوا يعنون مايقولون بدون شك ، ويكفي ابن المستوفي فخراً ، أن يشهد له
بالشاعرية كل من ياقوت الحموي وابن الشعار - وهو مؤرخ الشعراء وابن خلكان . فإن
ياقوت مثلاً ، عندما لقيه بارييل ، سمع منه بعض شعره إنشاداً ، كما ان ابن المستوفي
كتب له عدة قطع منه بخط يده ، وروى ياقوت (بلدان ١ / ١٨٧) له هذين البيتين ، وقد
رواهما ابن الشعار أيضاً ، وهما :

تذكرنيك الريح مرت علية	على الروض مطلولا وقد وضع الفجرُ
وما بعدت دار ولا شطّ منزل	إذا نحن أدنتنا الأمانى والذكرُ

وقال ابن خلكان (٣ / ٢٩٤ - ٢٩٨) بأن له " ديوان شعر أجاد فيه " . وروى له عدة
مقطوعات ، منها :

لا تخذعنك سمرة غرارة	ما الحسن إلا للبياض وحسنه
فالرمح يقتل بعض من غيره	والسيف يقتل كله من نفسه

وقد روى ابن الشعار هذين البيتين أيضاً ، ووجدتهما في مخطوطة بالمتحف
البريطاني برقم Add 9556 ، وهى مجموعة شعرية (ورقة ١٦) وهما لابن
المستوفي ، وقال جامع المجموعة ان أصل المعنى لحرملة الدمشقي . ومن شعره الذي
رواه كل من ابن خلكان وابن الشعار ، هذان البيتان .

ياليلة حتى الصباح سهرتها
سمع الزمان بها فكانت ليلة
قابلتُ فيها بدرها باخيه
عذب العتاب بها لمجذبيه
ومن شعره أيضا :

رعى الله ليلات تقضتُ بقريكم
فما قلت ايه بعده لمسامر
قصاراً وحياتها الحيا وسقاها
من الناس إلا قال قلبي آها

وروى ابن خلكان ، ان ابن المستوفي خرج ذات ليلة من ليالي سنة ٦١٨ هـ /
١٢٢١ م ، فوثب عليه أحد الاشخاص وطعنه بسكين ، فتلقي الضربة بعضده فجرحته
جرحا بليغا ، فاحضر الجراح فخاطبها ومرخها وقمطها باللفائف ، فأوحى الحادث لابن
المستوفي بأبيات كتبها الى كوكبوري يصف فيه الحال ، وقد روى الأبيات ابن الشعار
أيضا وهي :

يا أيها الملك الذي سطواته
آيات جودك محكم تنزليها
من فعلها يتعجب المريع
لأناسخ فيها ولا منسوخ
أشكو اليك وما بليت بمثلها
شنعاء ذكر حديثها تاريخ
هي ليلة فيها ولدت وشاهدي
فيما ادعيت القما والتمريح

وذكر ابن خلكان كذلك ، بأن ابن المستوفي قال في نومه هذين البيتين :

وبتتنا جميعا وبات الغيور
نود غراما لوأنا نباع
يعض يديه علينا حنق
سواد الدجى بسواد الحنق

أما ابن الشعار ، فإنه ترجم له في كتابه " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " ،
وذلك وحده دليل كاف على حشر ابن المستوفي في زمرة الشعراء ، كما أنه وصفه في
تلك الترجمة بالشاعر " المصنف ، راصف در المنظوم وزبرجده ، وصائع لجين المنتور
وعسجده ، ذو القريحة المتوقد لهيبها ، والفكرة الخالص من الغش ذهبها " ، وأشار الى
ملازمته له ، وتطارحهما الاناشيد . كذلك أشار - عند الكلام على مؤلفاته - الى رسائله
وأشعاره . ثم قال ، بعد أن فرغ من سرد وقائع ترجمته : " وسأجلو عليك طرفا من

عرانس أبكاره ، لتجني غرائس أفكاره ، من منظومة البديع مايريبي حسنا علي زهر
الربيع ، ويزري بجواهر العقود ولائها ، ويفوق النجوم في إشراقها وتلايلها ، حاكه
طبعه الشريف ، وصقله ذهنه اللطيف ، فجاء مدبجا معبراً مفوقاً منوراً " ثم روى له
مقطوعات كثيرة ، لا يتسع المقام لنقلها ، وسنكتفي هنا بأن نقطف منها قوله في مدح
كوكبوري ، عند وصوله الى إربل في سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م (ابن الشعار - مخ
استانبول ٦ ورقة ٢٤) والقصيدة دليل على تفتق قريحته الشعرية في وقت مبكر من
حياته إذ كان عمره يوم نظمها ٢٢ عاماً فقط ، هي :

رأى دار ليلى بين أكتيبة الحمى فعاجله داعي الهوى ان يسلماً
وظن به الواشون صبراً عن الهوى وكان الذى ظنوه غيباً مرجماً
تباريح شوق لاتزال تعوده فتذكره ذاك الهوى المتقدماً
والقصيدة طويلة ، وفيها يقول :

شددت قوى الاسلام لما تواهنت وشيدت من ركنيه لما تهدما
فان تك أرضيت النبي محمداً بفعلك ، ما أسخطت عيسى بن مريما
جزيت عن الاسلام خيراً فانه متى بت تحميه فلن يتهمما
وله في مدح أهل البيت - رض - قصيدة جاء فيها :

ما على الركب لو أنا خوا المطايا قبل ان يزمعوا ليليل مضياً
واذا ماتحملا بعض شوقي توذرها للبين تهوى هوىاً
أيها السائق المجد أنخها أنيقاً ضمراً تخال قسياً
وهي طويلة أيضاً ، وله كذلك :

في كل يسوم فرقة ووداع ويكل أرض حنة ونزاع
ماهذه ، ياقلب ، أول صبوة ألقك في أهوالها الاطماع
وهي طويلة ، وله أيضاً :

وذى ثروة يبغي المحامد والعلا وليس بأهل للعلا والمحامد
أعقفه عمداً ليحفظ ماله وأبذل من مالي طريفي وتالدي

وله أيضا :

خنتم فما أدري بمن أثقُ
كالماء فيه الري والشرقُ

يا جيرة نقضوا عهدهم
أنتم هواي وفيكم تلقى

وله من قصيدة طويلة ، مطلعها :

فأجريت حتى غرقت بمدى
لما مال ساقى العيس عن قصد وردى
ويخجل عطف الغصن من لين قدمه

وفي أدمعي يوم بانوا بوعده
ولو لم يخالطه دم غال لونه
يفار ضياء البدر من حسن وجهه

وله أيضا :

وسيلتي فيها افتقاري إليك
انني لا أحصي ثناء عليك

يارب كم أوليتني نعماً
أقعدني عن شكري إحسانها

وله في مدح باتكين ، أمير إربل :

لكل واحدة مزاجُ
ويسرى للردى ملح أجاجُ

له كفان كالبحرين ماء لذا
فيمنى للمنى عذب قرات

وله يرثي إربل :

أخنت عليه حوادث الأيام
وخلت مراتعه من الأرام

حيا الحيا وطننا باربل دارسا
أقوت مرابعه وأوحش أنسه

وله أيضا :

لتوحشني مذ فاجأتني النواشبُ
فما لأن لي في كفه قط جانبُ
سوى قولهم " قد أحكمتني التجاربُ "

أنست بأحداث الزمان قلم أكن
وقارعني من حسن صبري بؤسها
ولم انتفع منها بشيء أفدته
وقال يمدح شخصا لم يذكر اسمه :

غرأ فضاله ملأه حياض
كزحام السهام في الأغراض
وباقى الأنعام من الأعراض

أيها الماجد الذي غادرتني
بتوالي نعمى تزاحم أخرى
أنت من جواهر المكارم مخلوق

وله في مدح بدر الدين لؤلؤ ، أو الامير باتكين :

غدا الملك السلطان أمناً لخائف وعوناً للهوف وغيثاً لأمل
كنّوه أبا كل الفضائل حامياً لها وهروب كل الفضائل

وروى ابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) هذين البيتين :

يارب قد عظمت جناية عينه وعسا بما أبداه من أنواره
فأشف السقام المستكن بطرفه واستتر محاسن وجهه بعذاره

أما عن تقدير شاعريته ، فأنني أقر معترفا بعدم أهليتي للحكم في هذا الموضوع ، فضلاً عن أن موضوع دراستي لا يتسع لتناوله إلا بالقدر الذي أشرت إليه ، وكما أسلفت فإن الذين أرخوا لابن المستوفي أثنوا على شاعريته ، ومن هؤلاء ابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) فقد قال عنه بأن له " يد طولى في النظم والنثر " . كما أن أكثر هؤلاء المؤرخين حرصوا على إيراد شيء من شعره ، من ذلك أن مصنف " الحوادث الجامعة " (ص ١٣٥) قال عنه بأن له " شعر حسن منه قوله في جواب كتاب " نكتطف منه هذين البيتين :

وإني كتابك يامولاي مشتملاً علي رياض معان نشرها أرج
فكان أحسن من سحر تكلبه أجفان ظلمي مراض حشوها غنج
كما أن السخاوي روى له قصيدة في كتابه " ارتياح الأكباد " (مخ چيستر بيتي بديلن رقم ٢٤٦٣ ، ورقة ٢٢٣ - ٢٢٤) ، منها .

أحبابنا ولعت أيدي الشباب بنا وماعدتنا على كره عوادينا
تقطعت بيننا أسباب الفتنا وأقسم القرب حقاً لا يو اتينا
والظاهر أن بعض أبيات ابن المستوفي قد نالت شهرة واسعة ، كبيتتي " الرقمتين " المشهورين ، وهما :

رأت قمر الزمان فأذكرتنى بعالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرأ ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني
وقد تصدى أحد الادباء لشرح البيتين في كتيب خاص - كما سنرى عند الكلام على

مؤلفات ابن المستوفى إن شاء الله . هذا وأرجو أن أوفق في يوم من الايام أو يوفق غيري الى جمع شعر ابن المستوفى ، وتحقيقه ، مادام ديوانه لا يزال في عداد المفقودات ، وهو الديوان الذي ذكره ابن خلكان وحاجي خليفة . هذا وقد عده ابن الشعار من شعراء زمانه ، فترجم له ترجمة ضافية في كتابه " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " أي شعراء القرن السابع للهجرة .

٥- ابن المستوفى المؤرخ :

ان الذي يهمننا في هذا الكتاب هو ابن المستوفى " المؤرخ " ، وبالنظر لأهمية هذا الموضوع فسنتناوله بشيء من التفصيل في القسم الثالث من دراستنا هذه ، إن شاء الله ، وذلك عند الكلام على " تاريخ إربل " . وهنا ينبغي أن نذكر بأن ابن المستوفى قد صنف كتابا آخر في التاريخ ، هو " تاريخ معرفة الدول " ، الذى لم يصل إلينا منه شيء ، على قدر علمي .

٦- مجلس ابن المستوفى :

مما تقدم يمكننا القول بأن ابن المستوفى كان مثالا للرجل المثقف في عصره ، إذ أخذ من كل العلوم المعروفة في زمانه بطرف . فكان فضلا عن استظهاره القرآن الكريم ، واتقانه الحديث وفنونه ، واحاطته بعلوم اللغة ،

ولاسيما المعاني والبيان ، وبروزه في النظم والنثر ، كان حاقظا للشعار النادرة والامثال السائرة ، وعالما بأيام العرب ووقائعهم ، ضابطا لعلوم المساحة والحساب والاشغال الديوانية ، " مما فاق به كل بليغ في بيانه ، وعالم في فنه واتقانه " - على حد قول ابن الشعار - . وكان الى جانب ذلك محبا لاهل العلم ، يكثر من مجالستهم ، ويتواضع لهم ، ويكرم وقادتهم ، كريم النفس ظاهر البشر والكياسة ، واسع المروءة ، يشوب جده في الخلوات بهزل ألد من الغناء ، وأسرع في العرق من جرى الصهباء - على ما ذكر ابن الشعار - وقد حبيبته ذلك ، ولاشك ، الى قلوب الناس فأقبلوا عليه ، لاسيما وانه دأب على زيارة الفضلاء ممن يردون إربل ، وكان يحمل اليهم ما يليق بحالهم ، ويقرّب قلوبهم بكل طريق ، وخصوصا أرياب الأدب ، فقد كانت لديه سوقهم نافقة (ابن خلكان ٣ / ٢٩٧) .

ويبدو ان داره كانت مفتوحة للقاصدين ، فقد ذكر ابن الشعار ، انه لما قصد إربل في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م ، عمد اليها ، فقال : " فقصدت منزله المعمور لاشاهده ، فابتهجت برويته وأنست بمجاورته ، فألفيته ظاهراً البشراً والكياسة ، صادق الظن والفراصة " ، مما شجعه على الإقامة بإربل ، حيث قضى ستة أعوام في صحبته " في أرغد عيش وأهناء ، وأطيب زمان وأسناه .. " وقال أيضاً : " فوا أسفني على ذلك الزمان النضر ، الذي كان بقرية فرصة العمر ، والعيش الأنيق ، والوقت الرفيق .. " وقد وصفه في موضع آخر يقول : " ربه مقصد الوافدين ، وجنابه كعبة القاصدين " . أما ابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) فقد قال عن بيته انه " كان مجمع الفضلاء " . وبالفعل فإن اليونيني (ذيل ١ / ١١١ - ١٢٣) يحدثنا ان المجد النشابي الشاعر - وقد مر ذكره في القسم الاول من هذه الدراسة - ، أهدى الى ابن المستوفي في بعض الليالي تفاحاً مخضباً وسفرجلاً ، على يد غلام جميل الصورة ، فوصل اليه وكان عنده جماعة ، منهم الحسام عيسى ابن سنجر الحاجري - وهو شاعر إربلي أيضاً ، وقد تقدم ذكره في القسم الاول - فعمل كل واحد من الحاضرين في ذلك شعراً ، وعمل الحاجري هذه الابيات :

أهدى لنا المجد تفاحاً وأحمره من خد من حمل التفاح مسترقُ
والسفرجل من أعلاه رائحة يضسوع منها لمهديه ثنى عبقُ
فظلتُ أعجبُ من حالين كيف حوى وصف الغلام ووصف السيد الطبقُ

وشاعر إربلي آخر خلد ذكر مجلس ابن المستوفي ، ذلكم هو طه بن إبراهيم الاربلي ، وكان قد حضر ليلة في جماعة عند ابن المستوفي ، في دكة بستان داره ، فجاء الغيث فقام ابن المستوفي مسرعاً والجماعة معه فدخلوا الدار ، فعمل طه المذكور هذين البيتين بديهة (ذيل اليونيني ٣ / ٢٠٣) :

دخولُ لاقبال الشتاء مبارك عليك ابن موهوب الى آخر الدهرِ
ففرُّ من القطر المسلّم عشيةً فلم تر بحرأُ فرُّ من القطرِ

وعلاوة على ذلك ، فإن ابن المستوفي نفسه أشار الى مجلسه ، والى ماكان يدور فيه ، من ذلك مثلاً :

أ / انه تم في منزله سماع جماعة لـ " صحيح البخاري " كله في عدة مجالس ، على الحسين التكريتي الضرير ، في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ، كذلك سمع هؤلاء في بعض تلك المجالس أخباراً ومقطوعات شعرية من الشيخ التكريتي المذكور (مخطوطتنا ورقة ٩٠ - ب) .

ب / زار إربل القاضي ابن عثمان المصري ، وهو من أهل الادب والحديث ، ومن رجال الدولة البارزين ، فاجتمع ابن عثمان في منزل ابن المستوفي ، بابين دحية ، وهو أيضاً من الشخصيات البارزة في زمانه ، ومن المؤلفين المعروفين . وقد تذاكر الاثنان " وأطلا الحديث " (مخ ورقة ١٤٣ أ) .

ت / وفي سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م ، سمع ابن المستوفي بعض الحديث في منزله ، من عبد الغفور بن بدل التبريزي المحدث (مخ ورقة ١٤٧ أ) . وفي تلك السنة أيضاً سمع في منزله من خالد النابلسي - وهو لغوي من أهل الحديث - حيث روى عنه بعض المقطوعات الشعرية (مخ ورقة ١٦١ ب) وسمع في سنة ٦٠٩ هـ " ديوان أبي تمام " بكامله عن محمد بن عيسى الجصاص في منزله بإربل ، وفقاً لما ذكره الربدابي (الحركة النقدية ، ص ٥٣٩) نقلاً عن " النظام " .

ومن هذه الاشارات العابرة ، يمكننا الاستدلال على نوعية مجلس ابن المستوفي ، الذي كان - ولاشك - ندوة حية تجرى فيها المناقشات ، ويتم خلالها السماع وتبادل الآراء والافكار ، ولعل هذه الندوة كانت تقليداً في بيت آل المستوفي ، وان المبارك قد ورثها عن آبائه وأجداده ، ويغلب على ظني ان الندوة كانت موجودة ، وانها كانت المؤثر الاول في مجرى حياته ، إذ كان يستمع - وهو صغير - الى ماكان يدور فيها ، مما أثار في نفسه الرغبة في التعلم ، والسعي لبلوغ المنزلة الرفيعة التي كانت لبعض روادها .

٧- مصنفات ابن المستوفي :

لم يكن ابن المستوفي مجرد قارئ للكتب ، أو دارس للعلوم ، أو مطلع على الفنون ، يستمتع بها ويزين مجلسه بالحديث عنها ، وإنما كان علامة بحثة ، يكرس غالب وقته للدرس والتحصيل ، وجمع المعلومات من أي مصدر تصل إليه يداه ، فيحيلها الى كتب رائعة نافعة ، تتناول مختلف الحقول . والظاهر انه لم يتقاعد عن عمله هذا ، حتى آخر لحظة من حياته ، فلقد ذكر ابن الشعار انه عندما رفض تولي وزارة إربيل عقب وفاة كوكبوري في سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م استمر في منزله " ملازماً مطالعة الكتب والنسخ والتأليف ، الى أن هجم التتار على إربيل " ، مما اضطره على الهجرة الى الموصل ، حيث قضى ثلاث سنوات قبل وفاته فيها في سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م ، الا انه ليس من المعروف عما إذا كان قد واصل التأليف خلال وجوده بالموصل ، إذ انه نقل معه امتعته اليها ، وقد بعث اليه حاكم الموصل بالجمال والبغال لنقلها ، وفقاً لما ذكره ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢٠ أ) ، وكان ضمن تلك الامتعة ، ولاشك ، عدد كبير من الكتب التي بينها الكثير من الكتب النفيسة (إذ ذكر ابن خلكان ٣ / ٢٩٧ - ٢٩٨ بأن ابن المستوفي كان يقتني الكثير من الكتب النفيسة) . وعلى أي حال ، فإن ابن المستوفي قد صنف كثيراً من الكتب ، وقد ذكرها من ترجم له ، ولا سيما ابن الشعار ، فانه ذكر له ستة عشر كتاباً باسمائها (أشار ياقوت في بلدانه ١ / ١٨٧ الى انه ألف كتباً ، دون أن يسمى منها شيئاً) ، وختم قائمة مصنفاته بقوله : " الى غير ذلك من المؤلفات والرسائل والاشعار " ، الأمر الذي يدل على ان ابن المستوفي قد صنف غيرها أيضاً ، وبالفعل ذكر له مؤلفون آخرون كتباً لم يسمها ابن الشعار ، وسأبدأ بذكر الكتب الستة عشر آنفة الذكر ، ثم اتبعها بغيرها من الكتب التي تمكنت من الاهتداء اليها ، وهي :

١ / تاريخ إربيل (نباهة البلد الخامل يومئذ ورد عليه من الأمثال) ، وهو يتضمن أسماء من وقع الى المؤلف ، ممن ورد إربل وولاياتها ، من الملوك والأمراء والزهاد والعلماء والشعراء والكتاب ، وهذا الكتاب هو موضوع القسم الثالث من دراستنا .

ب / كتاب الأمثال والأضداد ، في سرقات الشعراء ، ويتضمن صدره ضروب السرقات المحمودة والمذمومة ، وأسمائها ، وهو محبوب أبوابا في فنون الشعر .

ت / كتاب في صناعة البديع .

ث / كتاب نبّه فيه على مواضع من كتاب " الأنيس والجليس " وهو ما أغفله المعافي بن زكريا الجريري النهر واني فيه .

ج / كتاب " حاجة الكاتب والشاعر " ، فيه ضرورة الشعر وشيء من علم العروض والقوافي .

ح / كتاب " الممتع والمؤنس " ، ذكر فيه من صدر دولة بني العباس ، من مشهورى الشعراء الى زمانه ، ابتداءً منهم بيشار بن برد الى استاذه أبي عبيد الله البحراني .

خ / كتاب " إثبات المحصل من نسبة أبيات المفصل " ، ذكر فيه قائل الأبيات المستشهد بها ، وبيان معانيها وتفسير غريبها . ثم تكلم على نحوها ، وشرح قصصها وأمثالها ، ونبه على أسماء قائلها وأنسابهم ، وأورد فيه جملا من كلام النحويين ، فجاء الكتاب كأجود شيء صنّفه - على حد تعبير ابن الشعار - وقد ذكر هذا الكتاب كل من ابن خلكان والسيوطي وابن العماد وحاجي خليفة وإسماعيل البغدادي بغية الوعاة ٢ / ٢٧٢ وشذرات ٥ / ١٨٦ وكشف الظنون ٦ / ٤٠ ط أوروبا وهدية العارفين ٢ / ٣) ، علاوة على ذكره من قبل ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢١ ب) توجد من نسخة مخطوطة في مكتبة آق حصار بتركيا . د / كتاب " سر الصنعة " ، وهو مجلد لطيف ، صنّفه للوزير ولي الدين أبي التّناء محمود بن محمد بن فارس الحراني ، وزير الملك المعظم مظفر الدين باريل ، وضمنه ذكر من أسدى صنعة أو فعل مكرمة من الأجواد والأسخياء وذكر هذا الكتاب - علاوة على ابن الشعار - كل من ابن العماد وحاجي خليفة وإسماعيل البغدادي (المراجع السابقة على التوالي ٥ / ١٨٦ و ٣ / ٥٩٥) .

ذ / كتاب " موجبات الصبوة وعزائم السلوة " وهو يتضمن نبذاً من أمور

العشق وأسبابه ، وأشعاراً في الصبابة وما يجري مجراها . وهو مرتب على ترتيب كتاب " الزهرة " لأبي بكر محمد بن داود بن خلف الاصبهاني .

ر / كتاب " تاريخ معرفة الدول " .

ز / كتاب " شرح شعرا أبي الطيب المتنبي " .

س / كتاب " شرح أبي تمام الطائي " .

ان أغلب من ترجم لابن المستوفي عد هذين الكتابين كتاباً واحداً وسموه

" شرح المشكل من ديواني أبي تمام والمتنبي " ، وسماه بعضهم

" النظام " ، وقد ذكر ابن خلكان مثلاً ان المؤلف صنف " شرح ديوان المتنبي وأبي تمام "

في عشر مجلدات ، وقال مثل ذلك السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) انظر " شذرات ابن

العماد " (٥ / ١٨٦) وكشف الظنون (ص ٧٧١ و ٨١١) حيث ورد ذكره مرتين ، و

" هدية البغدادي " (٢ / ٢) وفهرس مخطوطات دار الكتب المصرية (٢ / ٦٩) . هذا

وستحدث عن هذا الكتاب مرة أخرى في ختام هذه الفقرة ، إن شاء الله .

ش / " كتاب الخيل " وهو ما استدركه ابن المستوفي على كتاب أبي محمد

الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسود .

ص / كتاب " جامع الأوراق " ، وهو يتضمن أشعاراً وحكايات وأخباراً وأمثالاً

وفوائد .

ض / كتاب " قناعة الناظر وكفاية المحاضر " ، فيه نبذ من مליح الأشعار

ومختارها ، وهو مرتب أبواباً .

ط / كتاب " مشارق الأنوار في مطالع العذار " (هذا آخر الكتب التي

ذكرها ابن الشعار) .

ظ / كتاب " أبو قماش " ، ذكره ابن خلكان ، وقال انه جمع فيه أدبا كثيراً ونوادير

وغيرها ، أقول وليس واضحاً عما إذا كان هذا الكتاب هو نفسه كتاب " جامع الأوراق " .

الذي أسلفنا ذكره . (انظر أيضاً شذرات ٥ / ١٨٦ وكشف الظنون ١ / ١٤٧ ط أوربا

وهدية البغدادي ٢ / ٣) .

ع / ديوان ابن المستوفي ، ذكره كل من ابن خلكان وابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) وحاجي خليفة (٣ / ٢٤٩ ط اوريا) وهدية البغدادي (٢ / ٣) .

غ / وأضاف بروكلمان (ملحق ١ / ١٣٦) على ذلك قوله ان لابن المستوفي " ثالث القمرين في شرح بيتي الرقمتين " ، المطبوع بمصر في سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م . ولدى مراجعة الكتاب المذكور ، اتضح لي بأن مؤلفه هو عبد الرحيم السيوطي الجرجاوي ، وان البيتين اللذين شرهما لابن المستوفي ، وليس كما اشتهر بين الناس على انهما للقاضي عياض (انظر ص ٢ - ٥ من الشرح المذكور) . أما البيتان فقد تقدم ذكرهما (ص ٢٨٧ من هذا الكتاب) . وعليه فان بروكلمان قد وقع في الوهم . (١)

والجدير بالذكر ان حاجي خليفة (كشف ص ٦٣٥) ذكر " حديق المقتنين في شرح بيتي الرقمتين " لاحمد بن محمد بن علي البجائي المتوفى في سنة ٨٤١ هـ ، بينما ذكر بروكلمان (ملحق ٢ / ٧٠٢) كتاب " حديقة المقتنين في شرح بيتي الرقمتين " لاحمد بن محمد بن علي زغلان المتوفى في سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦٢٤ م ، وان مخطوطته موجودة في باريس برقم ٣٢٤٢ (انظر أيضا " معجم كحالة ٢ / ١٠٢) وهناك لعبد الغني بن اسماعيل النابلسي الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ " رسالة في معنى بيتي رأيت السماء وذكرتنني " ولكنني لم أطلع عليها (المنحة الوهبية في رد الوهابية " طبعة استانبول ١٩٧٣ - الصفحات غير مرقمة) .

ويبدو ان بروكلمان توهم ايضا (ملحق ١ / ١٣٦) عندما ذكر بأن كتاب " النظام في شرح ديوان المتنبي وأبي تمام " ، قد نشره محمد عبده عزام بالقاهرة في سنة ١٩٣٥ م . ولقد حاولتُ الاهتداء الى هذا الكتاب بطبعته المزعومة فلم أوفق ، مما اضطرني الى الاتصال بالاستاذ عزام ، فكتبتُ اليه مستفسراً عن حقيقة الامر ، وقد أجابني مشكوراً بتاريخ ٥ / ١٢ / ١٩٧٢ م ، وقال بأنه لم ينشر الكتاب المذكور ، الا انه نقل كثيراً أثناء تحقيقه لكتاب " شرح التبريزي لديوان أبي تمام " ، الذي طبع بين سنة

(١) وهناك ضمن مخطوطات مكتبة (بني جامع) باستانبول ، مخطوطة برقم ١١٨٠ بعنوان " رسالة بيتي الرقمتين " تأليف سري الدين محمد بن إبراهيم الوردی المتوفى سنة ١٠٦٦ هـ (انظر طه محسن : مجموعات مخطوطات في مكتبات استانبول ، الكويت ص ٣٩) .

١٩٥١ و ١٩٦٥ م ، وان بروكلمان كان واهما حينما ظن بأنه قد نشره . والموجود من " النظام " جزآن مصوران في مكتبة جامعة القاهرة .

وقد ورد في " فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية " (٢ / ٦٩) ذكر نسخة مصورة من الجزء الاول من " النظام " في مجلدين ، وهما برقم ١٠٥٤٠ و ١٠٥٩٢ ز . ولدى زيارتي لاستانبول في صيف ١٩٧٠ م وجدت نسخة خطية من الجزء الثاني منه ، وهي من أوقاف السلطان أحمد خان بن الغازي السلطان محمد خان ، من سلاطين بني عثمان ، والنسخة محفوظة في المكتبة السليمانية ، وهي بحالة جيدة . وعدد أوراقها ٢٧٣ ورقة من قياس ٣٥ × ٢٥ سم ، مكتوبة بخط نسخي جميل مشكول . وقد تم الفراغ من نسخها في ١١ شعبان من سنة ٦٧٨ هـ / كانون الثاني ١٢٨٠ م ، نقلا عن نسخة الأصل - وهي بخط المؤلف - أما الناسخ فهو محمد بن إسماعيل بن حسن بن أبي الحسين بن علي الهرقلي ، وفي ختام النسخة تعليقات لبعض من تملكها أو قرأها ، ويبدو ان لها جزءا ثالثا ، إذ ذكر ذلك الناسخ في آخر هذا الجزء ، وهذا طبيعي لأن الأصل كان بعشر مجلدات ، وفقا لما ذكر المؤرخون (انظر ص ٢٩٣ الفقرتين ز ، س من هذا البحث) . والاسلوب الذي اتبعه المؤلف فيه ، هو أن يورد بيتا أو أكثر من شعر كل من المتنبي وأبي تمام ، ثم يتناولها بالشرح والتعليق (المخطوطة من كتب " بني جامع " وهي برقم ١٠١٥ ، ويصدد وصف الكتاب وأهميته يمكن مراجعة ماكتبه الاستاذ عزام في مقدمته ١ / ٣٩ - ٤٣ لشرح التبريزي المذكور في المتن) وهكذا ، والغريب ان حاجي خليفة ذكر بأن ابن المستوفي قد شرح ديوان المتنبي بعشر مجلدات وسماه " النظام " ، ثم عاد وذكر بأنه شرح ديوان أبي تمام في عشر مجلدات أيضا (كشف ٢ / ٧٧١ و ٨١١) ولم يسمه ، مما قد يحمل على الاعتقاد بوجود كتابين مختلفين ، في حين انهما كتاب واحد ، كما رأينا آنفا .

هذا وفي دار الكتب المصرية مخطوطة (انظر فهرس مخطوطات الدار - رقم ٥٤٦ أدب) لديوان شعر القطامي وهي بخط ابن المستوفي ، وقد فرغ من كتابتها في ١٦ ربيع الأول من سنة ٥٨٢ هـ / اب ١١٨٦ م ، وهي مكتوبة بخط جميل مشكول دقيق

الضبط . وقد تم طبع الديوان في بيروت في سنة ١٩٦٠ م ، بتحقيق الاستاذين إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب ، وقد ذكرا انهما اعتمدا نسخة من الديوان منقولة عن نسخة ابن المستوفي (انظر المقدمة ص ١٧) . والجدير بالذكر ، انه غير معروف عما إذا كان ابن المستوفي هو الذي جمع الديوان المذكور ، أم انه كان مجرد ناسخ له . هذا وقد ذكر البريدآوي (الحركة النقدية ص ٥٤٣) ان ابن المستوفي نقل كتابا آخرًا بخطه هـ . " معاني شعر أبي تمام " للأمدي ، لان المؤلف لم يكن يكتفي بالاطلاع على المؤلفات الأخرى وقراءتها ، وإنما يعمد الى نسخ بعضها لنفسه ، كهذا الكتاب الذي نسخه في سنة ٥٨٩ هـ .

ف / وهناك كتاب آخر هو " كتاب أحكام النحو " نسبه البغدادي الى ابن المستوفي (هدية العارفين ٢ / ٣) . ويبدو - على كل حال - بأن أهم مصنفات ابن المستوفي هو كتابه " تاريخ إربل " الذي انفرد به ، في حين أن بقية المواضيع التي عالجها قد شاركه في معالجتها غيره من المصنفين . هذا وقد خصصنا القسم الثالث من هذه الدراسة للكتاب المذكور .

٨ - تلاميذ ابن المستوفي :

يبدو ان ابن المستوفي ، مع علمه الواسع وتضلعه في مختلف الفنون ، ومع رحابة صدره وانفتاح مجلسه للشارد والوارد ، وكلفه بالعلم والادب ، أقول مع هذا كله فانه - على الأرجح - لم يتسع له الوقت فيتخذ تلامذة وطلاباً يتعهدهم بالتدريس والتعليم . وذلك في ظني ، لسبب بسيط جداً ، هو انه كان كثير المشاغل بكبير المسؤولية . فكما سبق وبيننا انه كتب الانشاء لكوكجوري مدة أربعين سنة ، وتولى العديد من الوظائف ، كالاستيفاء ، وفيه مسؤولية كبيرة ، ثم الوزارة التي تشمل إدارة الدولة كلها . وإذا أضفنا الى ذلك إقباله على أهل العلم وتفقده إياهم ، وأخذه عنهم ، وعمله الدائب في جمع المواد لمصنفاته الكثيرة ، التي - على ما يظهر - انه بدأها وهو في الثامنة عشرة من عمره يوم كتب " ديوان القطامي " بخط يده . نقول إذا أخذنا هذه الأمور بنظر الاعتبار ، أدركنا مدى ضيق وقته وحقيقة استغراقه في العمل الجاد في الليل والنهار .

ولذا فلا غرابة ان لا يكون له طلاب يواظبون على الاختلاف اليه ، ولكن ابن الفوطي ذكر وجود تلامذة له منهم كمال الدين محمد بن عثمان بن أبي غالب الجزري الأديب وكان كاتباً سديداً ، وقال انه من تلامذة شرف الدين أبي البركات " (مجلة المجمع العراقي ٩ / ١٥٦) .

الا ان ذلك لا يعني مطلقاً بأن ابن المستوفي لم يكن من أهل العطاء ، فلقد سبق والقينا نظرة على مصنفاته الكثيرة ، وهي بحد ذاتها عطاء سخي ، ورأينا كيف كان مجلسه ندوة لأهل العلم والفضل ، ولا بد انه كان يفيض خلال تلك الندوة على جاسائه وزواره بما أتاحه الله من علم وأدب ، ويشنف أسماعهم بأناشيد من شعره . ولا شك ان خير من يصف ذلك هو ابن الشعار ، الذي يقول عن ابن المستوفي : " ثم شاهدتُ من افضاله وفضله ، وسعة صدره وغزاره عقله ، وإحسانه الى الانام ، ماحبب اليّ السكني بها (أي ياريل) والمقام . فعند ذلك استوطنتُ كنفه الرحب ، ووردتُ منهل يره العذب . فصحبته ستة أعوام في أرغد عيش وأهناه ، وأطيب زمان وأسناه ، وأوفي سرور وأكملة ، وأتم نعيم وأجملة . وكم أخذنا في الاناشيد وتجاذبنا طرقها ، وتذاكرنا فنون الملح ويدائع أصنافها " . هكذا كانت مجالس ابن المستوفي ، إنشاداً للشعر وتجاذبا لاطراف الحديث ، وتذاكراً لفنون الملح وأصنافها . ولا بد ان الحاضرين كانوا ينتفعون بما كان يجري فيها مثلما انتفع ابن الشعار الذي قضى ست سنوات من عمره في ملازمة ابن المستوفي ، وقد سماها " فرصة العمر " (ابن الشعار - مخ استانبول ٦ ورقة ٢١ أ و ٢٢ أ) . ولا بد ان ابن الشعار قد قابل الكثيرين من الأدباء في مجلس أستاذه ابن المستوفي ، مما ساعده ولا شك على تصنيف موسوعته " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " .

ونذكر ابن خلكان (٢ / ٢٩٤ - ٢٩٨) بأن ابن المستوفي ، عندما تقاعد عن العمل اثر وفاة كوكبوري ، ولزم بيته ، كان الناس يلزمون خدمته الى ان ترك إربل ، وقد استغرق ذلك أربع سنوات . والذي أرجحه ، هو ان هذه الفترة أتاحت الفرصة لابن المستوفي ليكون أكثر اتصالاً بأهل العلم وطلبته ، ولعله تمكن من التفرغ ، أكثر من

السابق ، لعقد مجلسه حيث تتم المناقشة وتبادل الأفكار ، الأمر الذي أدى بدوره - على ما أظن - الى ازدياد إقبال الزوار عليه ، وأغلب الظن أن كان بين هؤلاء عدد من الشبان المتطلعين للعلم والمتعطشين للنهل من منابعه .

ولكننا على كل حال ، لنعرف كثيراً عن أسماء رواد مجلس ابن المستوفي ومن كان يلزمه . ولقد تقدم ذكر حضور الشعاعين طه بن إبراهيم الاربلي والحسام عيسى الحاجري ذلك المجلس ، ونظمهما الشعر فيما كان يعرض لهما من أغراض ، الا اننا لانستطيع أن نعددهما من تلاميذ ابن المستوفي ، إذ كانا في عداد الزملاء والأقران . ولكن بوسعنا القول ، بكل اطمئنان ، بأن ابن الشعاع كان واحداً من تلاميذه ، لاسيما وقد اعترف صراحة بأن سكناه بارييل مدة ست سنوات كاملة ، ما كان إلا لغرض ملازمة ابن المستوفي ، وان من يقرأ الترجمة التي كتبها ابن الشعاع لابن المستوفي في كتابه " عقود الجمان " ، وقد اقتبسنا فقرات منها تقدم ، ليشعر بالاحترام والاكبار اللذين يكنهما ابن الشعاع لاستاذه . ولقد ذكر ابن خلكان بوضوح ان ابن الشعاع هذا ، كان في خدمة ابن المستوفي في سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م وانه سيّر علي يده ديناراً الى الشاعر عبد الرحمن البوازيجي ، يوم وصل الشاعر الى إربل ، إذ كان في خدمته (ابن خلكان ٢ / ٢٩٦) . ثم ان ابن الشعاع اعتمد كثيراً على " تاريخ إربل " في مؤلفه الذي ذكر (التعريف بالمؤرخين للعزاوي ص ٦٠) ، وقد روى فيه عن ابن المستوفي مباشرة في مواضع كثيرة . و" عقود الجمان " في ظني ، من أمهات الكتب التي أرخت للشعراء الذين عاشوا في القرن السادس والذين أدركوا القرن السابع الهجري (مخ استانبول ١ ورقة ٢ و ٤) ، بل انه موسوعة تتألف من عشرة اجزاء ، مجموع صفحاتها تقرب من ٥٠٠٠ صفحة (ان الموجود منه هو ثمانية اجزاء مخطوطة فقط ، وقد رأيتها في المكتبة السلিমانيّة باستانبول ، ونقلتها عنها) . واني أميل الى القول بأن ابن المستوفي قد اطلع على هذا الكتاب بعد هجرته الى الموصل ، حيث قضى ثلاث سنوات قبل أن يتوفى بها ، ولعله أبدى بعض الملاحظات والاقتراحات والتوجيهات ، مما ساعد تلميذه ابن الشعاع على إخراج هذا السفر العظيم . (١)

(١) انظر بحثنا عن ابن الشعاع وكتابه في " مجلة كلية الآداب " بجامعة الملك سعود لسنة ١٩٧٩ م العدد السادس ص ٢١٧ - ٣١٢ .

وشخص آخر يمكننا ان نعهده من تلاميذ ابن المستوفي أيضا ، هو ابن خلكان الذي ، فضلا عن الاعجاب الذي كان يكتنه لابن المستوفي ، فانه قد ذكر صراحة سماعه منه ، إذ قال : " وسمعتُ منه كثيراً ، وسمعتُ بقراءته على المشايخ الواردين على إربل شيئا كثيراً ، فانه كان يعتمد القراءة بنفسه " (وفيات ٢ / ٢٩٤) . والحق ان ابن خلكان عاش بربل منذ ولادته حتى سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، يوم كان ابن المستوفي في أوج حياته ، قبيل توليه الوزارة ، ولعله لقيه في مناسبات كثيرة ، وانتفع به بأشياء أكثر من مجرد السماع .

لقد كان ابن المستوفي - كما أسلفنا - من أئمة الحديث العارفين بعلومه وأسماء رجاله ، وجميع مايتعلق به . ولا شك ان شهرته هذه ، قد بلغت بعض المحدثين من أهل عصره بولاسيما الذين وردوا إربل ، وأتيحت لهم فرصة التعرف عليه . وقد جرت عادة العصر أن يستيجز أهل الحديث من يلقونه من الشيوخ ، أو يكتبوا إليهم في طلب الاجازة ولم يشذ ابن المستوفي عن هذه العادة ، فاستجاز عدداً من الشيوخ ، كما انه هو بدوره قد أجاز لغيره . الا انني مع الاسف الشديد ، لم أقف على أسماء من أجازهم ابن المستوفي ، اللهم الا ما ذكر بشار معروف (المنري ص ١١ ، ١١٤) من ان الحافظ عبد العظيم المنري ، المحدث المصري المعروف ومؤلف " التكملة في وفيات النقلة " ، قد أخذ الاجازات من مختلف البلدان ، ومنها إربل إذ كتب له الاجازة ابن المستوفي (توهم السيد بشار فسماه " أبا الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب " ، وهذا هو اسم والده . وذكر بأن المنري قد ترجم له في " التكملة " برقم ٢٩٠٨ ، لكنني لم أتمكن من الاطلاع على تلك الترجمة) . وهذا بلاريب ، مدعاة فخر لابن المستوفي ، أن يستجيزه محدث كبير كالمنري ، فيكتب له من القاهرة طالبا إجازته . وهذا في الوقت نفسه ، دليل على سعة الشهرة التي نالها ابن المستوفي .

كذلك ذكر السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) بأن ابن المستوفي قد أجاز لابي نصر الشيرازي ، ولم يسمه . وأبو نصر هذا هو محمد بن هبة الله المعروف بابن مَمِيل ، المولود في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م ، والمتوفى في سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٢٧ م ، وهو من

أهل الحديث ، وقد روى عنه أكابر المحدثين كالمنذري والبرزالي . وولي قضاء القدس والشام ، كما ولي التدريس بالشام أيضا (طبقات السبكي ٨ / ١٠٦ والوافي ٥ / ١٥٧) . وكون ابن المستوفي أجاز لأبي نصر الشيرازي - وهو أكبر منه سنا ، إذ ولد المستوفي في سنة ٥٦٤ هـ ، فخر عظيم واعتراف بعلو مكانة ابن المستوفي في الحديث . والجدير بالذكر ان الفاسي مؤرخ مكة المعروف قد سمع " تاريخ إربل " عن أبي هريرة ابن الحافظ الذهبي (وهو المؤرخ المشهور) عن أبي نصر الشيرازي (هذا الذي نحن بصدده) عن مؤلفه ابن المستوفي (العقد الثمين ج ١ ص ٢٢) .

٩- الشعر الذي قيل في ابن المستوفي :

كان ابن المستوفي ، كأي شخصية بارزة تولت مراكز رسمية عالية ، وتصدرت في ميادين المعرفة ، أقول كان عرضة للمدح والقدح . وكانت الوسيلة المعروفة في عصره ، للتعبير عن ذلك هي الشعر ، إذ كان يقوم ببعض الدور الذي تقوم به الصحافة في أيامنا هذه . ولقد كان نصيبه منه غير قليل . ولذلك لا بد لمن يترجم له أن يتناول الشعر الذي قيل فيه ، فإنه جزء متمم لترجمته ، لا يمكن الاستغناء عنه . ولقد حاولت استقصاء هذا الشعر ، فعثرت على كمية غير قليلة أكثرها في مدحه ، ولم أجد في ذمه غير بيت واحد ، هو أقرب للمفاكهة منه الى الذم والهجاء ، وقد نظمته صديقه المجد النشابي ، سالف الذكر (ذيل اليونيني ١ / ١١٢) ، وهو

ان المبارك فيه توقف ولجاجة صديقه أنت مالم تعرض اليه بحاجه
أما الباقي فكله مدح وثناء . وقد حوى " تاريخ إربل " عدداً من المقطوعات في مدحه ، والغريب ان ابن المستوفي لم ينبه القارئ الى ذلك ، تواضعا منه وكرم أخلاق . فمن ذلك ما كتبه اليه علي بن ملاعب الموصللي (مخ ورقة ٦٨ ب) .

مولاي اني ومن قام الدليل به بين البرية من عجم ومن عرب
لذاكر ناشر نعماك فابق لنا ماغرد الورق في أيك وفي غُرب
وبدلا من أن يذكر لنا المؤلف مناسبة نظم هذين البيتين ، نراه ينتقد الشطر الاخير منهما ، ويكشف خطأ الشاعر ، لأنه ظن بأن الأيك هو نوع من الشجر ، ثم يأتي بالدليل على خطأه من الكتاب العزيز .

ومن ذلك ان المؤلف قد عاد فرقداً الكنانى الاسكندري ، الذي مرض أثناء زيارته
لإربل ، فكتب فرقد اليه هذين البيتين (مخ ورقة ١٠٣) :

أبا الثعلبات قد أمببصتُ فرداً مريخداً مملتداً رهيباً شريفاً
وجاملك أبتفسي نفسي دشح بؤساً سي وإمسلةً بي فكمن أرمسا طليفاً

وهذا أحد الاشراف العباسيين يتناول ابن المستوفي قصيدة في مدحه ، فلا ينبه الى
ذلك ، وإنما يعتذر للقارئ ، لأنه أثبت القصيدة في " تاريخ إربل " ، إذ لم يجد للشريف
المذكور غيرها ، فيثبته (مخ ورقة ١٠٨ ب - ٢٠٩ أ) ، ومنها :

لوذعي ماجد فطنٌ مالمقس قطٌ حكمته
فاق معنأ بالسخا كرمأ أخجلت السحب راحتته
ومنها : نجل موهوب سليل حجي ليس غير الحمد بغيته

سار سر العلم فيه كما سار في الأفاق سيرته
وكتب اليه زائر بغدادى (مخ ورقة ١١٧ ب) مقطوعة ، ورد فيها :

فقت الورى برجاجة وملاحة وصباحة تجلو الظلام ورونق
ورنّت جوداً كان أبائك الغر الكرام الاتقياء الحنق
حزت المكارم منهم وورثتها فاسعد بها فلأنت خير موفق

وزار إربل ابن القسطلاني المصري ، فكتب الى ابن المستوفي شعراً (مخ ورقة ١٣٦
ب - ١٣٧ أ) جاء فيه :

أبا الفضلات كنت بأرض مصر سمعتُ بذكرك العطر النسيم
وقد واقيت أخبر ماروى لي الـ ورى عن بر نائك الجسميم
ومن نظم ابن القسطلاني المذكور أيضا :

أتيتك فاستنشدتني متفضلا ومثلي من يخشي ومثلك يرهبُ
فكن قابلا عذر أمرئ متلدد له الهم مرعى والمدامع مشربُ
يحن إلى مصر باربل ضلةً وأين من المشتاق عنقاء مغرب "

وكتب اليه زميله في السماع أحمد القيسي الاسكندري (مخ ورقة ١٥٢ أ) هذين
البيتين :

ياشرف الدين الذي ذكره قد شاع في المشرق والمغرب
ومن إذا ناداه مستصرخ أجابه الصامت كالخشب
وكتب إليه أديب بغدادي قصيدة ، أكثرها في النسب ، ثم ختمها بمدحه (مخ ورقة
١٧٠ ب) ، فقال :

مولاي ، مالي والنسيب ونظم أوص صاف الحبيبي مغزلاً ومشيبا
ويهزني شدو الحداة بذكرهم فكأنني غصن تميل به الصبا
ماذاك إلا أنني لك عاشق وأقول ذاك على الزمان تعربا
أولا فما نجد وماسقط اللوى لولا هواك ، وما العقيق وماقبا ؟
وكتب إليه أديب اسكندري (مخ ورقة ١٧١ أ) يقول :

ياوزيراً به الوزارة تزمي واليه الأمور تنمى وتنبى
وعليه معول الناس طراً ولديه عين النوائب مرها
وقدم إربل صدقة الكتبي من بغداد ، لبيع الكتب فيها ، فكتب الى ابن المستوفي (مخ
ورقة ١٧٧ ب - ١٧٨ أ) يقول :

عبدك جاءك مسترفداً زاداً الي الموصول يكفيه
وكنْتَ أنعمتَ بانجازه والوعد أحصى بك توفيه
وكتب اليه أديب موصلي (مخ ورقة ١٨٨ ب) زار إربل :

جاء الشتاء وعند كل بلفة إلأى عندي صبية أطفال
أمالهم بعري عاك منوطة ياخير من نيطت به الآمال
وأديب موصلي آخر كتب إليه (مخ ورقة ١٩٨ أ - ب) مقطوعة جاء فيها :

قد أمكن الجاه فاصنع ماتقر به عين المعالي فيمسي الشكر معروفا
وأجعل زكاة العلا والمجد محتسبا منه أغاثة من وافاك ملهونا
ومنها : ثم انتهز فرصة الامكان ، ان لها بعد التمكن تزييلا وتحريفا

لازلت للمجد أملا ما أتى ومضى وجه الجديدين مبسوطة ومكفوفة
وانشده شاعر اندلسي (مخ ورقة ٢١٥ أ وابن الشعار ج ٥ ورقة ٢٣٧) أبياتا منها :
سلام لساعات التلاقي من الهوى محلا وأيام الشباب من العمر
أخص بها معنى الكمال وشخصه وسباق غايات الفضائل والفخر
أبا البركات الألعسي الذي غدا له شرف يربي على الشمس والبدر
وقال أيضا : ياماجدا ملأ الزمان فضيلة وسيادة تختال تحت سعود
انسي رجوتك للزمان فثاته زمن الح على بالتنكير
وعدمت صبري فادركني إنني ياكعبة الآمال حلف فقيد
وشاعر اندلسي آخر زار إربل (مخ ورقة ٢١٥ ب) ، وأنشد ابن المستوفي أبياتا
منها : ياماجدا يجلي بغرة وجهه سدف الخطوب على القلوب فتنجلي
ومعوذا قبض اليمين وبسطها استداء عارقة وجلوة مشكل
ومنها . كانت لعبدك في لقائك بشرة يرجو إدامتها مع المستقبل
وعليك بعد الله ، معتمدي بها وذاك يحسو كل خطب معضل
وهذا أديب اصفهاني زار إربل ، ونظم قصيدة طويلة (مخ ورقة ٢١٩ أ - ب) يعرج
فيها علي مدح ابن المستوفي جاء فيها :

فأيهما أندى وأوسع نائلا ندى شرف للدين أم لجة البحر
أبي البركات المرتجى - دام ظله - أخي الكرم ، ابن الجود في العسر واليسر
مبارك وجه يمنه متهلل وموهوب مال في الوري دائم القطر
تملك فاستوفى نصاب كماله وأحسن واستولى على ثوب الدهر
هو الصدر للاسلام والظهر للهدى فبورك من صدر وبورك من ظهر
وكتب إليه فقيه موصل (مخ ورقة ٢٢١ ب - ٢٢٢ أ) عدة مقطوعات منها :
أمك الله للمكارم والسوق دد والحمد والعطاء المكمل
وحماكم كما حمى الله الرسل وأعطاك كل أمر مسهل
وقال أيضا : وحياة رأسك ، وهو مثل المصحف عندي ، ولولا حقه لم أحلف

إني على عزم المسير صبيحة الـ اثنتين بعد غدٍ بغير توقفٍ
وعلاوة على هذه المقطوعات ، فإن ابن الشعار روى عدداً من القصائد في مدح ابن
المستوفي ، ومنها قصيدة (مخ استنبول ٢ ورقة ٢٩٥) لعبد العزيز بن عثمان الأريلي
نظمها بمناسبة عيد الأضحى ، وقد جاء فيها :

أبا البركات العيد وافاك مقبلاً لبعيد ، فكُن ياسعد البر قائلاً
أتاك أناس للتهانسي فصادفوا من اسمك قالاً فيه للخلق شاملاً
قولوا وجاء الدهر في أثر سعيهم يقيم لهم عذراً ويخضع سائلاً
ومدحه عبد القادر بن بهاء الحراني (ابن الشعار - مخ استنبول ٤ ورقة ٢١)
بقصيدة طويلة ، مطلعها :

الدمعُ يظهر ما أحسن وأضمرُ والسُّقم يهتك في الذي ما أسترُ
ومنها : لاتخذلني يا عذول فإن لي المـ ولى أبا البركات أضحى ينصرُ
الماجد الحبر الجواد ومن غدت عنه أحاديث المكارم تُسطرُ
ما زال من جدوى يديه موردُ عذب لمن يرجو نداه ومصدرُ
وكتب اليه محمد بن الحسن بن جامع الأريلي (المصدر السابق ٧ ورقة ١٢٤)
قصيدة مطلعها :

شكرتُ الذي لا قيتُ من ثوب الدهرِ وما نالني بعد الثراء من الفقرِ
ومنها : الى شرف الدين الوزير فانه قديرٌ على إصراف عسرك باليسرِ
أبي البركات الأريحي الذي سما بمعرفه قدراً على الأنجم الزهرِ
هو صاحب المغرى بتفريق ماله على الطارق الملهوف في اليسر والعسرِ
ومدحه ابن رشادة الواسطي (المصدر السابق ٣ ورقة ١٤٨) بقصيدة جاء فيها :

أبا البركات صاحب الندب ذا النهى رضيع الله نجل الكرام الاطايِبِ
نداء محب يعرف الرتبة التي لكم في الورى ، لا كالجهول بواجبِ
أقل عثرتي فالوقت قد مضى عضه وأنشبنى في معضلات المصائبِ
ومن الشعر الموجه الى ابن المستوفي ، ماكتبه علي بن عثمان الأريلي اليه ، وكان قد

كُفَّ بتولي بیمارستان إربل ، وفقا لما ذكر اليونيني (ذیل ٢ / ٤٨٠) ، من قبل شخص
اسمه العلاء :

ياأيها المولى الـوز يرذی الرعاية والعناية
ان العلاء أضلُّـني بالقول عن طرق الهدایه
لألـهي لما رستـانکم وأقوم فیـه بالكفـایه
انـي لـحـتـاج الـیـه متی أجبت الی الـولایـه
كذلك روى اليونيني (ذیل ٣ / ٣٠٣) قصیده مدحه بها طه بن إبراهيم الاربلى ،
الذى كان قد هجا إربل ، كما أسلفنا ، ومنها .

مولای دعوة بئس عن علیة لطفان بالاطلاق نار غیاله
قعد الزمان به فقام بحمله نحو ابن موهوب عزى آماله
أى رب ابق غي المنازل واستجب مني دعائي بالنسبي وآله
أولانـي الافراح أي صنیعة أولی وأردفها يخالص ماله
وشاعر إربلي آخر مدح ابن المستوفي ، هو سليمان بن بليمان الاربلى (المصدر
السابق ٤ / ٢٢٧) ، فقال .

ياشرف الدين الذى لم يزل بمجده المنصوب في رفیع
والكامل الخير الذى لم يزل يصدق فیـه خبر السمع
وقال فیـه أيضا .
وما زالت الركبان تخبر عنکم أحاديث كالمسك الذكي بلا مین
الى أن تلاقینا فكان الذى وعدت من القول أذني دون ما أبصرت عيني
وروى ابن الشعار (مخ استانبول ٥ ورقة ١٣٧) ما كتبه علي بن يوسف البوهرزي
الى ابن المستوفي ، وهو .

وحق فضلك يا مولاي ما انتقصت يوما عهدك في خفض ولا بمالي (كذابا لاصل)
ولا تغيرت عن ذاك الولاء لكم ولا خلا منكم قلبي ولا بمالي
وكيف أنسى أياديك التي سلفت ، إن كان ذاك فلا بلغت آمالي

وكذلك روى ابن الشعار (المصدر السابق ٢ ورقة ٢٩٦) تهنئة شعرية بعيد الأضحى
مقدمة الى ابن المستوفي ، كما روى قصيدة (المصدر السابق ١ ورقة ٢١٤) نظمها
أحمد بن ملاعب بن علي في ابن المستوفي ، وهي

أبا شرف الأساطم قد مسني الغمرُ	فلا جَلَدٌ من بعد هذا ولا هِبرُ
أجرني فقد أضحي الزمان معاندي	وحسبي بلاءً منه أيسره الفقرُ
وماذا احتيالي قد بليت بأريع	بها جسدي مضى وقد نفذ العمرُ
وحيدٌ ومعولٌ وطولُ بطالةٍ	دهانسي تماديبها وقد خانني الدهرُ
وكم لي أسلي النفس عما أصابني	على مضضٍ مني إذا هاج بي الفكرُ
أقول اصبري بالله يانفس وأعلمي	بأن ابن موهوب لنا في الورى نخرُ
أنيس كبير عالم سديد معاً	كريم حليم صائم قائم حَبِرُ
له عزمات في النوال متى دنا	أخو عثرة مغناه حل به اليسرُ
فلوحاتم في الجود باق بعصره	لكان له عبداً لديه ولا فخرُ
ولو أن كسرى عاش فينا بعد له لبان	له من عدله أنه كفرُ
ومنها : فخذها عروساً طفلة فجهازها	مديك والاحسان منك لها شهرُ
وعش وأبق في عيش رغيد ورقعةٍ	مدى الدهر ملاح السما وبدا البدرُ

وقد زار أحد الواسطيين إربل (مخ ورقة ٢٤٠ أ) وكتب الى ابن المستوفي الأبيات
الآتي ذكرها ، غير أن ابن المستوفي اكتشف أنها مسروقة من شعر إبراهيم بن هلال
الصابي ، وهي :

لمأً وضعتُ صحيفتي	في بطن كف رسولها
قبلتها لتمسها	يمسك عند وصولها
وتود عيني أنها	كانت خلال فصولها
لأرى بها من وجهك الميم	ون غابة سصولها

ونقل الينا ابن المستوفي (مخ ورقة ١٤٠ ب - ١٤١ أ) رسالة كتبها اليه أحد
مترجميه واسمه " سبط ابن هدا ب " ، وقد جاء فيها " صَبَحَ الله - تعالى - الخدمة

بمساعدة عالية العماد ، وسيادة راسيه الاوتاد ، ونعمة وارية الزناد ، وثروة دائمة الى
الآباد ، وعدل ناشر في البلاد ، وعمر مستمر الى التناد ، وعافية شاملة للقلوب
والاجساد ، وعاقبة محمود الاصدار والايراد .

صباحا باقبال السعادة مؤذنا وبالجاه والأمر المنفذ مقرنا ... أُلخ "
كذلك تلقى ابن المستوفى (مخ ورقة ١٢٠ ب - ١٢١ ب) رسالة تعزية من الشيخ
حماد البوازيجي ، بمناسبة وفاة أخيه صدرها بمقطوعة شعرية ، جاء فيها :
تعزوني أُم أعزيكمُ بمن كان عضوين لي في الجسدُ
أنته المنية مغتالةً فنقصُ ممن أحب العددُ
أما ابن خلكان (٢٩٦/٣ - ٢٩٧) فقد روى قصة ارسال ابن المستوفى ديناراً
مثلوما الى الشاعر عبد الرحمن البوازيجي ، الذي ظن بأن الرسول قد قرض منه
قطعة ، فكتب اليه هذه الأبيات .

ياأيها المولى الوزير ومن به في الجود حقا تُضرب الأمثالُ
أرسلت بدر التّم عند كماله حُسنا فوافي العبدَ وهو هلالُ
ماغاله النقصان إلا أنه بلغ الكمال ، كذلك الأجالُ
فأعجب ابن المستوفى بهذا المعنى ، وأجاز الشاعر وأحسن اليه .
ولا بد لى في ختام هذه الفقرة من إيراد البيتين اللذين رواهما ابن خلكان ، وهما
للشاعر يوسف بن النفيس المعروف بشيطان الشام ، وقد نظمهما في رثاء ابن
المستوفى :

أبا البركات لو درت المنايا بأنك فرد عصرك لم تصبكا
كفي الاسلام رزءٌ فقد شخصٍ عليه بأعين الثقلين يُبكى
وهناك قصيدة طويلة نظمها الشاعر محمد بن احمد بن سعيد الأزدي ، المعروف بابن
الدينة ، مدح فيها ابن المستوفى (ابن الشعار ج ٧ ورقة ٥٠ أ) ، الا أن المجال لايتسع
لذكرها .

كما ان خير ما اختتم به هذا الفصل عن حياة ابن المستوفى ، هو ماقاله ابن خلكان

في ختام ترجمته له ، إذ قال : " ولولا خوف الاطالة ، لذكرت كثيراً من وقائعه وأخباره وماجرياتة ، وتفصيل أحواله ، ومأمُح به . ولقد كان - رحمه الله تعالى - من محاسن وقته ، ولم يكن في آخر الوقت في ذلك البلد مثله في فضله ورئاسته " . ولكنني أعود فاستدرك ، قبل قوات الأوان ، فأقول بأن ما قدمتُ عن مدح الناس لابن المستوفي وتعداد فضائله ، لايعني بشكل من الاشكال ، انه كان برئياً من الاعداء . في الحقيقة انه تعرض في سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م ، لمحاولة اغتيال ، استهدفت حياته ، وهو خارج من المسجد ليلاً ، الا انه نجا منها ، وقد تمكن الجاني من اصابته بجروح بليغة في ذراعه . ولكن الدوافع وراء تلك المحاولة الاثيمة لم يتعرض لذكرها أحد ممن ترجم له . وقد سجل ابن المستوفي الحادث باييات لطيفة نظمها ، ويعث بها الى كوكبوري في تلك الليلة ، وقد سبق لنا ايرادها في موضع آخر من هذه الدراسة (أنظر ص ٢٨٤ وابن خلكان ٢ / ٢٩٦) .

القسم الثالث ابن المستوفي المؤرخ ، وكتابه : " تاريخ إربل "

في اعتقادي ان دراسة " تاريخ إربل " بحد ذاتها ، ووصف مزايا هذا الكتاب ، يغنيان عن تكريس فصل خاص لابن المستوفي وتثمينه كمؤرخ . لاننا لو فعلنا ذلك ، لكنا قد كررنا القول نفسه في موضعين بدون مبرر ، وفي ذلك ما فيه من إضاعة للوقت وإسراف في الورق . وسنتناول في دراستنا هنا ، أولاً وصف الكتاب وموضعه بين كتب التاريخ ، ثم وصف الاسلوب الذي اتبعه ابن المستوفي فيه ، والمادة التي ضمنها إياه ، وأخيراً أهمية هذا الكتاب ، ولاسيما مكانته كمصدر للمؤرخين الذين نقلوا عنه . كما سنخصص شطراً من هذه الدراسة لبعض الفوائد العامة التي يمكن استخلاصها من قراءة " تاريخ إربل " ، إن شاء الله .

الفصل الأول - تاريخ إربل وصفه وموضعه بين كتب التاريخ

١- تمهيد :

من الحقائق المسلّم بها بأن التاريخ عند العرب المسلمين ، في عمومه كان وليداً لعلم الحديث ، إذ المعروف أن أهل الحديث قد شعروا بالحاجة الى تصنيف كتب الطبقات كي يتعرفوا على رواة الحديث ويلموا بتاريخ ولاداتهم ووفياتهم ، لغرض ضبط سلاسل أسانيد الحديث والتأكد من معاصرة رجال السند بعضهم لبعض ، وتبيان إمكان لقاء المشايخ ، لمعرفة الصادق من المحدثين وتمييزهم عن الكاذبين منهم . وقد شعر هؤلاء المصنفون بضرورة تقسيم تلك الطبقات وفقاً لاماكن سكنى رجالها ، وفي " طبقات ابن سعد " مثال واضح لهذا الاتجاه ، إذ أضاف في طبقاته أقساماً خاصة بالكوفيين والبصريين ، ذكر فيها الصحابة الذين كان لهم بعض العلاقة بهاتين المدينتين (التاريخ - لروننتال الاصل ص ٨٣ ، ترجمة ص ١٢٤) . وكان ذلك بداية لما عُرف بالتقسيم المحلي أو الاقليمي - الذي يزعم روننتال بأنه كان يتعلق بالمفاخرات المحلية والاقليمية . كما

القسم الثالث ابن المستوفي المؤرخ ، وكتابه : " تاريخ إربل "

في اعتقادي ان دراسة " تاريخ إربل " بحد ذاتها ، ووصف مزايا هذا الكتاب ، يغنيان عن تكريس فصل خاص لابن المستوفي وتثمينه كمؤرخ . لاننا لو فعلنا ذلك ، لكنا قد كررنا القول نفسه في موضعين يدون مبرر ، وفي ذلك ما فيه من إضاعة للوقت وإسراف في الورق . وسنتناول في دراستنا هنا ، أولاً وصف الكتاب وموضعه بين كتب التاريخ ، ثم وصف الاسلوب الذي اتبعه ابن المستوفي فيه ، والمادة التي ضمنها إياه ، وأخيراً أهمية هذا الكتاب ، ولاسيما مكانته كمصدر للمؤرخين الذين نقلوا عنه . كما سنخصص شطراً من هذه الدراسة لبعض الفوائد العامة التي يمكن استخلاصها من قراءة " تاريخ إربل " ، إن شاء الله .

الفصل الأول - تاريخ إربل وصفه وموضعه بين كتب التاريخ

١- تمهيد :

من الحقائق المسلّم بها بأن التاريخ عند العرب المسلمين ، في عمومه كان وليداً لعلم الحديث ، إذ المعروف أن أهل الحديث قد شعروا بالحاجة الى تصنيف كتب الطبقات كي يتعرفوا على رواة الحديث ويلموا بتاريخ ولاداتهم ووفياتهم ، لغرض ضبط سلاسل أسانيد الحديث والتأكد من معاصرة رجال السند بعضهم لبعض ، وتبيان إمكان لقاء المشايخ ، لمعرفة الصادق من المحدثين وتمييزهم عن الكاذبين منهم . وقد شعر هؤلاء المصنفون بضرورة تقسيم تلك الطبقات وفقاً لاماكن سكنى رجالها ، وفي " طبقات ابن سعد " مثال واضح لهذا الاتجاه ، إذ أضاف في طبقاته أقساماً خاصة بالكوفيين والبصريين ، ذكر فيها الصحابة الذين كان لهم بعض العلاقة بهاتين المدينتين (التاريخ - لروزنتال الاصل ص ٨٢ ، ترجمة ص ١٣٤) . وكان ذلك بداية لما عُرف بالتقسيم المحلي أو الاقليمي - الذي يزعم روزنتال بأنه كان يتعلق بالمفاخرات المحلية والاقليمية . كما

يظن بأنه كان مساعداً في تبرير الأعراف السائدة في محل ما ، وضرب مثلاً لتلك الأعراف بكتب طبقات فقهاء مختلف المذاهب (المصدر السابق - اصل ص ٨٤ ، وترجمة ص ١٣٤) .

وذهب روزنتال الى أبعد من ذلك ، فزعم بأن التاريخ المحلي هو " وليد الشعور بالقومية ، وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ باقليمه واحترازه بوطنه ثم قال - " ومع أن كثيراً من التواريخ المحلية في الاسلام نشأت من الاعتبار الدينية والفقهية ، غير أن المفاخر الاقليمية كانت وراء مباحث العلماء " (المصدر السابق - اصل ص ١٣٠ وترجمة ص ٢٠٦) . أقول وهذا أمر يصعب قبوله ، لاسيما وهناك عدد من المؤرخين كتبوا تواريخ مدن هي ليست مدنها ، ولاصلة لها باقليمهم . فلنأخذ مثلاً ابن النجار - وهو بغدادي - قد صنف " كتاب الدرة الثمينة في تاريخ المدينة " (كشف الظنون ص ٧٣٩) ، فلو كان شعور العلماء إقليمية ، لما رأيناه يصنف مثل هذا الكتاب ، ولاكتفى بكتابه عن تاريخ بغداد (وهو بعنوان " التاريخ المجدد لمدينة السلام ، وأخبار فضلائها الأعلام ، ومن وردها من علماء الأنام " ، توجد بعض أجزائه في ظاهرة دمشق وفي باريس - انظر " تكملة المنذرى " ٤٦/١ - حاشية . وفي مكتبة جامعة كمبرج مخطوطة لاحد أجزائه منقولة عن مخطوطة الظاهرية . والجدير بالذكر أن للمقرئ (١) كتاباً بعنوان المقي في تراجم أهل مصر والواردين عليها " ، مرتب على حروف المعجم ، ومنه نسخة مخطوطة في لندن - (انظر " فهرس المخطوطات المصورة - الجامعة العربية - ٢ / ٢٨٩) . ويمكننا أن نسوق أمثلة أخرى ندحض بها هذه الدعوة الإقليمية المزعومة ، منها " ذيل تاريخ بغداد " الذي صنفه ابن الديبشي - وهو واسطي - علماً بأن له كتاباً في تاريخ واسط (كشف الظنون ص ٣٠٩) كما أن الفاسي - وهو مكّي مغربي الاصل -

(١) لقد اهتم المقرئ ببلدان غير مصر وصنف عنها عدداً من الكتب منها ، " الاقام بأخبار الحبشة من ملوك الاسلام " و" الطريقة الغربية في أخبار حضر موت العجيبة " و" الاشارة والاعلام بيناء الكعبة البيت الحرام " (انظر: اعلام الزركلي ١٧٢/١) و" معجم المؤلفين " لكحالة ١١ / ٢ وهدي العارفين ١٢٧/١ .

كتب " العقد الثمين وفيه تراجم للمكيين ولن ورد مكة (طبع الكتاب بالقاهرة في سنة ١٩٥٩) ، ولم يكتف به بل صنف " المنتخب المختار في علماء بغداد " (وهو مطبوع ببغداد في سنة ١٩٣٨) . هذا وللسخاوي - وهو مصري - كتاب بعنوان " تاريخ المدنيين " (الضوء للسخاوي ٨ / ١٧) . فلو كان الدافع وراء تصنيف التواريخ المحلية هو الشعور الاقليمي ، لما اهتم أولئك المؤرخين بالترجمة لمن يزور مدنها ، ولاقتصروا على ترجمة البارزين من أبنائها فقط ، ولما كلفوا أنفسهم مشقة تصنيف تواريخ مدن أخرى ، وعلى أي حال ، فإن أقدم كتب التاريخ المحلي الموجودة ، هو " تاريخ واسط " لبخشل (التاريخ - روزنتال ، أصل ص ٨٣ و ١٤٤ وترجمة ص ١٢٠ و ٢٢٨) وقد حقق السيد كوركيس عواد قطعة منه ، وطبعت ببغداد في سنة ١٩٦٧ م .

هذا وقد عرف العرب أنواعا أخرى من التواريخ ، منها الكتب المرتبة حسب الأنساب ، كأنساب قريش للزبير بن بكار ، و " أنساب الأشراف " للبلاذري (المصدر السابق - أصل ص ٨٤ - ٨٥ وترجمة ص ١٣٦) . ومنها كتب فضائل البلدان ، كشكل مبتور لتاريخ محلي ديني ، يقتصر في الغالب على آيات وأحاديث تمتدح مكانا معينا ، مما لا يجعلها جزء صحيحا من التاريخ ، وفقا لرأى روزنتال (المصدر السابق - أصل ص ١٤٩ وترجمة ص ٢٣٥) . ومن الامثلة الموجودة لهذا النوع كتاب " مناقب بغداد " تصنيف ابن الجوزي ، المطبوع ببغداد في سنة ١٣٤٢ هـ . كما انهم قد يطلقون على كتب الطبقات الخاصة ببلد معين اسم " تاريخ " (المصدر السابق - أصل ص ١٤٥ وترجمة ص ٢٣٠) وهذا يقودنا الى القول بأن العرب قد عرفوا نوعين من التاريخ المحلي ، أولهما " التاريخ الديني " ، وثانيهما " التاريخ الديني " (المصدر السابق - أصل ص ١٣١ وترجمة ص ٢٠٧) .

وعلى كل حال ، فإن المؤرخين العرب قد عنوا عناية كبيرة بالتاريخ لمدنهم ، لان المدن كانت مراكز للنشاط السياسي والاقتصادي والعمراني ، ومصادر للاشعاع الديني والفكري والادبي . وفيها أقيمت معاهد العلم التي بدأ وجودها في المساجد ، ثم تطورت الى مدارس وريط وزوايا . والى المدن كانت الرحلة في طلب العلم ، تلك الرحلة التي

صارت من التقاليد الأساسية للمجتمع الاسلامي ، فاذا برز في مدينة ما عالم ، جلب لها الشهرة ، وصارت مقصد الرجال . ويرى الدكتور صالح أحمد العلي (مجلة المجمع العراقي - ١٤ / ٣ - ٦٠) أن " من الحقائق التي تصل الى مستوى البديهيات ، ان المدن هي المراكز الرئيسية التي تزدهر فيها الحضارة ، وتتعد فيها النظم ، وتنمو فيها الحركة الفكرية ، وتتوفر فيها بصورة خاصة الوثائق المكتوبة عن نشاط الانسان الاجتماعي الذي هو موضوع دراسة التاريخ . وقد أدى هذا الى أن يكون التاريخ المؤلف عندنا هو - في الحقيقة - تاريخ المدن ، ووصف فعاليات أهلها بالدرجة الاولى " . ثم قال " إن المؤلفين العرب والمسلمين اهتموا بدراسة المدن وأحوالها ، وأكثروا من التأليف فيها ، حتى أنك قلما تجد مدينة في العالم الاسلامي لم يؤلف فيها كتاب أو أكثر " . وأرى من المناسب ان أشير هنا الى ان الاسلام نفسه قد ظهر في مجتمع مدني - هو مجتمع مكة - ثم وقعت الهجرة الى مجتمع مدني آخر ، هو مجتمع المدينة الذي كان أكثر استقراراً وتنوعاً بسبب وجود زراعة متقدمة فيه نسبياً ، وبسبب وجود جالية غير عربية ، هي جالية اليهود ، ثم قرب المدينة من الشام عرضها لمدن أخرى وأعطاهها صبغة مدنية مستقرة . ونقطة أخرى أود الإشارة إليها ، هي أن الجيوش الاسلامية كان أول عمل لها ، أثناء الفتوحات ، هو إقامة مدن جديدة كالكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان وغيرها . ولذلك يمكن القول بأن الحضارة العربية الاسلامية هي حضارة مدن ، ومنها اشتقت كلمة " تمدن " التي تعني جميع الانجازات التي حققها الانسان في مختلف الميادين . وأكبر دليل على اهتمام المسلمين بالمدن هو حرصهم على كتابة تاريخها ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ويكفي أن نذكر منها ، على سبيل المثال ، لا الحصر :

- أ/ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي (كشف الظنون ص ٢٨٨) وهو مطبوع .
- ب / تاريخ دمشق ، لابن عساكر (المصدر السابق ص ٢٩٤) .
- ت / تاريخ حلب ، لابن العديم (المصدر السابق ص ٢٩٢) طبعت بعض أجزائه .
- ث / تاريخ الموصل ، للأزدى (المصدر السابق ص ٣٠٧) حقق جزءاً منه الدكتور على حبيبة وطبعه بالقاهرة في سنة ١٩٦٧ م .

ج/ تاريخ ميافارقين ، لابن الأزرق الفارقي (المصدر السابق ص ٣٠٧) حقق قسما منه بدوي عبد اللطيف وطبعة بالقاهرة في سنة ١٩٥٩ م .

ح / تاريخ تكريت ، لعبد الله بن سويده التكريتي (المصدر السابق ص ٢٨٩) .

خ / تاريخ الرقة ، لمحمد بن سعيد القشيري (المصدر السابق ص ٢٩٥) .

د / العقد الثمين (وهو تاريخ مكة) للفاسي (المصدر السابق ص ١١٥٠ ، وقد سبق ذكره ص ٢٧٨ من هذه الدراسة) .

ذ / تاريخ نيسابور ، للحاكم ، وذيله لعبد الغافر الفارسي (المصدر السابق ص ٣٠٨) .

ر / تاريخ اصفهان ، لابي نُعيم الاصبهاني (المصدر السابق ص ٢٨٢) وهو مطبوع في ليدن ، سنة ١٩٣١ م .

ز / الاحاطة في تاريخ غرناطة ، تصنيف لسان الدين ابن الخطيب (المصدر السابق ص ١٥ و ٢٩٩) وهو مطبوع بالقاهرة .

س / تاريخ مكة ، للأزرق (المصدر السابق ص ٢٠٦) .

ش / تاريخ جرجان . للحافظ حمزة السهمي (المصدر السابق ص ٢٩٠) وهو مطبوع في حيدر آباد في سنة ١٩٥٠ م .

هذا قليل من كثير ، ولكننا أردنا مجرد التمثيل . والجدير بالذكر أن بعض هذه الكتب هي أشبه بالموسوعات ، فتاريخ بغداد مثلا ، يقع في ١٤ جزء ، وتاريخ دمشق يقع في ٨٠ جزء . وبعضها صغير - كتاريخ جرجان - ويقع في جزء واحد فقط . ثم ان المنهج الذي اتبعه هؤلاء المؤرخين يقوم على اعتقادهم بأن المدينة ليست أمكنة ومبان فحسب ، وإنما هي قبل كل شيء ، أناس أحياء ، هم الذين تولوا تخطيطها وإعمارها وإنشاء مختلف مرافقها ، من مساكن ومساجد ومدارس وقلع وأسوار وأسواق وحمامات ، وما إليها ، وهم أيضا الذين بعثوا فيها الحياة بجدهم ونشاطهم ، فأكسبوها الشهرة والذكر الحسن . وكانوا يبدؤون تواريخهم عادة بنبذة تاريخية تتعلق بإنشاء المدينة وتطورها ، وذكر أسماء محلاتها وأسواقها ومساجدها ومشاهير حكامها وقضاتها ، غير أن القسم

الأكبر من مصنفاتهم هذه ، كانوا يخصصونه لتراجم البارزين من أبنائها والمقيمين فيها ، كما يتناولون بالترجمة النابهين من زوارها (صنف الحافظ المنذري كتاباً بعنوان " تاريخ من دخل مصر " ، ولكنه مفقود - انظر " المنذرى " لبشار معروف ص ١٥٥) ، ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان الزوار كانوا كثيرين جداً ، لان العلماء المسلمين - كما أسلفنا - كانوا يشعرون بأنهم لايمكنهم استيفاء علومهم واستكمال دراستهم ، مالم يرحلوا الى الحواضر الاسلامية الكبرى ، بل والى غيرها من المدن ، مما اشتهر فيها عالم ، أو أنشيء فيها مركز للعلم شهير ، وذلك لكى يتلقوا في تلك المدن عن العلماء بصورة مباشرة ، ولكي يستمعوا اليهم ويحصلوا على الاجازة منهم (Gibb ص ٥٤) .

ومما شجع العلماء المسلمين على الرحلة ، وجود فريضة الحج ، إذ كان هؤلاء ينتهزون الفرصة - عند اداء الفريضة - فيعرجون على عدد من المدن ، حتى ولو لم تكن على الطريق المعتاد ، لغرض لقاء أكابر الشيوخ والتلقي عنهم . وعامل آخر كان له دور كبير في تشجيع الرحلة ، هو ان المفهوم الضيق للقومية أو الجنسية ، المعروف الآن ، لما معترفاً به بين المسلمين في مختلف العصور ، بل كان مفهوم الوطن يشمل بلاد الاسلام أودار الاسلام كلها ، وكان بوسع العالم المسلم - وغير العالم طبعاً - أن يرحل عن بلده وينزل في أي قطر أراد ، ولا يجد بين أهل القطر الذي حل فيه ، من يتعصب ضده ، بل انهم ييسرون له وسائل الإقامة حتى لايشعر من قريب أو بعيد انه غريب . وكانوا يعتبرون الواردين اليهم مواطنين مثلهم ، فيرحبون بهم ويحلونهم المكانة اللائقة . وكان هؤلاء ينزلون في المدارس والربط ودور الحديث ودور الضيافة التي انشئت لهذا الغرض ، دون أن يتكبدوا فلساً واحداً ، وفوق ذلك كان بوسع الكثير منهم أن يحصلوا على عمل يناسب كفاءاتهم ومكانتهم العلمية . ولقد استمر هذا الوضع حتى العصور الاسلامية المتأخرة ، وكان متبعاً - ولا شك - في عصر ابن المستوفي ، وفقاً لما يشهد به " تاريخ إربيل " ، حسب ما بينا في القسم الاول من هذا الكتاب .

وهذه التواريخ المحلية - علاوة على فوائدها التاريخية - أصبحت مصدراً مهماً من

المصادر الجغرافية للأقليم الذي تؤرخ له ، مثل " تاريخ حلب " لابن العديم (التاريخ لروزنتال - اصل ص ٩٥ وترجمة ص ١٥٠) ، بالنظر لما تلقى من أخطاء على التركيب الجغرافي للمنطقة التي تؤرخها . كما ان هذه التواريخ قد أتاحت حرية واسعة لميول المؤرخ الشخصية ، فصار المؤرخ يختار من الاشكال والمحتويات أنواعا تزيد عما تقدمه التواريخ الحولية ، وخير مثل على ذلك نشوء تواريخ محلية دينية وأخرى دنيوية ، وفقا لما قدمنا (المصدر السابق - اصل ص ١٣١ وترجمة ص ٢٠٧) . وكثير من هذه الكتب مرتب حسب الحروف الهجائية مثل " تاريخ علماء الاندلس " لابن القزسي ، و " تاريخ اصبهان " لابي نعيم ، و " تاريخ بغداد " للخطيب البغدادي (المصدر السابق - اصل ص ١٤٦ وترجمة ص ٢٣١) .

وهكذا يمكن تصنيف التواريخ المحلية ضمن كتب التراجم ، لان التراجم هي العنصر الغالب فيها ، وهذه تعتبر ، ولاشك جزءاً من المؤلفات التاريخية ، بل وتبدو التراجم على أنها أثبتت صور التعبير التاريخي (المصدر السابق - أصل ص ٨٨ ، وترجمة ص ١٤١) ، وخير مثال لذلك ، سيرة الرسول - ﷺ - ، ولكن روزنتال (المصدر السابق - أصل ص ١٥ وترجمة ص ٢٨) كان قد تساعل في الصفحات الاولى من كتابه ، قائلا بأنه " على الرغم من اعترافنا بأن التراجم جزء أساسي من التاريخ ، فهل يصح قبول التراجم بشكلها الحالي كعنصر بارز في علم التاريخ ، كما فعل المؤرخون المسلمون ؟ وهل يفيد إقصاء بعض أنواع التواريخ المحلية التي يطلق عليها اسم " تاريخ " ، رغم انها لا تحوي إلا شيئا قليلا ، أو قد تحوي أي شيء من التاريخ ؟ " . ولكنه يعترف بصراحة بأن علم التاريخ الاسلامي ، قد أدخل هذه الكتب ضمن كتب التاريخ ، لاحتوائها على مادة يمكن تصنيفها تاريخية ، وفقا للتعريف الذي أخذ به روزنتال نفسه . ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ، ان السير هاملتون كَب (أنظر مقاله القيم عن مؤرخي التراجم المسلمين ص ٥٤ ، ٥٨) يعتقد ان التراجم هي أفضل أشكال التاريخ ، لانها تعطي المؤرخ قدراً كبيراً من الحرية ليتناول ما يشاء من المواضيع ، ولا سيما المتعلقة بالحياة الاجتماعية ، فيدخلها في كتابه . كما ان التراجم هي الوسيلة التي

مكنتنا من الاحاطة بنشاط المرأة المسلمة . وعلاوة على ذلك ، فإن السير هاملتون يؤكد بأن تصنيف معاجم التراجم هو فن إسلامي أصيل ، لم يسبق إليه ، وقد قدمه المسلمون الى العالم لأول مرة في التاريخ (المصدر السابق - ص ٥٤) ، ولكنه لم يذكر " تاريخ إربل " ضمن كتب التراجم ولا أشار إليه . كما ان حلمي احمد لم يذكره في مقاله المتعلق بتدوين التاريخ العربي في العهدين الزنكي والأيوبي (ص ٧٩ - ٩٧) رغم ان " تاريخ إربل " يقع ضمن هذا العهد ، وان مؤلفه قد عاش ولاية كانت تابعة للزنكيين أولاً ، ثم للأيوبيين بعد ذلك .

هذا ويرى عمر رضا كحالة في كتابه " التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية " ، ان المسلمين جميعا كانوا يعتقدون ان السياسة كانت كلها من عمل الاشخاص ، وانها لاتفهم إلا على ضوء صفاتهم وخبراتهم ، وبذلك أصبح التاريخ في أذهان كثير من المسلمين مرادفا للتراجم وسير الرجال ، ثم أن كثيراً من فروع المعرفة والعلوم أصبح تاريخها يُفهم على أنه مجموعة لتراجم كبار العلماء (كحالة : التاريخ والجغرافية ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ٦٧) .

وفي هذا الصدد قال رودولف زلهاييم في كتابه " العلم والعلماء في عصور الخلفاء " : لايستطيع أي فرع من فروع الأدب أن يطلعنا على مجرى الحياة اليومية خلال القرون الماضية ، وعلى ثقافات تلك القرون اطلاقاً فيه عمق ودقة ، مثلما تطلعنا التراجم والسير ، إذ لا يكاد يتسنى لسواها أن يكشف لنا لحظة ما عن ذلك النقاب الكثيف الذي أحاط بجانب من الحياة لم يعزه التاريخ العام اهتماماً ، ولم يقيم له وزناً (انظر الترجمة العربية للكتاب ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١٦) . ثم استطرده المؤلف يقول : " وكان للنماذج القديمة في كتابات الاغريق والرومان أثرها الفعال على السير والتراجم في أوروبا ، ولاسيما منذ عهد النهضة ، غير ان ماكتبه هؤلاء كان مجهولاً لدى العرب في القرن الثامن الميلادي ، عندما بدأوا هم أنفسهم يؤلفون في هذا النوع من الأدب (زلهاييم ، ص ١١) . وبذلك ينبغي زلهاييم تأثر أدب التراجم عند المسلمين بالأدب اليوناني أو الروماني .

وبعد ذلك تحدث زلهائم عن تطور أدب التراجم عبر القرون ، فقال ان ذلك أدى الى " تطور أدب خصب في مجال السير والتراجم ، وأحاط بجميع ميادين الحياة الاجتماعية، وهذا الأفق الواسع لم يكن معروفا لا للاغريق ولا للرومان . كما انه لم يكن معروفا في العصور الوسطى في أوروبا " (زلهائم ص ١٢) ، ثم واصل الحديث عن مزايا أدب التراجم الاسلامي ، فقال : " ان كُتَّاب التراجم الغربيين يحارلون تقييد القارئ بوجهة نظرهم وحكمهم على من يترجمون له . أما كتاب التراجم المسلمين عامة فانهم قد فتحوا الباب على مصراعيه ، وقدموا صاحب الترجمة للقارئ كما كان حيا وكما كان يعيش في زمنه ، ولم يضعوا إطاراً لينظر المرء من خلاله إليه ، وتركوا الحكم له أو عليه لمن يقرأ الترجمة ، ومهما يكن من شيء فانهم قد أقاموا صرحا شامخا من تراجم الرجال مازال باقيا على الأيام ، وبلغوا في ذلك حداً يتجاوز كل إبداع ويكاد يأخذ بالالباب (زلهائم ، ص ٦٥ - ٦٦) .

٢- التعريف بكتاب " تاريخ إربل " :

إن " تاريخ إربل " الذي نحن بصدده ، هو من التواريخ المحلية التي تحدثنا عنها في الفقرة السابقة ، وقد ذكره السخاوي (الاعلان ص ٢٤٦) بالفعل ضمن هذه الطائفة من كتب التاريخ . وهو بالدرجة الاولى مجموعة من التراجم لعدد كبير من الشخصيات البارزة التي وردت إربل ، ولجماعة من الأربلة النابيهين أنفسهم . والغريب ان الدكتور طليمات (كوكبورى ص ٢٢٥) يقول عن هذا الكتاب بأنه " ليس تاريخا بالمعنى المفهوم، وإنما هو كتاب تراجم " . أقول وبذلك سمح لنفسه في الحكم على كتاب لم يره ، وأصدر حكما يكاد يكون قاطعا ، باخراج كتب التراجم من صنف كتب التاريخ ، ناسيا بأن " تاريخ بغداد " و " تاريخ دمشق " ليسا سوى كتابي تراجم . فاذا أخذنا بقوله وأخرجنا هذين الكتابين من طائفة الكتب التاريخية ، فماذا يتبقى لهاتين المدينتين العظيمتين من تاريخ ؟ !! . كذلك نسي الأستاذ طليمات ما قاله كل من (روزنتال وكب) عن أهمية كتب التراجم كمصنفات تاريخية ، بل عدها الأخير أفضل أشكال الأدب التاريخي .

وعلى أي حال ، فسأحاول فيما يأتي التعريف بـ " تاريخ إربل " على قدر ما أستطيع استخلاصة من جزئه الثاني :

١ / اسم الكتاب :

سبق أن بينت ، عند الكلام على مؤلفات ابن المستوفي ، بأنه قد صنف تاريخاً لإربيل، وقد سماه ابن الشعار (مخ استانبول ٦ ورقة ٢١) " نباهة البلد الخامل ، ومن ورد عليه من الأمائل " ، وقال عنه انه يتضمن أسماء من وقع الى المؤلف ممن ورد إربيل وولاياتها ، من الملوك والأمراء والزهاد والعلماء والشعراء والكتاب . وذكره أيضاً ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) الا انه لم يذكر اسمه ولا شيئاً من محتوياته . كذلك ذكره مصنف " الحوادث الجامعة " (ص ١٣٥) ، وقال انه ذكر فيه من دخل إربيل من الشعراء والأعيان ، ولم يسمه . أما حاجي خليفة (ص ١٩٢٣) فقد سماه " نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأمائل " ، ولم يذكر شيئاً من محتوياته . وهذه التسمية تطابق ماورد في " الوافي " (١ / ٢٨٦) ، واكتفى السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) بالقول بأن لابن المستوفي " تاريخ إربيل " وانه وقف عليه . وسماه كحالة (معجم ٨ / ١٧٠) ، " نباهة البلد الخامل لمن ورده من الأمائل " ، وهو الاسم الذي ذكره بروكلمان (ملحق ١ / ٤٩٦) . وتحصّف الاسم في " هدية العارفين " للبغدادي (٢ / ٣) الى " نباهة البلد الحافل بما ورده من الامائل " ، بينما تصحف في " كشف الظنون " (ص ٢٩٣ طبعة أوربا) الى " نباهة الحامل " بالحاء المهملة .

حقاً انه لمن العسير جداً معرفة التسمية الحقيقية ، لان المخطوطة التي بين أيدينا لاتحمل اسم الكتاب ، والظاهر ان ورقتها الاولى قد تهرأت بالاستعمال ، أو ان مملكتها الاخير قد مزقتها عمداً ليعفّي على أسماء مالكيها السابقين ، ويغطى على حقيقة الطريق الذي أوصل المخطوطة الى يديه ، وهو طريق غير شرعي على الأرجح ، إذ لو كان هذا المالك الاخير - ونحن نجعله - قد تملكها بوجه شرعي كالميراث أو الشراء ، لما كان هناك داع لديه ليعفّي على آثار من سبقه من الملاك . وعلى كل الحال ، فان هذه الورقة الاولى قد أعيد نسخها في وقت متأخر ، على ماأظن . وقد كُتِب في أعلى الصفحة الاولى منها " الجزء الثاني من تاريخ بني العباس " ، وفي الحاشية اليمنى للصفحة ، كُتِب " الجزء الثاني من تاريخ إربيل سنة خمس مائه واثنين وسبعين تصنيف ابي البركات المبارك بن

أحمد بن موهوب المعروف بابن المستوفي في بني العباس " (مخ ورقة ١ ب) ، وكتب مثل ذلك تماما يخط غليظ في ختام هذا الجزء ، وقد استغرقت العبارة أكثر من نصف الصفحة الأخيرة (مخ ورقة ١٢٣١) وفي هذه الصفحة نفسها تعليق لأحد مملكي المخطوطة نصه : " مجموع عدد أوراق هذا الكتاب تاريخ دولة بني العباس مائتين (كذا) وثمانية وعشرين (كذا) ورقة " .

وإذا أردنا الترجيح بين الأسماء المتقدمة ، فيجب علينا الأخذ بتسمية ابن الشعار لأنه أقرب المؤرخين عهداً بالكتاب ، بل إنه اطلع عليه - وفقاً لما بينا في موضع آخر من هذا البحث - ولكنني أميل إلى التسمية التي أخذ بها الصفدي في " الوافي " وحاجي خليفة في " كشف الظنون " ، لأنها تلائم السياق ، وتؤدي المعنى الذي أراد المؤلف ، أي أن إربل البلد الخامل قد كسب نباهة الذكر والشهرة ، بمن ورد إليه من أمثال الرجال . وعسى أن يوفق الباحثون للعثور على بقية أجزاء " تاريخ إربل " ، ولاسيما جزءه الأول ، لعل فيه مايلقي الضوء على التسمية الأصلية .

ب / حجم الكتاب :

لم يذكر ابن الشعار شيئاً عن عدد أجزاء " تاريخ إربل " ، إلا أن ابن خلكان (٣ / ٢٩٤) قال عنه أنه في أربع مجلدات ، وأنه أحال عليه في مواضع عديدة . أما السيوطي (بغية ٢ / ٢٧٢) فقد ذكر بانه وقف عليه ، وأنه بأربع مجلدات أيضاً . وتابعهما في ذكر هذا العدد كثيرون كابن العماد (شذرات ٥ / ١٨٦) وحاجي خليفة (ص ٢٨١ و ١٩٢٣) والبستاني (موسوعة ١ / ٦٨٨) والبغدادلي (هدية العارفين ٢ / ٣) وكحالة (معجم ٨ / ١٧٠) وبروكلمان (ملحق ١ / ٤٩٦) الذي قال بأن الكتاب يهتم بصفة خاصة بالشعراء . وقال اليونيني (ذيل ٤ / ١٥٣) أنه وقف على مجلد من " تاريخ إربل " لوزيرها ابن المستوفي ، ولم يزد على ذلك . أما السخاوي (اعلان ص ١٢١) وتابعه روزنتال (التاريخ - اصل ص ٣٨٢ وترجمة ص ٦٤٠) فقد انفرد بالقول ، بانه بخط المؤلف في خمس مجلدات ، وإن أكثر من فيه أدباء وملوك !! . ومهما يكن الحال ، فإن " تاريخ إربل " قد صُنّف بأكثر من جزء ، لأن الجزء الذي

بين أيدينا هو الجزء الثاني منه - وليس الرابع ، كما توهم الاستاذ الراحل آريري (فهرس مخطوطات مكتبة جيلستر بيتي ٣١/٥ - مخطوطة رقم ٤٠٩٨) - ثم ان المؤلف نفسه سماه : " الفصل الثاني في ذكر الاخيار والصلحاء والمنتسبين بهم " ، وقال انه خصصه لذكر " المنقطعين الى الزهادة والموسومين بالعدالة والمعروفين بالرواية ، ممن اشتهرت ديانتهم وعُرفت صيانتهم وظهرت أمانتهم " (مخ ورقة ١ ب) . في حين ان ابن الشعار ، ذكر بأن الكتاب لم يقتصر هؤلاء الاخيار والزهاد ، وإنما تناول الملوك والأمراء والشعراء والكتاب أيضا ، وهذا ما لانجده في هذا الجزء من " تاريخ إربل " ، ولابد انه قد تناولهم في الاجزاء المفقودة ، بل ان مجرد غياب مقدمة الكتاب هو دليل واضح على ضياع الجزء الاول منه ، الذي لو ظفرنا به لوجدنا فيه - على الأغلب - شيئا عن تاريخ مدينة إربل نفسها ، ولوقفنا على معلومات وافية عن خططها ومحلاتها وحكامها وقضاتها ، أسوة بما نجده في الأجزاء الأولى من التواريخ المحلية عادة ، مثل " تاريخ بغداد " و " تاريخ دمشق " .

وما لنا نذهب بعيداً ، وان الجزء الذي بين أيدينا الأدلة القاطعة على كون الكتاب بعدة أجزاء !!! . فلقد قال المؤلف (مخ ورقة ١٩٧ أ) عند الحديث عن أحمد بن اسبنديار بن الموفق : " تقدم ذكر والده ونسبه " . وبعد التحري ، لم أجد لوالده سوى ذكراً عابراً ، ورد ضمن ترجمة شخص آخر (مخ ورقة ٩٧ أ) . ويصح القول بنفسه بالنسبة لسخنة (مخ ورقة ١١٧ أ) ، الذي قال عنه ، انه سبق ذكره ، في حين انني لم أجد له ذكراً في أى موضع آخر من هذا الجزء . وعندما روى قصة الجارية التي اشتراها تميم بن المعز الفاطمي (مخ ورقة ١٠٨ أ) قال المؤلف بأنه اختصرها في هذا الموضع ، لأنه ذكرها في موضع آخر . وهي في الواقع غير موجودة في أي مكان آخر من الجزء الثاني . وأشار (مخ ورقة ٢٨ أ) الى عبد الله بن محمد بن محمد ، الذي ولي قضاء إربل ، بأنه سيأتي ذكره . ولكنني لم أجد له أثراً في هذا الجزء . وهناك أيضا أدلة أخرى ، تؤيد حقيقة تعدد أجزاء هذا الكتاب ، وقد عثرتُ عليها

أثناء استقصائي للمراجع التي نقلت عن " تاريخ إربل " ، إذ وجدتُ إشارات كثيرة الى نقول منه لوجود لها في الجزء الذي بين أيدينا منه ، وقد رأيت من المفيد أن أخصها - فيما يأتي :

(١) ابن خلكان : نقل ترجمة نصر الله بن محمد بن الأثير عن " تاريخ إربل " ، وهي غير موجودة في جزئنا ، كما نقل عنه بعض أخبار أخيه المبارك وهي غير موجودة لدينا أيضا . ونقل كذلك عنه ترجمة الحسن بن الحسن ، المعروف بملك النخاعة ، ونقل بعض ترجمة الشاعر الأربلي عيسى بن سنجر الحاجري ، عنه ، وفعل مثل ذلك بالنسبة لبعض ترجمة إبراهيم بن نصر ، قاضي السلامة ، وكلها غير موجودة في مخطوطتنا . ونقل عنه أيضا شعراً لمكي بن ريان الماكسيني وبعض ترجمته ، وهي غير موجودة ، وذكر ابن خلكان أن ابن المستوفي قد ترجم لموسى بن يونس بن منعة ، ونقل عنه مقتبسات ولكنني لم أجد عنه شيئاً في هذا الجزء ، ونقل عنه تراجم أوبعض التراجم لكثيرين من الشخصيات البارزة ، نذكر منهم على سبيل المثال ، محمد بن علي بن شعيب المعروف بأبن الدهان ، وقايماز بن عبد الله حاكم إربل ، وابن دحية الكلبي الأديب الأندلسي ، والأمير أسامة بن منقذ ، والحسين بن علي الطفرائي الشاعر وعلي بن الحسن الحلبي المعروف بشميم ، والأمير ديبس بن صدقة صاحب الحلة ، وسعيد بن المبارك المعروف بأبن الدهان النحوي ، ومحمد بن يوسف البحراني الشاعر شيخ ابن المستوفي ، والسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي ، ومحمد بن أيوب أخى صلاح الدين المعروف بالملك العادل . أقول كل ما نقله عن هؤلاء من " تاريخ إربل " غير موجود في مخطوطتنا (وفيات ١ / ١٩ و ١٧٥ و ٣٧١ و ٤٤١ و ٣٢ / ٢ و ١٢٥ و ١٩١ و ٢٦ / ٣ و ٣٥ و ١٧٢ و ٢٤٦ و ٢٨٩ و ١٠٢ / ٤ و ١٠٥ و ١٦٤ و ١٦٧ و ٣٦٥ و ٣٩٨ و ٣٢ / ٥) .

(٢) ابن الشعار : وقد نقل ابن الشعار كثيراً عن " تاريخ إربل " ، وبالنظر لضخامة كتابه الذي لا يزال مخطوطاً وغير مفهرس ، فقد تعذر عليّ الاحاطة بما نقله ، واكتفي هنا بالقول بأن ابن الشعار (٤ ورقة ١١٩) قد نقل بعض ترجمة علي بن شماس عن " تاريخ إربل " ، وهي غير موجودة في جزئنا .

(٣) ابن الفوطى : ونقل ابن الفوطى عنه في كتابه " معجم الألقاب " ، أو على الأصح في الجزء الرابع منه الذي حققه المرحوم مصطفى جواد ، وذلك نقلا عن الأجزاء المفقودة من " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا ، انه نقل عنه ترجمة الواعظ علي ابن محمد البيهقي ، وهي غير موجودة في مخطوطتنا . ونقل مثل ذلك عن كل من علي بن عبد الجبار بن محمد النيلي الخطيب الذي قدم إربل في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ، وروى عنه بعض شعره ، والحسن بن شماس الاربلي ، والحسن بن سعيد الشاتاني ، وأحمد بن داود بن بلال الاربلي ، ومحمد بن عمر بن علي الحديثي ، وهذه كلها غير موجودة في جزئنا (معجم ابن الفوطى ١ / ٧٩ ، و٥٧٦ و١٠٥٥ / ٨٤١ و٨٠ / ٢٥٠) .

(٤) اليونيني : ونقل اليونيني في " ذيل مرآة الزمان " عن الاجزاء المفقودة من " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا ، انه نقل بعض تراجم كل من سليمان بن بليمان (اوبنيمان) الاربلي ، ومحي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ، ونصر الله بن محمد بن الاثير ، وعلي بن محمد بن الرضا الحسيني المعروف بابن دميخان ، وهذه كلها غير موجودة في الجزء الثاني الذي بين أيدينا (ذيل اليونيني ١ / ٦٥ و٧٥ و٣٧٧ و٤ / ٢٢٧) .

(٥) ابن سعيد المغربي : كذلك نقل ابن سعيد في كتابه " الغصون اليانعة " عن الأجزاء الضائعة من " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا ، انه نقل بعض ترجمة القاضي جعفر بن محمد الكفرعزي ، وبعض ترجمة مكّي بن ريان الماكسيني شيخ ابن المستوفي ، وكلاهما غير موجودتين في مخطوطتنا (الغصون ص ٧٨ و٨٣ و١١٦) .

(٦) الفاسي : ونقل أيضا الفاسي في كتابه " تاريخ علماء بغداد " عن الاجزاء المفقودة من " تاريخ إربل " ، مما هو غير موجود في جزئنا ، من ذلك مثلا انه نقل بعض ترجمة محمد بن أحمد بن عمر الاربلي ، المعروف بابن الظهير (تاريخ علماء بغداد ص ١٣١ و١٧٦) .

كذلك نقل الفاسي عنه في كتابه "العقد الثمين" وهو تاريخ مكة المكرمة على منوال "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي ، نقل عن "تاريخ إربل" بعض التراجم ، ومنها ترجمة إسماعيل بن مسلم بن سلمان الاربلي ، وقال انه لخصها من "تاريخ إربل" (العقد الثمين ج ٣ ص ٣١١) .

(٧) الصفدي : ونقل الصفدي في "الوافي" عن القسم المفقود من "تاريخ إربل" ، من ذلك مثلاً ما نقله من ترجمة محمد بن محمد بن محمد الملقب بافتخار الدين (الوافي ١ / ٢٨٦) وبعض ترجمة سليمان بن بليمان الاربلي سالف الذكر (مع اكسفورد ورقة ١٢١) .

(٨) الياضي : ونقل عنه أيضاً الياضي في كتابه "مرآة الجنان" مما لاوجود له في الجزء الثاني من "تاريخ إربل" ، من ذلك مثلاً بعض ترجمة المبارك بن محمد بن الاثير (المرآة ٤ / ١٢) .

(٩) السبكي : وكذلك السبكي فانه نقل عن الاقسام الضائعة من "تاريخ إربل" ، في كتابه "طبقات الشافعية" ، من ذلك مثلاً ، بعض ترجمة موسى بن يونس بن منعة الموصلی (طبقات ٨ / ٣٨٣) وهي غير موجودة في مخطوطتنا .

(١٠) القرشي : ونقل القرشي كذلك عن الضائع من "تاريخ إربل" في كتابه "الجواهر المضية" وهو في طبقات الحنفية ، مما لاوجود له في جزئنا . من ذلك مثلاً ترجمة محمد بن إبراهيم بن محمد الرازي ، بكاملها وترجمة محمد بن أبي القاسم الراشدي الهمداني (الجواهر ٢ / ١١١) .

(١١) السيوطي : ونقل السيوطي في كتابه "بغية الوعاة" شيئاً كثيراً عن الاقسام المفقودة من "تاريخ إربل" ، مما هو غير موجود في الجزء الثاني ، ويبدو ان ابن المستوفي كان قد خصص جزءاً أو بعض جزء من كتابه للنحاة . من ذلك مثلاً تراجم كل من محمد بن الحسين بن علي الجفني البغدادي ومحمد بن علي بن عبد الله العراقي الحلي ، ومحمد بن أبي الفوارس الحلي ، ومحمد بن أبي الوفاء بن أحمد العمري ، ومحمد بن يوسف البحراني شيخ ابن المستوفي ، وأحمد بن الحسين بن

أحمد الأربلي ، وسعيد بن أحمد بن محمد المغربي النحوي ، وعلي بن بكمش التركي ، وعلي بن أبي القاسم الأربلي ، وعمر بن أحمد بن أبي بكر العراقي الضرير ، وعمر ابن عبد النور الصنهاجي ، وعمر بن محمد بن علي الموصلي المعروف بابن الشحنة ، ومحمود بن الأرملة ، ومكي بن ريان الماكسني شيخ ابن المستوفي ، ويحيى بن سعيد ابن المبارك النحوي (بغية ١ / ٩٢ و ١٨٢ و ٢١٢ و ٢٦٠ و ٢٨٦ و ٣٠٤ و ٥٨٢ و ١٥١ / ٢ و ١٨٤ و ٢١٦ و ٢٢٠ و ٢٢٤ و ٢٧٦ و ٢٩٩ و ٣٣٤) .

وهكذا فإن الأدلة كلها تجمع على أن " تاريخ إربل " ، كان بأكثر من جزء ، والغالب على الظن أنه كان في أربعة أجزاء ، إذ هو القول المتواتر فضلا عن كونه أقدم بكثير من قول السخاوي - وهو ما انفرد به بين المؤرخين - من أن الكتاب كان بخمسة أجزاء ، ويكفي أن يكون صاحب القول الأول هو ابن خلكان الذي عاصر المؤلف وعرفه شخصيا ، ونقل عن كتابه ، الأمر الذي لم يتهيا للسخاوي الذي عاش في أواخر القرن التاسع الهجري ، أي بعد وفاة ابن المستوفي بأكثر من ثلاثة قرون .

هذا وقد ذكر السخاوي (إعلان ص ١٢١) وهو ما انفرد به أيضا ، بأن سليمان بن عبد الله بن أبي الحسن الزنجاني المكي ، قد اختصر " تاريخ إربل " ، ولقد حاولت الاهتداء إلى هذا المختصر فلم أوفق . أما مصنفه ، فيغلب على الظن أن يكون مؤرخ الحجاز ، الذي يحمل هذا الاسم . وقد ترجم له الفاسي في " العقد الثمين " (٤ / ١٧٣) ، وقال أنه كان وزيراً لأبي عزيز قتادة بن إدريس أمير مكة . وقد علق على ذلك المحقق - وهو المرحوم فؤاد سيد - فقال إن له مختصراً لـ " تاريخ إربل " لأبي البركات ابن المستوفي ، مستنداً في ذلك على ما ذكره السخاوي في " الاعلان " ، ثم أضاف قائلاً بأن هذا المختصر - فضلا عن أصله - من الكتب النادرة جداً ، وأنه لم يقف عليهم . ثم عاد الفاسي وترجم له في موضع آخر (العقد ٤ / ١٧٣ و ٦٠٩) وسماه " الريحاني " بدلا من " الزنجاني " ، وذكر استيزاره لقتادة ، وفي كلا الترجمتين لم يذكر شيئا عن اختصاره لتاريخ ابن المستوفي . ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن المستوفي قد ترجم لشخص باسم سليمان بن عبد الله بن الحسن ، المعروف بابن الريحاني المكي ،

وقد توفي في سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ، وهو ذات الشخص الذي ترجم له الفاسي في " العقد " (٦٠٧/٤ - ٦٠٩) . الا انه قد تعذر علي معرفة عما اذا كان هو الشخص الذي زعم السخاوي بأنه اختصر " تاريخ إربل " ، وان نسبته قد تصحفت الى " الزنجاني " بدلا من " الريحاني " ، ام لا .

وعلاوة على ماتقدم ، فان حاجي خليفة (ص ٢٨١) ذكر ان أبا علي الحسن الاريلي ، قد صنف تاريخا لاربل أيضا ، ولكنه لم يذكر شيئا عن هذا الكتاب أو مصنفه . ولقد بذلت جهدي علني أعثر على بعض المعلومات التي قد تلقي ضوءاً على الكتاب المذكور ، فلم أوفق . ويبدو لي ان مصنفه قد عاش بعد ابن المستوفي . إذ ذكره حاجي خليفة بعد ذكره لابن المستوفي . كذلك يبدو أن الكتاب لم يكن ذا أهمية تستحق الذكر ، إذ لم يشر اليه أحد في المراجع التي تيسر لي الاطلاع عليها .

هذا ولعله من المناسب ، أن أذكر هنا بأن لاربل تاريخا كنسيا ، من تصنيف مشيحا زخا الذي أسلفنا ذكره في القسم الاول من هذا البحث . وقد كتب الأب بولس شيخو مقالا عن هذا الكتاب في مجلة " النجم الموصلية " (العدد ٨ لسنة ١٩٣٦ ص ١٠٤) .

٢- مادة " تاريخ إربل " :

قمنا ، فيما تقدم ، بالتعريف بـ " تاريخ إربل " ووصفنا الجزء الثاني منه وصفا خارجيا . أما وصف المخطوطة فقد أتينا عليه في مقدمة التحقيق الملحق بالنص الذي حققناه نفسه . ولذلك سوف نتناول هنا ، وصف الجزء المذكور وصفا داخليا أي نتفحص مادته ، ونحاول تحليلها على قدر الامكان .

١ / الحقبة التي يتناولها " تاريخ إربل " : (١)

ليس بالامكان معرفة الحقبة التي يتناولها " تاريخ إربل " ، مادامت الأجزاء الأخرى منه مفقودة . ولذلك فان تقديرنا لهذه الحقبة ينبغي أن يؤخذ بكل تحفظ ، لانه يستند الى الجزء الثاني منه فقط . الا اننا بوسعنا القول ، بأنه ليس من المتوقع أن يؤرخ المؤلف

(١) قامت وزارة الاعلام العراقية بنشر الكتاب مع تعليقاتنا عليه في جزئين مجموع صفحاتهما حوالي

(١٧٥٠) صفحة ، ضمن سلسلة كتب التراث ، وذلك في سنة ١٩٨٠ م

لأشخاص عاشوا قبل القرن الخامس الهجري ، لأن إبريل - كما رأينا في القسم الاول من هذا الكتاب - لم تكن شأن يذكر ، وان كتب التاريخ لم تخصصها حتى ولا بإشارة عابرة ، إلا في أوائل القرن الخامس عندما بدأ ذكرها يتردد على ألسنة المؤرخين . وهذا يتفق الى حد بعيد مع ما ذكره ابن المستوفي عن ظهور أربلة نابيهين قصدوا بغداد وسمعوا فيها على الخطيب البغدادي المؤرخ ، وعلى القاضي ابن المهدي ، وذلك في سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م (مخ ورقة ١٠ ب - ١١ أ و ٨١ أ) . ومن هذا الجيل أيضا القاسم الشهرزوري الاربلي المتوفى في سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م (مخ ورقة ٩٣ أ و ١٣٢ أ و ١٣٣ أ) .

أما الجيل التالي لهؤلاء ، ممن كان لهم علاقة بأربل بشكل أوثق ، فمنهم أحمد الغزالي المتوفى في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م (مخ ورقة ١ ب) ، وهو أخو أبي حامد ، وكان قد زار إبريل ووعظ بقلعتها . ويعقوب بن دريس الاربلي المتوفى في تاريخ لانعرفه ، لكنه سمع الحديث في سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م (مخ ورقة ١٧٣ ب) ، ومحمد بن القاسم الشهرزوري الاربلي المتوفى في سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، (مخ ورقة ٩٣ ب) ، وعيسى بن الـ المتوفى في سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م ، وهو زاهد من بعض قرى إبريل (مخ ورقة ١٣١ أ) ، ومحمد الاربلي الذي سمع الحديث بالموصل في سنة ٥٥٨ هـ أيضا (مخ ورقة ١٧٣ أ) وداود بن محمد الخالدي الاربلي المتوفى في سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م (مخ ورقة ١٢٧ أ) . ولكن عدد أهل هذا الجيل والذي قبله ممن استحقوا ان يُترجم لهم ، كان قليلا جداً ، والحق ان اغلب الكتاب - أي " تاريخ إبريل " - مخصص لأشخاص عاشوا في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للهجرة . ممن أتاحت الفرصة للمؤلف - الذي ولد في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، ومات في سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م - أن يلقاهاهم شخصيا ، وينقل عنهم ، كما سنرى في موضعه إن شاء الله . وهذه هي الفترة التي عليها المعول في تقويم الكتاب .

والجدير بالملاحظة ، ان ابن المستوفي قد توقف - في هذا الجزء على الاقل - عند سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م ، وهذا أقصى تاريخ ورد ذكره في الكتاب (مخ ورقة ٢٢٢ أ) . أما السبب في ذلك ، فعلى ما أظن ، ان ابن المستوفي ، بعد وفاة كوكبوري في السنة

السابقة ، وتحول الحكم في إربل الى نواب الخليفة ، واعتذاره عن قبول منصب الوزارة ، كل ذلك حملة - كما رأينا في القسم الثاني من هذا البحث - على الانزواء في بيته والابتعاد عن الحياة العامة ، مما حرمه من لقاء الواردين الى إربل ، ذلك اللقاء الذي كانت تتيحه له وظائفه العديدة التي كانت تيسر له سبل الاجتماع بهم . هذا فضلا عن نفوذه وعلو مركزه اللذين كانا يحملان الناس على زيارته ولقائه ، ورغم الذي قاله ابن خلكان من أن الناس قد استمروا يلزمون خدمته ، من وقت استعفائه من الوزارة حتى يوم مغادرته إربل الى الموصل في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م ، وفقا لما أسلفنا ، فإن الذي لاشك فيه ان الذين استمروا في التردد عليه كانوا أقل بكثير من أولئك الذين كانوا يواصلونه يوم كان في أروج مجده وسلطانه . وهذا الوضع الجديد حرمه ، بطبيعة الحال ، من تلقى أخبار من كان يترجم لهم ، من ذلك مثلا ، انه ترجم لمحمد بن ابراهيم الاربلي الذي غادر إربل الى دمشق في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م - وفقا لما ذكره ابن المستوفي - وتوفي في سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م فان المؤلف لم يدرج تاريخ وفاته في الترجمة ، رغم ان محمداً هذا توفي بربل في تلك السنة (مخ ورقة ١٠٠ أ - ب . والمختصر المحتاج ١ / ٢٣ والوافي ٢ / ٩ وعبر الذهبي ٥ / ١٣٥) . كما انه لم يذكر وفاة عمر السهروردي التي وقعت في سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م (مخ ورقة ٨٨ - ٨٩ وعقود ابن الشعار ، مخ استانبول ٥ ورقة ١٥٤ وابن خلكان ٣ / ١١٩) . هذا وبالإمكان إضافة سبب آخر الى توقف ابن المستوفي عند سنة ٦٣١ هـ ، هو ان وفاة كوكبوري - في السنة الفائتة - نفسها ، قد أدت ولاشك الى انصراف الناس عن زيارة إربل ، إذ كانوا فيما مضى يأتونها طلبا للنوال - وفقا لما أكدته ابن الشعار أكثر من مرة (انظر مخ استانبول ٣ ورقة ١٥٦ وه ورقة ٢٣٧) - والقوز بالحظوة لديه .

أما متى كتب ابن المستوفي " تاريخ إربل " ، فانه من العسير جداً الاهتداء الى زمن بدايته . ولقد ذكر المؤلف بأنه اجتمع بأحد الاشخاص " قبل أن يشرع في توديق الكتاب " غير انه لم يذكر تاريخ ذلك الاجتماع (مخ ورقة ١٠٨ ب) . وذكر عن شخص آخر أراده أن ينوه بذكره في الكتاب ، عندما أنس ان ابن المستوفي كان يؤرخ الواردين

الى إربيل (مخ ورقة ١٩٩ ب) ، الا أنه - مع الاسف - لم يذكر هذه المرة أيضا تاريخ لقائه للشخص المذكور . كذلك فانه ذكر عن شخص ثالث ، انه ورد إربل " قديما " ولم يورخه (مخ ورقة ١٧٦) ، لكنه لم يبين المعنى بكلمة " قديما " . هذا من جهة ، أما من الجهة الاخرى فان الشيء الذي يمكن القطع به ، هو ان ابن المستوفي كان في سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م مشغولا بكتابة تاريخه ، أو باعداد المادة له على الاقل ، فلقد قال عن أحدهم ، انه ورد إربل " في هذه السنة ، وهي سنة ثمان وستمئة " (مخ ورقة ٥٥ ب) . وقد أشار الى هذه السنة بالذات في معرض حديثه عن شخص آخر (مخ ورقة ٦١ أ) . وتوالى بعد ذلك عدد من السنين ، من ذلك مثلا ما ذكره عن لقائه لاحدهم - وقد طلب منه ذكره في الكتاب - وكان ذلك بعد سنة ٦٠٨ هـ المذكورة (مخ ورقة ١٢٠ أ) . وأشار الى شخص فقال عنه . " وهو الآن مقيم باربل وذلك في محرم سنة ٦١٢ " (مخ ورقة ٧٨ أ) . وذكر عن شخصين بأنهما باقيا الى سنة ٦١٥ هـ (مخ ورقة ١٠٧ أ و ١٢٩ أ) . وقد استمر بعد ذلك بتدوين الاخبار الى سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م . ولذلك يمكن القول بأن تأليف الكتاب قد استغرق حوالي ٢٣ سنة .

هذا ويجدر بنا أن نذكر بأن ابن المستوفي ، كان يعد - ولا شك - نفسه لتصنيف " تاريخ إربل " في تاريخ مبكر ، إذ أثبت في كتابه روايات وقعت له قبل سنة ٦٠٨ هـ بوقت طويل ، من ذلك مثلا ذكره أخبار أشخاص وردوا إربل في سني ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م و ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م و ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م (مخ ورقة ٢٢ ب و ٣٩ ب و ٧٤ أ و ب) ، وحديثه عن افتتاح دار الحديث المظفرية باربل في سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، وحضوره الاحتفال مع كوكبوري والعلماء (مخ ورقة ١٦٢ أ) . كما انه أثبت رسالة تعزية وردته من أحد المترجمين ، بوفاة أخيه في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م (مخ ورقة ١٢٠ ب) ، وذكر سماعه في السنة المذكورة على محمد بن حسان الواسطي ، بجامع إربل ، (مخ ورقة ١٧٤ أ) ورؤيته لشخص - ترجم له - بالموصل في سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ، ووصف شكله وهمته في الطلب (مخ ورقة ١٦٨ ب) . كذلك تحدث عن مشاوراته مع كوكبوري بشأن استقدام بعض المحدثين من بغداد لاسماع الحديث باربل ، ووصول بعضهم في

سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م ، ووصفه لمجالس السماع في تلك السنة (مخ ورقة ١٧٠ - ب)
وهذه الاشارات تدل ، بلاريب ، على ان ابن المستوفي كان يعد نفسه لتصنيف
" تاريخ إربل " منذ وقت طويل .

وعلى أي حال ، فان الكتاب قد كُتِبَ كله في عهد كوكبوري - ماعدا الخبر الواقع في
سنة ٦٣١ هـ ، وقد مر ذكره ، - ذلك لان ابن المستوفي كان دائما يقرن اسمه بعبارات
الدعاء للأحياء ، كقوله ، " أدام الله سلطانه " أو " أعز الله نصره " ، وما الى ذلك (مخ
ورقة ٤٥ ب و ٦٨ ب و ١٢٢ ب و ١٢٨ أ) . ولم يترحم عليه إلا مرتين ، الأولى وردت خطأ ،
إذ المقصود بالترحم هو أبوه زين الدين علي (انظر تعليقنا في المخطوطة ورقة ٢٧ ب) .
أما الثانية فان الترحيم قد حُشِرَ بخط أحد القراء الذي لم يفتن الى التناقض الذي وقع
فيه ، إذ وردت عبارة " أدام الله سلطانه " في السطر التالي للترحم تماما (مخ ورقة
١٢٨ أ) . هذا ومن الطبيعي جداً أن يتم تصنيف الكتاب في عهد كوكبوري ، لان إربل
لم تصبح مدينة ذات شأن إلا في عهده - كما بينا في القسم الاول من هذه الدراسة - ،
ثم ان ابن المستوفي لم يبلغ مبلغ أهل العلم والتصنيف إلا بعد تولي كوكبوري حكم
إربل ، إذ بلغ آنذاك الثانية والعشرين من عمره . ثم ان توارد العلماء على إربل لم يصيح
ظاهرة ملحوظة تستحق التسجيل ، إلا في عهد كوكبوري ، وكتابنا خير دليل على ذلك ،
فهو يسجل الواردين الى إربل وقد قدم أغلبهم في عهد كوكبوري ، وقد انقطعوا تقريبا
بوفاته . فلا غرابة إذن أن يكون تصنيف هذا الكتاب قد تم كله أو أكثره في عهد الحاكم
المذكور .

ب / محتويات " تاريخ إربل " :

وحيث ان كتابنا هو معجم تراجم وسير ، فان غرضنا هنا سيكون وصف تلك التراجم
وتحليلها على قدر الامكان :

أولا - طوائف أصحاب التراجم :

لقد سبق وبيننا ان " تاريخ إربل " بالاصل ، كان في مالا يقل عن أربعة اجزاء ، وانه
تناول الملوك والأمراء والعلماء والزهاد والشعراء والكتّاب ، الا ان الجزء الذي بين أيدينا

هو خاص بذكر الاخيار والصلحاء ، ولاسيما " المتقطعين الى الزهادة ، والموسومين بالعدالة ، والمعروفين بالرواية ، ممن اشتهرت ديانتهم ، وعُرفت صيانتهم ، وظهرت أمانتهم " (مخ ورقة ١ ب) والجدير بالذكر ان التأليف عن الصالحين والزهاد كان متعارفا لدى المسلمين وألف فيه كثيرون ، منهم أبو نُعيم الاصبهاني في كتابه " حلية الاولياء " وابن الجوزي في كتابه " صفة الصفوة " ، وكلاهما مطبوع ، الأول بمصر في سنة ١٩٣٢ م ، والثاني بحيدر آباد في سنة ١٣٥٥ هـ . ولابن الساعي كتاب بعنوان " اخبار الزهاد " ، كما في " ذيل كشف الظنون " (١ / ٤٢) ، ولكنني لم اقف عليه .

وبالفعل فان ابن المستوفي قد جهد نفسه أن يلتزم بالترجمة للفئات التي ذكرها بالتحديد ، ولهذا فان أصحاب التراجم كلهم تقريبا إما من الزهاد والمتصوفة ، أو من العلول وأهل الحديث ، ولكن الفئة الاخيرة هي الغالبة . ولقد ترجم المؤلف لشخص غني ، وخشي ان يُعترض ، عليه فقال : " وانما كتبت في هذا الباب ، لانه صار في الآخر الى الانقطاع " . وقال عن شخص آخر مثله : " وانما كتبت هنا لغلبة الزهد عليه " (مخ ورقة ٦٥ أ و ١٧٢ ب) . لكنه في حالات قليلة أخرى ، لم يجد المبرر الذي يتفق وشروطه ، فتذرع بأسباب واهية ، فقال مثلا عن شخصين ذكرهما ، انه وجد اسميهما ونسبيهما مكتوبين على حيطان بعض المساجد في قرى إربلية (مخ ورقة ١٤٦ أ و ١٢٠٤) . وقال عن شخص ثالث " وانما ذكرته ، لان له ذكراً باريلاً " (مخ ورقة ١٨٠) ، وذكر عن شخص رابع بأنه ذكره غرابة نسبة ولقبه (مخ ورقة ٢٣١) ، وهذا ليس بغريب لان الدكتور إحسان عباس ، نقل عن السلفي بأنه كان يقيد هذه الفائدة أو تلك لغرابة في اسم صاحبها (انظر التراجم الاندلسية المستخلصة من " معجم السفر " ص ٩) . هذا وقد وجدت في " تاريخ إربل " ترجمة لاحد الاطباء (مخ ورقة ١٥٤ أ) الا ان المؤلف سكت عن بيان سبب إيرادها .

وعلى كل حال ، فالكتاب في مجمله مجموعة من التراجم التي بلغ عددها (٣٣٧) ترجمة ، ثلاثة منها لاشخاص تكرر ذكرهم ، مما يجعل العدد الصحيح للتراجم (٣٣٤) .

وهي تتفاوت في الطول تفاوتاً كبيراً ، فبينما لا يتجاوز بعضها السطرين (مخ ورقة ٢٣١ أ) ، نرى البعض الآخر في ست صفحات أو أكثر (مخ ورقة ١ ب - ٤ و ١٦ - ٩ و ٢١٧ ب - ٢٢٠ ب) . أما إذا وزعنا عدد الصفحات على عدد التراجم بالتساوي ، فيكون المعدل صفحة واحدة ونصف الصفحة للترجمة الواحدة ، وهذا في الحقيقة هو الغالب (مخ ورقة ١٣٨ ب و ١٤١ أ و ١٤٥ ب و ١٧٢ أ و ب و ١٧٤ ب - و ١٧٥ ب و ١٧٦ ب و ١٩٦ أ و ٢٠٣ أ و ب و ٢٠٤ ب و ٢١١ أ - ٢١٥) .

ثانياً - وصف مجمل التراجم :

يمكن القول بأن معظم التراجم الواردة في " تاريخ إربل " ، ولاسيما الإضافية منها ، متشابهة ، فتبدأ الترجمة بالاسم الذي اشتهر به المترجم ، مكتوباً بخط غليظ ، ثم يليه اسمه كاملاً تتقدمه الكنية ، ويشمل الاسم أسماء الآباء والأجداد ، وأحياناً سلسلة النسب بكاملها (مخ ورقة ٤١ أ و ٤٦ أ ، و ١٢٤ ب) ، ثم النسبة سواء أكانت للمدينة أو للقبيلة ، أو للحالة العلمية ، وهذه كلها (مخ ورقة ١ ب و ٤ ب و ٦ ب و ١١ أ و ٢٣ أ و ١٤ ب و ١٧ ب و ٣١ أ و ب و ٣٤ ب و ١٣٤ ب) ، وبعدها الشهرة ، كان يُعرف الشخص بـ " ابن الحدوس " أو " ابن الجمال " أو " ابن الحداد " (مخ ورقة ١٧ أ و ٣٧ ب و ١٣٤ ب) ، ثم يذكر شيوخ المترجم أو من سمع عليه ، ورحلاته والوظائف التي شغلها والمؤلفات التي صنفها ، والشعر الذي نظمه - إن كان ممن ينظم الشعر - وفي هذه الحالة يروى عنه ، كما جرت العادة ، بضعة أبيات من الشعر ، سواءً عنه شخصياً ، أو بالواسطة إذا ما كان المترجم غائبا أو ميتا (مخ ورقة ٢ ب و ٣ ب - ٤ أ و ١٥ ب و ١٨ ب) . وكان ابن المستوفي في بعض الأحيان يطلب إلى بعض المترجمين أن ينظموا له شعراً ، ليكون ذلك سبباً لذكرهم في كتابه (مخ ورقة ١٢٠ أ) . ولقد صرح بغرضه هذا بالنسبة لشخص ورد إربل ولم يُنبه عليه ، ليجتمع به اجتماعه بغيره ، فيستنشده من شعره " ما هو غرض هذا الكتاب " (مخ ورقة ٢٢٦ ب) . كذلك يذكر المؤلف عما إذا كان المترجم قد روى الحديث ، وهنا أيضاً يحاول - إن كان المترجم ممن لقيهم شخصياً - أن يروى عنه بعض الحديث (مخ ورقة ٣١ ب - ٣٣ ب) .

ويذكر في أغلب الحالات ، تاريخ الولادة والوفاة ومكانهما ، كلما تيسر له ذلك (مخ ورقة ٥ أ و ب ٧ و ٩ أ و ١١ ب و ١٢ ب و ١٣ أ - ب و ١٤ ب و ١٨ أ و ١٩ أ و ٣١ أ - ٣٣ ب و ٣٥ ب) . ويذكر أيضا تاريخ ورود الشخص موضوع الترجمة ، الى إربل ، ويزيد في بعض الاحيان أن يذكر تاريخ الرواية والسماع ومكانهما (مخ ورقة ٥ ب و ٧ ب و ١١ ب و ١٣ أ و ب و ١٤ ب و ١٨ أ) .

ويبدو أن ابن المستوفي قد اعتاد على ذكر تواريخ سماعاته ، إذ يذكر الاستاذ الربداوي (الحركة النقدية ص ٥٣٩) بأنه قد وصف في كتابه " النظام " طريقة روايته لـ " ديوان أبي تمام " بدقة علي طريقة أهل الحديث ، فذكر سند الرواية الموصول ، لتسلسل الى أبي تمام نفسه ، كما انه ذكر قراءته للديوان على محمد بن عيسى الجصاص في سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م بمنزله بربل . والجدير بالملاحظة أن ابن المستوفي ، قد ذكر بالفعل ورود محمد هذا إلى إربل في السنة المذكورة (مخ ورقة ٨٥ أ) ، مما يدل على دقته وأمانته .

هذا وفي مخطوطتنا بعض التراجم التي لم يتبع المؤلف في كتابتها هذا النسق ، وإنما دخل رأسا في ذكر الخبر الذي يروي عن الشخص موضوع الترجمة ، كالذي وقع في الورقات ١٤٤ أ - ١٤٥ ب ، وهذا ما حملني على اعتبار ماورد في تلك الورقات مجرد مذكرات كتبها المؤلف لنفسه ، للاستفادة منها عند إعداد التراجم ذات العلاقة . وفي حالات أخرى ، اكتفى المؤلف بإيراد اسم المترجم وبخبر قصير لا يتجاوز جملة واحدة أو جملتين (مخ ورقة ١٤٦ أ - ب) . وقد بدأ بعض التراجم بقوله " وجدت .. " ثم يأتي بنص ماوجده مكتويا (وأظن أن هذا ما يسمى بـ " الوجدات " ، وأذكر اني رأيت مقالا في مجلة " دعوة الحق " المغربية حول الموضوع ، ولا أذكر تاريخه) ، أو يقول " كتب لي بخطه وحدثني .. " ، أو نقلت .. " ، أو يقول " سمع ... " أو " قرأ ... " ثم يورد اسم السامع والقارئ وما الى ذلك ، دون الاهتمام بإيراد الكنية والنسبة (مخ ورقة ١٢٦ أ و ب ، و ١٢٩ ب و ١٤٤ أ - ١٤٦ ب و ١٥٠ أ و ١٦٤ أ و ١٦٩ أ و ١٧٢ أ - ١٧٤ أ و ١٧٩ ب)

ثالثا - ترتيب التراجم :

جرت عادة المؤرخين أن يرتبوا كتب التراجم وفقا لترتيب الحروف لاسماء أصحابها ، كما فعل الخطيب البغدادي وابن عساكر وابن خلكان وأمثالهم ، أو أنهم يرتبونها على حسب السنين ، فيترجمون لأصحابها وفقا لتاريخ وفياتهم ، والامثلة على ذلك " المنتظم " لابن الجوزي ، و"مرآة الزمان " لسبطه و"الكلمة " للمنذري ، وما يماثلها . وهناك صنف ثالث تكون فيه التراجم مرتبة وفقا لطبقات أصحابها ، وخير ما يمثل هذا الصنف " طبقات الشافعية " لكل من السبكي والاسنوي و" طبقات الحفاظ " للذهبي و" ذيل طبقات الحنابلة " لابن رجب . أما " تاريخ إربل " أو على الاصح ما وصلنا منه ، لم يأخذ فيه كاتبه بأي شكل من هذه الاشكال مطلقا ، فلا هو مرتب على الحروف الهجائية ، ولا على حسب التواريخ ، ولا على شكل الطبقات . فان التراجم فيه وضعت بعضها فوق بعض بصورة جزافية ، لايربط بينها رابط ، ولا تفسير وفق قاعدة مضطردة . وهذا أحد الاسباب التي حملتني على اعتبار المخطوطة التي بين أيدينا هي صورة منقولة عن مسودة " تاريخ إربل " ، وليس الشكل النهائي للكتاب المذكور ، لان الوقت لم يتسع للمؤلف لتبويضه (انظر مقدمة التحقيق) .

ولعل من المفيد إيراد الامثلة لايضاح ما بينت أنفا ، فأقول بأن صاحبي الترجمتين الاولى والثانية مثلا ، اسمهما " أحمد " ولكن صاحب الترجمة الثالثة اسمه " المبارك " ، والرابعة " علي " ، وكذلك صاحب الترجمة الاخيرة في الكتاب ، اسمه " علي " أيضا . أما تاريخ وفاة هؤلاء فهو بالتقويم الهجري ٥٢٠ و ٥٩١ و ٦٠٠ هـ وغير معروف و ٦٤٠ هـ ، علي التتوالي (مخ ورقة ١ ب و ٤ أ و ٦ أ و ٩ أ و ٢٣١ أ) . وعلى كل حال ، فسواء سلمنا بأن المخطوطة منقولة عن مسودة ، أو أن ابن المستوفي أرادها أن تكون على هذه الصورة ، فانه من المفيد وصف الترتيب الفعلي الذي عليه تراجم الكتاب ، لعل بإمكان القارئ الكريم أن يكتشف شيئا عن ترتيبها فانتني الانتباه اليه .

(١) رغم عدم التزام المؤلف بالترتيب الزمني في سرد التراجم ، الا ان الملاحظ بأن أغلب الذين تقدمت تراجمهم من حيث موضعها في المخطوطة كانوا من المتقدمين ،

وان الذين تأخرت مواضع تراجمهم كانوا من المتأخرين . ولقد لاحظتُ مثلاً ، بأن معظم التراجم الواردة في المئة صفحة الاخيرة من المخطوطة ، ورد أصحابها الى إربيل بعد سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، بل ان بينهم من وردها في سنتي ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م و ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م (مخ ورقة ٢٢٢ أ ، و ٢٢٣ ب و ٢٣١ ب) . ومع ذلك فاننا واجدون بين هؤلاء ترجمة شخص توفي في سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، وآخر توفي في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م (مخ ورقة ٢٢٧ ب و ٢٣١ أ) وهكذا . والظاهر ان المؤلف كان يدرج في مسوداته المعلومات التي تتوارد عليه تباعاً ، وهذا ما جعل الاقدمين قد تقدمت تراجمهم في البداية ، بينما تأخرت تراجم المتأخرين الى النهاية .

(٢) يراعي المؤلف ، في بعض الأحيان ، وجود صلة ما ، بين السابق واللاحق من أصحاب التراجم ، كصلة القرابة أو الصحبة أو الزمالة أو التلمذة ، وما أشبه . ومن الامثلة على ذلك ، انه ترجم لاحمد بن محمد الحديثي ، وأعقبه بترجمة لابنه روح بن أحمد ، ثم بترجمة حفيده عبد الملك (مخ ورقة ١٩٦ أ - ٩٧ ب) . وفعل مثل ذلك عندما ترجم لاسماعيل بن مسلم الاربلي ، وأتبعه بترجمة أخيه إبراهيم ، ثم بترجمة ولده علي بن إسماعيل فترجمة محمد بن إبراهيم المذكور (مخ ٩٨ ب - ١٠٠ أ) . وكذلك ترجم لعثمان بن عبد الله بن محمد ، ثم أتبعه بترجمة قريبه عبد الله بن إبراهيم بن علي ، وكلاهما من خطباء جامع القلعة باربيل (مخ ورقة ١١٩ ب - ١٢٠ أ) . وترجم ايضا لعيسى بن لل ، وأعقبه بترجمة ابنه محمد (مخ ورقة ١٣١ أ - ١٣٢ أ) . وكذلك ترجم لمحمد بن هبة الله بن المكرم ، وأعقبهما بترجمة ابن أخيه علي ابن المكرم (مخ ورقة ٢٠٠ أ - ٢٠١ أ) . وترجم للشيخ أميري بن بختيار ، وأتبعه بترجمة زوج عمتة (مخ ورقة ١١ أ - ١٢ ب) . كما ترجم لشخص يعرف بابن الاستاذ ، ثم أعقبها بترجمة اثنين ممن سمع عليه (مخ ورقة ١٣٠ ب - ١٣١ أ) . وترجم لثلاثة أشخاص على التوالي ، وكلهم سمعوا على الحسين بن نصر بن خميس (مخ ورقة ٢٨) . كذلك ترجم لاربعة أشخاص على التوالي أيضا وكلهم سمعوا على

الخطيب البغدادي (مخ ورقة ١٠ ب - ١١ أ) . كما انه ترجم للشيخ علي بن الهيثمي ، وأتبعها بترجمة لاحد أصحابه ، ويدعى علي البوهرزي (مخ ورقة ١٢ ب - ١٣ ب) . وفعل مثل ذلك عند ترجمته للحسين الكيلي ، وقد أعقبها بترجمة لاحد أصحابه (مخ ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤) . ثم ترجم لابراهيم بن عثمان الماراني ، وأتبعها بترجمة لزميله عسكر بن عبد الرحيم ، الذي رافقه في سفرته الى خراسان ، كما ان كليهما ورد إربل في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م (مخ ورقة ١٠٠ ب - ١٠١) وترجم لعبد الله ابن الحسن الموصللي ، وأعقبهما بترجمة عمر بن شماس الخزرجي ، وكلاهما كان من كُتّاب الشروط (مخ ورقة ١٤ ب و ١٧ ب) .

ولقد نحا ابن المستوفي في هذا منحى الاسنوي في " طبقات الشافعية " ، إذ ترجم مثلاً لمحمد بن عين الدولة ، وأتبعه بولده عبد الله (طبقات ١ / ٥٤٤) . وفعل مثل ذلك بالنسبة لابن زُرعة الدمشقي وولده الحسين (طبقات ١ / ٥١٩ - ٥٢٠) . كذلك فانه ترجم لبني خلكان وبني الخجندي وآل الشهرزوري للأبناء والأحفاد أحياناً (طبقات ١ / ٤٩٠ - ٤٩٢ و ٤٩٥ - ٤٩٦ و ٢ / ٦٣ وما بعدها) .

(٣) يجمع المؤلف أحياناً بين تراجم الواردين الى إربل في سنة واحدة ، فقد سبق وأشرنا الى جمعه بين ترجمتي كل من إبراهيم بن عثمان الماراني وصاحبه عسكر بن عبد الرحيم ، وأضاف عليهما ترجمة فرقد الكناني ، لوردهم إربل في سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م (مخ ورقة ١٠٠ ب و ١٠١ أ ، و ١٠٣ أ) . وكذلك جمع تراجم بارسطافان الغزي وعبد الرحمن البغدادي والكاتب الأرموية ، وكلهم وردوا الى إربل في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخ ورقة ١١٥ ب - ١١٧ ب) . كما انه جمع بين ترجمتي محمد بن الدمياطي وابن المخيلى الواردين الى إربل في سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م (مخ ورقة ١٩٨ ب - ١٩٩) ، وترجم لابي المجد القزويني ، وأتبعها بترجمة عبد الغفور التبريزي اللذين وردا الى إربل في سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م (مخ ١٤٦ ب - ١٤٧) . كما جمع بين ترجمتي يحيى بن أحمد الغرناطي وخالد النابلسي الواردين الى إربل في تلك السنة أيضاً (مخ ورقة ١٦١ أ) . كذلك جمع المؤلف بين ترجمتي محمد ابن

ابراهيم الرازي واسماعيل البوميرى ، إذ وردا الى إربل في ربيع الاول من سنة ٦٢٠ هـ / نيسان ١٢٢٣ م (مخ ورقة ٢٠٢ أ) . وجمع أيضا بين ترجمتي ابن الشعار الموصلي وجعفر بن محمد الواسطي الواردَين الي إربل في سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م (مخ ورقة ١٨١ أ - ١٨٢ ب) . كما ان صاحبي الترجمتين ٧١ و ٧٢ وردا إربل في سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م . (مخ ورقة ١٧٤ أ - ب) . كذلك فان محمد ابن يحيى المغربي ومحمد بن الخازن البغدادي وعبد الرشيد الاصبهاني وقاضي السويداء ، كلهم قدموا الى إربل في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م (مخ ورقة ٢١٦ أ - ٢٢١) . وقدم عيسى الاندلسي والحسن بن محمد الاندلسي الى إربل في سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م (مخ ورقة ٢١١ ب - ٢١٥ ب) . كما ان المؤلف كان يجمع أحيانا المتوفين في سنة واحدة ، ويترجم لهم بالتتابع ، من ذلك مثلا أنه جمع بين ابن خليفان وعبد اللطيف السهروردي ، وكلاهما توفي في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م (مخ ورقة ٧٥ ب - ٧٦ ب) . وفعل الشيء نفسه قيما يتعلق بترجمتي عمر بن بدر الحنفي وراجية بنت عبد الله ، وقد توفيّا في سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م (مخ ورقة ١١٢ ب - ١١٣) ، كما أن صاحبي الترجمتين ٧٠ و ٧٢ قد توفيّا في سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م (مخ ورقة ٧٣ ب - ٧٤ ب) . وهذا ومما لاحظته أيضا ، ان ابن المستوفي يتابع بين تراجم أشخاص تقاربت مواعيد لقائه بهم ، كما فعل بالنسبة لأصحاب التراجم الوارد ذكرهم في الورقات ١٨٤ ب - ١٩٦ ، وكلهم لقي المؤلف بين سنتي ٦٢٢ هـ - ٦٢٥ هـ .

(٤) يجمع المؤلف أحيانا بين تراجم أهل البلد الواحد ، من ذلك مثلا ان خمسة من أصحاب التراجم ، أوردتهم تباعا لأنهم كانوا من الارابلة (مخ ورقة ١٧٣ ب - ١٧٤) . وجمع بين ترجمتي اثنين من الاندلسيين (مخ ورقة ٢١١ أ - ٢١٥ ب) . وقد تقدم ذكرها في الفقرة - ٣ - أعلاه . كذلك جمع بين ترجمتي كل من عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري ، ومحمد بن موسى القيسي ، وكلاهما من مدينة سلا بالمغرب (مخ ورقة ١٥٢ ب - ١٥٣) . وأورد ترجمة ابن شيت الطبيب ، ثم أتبعها بترجمة عبد الحميد المقدسي ، وكلاهما من أهل فلسطين (مخ ورقة ١٥٤ أ - ب) . وجمع بين

ترجمتي كل من عبد القاهر ابن الحسن ، وابن الغنسي ، لأنهما من المواصلة (مخ ورقة ٢٢١ ب - ٢٢٢) كذلك جمع بين ترجمتي شخصين من أهل مصر ، هما الدمياطي وابن المخلي (مخ ورقة ١٩٨ ب - ١٩٩) .

(٥) وقد يجمع المؤلف أيضا بين من تتشابه أسمائهم أوكناهم أو نسبتهن ، من ذلك مثلا أنه ترجم لشيخه المبارك بن طاهر الخزاعي ، وأتبعها بترجمة علي بن محمد بن طاهر الخزاعي ، وقال قبل إيراد ترجمة هذا الأخير " وممن وافق شيخنا الخزاعي في لقبه وبعض نسبه " (مخ ورقة ٦ ب و ٩ أ) . والمقصود طبعاً ان كليهما يتفقان في النسبة الى خزاعة ، وان اسم " طاهر " موجود في سلسلتي نسبتهما ، وعندما انهى ابن المستوفي ترجمة أبي السكر حماد بن يحيى البوازيجي ، قال : " في الاسم والكنية والنسبة " وأورد بعد هذه العبارة ، ترجمة أبي السكر حماد بن محمد البوازيجي (مخ ورقة ١٢٠ ب) . وهنا يقصد ، بلاشك ، ان المترجمين يتفقان في الاسم والكنية والنسبة الى " البوازيج " . كذلك ترجم لابن وهسوذان الهذباني ، وأتبعها بترجمة محمد بن أبي طاهر الهذاباني (مخ ورقة ١٦٤ أ - ب) بسبب اتفاقهما في النسبة . كما انه ترجم لابي بكر الرازي ، وأعقبها بترجمة محمد بن إبراهيم الرازي (مخ ورقة ٢٠٢ ب - ٢٠٣) للسبب نفسه . ثم أنه جمع بين ترجمتي كل من عبد الحميد بن عرفة ، وأتبعها بترجمة عبد الرحمن ابن الحسن ، وكلاهما يعرف بـ " ابن بصل " (مخ ورقة ١٢٤ ب - ١٢٥ ب) ، وعلاوة على ذلك ، فانه ترجم لعبد الرحمن بن أبي البركات الحلبي ، المعروف بابن " المشتري " ، ثم أعقبها بترجمة عبد الرحمن بن هبة الله ، المعروف بابن " المسيري " ، وقال : " وإنما ذكرته - ويقصد الثاني منهما - لاشتباه نسبته بنسبة ابن المشتري " (مخ ورقة ١١٣ أ - ١١٤ ب) ، ذلك لأن ابن المسيري كان وزيراً ، ولم يكن من الفئات التي يشملها هذا الجزء ، من " تاريخ إربل " . هذا وقد ذكر المؤلف على التوالي أربع تراجم أسماء أصحابها " محمد " ، وكنية ثلاثة منهم " أبو عبد الله " (مخ ورقة ٢٠٣ ب - ٢٠٤ ب) . وترجم أيضاً لشخص اسمه محمد بن عبد الرشيد ، ثم أتبعها بترجمة لشخص

اسمه عبد الرشيد ، كما ترجم لشخص يعرف بـ " محمد الصوفى " ، وأعقبها بترجمة لمحمود الصوفي (مخ ورقة ٩١ ب - ٩٢ و ١٩٤ ب) .

وهذا ، نحا ابن المستوفى منحى ابن الصابوني فى كتابه " تكملة الاكمال " ، وهو من كتب المتشابه من أسماء الرجال ، إذ كان يترجم لأعضاء العائلة الواحدة على التوالي ، بالنظر لاتحادهم فى النسبة . كذلك كان يفعل الشيء نفسه عندما تتشابه الأسماء والأنساب ، فقد ترجم ابن الصابوني مثلاً لمن اسمه " عنتر وعنبر " فى مكان واحد (تكملة ص ٢٥٨) . وترجم للخضر بن شبل ، المعروف بابن " عيد " ، وأتبعها بترجمة ابنه وحفيده وإخيه ، لأن كلا منهم يعرف بهذا الاسم (تكملة ص ٢٥٥ - ٢٥٧) . وترجم لعبد الصمد القباتي ولعبد الكريم القباري وأحمد القناري ، بالتتابع (تكملة ص ٢٧٧ - ٢٧٩) ، وذلك بسبب التشابه الواقع فى نسبة كل منهم . وهذا طبيعى جداً فى كتب " المختلف والمؤتلف فى أسماء الرجال " ، لأن الاختلاف والانتلاف هما مدار البحث فى مثل هذه الكتب ، وكذلك الأمر فى كتب " الأنساب " التى تترجم فى مكان واحد ، عادة ، لمن تتحد نسبتهن ، ولكن " تاريخ إربل " ليس واحداً من هذه الكتب ، ولذلك فإن اتباعه لهذا المنحى أمر يدعو الى الاستغراب .

(٦) ويأتى المؤلف بالتراجم أحياناً على سبيل الاستطراد ، من ذلك مثلاً ورود ذكر حادث فى احدى التراجم ، مما يتعلق بشخص من الاشخاص ، فيعمد الى ترجمة هذا الشخص أيضاً . وخير مثل لهذا المنحى ، هو ورود ذكر سماع حديث من عبد العزيز بن عبد القادر الجيلي ، فى احدى التراجم ، فما كان منه إلا المبادرة بالترجمة لعبد العزيز هذا (مخ ورقة ٣٣ أ و ٣٤ أ) ، إذ تذكر ان هذا أيضاً قد ورد إربل ، وأنه من الفئات التى يشملها الجزء الثانى من " تاريخ إربل " .

الفصل الثاني

أسلوب ابن المستوفي في " تاريخ إربل "

سبق وبيننا ان " تاريخ إربل " ، هو مجموعة تراجم لم ورد إربل ، أوكان من بعض أبنائها وكان من النابهين . ولقد ذكر ابن المستوفي نفسه بأنه يؤرخ " الواردين الى إربل " (مخ ورقة ١٩٩ ب) ، وفي ظني ، انه قصد بتاريخ الواردين هو التعريف بهم ، بأوجز عبارة ، ولم يكن غرضه كتابة تراجمهم بصورة كاملة ، ذلك لان العنصر المهم في الكتاب هو التعريف بمن ورد إربل ، لان الورد هو القاسم المشترك بين هؤلاء الاشخاص . ومع هذا ، فقد جاءت التراجم في كثير من الأحيان ، ضافية مستكملة لما يجب توفره في كتب التراجم من شروط . ونقطة أخرى يحسن بي أن أنبه اليها ، هي ان ابن المستوفي كان من البداية عازما على تصنيف كتاب بهذا الشأن ، فقد أشار في إحدى التراجم ، بأنه اجتمع بأحدهم قبل أن يشرع " في تدقيق هذا الكتاب " (مخ ورقة ١٠٨ ب) ، أي أنه لم يكن هدفه تدوين مجرد مذكرات عن ورد إربل ، بغية الاستفادة منها بصورة شخصية ، ولأغراض أخرى . وقد تحدث في موضع آخر عن شخص طلب اليه ان يثبت " في هذا الكتاب " (مخ ورقة ١٢٠ أ) ، وقال عن شخص ثالث : " ورد إربل قديما ، ولم أؤرخه " (مخ ورقة ١٧٦ ب) . وفي هذه الاشارات العابرة ، الدليل على أن ابن المستوفي كان يهدف الى تصنيف كتاب تاريخي ، وقد تحدث أكثر من مرة عن تدقيق " الكتاب " و الاثبات في " الكتاب " ، كما تحدث عن " تأريخ " الواردين الى إربل وما أشبه . ولذلك فان من حقنا القيام بدراسة أسلوب المؤلف في ضوء علم التأريخ ، لنرى الى أي مدى كان يلتزم بأساليب المؤرخين وطرائقهم :

أولا : الشروط التي فرضها ابن المستوفي على نفسه :

حدد المؤلف في مقدمة الجزء الثاني من " تاريخ إربل " ، الفئات التي سيتناولها في هذا الجزء - وقد بسطنا ذكرها في الفصل السابق - ، وقد بذل جهده لتلا يخرج عن نطاقها ، وكان إذا شعر بأنه يتناول أشخاصا لم يكونوا من تلك الفئات ، يحاول إيجاد المبرر ، فيقول مثلا " ولكن أمره في الآخر آل الى الانقطاع ... " أو " إنما ذكرته لغلبة

الزهد عليه . " وما الى ذلك مما أشرنا اليه في موضعه . وهذا ليس معناه ان الكتاب جاء خاليا من الاستطراد ، بل على العكس ، فان الكتاب - شأنه شأن كثير من الكتب العربية - زاخر بالاستطرادات ، ولكنها استطرادات مقبولة . وهي على الاكثر مما تستدعيه المناسبة . وسنحاول فيما يأتي تناول هذا الموضوع من خلال النقاط الآتية :

١- الاستطراد :

ولاجل الاحاطة بالمدى الذي ذهب اليه ابن المستوفي في استطراداته ، سنستعرض هنا نماذج منها ، من ذلك مثلاً أنه ترجم لبذل التبريزي الذي حدثه ببعض الحديث ، فاستطرد المؤلف الى ذكر سلاسل موازية لسند الحديث الذي حدث به بدل المذكور . ثم استطرد منها الى ذكر أحاديث أخرى ، وقصة هزيمة هوازن ، وسعيها لدى الرسول - ص - لاطلاق أسراها ، وغرضه من ذلك التدليل على علو السند الذي وثَّق اليه (مخ ورقة ٦٦ أ - ٦٤ ب) .

وعندما ترجم لعلي الهروي ، الذي اشتهر بالكتابة على حيطان الاماكن التي يزورها ، أشار الى وجود شخص آخر عُرف بهذه العادة أيضا (مخ ورقة ٦٦ ب - ٦٧) . ولكنه عندما ترجم لسلمان البجباري ، استطرد الى ذكر قصة الكيمياوي المصري الذي احتال على أهل الموصل وعلماؤها وحكامها - زاعما بأنه يستطيع تحويل المعادن - بادر المؤلف الى الامتناد قائلًا ، بأنه ما ذكر القصة الا لعلاقتها باضطراب سلمان المذكور على مغادرة الموصل والقدوم الى إربل (مخ ورقة ٧٥ أ - ب) . ثم انه استطرد لذكر قصة بناء الحجرة النبوية فوق قبر الرسول - ص - ، لغرض التعريف بأحد مترجميه الذي يُنسب اليه القيام ببنائها (مخ ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤) . ولقد روى له أحد المترجمين شعراً ، فاستطرد الى ذكر قصة تساعد في إلقاء الضوء على صحة نسبة ذلك الشعر والمناسبة التي قيل فيها (مخ ورقة ١٠٧ ب - ١٠٨ و ١٩١ ب) .

ويستطرد أحيانا - وهو استطراد مفيد - عند ذكر أخبار المترجم لهم حتى بعد مغادرتهم لاربيل ، وذلك استكمالا لتلك التراجم (مخ ورقة ١١٥ أ) . ويأتي الاستطراد أحيانا ، بذكر قصة أو خبر رواه أحد المترجمين ، مما لا علاقة له به شخصيا (مخ ورقة

١١٩٩) ، أو مما له به علاقة فعلا ، فلقد استطرد مثلاً في ترجمة ابراهيم السنهوري المصري ، فحكى مازعمه هذا الأخير من ان ابن دريد ينفي أن يكون الياس من الانبياء ، ورد المؤلف على تلك المزاعم (مخ ورقة ١٢٢ ب - ١٢٣ ب) . وهذا أيضاً استطرد مفيد ، لأنه ينطوي على وصف الشخص المترجم ، ومدى الثقة بكلامه . وعندما ذكر أنه أحد المترجمين أنه سمع أحاديث " المهذب " ، بادر المؤلف مستطرداً الى نقد كتاب تناول شرح تلك الاحاديث (مخ ورقة ١٧٨ أ) .

ويستطرد المؤلف في بعض الاحيان ، بتضمين تراجمه أخباراً لها علاقة بحياة أشخاص وردت أسمائهم ضمن تلك التراجم ، ففي ترجمة عيسى بن ال ، ذكر وفاة الزراري الذي كان من معارف عيسى المذكور (مخ ورقة ١٣٢ أ) . ومنها ، أنه عندما أورد شعراً منسوباً الى الشيخ أحمد الرفاعي - رح - استطرد الى ذكر وفاته (مخ ١٨٢ أ) ، وفعل مثل ذلك بالنسبة لوفاة عبد الجبار القيرواني (الاشارة السابقة) ، وكذلك كان الامر بالنسبة لمحمد بن ابراهيم الخبري (مخ ورقة ١٩٥ أ - ب) ، ومثله أيضاً فيما يتعلق بابن النبيه (مخ ورقة ١٦٠ ب) . وعندما ترجم لابن رشادة اليراسطي ، استطرد الى ذكر وفاة والده (مخ ورقة ٢٢٨ ب - ٢٢٩) .

وهذه بلا شك ، هي من الاستطرادات المقبولة ، وقد أخذ بها ابن خلكان كثيراً واستطرد آخر مقبول أيضاً ، وقع عندما أنشده أحدهم أبياتاً لم يسم قائلها ، ثم وجدها ابن المستوفي " كتاب المعارف " تصنيف ابن قتيبة ، لشاعر اسمه هبة الله . وهنا يستطرد الى ذكر شعر قيل في مدح هبة الله المذكور ، كما يشير الى أنه قد وجد الأبيات الاولى مكتوبة بخط عمه ، وهكذا (مخ ورقة ١٤٠ أ) .

وفضلاً عن ذلك ، فإن بعض الاستطرادات ليست من المؤلف ، وإنما يرويها له أصحاب التراجم فيثبته ، من ذلك مثلاً ما روى له طه بن بشير الاربلي عن دعاء السرو بالكعبة المشرفة (مخ ورقة ١٧٣ أ) ، أما ما رواه له عمر بن محاسن من شعر كتبه أحد تزلزلاء دار المضيف باربيل (مخ ورقة ١٧٩ ب) ، أو ما رواه له جعفر بن محمد الواسطي من أخبار تتعلق بشخصين ، من أهل واسط ، روى لهما بعض الشعر ، ثم تصدى الى

ذكر بعض أوصافهما (مخ ورقة ١٨٣ ب - ١٨٤) ، أو مارواه له عبد الله بن أبي الفضل عن المرأة التي لم تأكل منذ سنين وما زالت على قيد الحياة (مخ ورقة ١٩٤ أ) ، أو مارواه له محمد بن أبي طاهر الهذلي من قصة كثير عزة مع الأمير عبد العزيز بن مروان الأموي (مخ ورقة ١٦٤ ب) ، أو مارواه علي بن المكرم عن قصة بيت الشعر الذي كانت تتمثل به عائشة أم المؤمنين - رض - (مخ ورقة ٢٠٢ أ) . ومن هذا النوع الشعر الذي رواه للمؤلف ابن فطيرا مما لعلقة له بصلب الترجمة (مخ ورقة ٢٠٥ ب - ٢٠٦ ب) .

هذا وبعض استطرادته - وهي قليلة جداً - هي من باب " الشيء بالشيء يذكر " . ومن هذا النوع ما ذكره أحد المترجمين عن الخط الذي رآه مكتوباً على حائط جامع قرية باصيدا ، فرأى ابن المستوفي أن من المفيد أن يروى قصة بناء هذا الجامع ، ومحاولة نصارى هذه القرية رشوة حاكم إربل ، للحيلولة دون بنائه قرب بيعتهم (مخ ورقة ٢٠٤ ب - ٢٠٥ ب) .

٢- الورد إلى إربل :

سبق وبيننا بأن المؤلف ألزم نفسه بتأريخ " الواردين إلى إربل " (مخ ورقة ١٩٩ ب) ، وهذا واضح من خلال الكتاب . وهنا ينبغي أن نشير إلى أن المقصود بإربل ، ليس المدينة وحدها ، وإنما يشمل ذلك توابعها ، وقد صرح بذلك ابن الشعار ، فقال بأن إربل المستوفي كان يؤرخ الواردين إلى إربل " وللاياتها " . واننا واجدون فعلاً في " تاريخ إربل " ذكراً لأناس كانت لهم صلة ما ببعض ملحقات إربل ، مثل كفر عزة وباصيدا سالف الذكر (مخ ورقة ١٧٥ أ و ٢٠٤ أ - ب) وشهرزور . هذا من جهة ، أما من الجهة الأخرى فإنه لم يذكر دائماً - بصورة صريحة - أن المترجم لهم قد وردوا إلى إربل أسوة بما فعله بالنسبة لعدد كبير من أصحاب التراجع . وهذا بطبيعة الحال يجعل القارئ في حيرة ، إذ لا يدرك السبب في إدراج تراجم أشخاص ليس واضحاً ورودهم إلى إربل (مخ ورقة ٢٠٦ ب - ٢٠٧ ب و ١٢١ ب و ١٢٤ أ و ١٥٢ أ - ب و ١٧٤ ب و ١٨٧ أ و ب) . ولكن مجرد لقاء المؤلف لبعض هؤلاء ، هو قرينة على ورودهم . ثم إن المؤلف لابد وقد

سها عن باله أن يشير بصراحة في كل ترجمة من التراجم ، الى قدوم صاحبها الى إربل . وملاحظة أخرى أود الإشارة اليها ، هي ان ابن المستوفي قد ترجم لكثيرين من أهل إربل نفسها ، وبذلك تجاوز الحدود التي رسمها لنفسه بتاريخ " الواردين " اليها من الأمائل وهو في هذا يسير على خطة من سابقة من مصنفى التواريخ المحلية ، الذين كانوا يترجمون لأهل البلد والواردين عليه على السواء . وانه بفعله هذا ، قد قام بخدمة جليلة ، لأنه انفرد بتسجيل تراجم الارابلة ، ولاسيما الذين عرفهم شخصيا ، مما لا يمكن العثور عليه في المصادر الاخرى إلا نادراً ، ولو لم يفعل ذلك لحرمتنا من معلومات تاريخية قيمة عن الحياة الثقافية باربل (مخ ورقة ١٠ ب - ١١ ب و ٢٣ أ و ٢٨ أ و ٢٩ ب و ٤٨ ب و ٧٧ أ و ٨١ ب ، ٨٤ ب و ٩٣ أ و ٩٦ أ و ٩٨ أ - ١٠٠ ب و ١٠٤ أ و ١٠٩ ب و ١١٦ أ و ١١٩ ب - ١٢٠ أ و ١٢٧ أ و ١٣٣ ب و ١٤٤ ب و ١٥٠ أ و ١٥٣ ب و ١٥٥ أ و ١٦٤ أ و ١٧٢ ب - ١٧٤ و ١٧٥ ب و ١٧٦ أ و ١٧٨ أ و ١٧٩ ب و ٢٢٧ أ - ب) .

٣- رواية الشعر :

يبدوان ابن المستوفي - كشاعر أديب - ألزم نفسه بأن لا يترجم لاحد مالم يكن من قائل الشعر ، وكان يحرص على إيراد أشعار مترجميه ، وهذا هو السبب الذى أدى الى وجود حوالى ٢٥٠٠ بيت من الشعر في الجزء الثاني وحده من " تاريخ إربل " . ولقد صرح هو نفسه بهذا الالتزام في أكثر من موضع ، من ذلك مثلاً بأن أحد الاشخاص طلب اليه أن يثبت في كتابه ، فطلب اليه أن ينظم أبياتا تكون " سببا " في التنويه بذكره (مخ ورقة ١٢٠ أ) . وقال عن شخص آخر زار إربل ولم يُنبّه عليه ليجتمع به اجتماعه بغيره ، فيستنشده شيئاً " من شعره ما هو غرض هذا الكتاب " (مخ ورقة ٢٢٦ ب) . وقد كان بالفعل يستنشد من يلقاهم من المترجمين بعض شعرهم ، بل ويلج على من يتلكأ منهم في ذلك ، وقد جرى له ذلك مع ياقوت الحموي وابن الشعار (مخ ورقة ٨٤ أ و ٩٢ أ و ١٢٠ أ و ١٥٧ أ و ١٥٩ ب و ١٧١ أ) . أقول وهذا اللاح الذي كان عليه ابن المستوفى ، لعله كان السبب الذي حدا بالمجد النشابي الشاعر لكي يصفه باللاجاة - كما تقدم في بيت الشعر الذى رويناه في موضع آخر من هذه الدراسة - . ومع ذلك فان المؤلف لم

يستطع أن يوفّي بهذا الشرط ، أى أن يترجم فقط لمن يقول شعراً ، إذ خلا عدد كبير من تراجم الكتاب من أى شعر على الإطلاق (انظر مخ ورقة ٤ ب و ١٠ ب - ١١ و ١٢ ب ١٣ ب و ٢٦ أ - ٢٩ ب على سبيل المثال) .

٤ - غرابة الاسماء :

ويبدو ان ابن المستوفى قد أخذ بسبب آخر لاثبات بعض ما أثبت في تاريخه ، ذلك هو غرابة الاسماء والانساب ، أو بُعد منزل الشخص صاحب العلاقة . من ذلك مثلاً ، انه روى شعراً لشخص مغربي اسمه الحسن الدكالى ، وكان شعراً غثاً ، قال عنه : " وهذا شعر ينبغي أن يطرح ، ولكنني كتبت لغرابة نسب قائله ويُعد منزله " (مخ ورقة ٢٣٠ أ) . ونقل مرة نصاً وجدته على حائط مسجد في قرية باصيدا ، يتعلق بشخص يدعى " الكومي الندرومي " فقال معللاً سبب نقله لذلك النص : " كتبت لغرابة نسبته " (مخ ورقة ٢٣١ أ) . أقول ويبدو ان هذه العادة ، أعني عادة تقييد بعض الاخبار والقوائد بسبب غرابة أسماء أصحابها ، كانت شائعة في عصر المؤلف ، ذلك ان الدكتور إحسان عباس سجل لنا شيئاً مماثلاً عن الحافظ السلفي ، كما أسلفنا (تراجم اندلسية ، مستخلصة من " معجم السفر " - مقدمة ص ٩) .

ثانياً : منهج ابن المستوفى :

شرح ابن المستوفى منهجه في بداية هذا الجزء من " تاريخ إربل " . بعبارات موجزة لكنها جمعت كل ما أراد أن يقول ، فذكر أنه يتناول " المنقطعين الى الزهادة ، والموسمين بالعدالة والمعروفين بالرواية ، ممن اشتهرت ديانتهم ، وعُرفت حيائهم ، وظهرت أمانتهم . موفياً كلا منهم حقه ومعطيه مستحقه ، غير مائل اليه ، ولا متحامل عليه " (مخ ورقة ١ ب) . أي أنه تعهد بأن يسلك في كتابه سبل الدقة والأمانة والحياد التام ، وهي الصفات التي ينبغي أن يتخلق بها المؤرخ ، والقواعد التي يُفترض فيه الالتزام بها . وسنحاول فيما يأتي دراسة مدى التزام ابن المستوفى بتلك القواعد . كذلك سنلقي نظرة على ملاحظتنا من حرص المؤلف على تضمين كتابه نصوصاً نادرة نقلها من كتب ضائعة ، أو من أجازات وفتاوى ، أو من تعاليق بعض المشايخ وخطوطهم ، فضلاً عما

كان مدونا على بعض الحيطان ، كما نشير الي اهتمامه بالتعريف بالمواضع النائية ، وإيثاره الايجاز على الاطالة ، واليك البيان :

١- الوعي التاريخي :

بإمكان قارئ " تاريخ إربل " أن يلمس بكل سهولة - من خلال الكتاب - بأن ابن المستوفي كان يعي مسؤوليته كمؤرخ ، وان عليه أن يدون المعلومة التي تصل إليه ، سواء أعجبت أم لم تعجبه . ولقد صرح بذلك أكثر من مرة ، من ذلك أنه روى شعراً لم يعجبه ، فقال عنه : " وإنما كتبته على عادة أصحاب التواريخ ، إذ المؤرخ ليس يختار ، وإنما هو حاكٍ ما وقع إليه " (مخ ورقة ٢٩ أ) . وقال في حالة أخرى مماثلة : " وهذا شعر يجب أن يطرح ، وإنما أكتب مثله على عادة المؤرخين " (مخ ورقة ١٠١ ب) وقال في موضع ثالث : " وهذا شعر ترك إثباته أولى " (مخ ورقة ٢٢٨ أ و ٢٣٠ أ) . وعندما نقل نصاً من حائط أحد الجوامع ، قال : " كتبته لغرابة نسبته ، وأثبتته على ما وجدته عليه " (مخ ورقة ٢٣١ أ) . وقد بلغ به الوعي التاريخي حداً عالياً ، إذ كان يدون حتى الشعر الذي يخالف عقيدته الاسلامية ، ولكنه يستدرك فيقول : " استغفر الله من إثبات هذا البيت " . (مخ ورقة ١٣٩ ب) . وعندما ترجم للشيخ قضيب البان ، أثبت عليه نفسه أن يذكر بعض الكرامات المنسوبة اليه والتي يتداولها الناس ، لأنها " تنافي العقل والشرع " ، فاكتمى بالإشارة اليها (مخ ورقة ١٧٤ أ - ب) . وقد حدثه أحد الرواة عن السماء التي أمطرت سمكا ، فاثبت هذه الرواية ، لكنه ختمها بقوله : " هذا معنى كلامه والعهد عليه فيما نقل الي ، والله ولي سرنا في الدنيا والآخرة " (مخ ورقة ١٣١ ب - ١٣٢) .

أما بالنسبة لقصة المرأة التي لم تأكل عدة سنين ، فقد ذكرها لعلو شأن راويها ، ولكنه ختمها بقوله : " والله أعلم " (مخ ١٩٤ أ) . وهنا أود أن أؤكد بأن ما قدمته من قول ، لايعنى بأن ابن المستوفي لم يكن يؤمن بالكرامات ، فلقد ذكر عن أحد المتصوفة بأنه " من الصالحين المشهورين له كرامات مشهورة ، وأحوال مذكورة " ، وقد زار قبره " للتبرك " غير مرة ، وروى بعض كراماته (مخ ورقة ١٢٦ أ - ب) . ثم انه كان لايسمع

لنفسه بتدوين شيء لا يتحقق من صحته ، وإن أثبت شيئاً يتعارض ومالديه من معلومات بادر الى ذكر الروايتين ، تاركاً للقارئ حرية الاختيار بينهما ، ويصرح قائلاً بأنه لا يعلم " كيف الجمع بين ذلك " (مخ ورقة ١٧٥ أ - ب) . ومن هذا القبيل ، انه نقل نسب الشيخ عمر السهروردي ، ولكنه لاحظ وجود تباين في سلسلة النسب بين مختلف المراجع ، فجاء بها كما هي ، وقال ان فيه " خلاف يجب تحقيقه " (مخ ورقة ٨٨ ب) . وفعل الشيء نفسه فيما يتعلق بنسب المظفر الشهرزوري (مخ ورقة ٩٨ ب) .

وهناك نقطة أخرى ، يحسن بي الإشارة اليها ، هي أن ابن المستوفي كان في بعض الأحيان يختار فيما ينقله ، أي أنه ينتقي المعلومات التي يريد إثباتها ، ويضرب صفحا عن بعضها الآخر ، فلقد ذكر ابن الشعار (مخ استانبول ٤ ورقة ١٨٧) مثلاً ، ان ابن المستوفي كان قد سمع الكثير من شعر أحد الموصلة ، الا أنه لم ير أن يقيد منه شيئاً لجهله (أي جهل الموصلي) .

٢- الاهتمام بالسند وبرواة الاخبار :

يهتم ابن المستوفي كثيراً بسند الأخبار التي يرويها ، وكان حريصاً جداً على عدم إيراد أي خبر أو حديث أو شعر بدون سند ، بل انه كان يحرص على ذكر مكان الرواية أو السماع ، ومكان لقائه الناس الذين لقيهم . ولا يكتفي في بعض الأحيان برواية واحدة لحديث أو شعر ، فيحاول الحصول على تلك الروايات من أكثر من طريق ، من ذلك مثلاً أن الواعظ الغزنوي أجازه رواية حديث ، فعززها برواية الحديث نفسه عن طريق شخص آخر (مخ ورقة ١٢٩ ب) . بل انه ، عند الشك بأقوال الرواة ، يلجأ الى اليمين بغية التحقق من صحة ما يروي (مخ ورقة ١٠٧ ب) . وزيادة على ذلك ، فانه يحاول الاتيان بالاخبار ذات العلاقة ببعض المقطوعات الشعرية ، فيذكر مثلاً ظروف نظمها ، والمناسبة التي قيلت فيها ، وما الى ذلك مما يعزز روايتها . وهذا مبثوث في الكتاب كله (أنظر مثلاً مخ ورقة ٣١ ب و ٥٣ ب و ٥٥ ب و ٥٩ ب و ٦٨ ب و ٧٢ ب و ٧٤ ب و ٧٧ ب و ٨٤ ب و ٨٥ ب و ٨٩ ب - ٩٠ ب و ٩٢ ب و ٩٧ ب و ١٠٠ ب - ١٠١ ب ، و ١٠٣ ب و ١٠٦ ب و ١١١ ب - ١١٢ ب و ١١٤ ب و ١١٩ ب و ١٢٢ ب و ١٢٣ ب و ١٢٥ ب و ١٣٢ ب و ١٣٤ ب و ١٣٦ ب و

١٣٩ أ و ١٤٥ أ و ١٤٦ ب و ١٤٧ أ و ١٤٨ أ و ب ١٥٠ ب و ١٥٢ ب و ١٥٣ ب و ١٥٤ ب و ١٥٥ ب و ١٦٠ أ و ١٦١ ب و ١٦٢ أ و ١٦٣ أ و ١٦٤ ب و ١٦٧ ب و ١٧٠ أ و ١٧٣ أ و ١٧٩ أ و ب و ١٨٢ ب و ١٨٥ ب و ١٨٧ أ و ب و ١٨٨ ب و ١٨٩ ب و ١٩٢ ب - ١٩٤ أ و ٢٠١ أ و ب و ٢٠٧ أ و ٢٠٩ أ و ب و ٢١٣ أ و ٢١٥ ب و ٢١٦ أ - ٢١٧ أ و ب و ٢١٨ ب و ٢٢٢ أ و ٢٢٣ ب و ٢٢٨ أ و ٢٣٠ ب) .

وحرص ابن المستوفي على السند لم يكن قاصراً على رواية الاخبار المفردة والأحاديث ، بل انه أبدى مثل هذا الحرص حتى في رواية الكتب ، وقد لاحظ ذلك الريدأوى (الحركة النقدية ص ٥٣٩) فقال : " اما طريق رواية (ديوان أبي تمام) فقد تحدث عنها ابن المستوفي ووصفها بدقة على طريقة المحدثين " . ثم قال بأنه جاء بسند قراءته للديوان على محمد بن عيسى الجصاص في سنة ٦٠٩ هـ ، بمنزله بإربل ، وانه سرّد ذكر السند حتى وصل به الى أبي تمام نفسه .

وفضلاً عن ذلك ، فان شطراً كبيراً من المعلومات الواردة في " تاريخ إربل " ، هي حصيلة اتصال شخصي تم بين المؤلف وأصحاب التراجم أنفسهم ، أو أنه نتيجة اطلاعه على خطوط مكتوبة تشير الى ما نقله منها . ومن هنا كان حرصه على لقاء المترجم لهم ومشاهدة خطوطهم ، من ذلك مثلاً انه اطلع على كتاب " لباب الأحياء " ، تصنيف أبي الفتوح الغزالي - وهو أحد المترجمين - وعليه إجازة بخط المؤلف (مخ ورقة ٣ ب) ، أو رؤية خطوط من يروى عنهم . وكان في الغالب ينبّه الى أنه نقل من خط هؤلاء أو خط أولئك . ولقد بلغ عدد المترجمين الذين لقيهم شخصياً حوالي ٢٠٠ من أصل ٣٢٤ شخصاً . وكان أيضاً يستقي الاخبار من ذوي قرابة أصحاب التراجم ، كما انه كان يتصل بأرباب العلم ، شخصياً أو عن طريق المراسلة ، لكي يستفسر منهم عن هؤلاء المترجمين . ويكاد القارئ يحس بهذا الحرص الشديد في معظم صفحات هذا الكتاب (أنظر مثلاً مخ ورقة ٣ ب و ٥ ب و ٦ ب و ٩ أ و ١١ أ - ١٢ أ و ب و ١٣ ب و ١٤ ب و ١٧ ب - ١٩ أ و ٢٠ ب - ٢٢ ب و ٢٣ ب - ٢٥ أ و ٢٦ ب و ٢٧ ب - ٢٩ ب و ٣٠ ب - ٣١ ب و ٣٣ أ و ٣٤ أ و ب و ٣٦ أ و ٣٧ أ و ٣٨ أ و ٣٩ أ و ب - ٤٠ أ و ٤١ أ و ب و ٤٤ أ و

١٤٥- ٤٦ أو ٤٩ أو ٥١ أ- ٥٢ أو ٥٣ أو ٥٥ ب- ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ ب و
٦٠ أو ٦١ أو ٦٥ أو ٦٧ أو ٦٨ ب و ٦٩ ب و ٧٠ أو ٧١ ب- ٧٣ أو ٧٤ أ- ٧٧
أو ٧٨ أو ٨٠ أو ٨١ ب- ٨٥ أو ٨٦ أو ٨٧ أو ٨٨ أو ٨٩ ب و ٩١ ب و ٩٢ أو
٩٣ أو ٩٥ أو ٩٧ أو ٩٨ أ- ٩٩ ب و ١٠٠ ب و ١٠٢ أو ١٠٣ أو ١٠٥ أو ١٠٧
أو ١٠٨ ب و ١٠٩ ب- ١١٣ ب و ١١٤ ب- ١١٩ ب و ١٢٠ أ- ١٢٢ ب و ١٢٣
ب- ١٢٥ ب و ١٢٦ ب و ١٢٧ أو ١٢٩ أو ١٣٠ أ- ١٣١ أو ١٣٢ أو ١٣٣ أ- ١٣٤
ب و ١٣٥ أ- ١٣٨ ب و ١٣٩ ب- ١٤٢ أو ١٤٣ أ- ١٥٠ ب و ١٥١ ب- ١٥٦ أو
١٥٧ أ- ١٥٩ أو ١٦٠ أ- ١٦٥ ب و ١٦٦ ب و ١٦٧ أ- ١٧٠ ب و ١٧١ أ- ١٨١ ب و
١٨٢ ب- ١٨٨ ب و ١٨٩ ب- ١٩٦ أو ١٩٧ أ- ١٩٨ أو ١٩٩ أ- ٢٠١ ب و ٢٠٢ ب
- ٢٠٩ ب و ٢١٠ ب- ٢١٥ أو ٢١٦ أ- ٢٢٢ ب و ٢٢٣ ب- ٢٢٩ أو ٢٣٠ أو ٢٣١ أ).
الا ان ابن المستوفي قد شذ عن هذه القاعدة ، أى قاعدة إسناد كل خبر الي
مصدره ، في مواضع عدة من تاريخه ، ولكنها محدودة ، وقد أحصيتها فلم تتجاوز
ثلاثين موضعاً . إذ كان يروي أحيانا بعض الاخبار دون ذكر أسماء رواتها ، مكتفيا
بالقول : " سمعتُ بعض أصحابنا .. " ، أو " حدثني الثقة الصدوق .. " أو " أخبرني
بذلك الثقة .. " أو " حدثتُ بكذا .. " أو " سمعتُ من غير واحد .. " ، أو " قيل لي .. " أو
نُقل لي .. " أو بلغني .. " وكان في أحيان أخرى ينقل عن بعض مشايخه ، دون تحديد
أو عن جماعة من الناس بدون تخصيص أيضا ، كان يقول : " حدثني بعض أهل مراغة
.. " أو " .. أهل دقوقا " . بل ويسرد أحيانا الاخبار دون أن يذكر عن من كان ينقل وهذا
قليل جداً إذا ما قيس بالآخبار المسندة الى رواتها (مخ ورقة ١ ب و ٥٠ أو ٧٦ ب و ٨٧
أو ٩٠ أو ١٠٠ ب و ١٠٦ ب و ١٠٧ ب و ١١٢ ب و ١١٣ أو ١١٥ أو ١١٦ أو
١١٨ أو ١٢٢ أو ١٢٩ أو ١٣٥ أو ١٥٥ ب و ١٧٥ أو ١٧٦ أو ١٧٩ ب و ١٨٦ ب و
١٨٧ أو ب) .

هذا وان مبعث اهتمام ابن المستوفي بالسند ، هو بلا شك ، كونه من أهل الحديث ،
ومعروف اهتمام هؤلاء بسلاسل الاسناد . وقد كان المؤلف يفخر عندما يظفر بسند عال

- كما أسلفنا في موضع آخر من هذا البحث - فكان يقول مفاخراً عن بعض الاحاديث التي سمعها " فكأنني سمعته من البخاري ومسلم وابي داود " ، وما الى ذلك (أنظر مخ ورقة ٣٩ ب و ٥٠ ب و ٦٢ ب ، ٦٤ ب)

٣- الحرص على ذكر التاريخ :

كان ابن المستوفي - كمؤرخ - حريصاً على ذكر التاريخ ، سواءً تاريخ لقائه لمن لقي من أصحاب التراجم أو الرواة ، أو تاريخ السماع بالنسبة له شخصياً وبالنسبة لسماعات غيره . وكان حرصه أشد فيما يتعلق بإدراج تاريخ الولادة والوفاة ، وعندما لا يتيسر له ذلك ، يترك في بعض الاحيان مكان التاريخ بياضاً على أمل الحصول عليه في وقت لاحق ، فيدرجه . أما الاحياء الذين يلقاهم ، فكان يسألهم عن تاريخ ولادتهم ، أو يستفسر عن ذلك من ذوي قرباهم ، أو ممن له علاقة خاصة بهم ، وإذا وقع اختلاف في تاريخ ما ، فانه يحاول ذكر سبب الاختلاف ، ويرجع الرواية الى أصحابها ، والتحقق من صحة ما يُروى له ، كان يسأل ذوي العلاقة أكثر من مرة ، ويقارن بين الاجوبة . وكذلك كان يتحرى صحة التواريخ بمراجعة أكثر من مصدر .

وكان في حالة حصوله على تاريخ ناقص ، كأن يقال له ان وفاة شخص ما وقعت في رمضان من سنة ٦١٧ هـ ، أو وفاة شخص آخر وقعت في سنة ٦٢٩ هـ ، فانه يحاول استكمال التاريخ من رواية آخرين ، الى أن يتحقق بأن ما وقع مثلاً كان في ١٩ رمضان بالنسبة للاول ، و ١٢ ربيع الاول بالنسبة للثاني . أما إذا عجز عن القطع بصحة تاريخ من التواريخ ، فيعتذر بقوله : " لم يحقق لي ذلك " . وفي حالة عجزه عن الوصول الى معرفة التاريخ المطلوب عجزاً تاماً ، يبادر مثلاً الى القول : " حضرتُ وفاته ، ولم أتُحقق السنة " . وعندما يُروى له مقتل أحد الاشخاص في واقعة معروفة ، يحرص على ذكر تاريخ تلك الواقعة ، شعوراً منه بواجبه - كمؤرخ - تجاه القارئ ، فييسر عليه معرفة التاريخ دون الحاجة الى مراجعة كتب أخرى . وبلغ من حرصه على ذكر التواريخ بكل دقة ، ان أحد أصحاب التراجم توفي بحران في شهر رجب من سنة ٦١٢ هـ ، فذكر أن خبر الوفاة وصله الى إربل في شهر شعبان من تلك السنة . وكان - على ما يبدو - يتعقب

وكان لا يكل في مسعاه هذا ، ولا يأخذه خجل وهو يلح على هذا ويلحف على ذاك ، طلباً للمزيد من المعلومات ، وإمعاناً في التحقيق والتدقيق . وقد نَوَّن لنا بعض الاخبار الطريفة في هذا الصدد ، من ذلك مثلاً ان أحد المترجمين روى له أبياتاً ونسبها الى شاعر يدعى " دخنه " ، فحرص ابن المستوفي على سؤال دخنة عن تلك الأبيات ، فأنكر أن تكون له . فما كان من المؤلف إلا أن عاد الى رواية الأبيات ليواجهه بالحقيقة ، فلم يجر جواباً . في الحقيقة ان السبب الذي حمل ابن المستوفي على التشكك بصحة أقوال الشخص المذكور ، انه ناقشه في وزن بعض الأبيات فبدا عليه الجهل ، كما ان المؤلف لاحظ اختلاف الخط في رقتين زعم انهما بخطه ، (مخ ورقة ١١٧ أ و ب) . وقد حصل اكثر من مرة انه كان يروي المقطوعات الشعرية مرتين ، نقلاً عن مصدرين مختلفين إمعاناً في الدقة (مخ ورقة ٢ و ٤ أ و ٢١٧ ب - ٢١٨) .

ولقد نقل ابن المستوفي مرة ابياتاً وجدها مكتوبة على جزء لحد شيوخه وقد أنشدها له ذلك الشيخ ، وكانت من نظم شخص اسمه ثابت ، ولكن المؤلف حرص ، عندما لقي ثابتاً هذا ، على ان يسمعها منه مرة أخرى ، مبالغاً منه في تحرّي الصحة والنص الموثوق (مخ ورقة ١٢٢ ب - ١٢٤ أ) . وفعل مثل ذلك في مناسبات أخرى (مخ ورقة ٢٠٢ ب و ٢١٨ ب - ٢١٩ أ) . ولاحظ مرة ، في نسب شخص قابله ، أنه يقدم اسم أحد أجداده مرة ويؤخره أخرى ، فناقشه فيه الى أن توصل الى الحقيقة (مخ ١٩١ أ) . وكان هذا شأنه في التحري عن أية معلومات تقع في يده ، فلا يدونها إلا بعد السؤال والاستفسار (مخ ورقة ١٢١ - ١٢٢ أ و ١٥٠ أ) . من ذلك مثلاً انه سأل محمد بن المكرم عن تاريخ ولادته ، فذكر له . إلا انه زيادة في التدقيق اطلع على تاريخها مدوناً بخط والد محمد المذكور (مخ ورقة ٢٠٠ ب) . بل كان يسير على هذا المنوال حتى في صفائر الامور ، من ذلك ان شخصاً من مترجميه كان يدعى " الحافظ " فذكر انه لم يتحقق من صحة تسميته بهذه التسمية (مخ ورقة ٥٠ أ) ، وان آخر يسمى " الحاسب " ، فصرح بأنه لا يعرف سبب تلك التسمية (مخ ورقة ١٧٦ أ) ، وذكر انه وجد قبراً في جامع منسوباً لاحد أبناء " السلطان مسعود " ، وحيث انه لم يعرف من هو المقصود ، بادر الى القول : " لم أتحقق من مسعود فاثبتته في موضعه " (مخ ورقة ١٧٥ أ) .

في الواقع ان الامثلة على دقة ابن المستوفي وحذره كثيرة جداً ، وكان لا يقع برأيي إلا اذا توفرت لديه الأدلة الكافية لتأييد صحته ، وفي حالة الشك كان منتهى مايقوله انه " يستريب " أو " أظن كذا " . وبلغت به دقته في النقل حداً عالياً ، حتى أنه عندما كان يروى الشعر يميز بين ما ينشد اليه وما ينقله من خط المنشد نفسه ، فيقول مثلاً : " هذا من إنشاد فلان ، وتكملة القصيدة من إنشاد غيره " ، أو يقول : " أنشدنيها إلا البيت الثامن ، فاني نقلته من خطه " ، وهكذا (مخ ورقة ١٣ ب و ٤٥ أ و ١٦١ ب و ١٨٠ ب و ١٨٦ ب - ١٨٧ ب و ١٩١ ب و ٢٠٠ أ و ٢٠٤ ب و ٢١٠ ب و ٢٢٦ ب) . وإذا كان غير متأكد من نقله النص المروى له كل التاكيد ، وصف ما أورده بقوله : " كلاماً ما هذا معناه " ، أو " هذا معنى كلامه " ، أو " هذا معنى كلامه ، وأكثر اللفظ لي " ، أو " المعنى والعبارة لي " ، أو أنه " لم يعلق حفظي إلا ما ذكرت " ، أو يقول : " الشك مني " ، أو " لم أتحقق صحة هذه التسمية .. " ودفعاً للمسؤولية الادبية ، يبادر أحياناً الى القول : " كذا نُقل اليّ " ، أو " سمعت هذا ولا أعلم صحته " ، أو " كذا روي اليّ " ، ولم يحقق لي ذلك " ، وهكذا .

وكان عندما ينقل خبراً مشيناً ، يحرص على أن يبرئ نفسه من مسؤولية روايته ، فيقول : " حدثني الثقة " ، أو يقول : " حدثت انه جواد سمح ، إلا ان فيه تسامحاً في الدين ... " ، أو " والله أعلم ، تحدث الناس فيه ... " ، أما اذا تصرف في نص نقله ، فيقول : " نقلتُ على الوجه ، إلا ما أصلحتُ فيه من حذف زيادة ، واتمام نقص في بعض حروفه استقام بها الكلام " أو يقول : " إصلاح ما فيه من الالفاظ المشككة لي " (مخ ورقة ١٣٢ ب و ١٦٨ أ) أو " ذكر ذلك فلان واختصرته " . وعند ذكر الوفاة ، فانه لا يكتفي - في كثير من الاحيان - بايراد تاريخها فحسب ، بل يذكر مكان وقوعها أيضاً . وإذا حصل خلاف حول المكان ذكره كذلك . ثم انه يذكر أحياناً ، سبب الوفاة ، فقال مثلاً عن ابن عساكر ، انه توفي بسبب جرح أصابه ، وقال عن ابن نقطة ، انه توفي بالهَيْضَة ، وعن شخص آخر انه توفي بمرض الجوف ، وهكذا .. (انظر مخ ورقة ١١ ب و ١٨ ب - ٢٠ ب و ٢٧ ب و ٢٨ أ و ٥٤ ب و ٥٥ ب و ٥٨ ب و ٦٩ ب و ٧٦ ب و

في الواقع ان الامثلة على دقة ابن المستوفي وحذره كثيرة جداً ، وكان لا يقع برأيي إلا اذا توفرت لديه الأدلة الكافية لتأييد صحته ، وفي حالة الشك كان منتهى مايقوله انه " يستريب " أو " أظن كذا " . وبلغت به دقته في النقل حداً عالياً ، حتى أنه عندما كان يروى الشعر يميز بين ما ينشد اليه وما ينقله من خط المنشد نفسه ، فيقول مثلاً : " هذا من إنشاد فلان ، وتكملة القصيدة من إنشاد غيره " ، أو يقول : " أنشدنيها إلا البيت الثامن ، فاني نقلته من خطه " ، وهكذا (مخ ورقة ١٣ ب و ٤٥ أ و ١٦١ ب و ١٨٠ ب و ١٨٦ ب - ١٨٧ ب و ١٩١ ب و ٢٠٠ أ و ٢٠٤ ب و ٢١٠ ب و ٢٢٦ ب) . وإذا كان غير متأكد من نقله النص المروى له كل التأكد ، وصف ما أورده بقوله : " كلاماً ماهذا معناه " ، أو " هذا معنى كلامه " ، أو " هذا معنى كلامه ، وأكثر اللفظ لي " ، أو " المعنى والعبارة لي " ، أو أنه " لم يعلق حفظي إلا ما ذكرت " ، أو يقول : " الشك مني " ، أو " لم أتحقق صحة هذه التسمية .. " ودفعاً للمسؤولية الادبية ، يبادر أحياناً الى القول : " كذا نُقل الي " ، أو " سمعت هذا ولا أعلم صحته " ، أو " كذا روي الي " ، ولم يحقق لي ذلك " ، وهكذا .

وكان عندما يتقل خبراً مشيناً ، يحرص على أن يبرئ نفسه من مسؤولية روايته ، فيقول : " حدثني الثقة " ، أو يقول : " حدثت انه جواد سمح ، إلا ان فيه تسامحاً في الدين ... " ، أو " والله أعلم ، تحدث الناس فيه ... " . أما اذا تصرف في نص نقله ، فيقول : " نقلت على الوجه ، إلا ما أصلحت فيه من حذف زيادة ، واتمام نقص في بعض حروفه استقام بها الكلام " أو يقول : " إصلاح ما فيه من الالفاظ المشككة لي " (مخ ورقة ١٣٢ ب و ١٦٨ أ) أو " ذكر ذلك فلان واختصرته " . وعند ذكر الوفاة ، فانه لا يكتفي - في كثير من الاحيان - بايراد تاريخها فحسب ، بل يذكر مكان وقوعها أيضاً ، وإذا حصل خلاف حول المكان ذكره كذلك . ثم انه يذكر أحياناً ، سبب الوفاة ، فقال مثلاً عن ابن عساكر ، انه توفي بسبب جرح أصابه ، وقال عن ابن نقطة ، انه توفي بالهَيْضَة ، وعن شخص آخر انه توفي بمرض الجوف ، وهكذا .. (انظر مخ ورقة ١١ ب و ١٨ ب - ٢٠ ب و ٢٧ ب و ٢٨ أ و ٥٤ ب و ٥٥ ب و ٥٨ ب و ٦٩ ب و ٧٦ ب و

٧٨ ب و ١٠٦ ب و ١١٢ أ و ١١٧ أ و ١١٨ ب و ١١٩ أ و ١٢٢ ب و ١٢٣ ب و ١٢٤ ب و ١٢٧ أ و ١٣٢ أ و ١٣٧ ب ، و ١٣٩ أ و ١٤٥ أ و ١٥٠ ب و ١٥٣ ب و ١٦٧ أ و ١٧٢ أ و ١٧٢ أ و ١٧٥ أ و ب و ١٧٦ ب و ١٧٩ ب و ١٨٠ ب و ١٩١ أ و ١٩٣ أ و ١٩٨ ب و ١٩٩ ب و ٢٠٢ أ و ب و ٢١٧ ب و ٢١٨ أ - ٢١٩ أ و ٢٢٠ أ - ٢٢٦ أ و ٢٣١ أ) .

وكما أسلفنا ، فقد تجلت هذه الدقة بوضوح في ثنايا الكتاب ، ولم يكن ابن المستوفي يترك شيئاً دون تحقيق ، حتى المنام ، من ذلك مثلاً ان أحد الاشخاص حدثه بمنام رأى فيه الرسول - ﷺ - وهو يحدث قوماً بحديث - ذكر نصه - فما كان من المؤلف إلا أن شمر عن ساعد الجد يطلب ذلك الحديث في الكتب ، الى أن عثر عليه ، ولم يكتف به برواية واحدة ، بل استقصى جميع رواياته (مخ ورقة ٣١ ب - ٣٣) . وحملت دقته هذه الى درجة انه إذا ماروى له أحد خبراً يحتمل اللبس ، بادر الى ذكر مايزيل ذلك الاحتمال. من ذلك مثلاً ، ان كوكبوري روى له خبراً عن الشيخ عدى بن مسافر ، تضمن شيئاً يتعارض والدين الحنيف ، فرأى ابن المستوفي ان من واجبه التذكير بأن كوكبوري قد أورد الخبر على سبيل الانكار (مخ ورقة ٤٥ ب) ، لكي يزيل من ذهن القارئ الظن بأن كوكبوري كان موافقاً على ماقاله الشيخ عدى .

ومن الامثلة على دقة المؤلف وأمانته ، ان بعض المعلومات التي ذكرها قد أمكنني مراجعتها على مراجع أخرى ، فوجدتها متطابقة وما أورده كل التطابق . ويبدو ان الدقة والامانة والضبط كانت قد رافقت ابن المستوفي في مؤلفاته الاخرى ، إذ أطنب الدكتور محمد عبده عزام في ذكرها بالنسبة لكتابه " النظام " (انظر شرح التبريزي - مقدمة ١ / ٣٩ - ٤٣) هذا وقد وجدت من المفيد إيراد بعض الامثلة التي توضح ما أقول :

أ / نقل ابن المستوفي مقطوعتين من شعر محمد البصري وأبياتا لعبد الكريم الأثرى ، وكلها برواية ابن الشعار . ولقد وجدتها فعلا في " عقود الجمان " (مخ استانبول ٥ ورقة ومابعدها ، و٧ ورقة ٦٦) . وذكر ان البصري قد أنشده تلك المقطوعتين (مخ ورقة ٢١٠ ب - ٢١١ و ٢٢٦ أ - ب) . كذلك ذكر ابن المستوفي قدوم

ابن رواحة الى إربل في شهر ذي الحجة من سنة ٦٢٥ هـ ، وقد أيد ذلك ابن الشعار (مخ ورقـة ١٩٦ أ و مخ استانبول ٣ ورقـة ١٥٥) . وقل مثل ذلك عن قنوم يحيى الواسطي الى إربل (المصدرين السابقين ورقة ٢٠٩ ب - ٢١٠ أ و ١٠ ورقة ٤٣) . وذكر ابن المستوفي ورود محمد بن يحيى المغربي الى إربل في شهر صفر من سنة ٦٢٨ هـ ، وقد لقيه ابن الشعار هناك فعلا ، في صفر من تلك السنة (المصدرين السابقين ورقة ٢١٦ أ و ٧ ورقة ١٠٧) . وذكر عن ابن الشعار بأنه ورد إربل في المحرم من سنة ٦٢٥ هـ ، الأمر الذي أيدته ابن الشعار نفسه (المصدرين السابقين ورقة ١٨١ أ و ٦ ورقة ٢٢ ب) . كذلك فإن المعلومات التي كتبها ابن المستوفي عن خطيب الكرخيني وشعره ، تتطابق تماما وما ذكره ابن الشعار ، حتى في اسم الراوى (المصدرين السابقين ورقة ٢٢٧ ب - ٢٢٨ و ٤ ورقة ٢٠٩) . وقل الشيء نفسه بالنسبة لعبد الله بن أسعد الواسطي وأبيه ، ومحمد الانصاري وعلي بن ملاعب (المصدرين السابقين ورقة ٦٨ ب و ٢٢٨ أ - ب و ٣٢٩ أ و ٣ ورقة ١٤٨ و ٤ ورقة ٢٠٨ و ٥ ورقة ٢٤٩ و ٧ ورقة ٧٨) . كذلك قارن ماورد في مخطوطتنا (ورقة ١٤٧ و ٢٠٦) وما رواه ابن الشعار (٥ / ٢٨٣ و ٢٨٧ / ١) على التوالى .

ب / ذكر ابن المستوفي ان محمد بن سراقـة الانصارى قد ورد إربل في سنة ٦٢٦ هـ ، وقال مثل ذلك اليونيني (مخ ورقة ٢٢٩ أ و ذيل المرأة ٢ / ٢٠٥) .

ت / ذكر ابن المستوفي ان جعفر بن محمد الواسطى قدم إربل في سنة ٦٢٥ هـ ، وقد نقل ابن الفوطى عن ابن الشعار قوله بأنه لقي جعفرأ هذا باربل في السنة المذكورة . وقال ابن المستوفي عن قاضي بيلقان ، بأنه قدم إربل حاجا في سنة ٦٠٦ هـ ، وذكر ابن الفوطى ان المذكور قد قدم بغداد حاجا في سنة ٦٠٥ هـ . ولاشك ان ابن الفوطى أشار الى قدومه بغداد قبل اداء فريضة الحج . بينما أشار المؤلف الى قدومه إربل بعد ادائها (مخ ٣٧ أ و ١٨٢ ب ومعجم الالقباب ٢ / ٥٢٥ و ٤ / ٦٨٦) .

ث / ذكر ابن رجب بأن عبد الرحيم بن وهبان قد سمع باربل على ابن طبرزد ، وهذا يؤيد ما ذكره المؤلف عن السماع المذكور . وقد ذكر ابن المستوفي عن محمد اليعقوبي ،

بأنه حدث بارييل عن أبي الوقت ، وكان مضطرب الاسناد . وقد أيد ابن رجب تحديده بارييل ، وقال ابن حجر ان المذكور ادعى السماع عن أبي الوقت (مخ ورقة ٨٧ أ و ١١١ أ و ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ١٢٣ و ١٢٨ و لسان الميزان ٥ / ٢٤٢ و ٢٩٠) .

ج / ذكر ابن المستوفي ان أحمد بن محمد بن محمد بن مهران ، قد روى " موطأ " محمد بن الحسن ، عن محمد المذكور نفسه ، وقد أيد ذلك القرشي (مخ ورقة ١٩٠ أ و الجواهر المضية ١ / ١٢٢) .

ح / جاء مانقله ابن المستوفي عن سماع المرجى الواسطى لكتاب " تاريخ واسط " ، مطابقا لما في نسخه السماع المدرجة في ذيل مخطوطة " تاريخ واسط " تصنيف بحشل ، المحفوظة في المتحف العراقي (مخ ورقة ١٩٠ أ و معجم ابن الفوطى ١ / ٥٢٣ - حاشية) .

خ / روى المؤلف أبياتا من شعر حماد بن هبة الله الحراني ، برواية فرقد الكنائي . وقد نقل المرحوم مصطفى جواد تلك الابيات عن ابن الديبثي برواية فرقد المذكور أيضا (مخ ورقة ١٠٣ و تكملة ابن الصابوني ص ٢٥٩ - حاشية) .

د / روى ابن المستوفى مقطوعتين من شعر العباس بن بزوان ، ويبدو ان أحد قراء " تاريخ إربل " لقي عباسا هذا في سنة ٦٤١ هـ ، وقد أنشده المقطوعتين المذكورتين لنفسه ، فكتب القارئ ما يؤيد ذلك في حاشية الصفحة التى تحمل المقطوعتين (مخ ورقة ٢٢٧ أ) .

ذ / نقل ابن المستوفى أقوالا للزمخشري ، فتحررت عنها في مصنفات الزمخشري الى أن عثرت عليها فى كتابه " الامكنة " ونقل أقوالا من كتاب " برد الاكباد " للثعالبي ، وقد وجدتها فعلا في الكتاب المذكور (مخ ورقة ٩٢ ب - ٩٣ أ و ١١٨ أ و أمكنة ص ٩٤ و ٩٩ و ١٠٤ و برد الاكباد ص ١١٢) .

٥- صراحة المؤلف :

ومما له علاقة مباشرة بالامانة والدقة ، الصراحة . فلقد كان ابن المستوفى صريحا جداً فيما يكتب ، فلم يكن يدعى مثلاً سماعه عن شخص ما إذا لم يكن قد سمع عليه

وصراحة ابن المستوفي هذه ، حملته على أن يذكر صفات من يلقاهم ، دون أن يخشى غضب من يفضب لو أطلع على ماكتبه عنه ، رغم ما اتصف به من الأدب وحب المجاملة والتستر على عيوب الناس ، فقد قال عن أحدهم مثلاً " في أخلاقه نفاق ، وبمخادته " ، ويصف آخر بأن " في أخلاقه زعارة " ، وذكر عن ثالث بأنه " كانت فيه سهولة " ، ورابعاً " غور " ، ويصف الرابع بأنه " لم يكر يحسن الكتابة " ، وقال

عن الخامس الذى يسمّى نفسه بـ " المقرئ " ، بأنه لم يكن يحسن حفظ الكتاب العزيز ، وذكر عن شخص آخر يدعى الاشتغال بعلوم الحديث ، بأنه لم يكن عارفاً بشئ منها ، ووصف آخر لقيه ، بأنه وجده أمياً ، وسمع عن شخص أوصافاً عالية ، فأحب الاجتماع به إلا أنه وجده دون تلك الأوصاف وقال عن أحد المحدثين ، بأنه ركب المتن على غير رجاله . وذكر عن آخر ، بأنه كان في مبدأ عمره يقطع الطريق ، وروى عن أحد الأشخاص أخباراً تدل على سوء أخلاقه (مخ ورقة ٨١ و ٨٢ ب ، و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ ب و ١١٣ ب و ١٢٠ ب و ١٢٢ ب - ١٢٣ ب و ١٥٥ ب و ١٦١ ب) .

هذا من جهة ، أما من الجهة الأخرى ، فإن المؤلف كان في بعض الأحيان يتحفظ ، فلا يصرح بصفات من يترجم لهم . من ذلك قوله عن أحدهم : " كان - قبل أن يظهر التدين - يحكى عنه أشياء ، لا يليق ذكرها " ، أو " كان يحكى عن نفسه ، ما الله سائر بأمثاله " ، أو " تحدث الناس في دينه بما لا يسع ذكره ، عفا الله عنه " ، أو " تحدث الناس في قلة دينه وسوء معتقده ، وما يتجاهر به من أشياء ، نعوذ بالله منها " ، أو " حدثت عنه بأشياء . أضربت عن ذكرها لقبها ، غفر الله لنا وله برحمته " ، أو " ذكر عنه أحوالاً أضربت عن ذكرها " وما إلى ذلك (مخ ورقة ٣٤ ب و ١٠٠ ب و ١٠٣ ب ، و ١١٩ ب و ١٥١ ب و ١٧٤ ب) .

وهنا أود أن أنبه القارئ الكريم ، بأن ما قدمته لا يعني بأى حال من الأحوال ، بأن ابن المستوفي اقتصر على إيراد أوصاف السوء دون غيرها ، ففي الكتاب إشارات كثيرة تدل على حسن أخلاق الأشخاص الذين لقيهم ، وقد أطراها . كذلك أشار المؤلف إلى أحوال مترجميه العقلية والعلمية والجسمانية ، بل أنه وصف ألبستهم وأزيائهم في بعض الأحيان . فيقول مثلاً عن أحدهم : " حنبلي إلا أنه لم يكن غالياً " ، ووصف آخر بأنه " شيخ ربيع القامة " ، وقال عن شخص ثالث إنه " أسمر شديد السمرة ، ربيعة " ، ووصف رابعاً بأنه " شاب ممتّع بأحدى عينيه " ، وقال عن آخر بأنه " شديد السمرة إلى السواد ما هو ، طويل " ، ووصف شخصاً سادساً بأنه " طويل له صدغان ، أشقر ، رديّ النظر " ، وقال عن آخر بأنه " شاب أصهب اللحية ، فقير رث الثياب " (مخ ورقة ٥٤ ب

١٠٨ ب و ١١٣ ب و ١١٦ ب و ١٢٠ أ و ١٣٦ أ و ١٣٧ أ و ١٣٩ أ و ١٤٠ ب و ١٤٢ أ و ١٦٨ ب و ١٧١ أ و ب و ١٧٧ ب و ١٨١ أ و ١٨٦ أ و ب و ٢٠٠ أ و ٢٠١ أ و ٢٠٤ ب و ٢٠٩ ب و ٢١٧ أ و ٢٢١ ب و ٢٣٠ ب) . ووصف آخرين بقوله عن أحدهم بأن " فيه ذكاء وعنده فقه " ، وقال عن الثاني انه " شاب قصير حسن الأخلاق ، لطيف " ، وذكر عن آخر بأنه " شيخ لطيف الأخلاق ، حسن العشرة ، إذا حُمل على عادة طباعه " ، ووصف شخصا من حران بأنه " لطيف الاخلاق من بين الحرانيين " ، وقال عن شخص خامس بأنه " شاب خفيف العارضين والحية ، ذكي لطيف الأخلاق ، فاضل " ، وقال عن آخر بأنه " كان أحسن الناس صوتا ، وأطيبهم قراءة للقرآن الكريم " ، (مخ ورقة ١١١ أ و ب و ١١٩ ب و ١٦٠ أ و ١٧٦ أ و ٢١١ ب) .

أما بالنسبة لوصف الالبسة والأزياء ، فقد وصف مثالا لباس فقيه مغربي بقوله : " كان يلبس لباس الصوفية ، مختصر الثياب " ، وقال عن آخر بأنه " كان يلبس مرة قلنسوة وقباء خز أخضر . " ، ووصف شخصا ثالثا بأنه " كان يتزيا بزى القلندرية " ، ثم وصف ذلك الزي (مخ ورقة ١١٩ أ و ١٢٦ أ و ١٥٠ ب) .

ونقطة اخيرة أود أن أشير اليها بهذا الصدد ، هي ان الصراحة قد رافقت ابن المستوفي - على ما يبدو - في مصنفاته الأخرى أيضا ، إذ لاحظ ذلك الاستاذ محمد عبده عزام فوجدها جلية في كتابه " النظام " (شرح التبريزي ١ / ٤٢ مقدمة) .

٦- الحرص على إدراج النصوص :

كان ابن المستوفي - كمؤرخ - يدرك أهمية النصوص ، وأن إيرادها يرفع من قيمة الكتاب ويزيد من الثقة بمؤلفه . ولذلك فانه شحن " تاريخ إربل " بنصوص كثيرة ، كالأجازات والفتاوى والرسائل والروايات ، بل اقتبس أيضا مقتطفات من كتب - ضاع بعضها - . كما أثبت الكثير من القصائد التي قيلت بمناسبات ذات علاقة بالملك المعظم ، كوكبورى أوبغيره وكذلك أورد بعض الخطب ورسائل التعزية ، بل ونصوص بعض الرقى والأدعية والأنساب وأورد شيئا من الحواشي والتعليقات المدونة في هوامش الكتب التي قرأها ، وكان بينها نص يتعلق بتاريخ ولادة أحد المترجمين . ونقل إجازات وردت شعراً ،

مما يلقي بعض الضوء على هذا الفن من المنظوم . كذلك تضمن الكتاب نصوص الرسائل التي كان العلماء يتبادلونها ، سواءً من أجل نقل المعلومات الى بعضهم بعضا ، أو بمنح الاجازات لمن يطلبها . ومن بين تلك الرسائل ، رسالة توصية مرسله من أحد علماء بغداد بتزكية شخص لدى كوكبوري ، وطلب إسداء المساعدة إليه . هذا فضلا عن الخطوط المنقوشة على الحيطان وشواهد القبور - وهي قليلة - الا انها مفيدة جداً ، إذ قد لانتثر عليها في أي مرجع آخر . أقول أن هذه النصوص الكثيرة المبتوثة في الكتاب تجعل لـ " تاريخ إربل " أهمية خاصة ، لاتخفى على القارئ اللبيب (مخ ورقة ٩ و ٢٩ أ وب و ٣٤ ب ، و ٣٩ ب و ٤٠ أ و ٤٤ ب و ٤٧ ب - ٤٨ ب و ٥١ ب و ٥٤ ب و ٥٦ أ و ٥٨ ب و ٦٠ أ و ٦٤ أ ، و ٦٥ ب - ٦٧ أ و ٦٨ أ - ٧٩ ب و ٨٠ ب و ٨٦ أ و ٩١ أ و ١٠٢ أ و ١٠٦ ب - ١٠٧ أ و ١٠٩ ب - ١١٠ ب و ١١٦ أ و ١٢٠ ب - ١٢١ ب و ١٢٥ ب و ١٢٦ أ و ١٢٧ ب و ١٢٨ أ و ١٣٠ ب و ١٣٢ أ - ١٣٣ ب و ١٣٦ أ و ١٣٨ أ و ١٤٠ ب و ١٤١ أ و ١٤٣ أ و ١٤٦ ب و ١٤٨ أ ، و ١٤٩ ب و ١٥٤ ب و ١٥٥ أ و ١٥٧ ب و ١٥٨ ب و ١٥٩ أ و ١٦٢ ب و ١٦٤ ب و ١٦٦ ب و ١٦٧ أ و ١٧١ أ و ١٧٢ أ و ١٧٣ أ و ١٧٦ ب و ١٧٨ أ - ١٧٩ أ و ١٨٠ ب و ١٨٣ أ و ١٨٥ أ و ١٨٦ أ و ١٨٨ أ و ١٩٦ ب - ١٩٧ ب و ٢٠٠ أ و ٢٠١ أ و ٢٠٤ أ و ٢٠٥ ب - ٢٠٦ ب و ٢١٨ أ و ٢٢٠ أ و ٢٢٢ أ و ٢٢٤ ب - ٢٢٥ ب) .

٧- التعريف بالمواضع الجغرافية :

ان " تاريخ إربل " - كغيره من كتب التاريخ العربي - مليء بأسماء المدن والأقاليم ومختلف المواضع ، لاسيما وانه يؤرخ الواردين الى إربل من سائر أنحاء العالم الاسلامي ، الأمر الذي استوجب ذكر البلدان التي ينتمي إليها هؤلاء الزوار . ويبدو ان المؤلف قد افترض في قراءته قدراً كبيراً من المعرفة الجغرافية ، فلم ير ضرورة للتعريف بأكثر من تلك المواضع ، وحسنا فعل ، لأنه لو عُرف بكل واحد منها ، لتضخم الكتاب وخرج عن طوره . إلا انه عُرف بعدد منها تعريفاً موجزاً ، اقتصر فيه على المدن النائية والمواقع الغريبة ، فجاء تعريفه - على إيجازه - دليلاً على سعة اطلاعه في علم

الجغرافية .

ومن الأمثلة على تعريفاته هذه ، قوله مثلاً : " نوزكات ، قرية من قرى خوارزم " ، وان " مدينة سلا ، من أقصى بلاد المغرب " ، وان " تاكرنا من نظر قرطبة " ، و " سوسة من بلاد المغرب " ، و " أسفي مدينة على ساحل مراکش ، وهي آخر مراسي البحر المحيط .. " ، وان " شقر جزيرة من شرق بلاد الأندلس ، من نظر بلنسية " ، وان " حصن بيرة بشرقي الأندلس " ، وهكذا (مخ ورقة ٢٨ ب و ١٣٧ أ و ١٥٢ ب و ١٥٣ أ و ١٦٨ أ و ١٧٢ أ و ١٨٢ أ و ١٩٦ أ و ٢١١ ب و ٢١٢ ب و ٢١٤ أ و ٢١٥ أ و ٢٢٩ أ و ٢٣٠ أ) . (١)

٨ - سهولة لغة الكتاب :

على الرغم من كون ابن المستوفي أديباً شاعراً ، مبرزاً في علمي " المعاني والبيان " ، فإنه أدرك بثاقب فكره ، بأن دوره في " تاريخ إربل " هو دور المؤرخ الذي ينبغي له أن يورد الحقائق مجردة من التزييق والزينة اللفظية خالية من التكلف ، مكتوبة بلغة سهلة واضحة ، يفهمها القراء . وبالفعل فإن قارئ " تاريخ إربل " ، لا يجد صعوبة تذكر في فهم ما أورده المؤلف ، اللهم إلا بعض العبارات التي استغلقت بسبب إهمال الناسخ ، أو تلك التي أعيد تحبيرها من قبل قارئ جاهل ، فتصحفت ، مما قد أشرنا إليه في موضعه في حواشي الكتاب نفسه ، أثناء التحقيق ، ويكاد يكون كتابنا هذا خالياً من السجع خلواً تاماً ، بخلاف عدد غير قليل من كتب التاريخ الإسلامي ، التي صنفت في عصر ابن المستوفي ، مثل مصنفات العماد الاصبهاني ، وفي مقدمتها " الفتح القسي " ، وهو كتاب تاريخ بالدرجة الاولى ، كما ان ابن الشعار قد لجأ الى السجع في كثير من الأحيان في كتابه " عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " ، الذي رجعنا إليه أكثر من مرة ، وحسنا فعل ابن المستوفي إذ لم ينسج على منوال هؤلاء ، لان لغة كتب التاريخ ، يجب أن تكون بسيطة بعيدة عن المحسنات البديعية والسجع المتكلف الثقيل ، الذي قد يؤدي الى التضحية بالحقائق ، أو يلبسها - على الأقل - شيئاً من الغموض ، من أجل الزخرفة والتزيين ، وفي ذلك ما فيه من الأضرار التي لاتخفي على القراء الكرام .

٩- الميل الى الاختصار والايجاز :

على الرغم من ميل ابن المستوفي الى إدراج النصوص ، كما رأينا في الفقرة السابقة ، فإنه كان يؤثر الايجاز عندما يروى أخباراً أو قصصاً ، لا يخل الاختصار بقيمتها . فيأتي بالمقصود من المعنى ، وينبه الى ذلك في غالب الأحيان ، ليكون القارئ على علم بأن المؤلف قد تصرف بالنص ، بل كان يقول أحياناً " واللفظ لي " ، زيادة في الاحتران . ولعل من المفيد أن أتى ببعض الأمثلة لما فعله ابن المستوفي بهذا الصدد :

أ / روى له أحد الاشخاص قصة مشاهدته للخضر - ع - وأطلب فيها ، فجاء المؤلف ببعض نصوص القصة طبقاً لما رويته له ، ثم قال : " وذكر من نحو هذا أشياء يطول بها الكتاب " (مخ ورقة ٧٩ ب) .

ب / تحدث المؤلف عن قصة بناء الحجرة النبوية ، وقال في ختامها : " اختصرتها وأتيت بالغرض منها " (مخ ورقة ١٠٤ أ) .

ت / وعندما روى قصة الجارية التي اشترت من بغداد ، لأحد الامراء الفاطميين ، قال : " إنها حكاية طويلة ، واختصرتها هنا " (مخ ورقة ١٠٨ أ) .

ث / ونقل قصة أحد الاغنياء الذي أعلن توبته بمكة المكرمة ، وتخلّى عما يملكه وتجرد ، وختمها بقوله : " ذكر ذلك أحمد بن شجاع بن منعة ، واختصرته " (مخ ورقة ١١٧٢) .

ج / وشاهد المؤلف تعليقا في طبقة سماع ، فثبت منه ما هو غرضه ، وقال " واختصرته " (مخ ورقة ١٧٣ ب) .

ح / وروى حادث مقتل شخص من أبناء الواثق ، نقلا عن ولده ، وقال : " هذا خلاصة ما حكاه مطولا ، واللفظ لي " (مخ ورقة ١٢٠٠ أ) .

١٠ - حياد المؤلف :

لاشك ان من أهم الصفات الواجب توفرها في المؤرخ ، هي أن يكون محايداً غير متحيز فيما يرويهِ ، لاسيما في كتب التراجم ، التي موضوعها الأساسي ، سير الاشخاص ، مما يصعب على المرء فيه الالتزام بصفة الحياد . ويبدو أن المؤلف كان

وأيضا لأهمية هذه الصفة ، إذ تعهد في مقدمة هذا الجزء من " تاريخ إربيل " ، بإعطاء كل ذي حق حقه ، كما ان التزامه بالحياد واضح كل الوضوح ، خصوصا إذا راجعنا مذكرناه عن دقته وأمانته ، وحرصه على نقل المعلومات من مصادرها المعتمدة ، ولاسيما اهتمامه الكبير بالرواية شفاها عن أشخاص معروفين ، وبسند متصل الحلقات ، ينتهي عند الشخص صاحب العلاقة ، علاوة على اهتمامه بالنصوص وبذل كل جهد ممكن للاطلاع عليها بنفسه هذا فضلا عن تمسكه بالصراحة ، وتدوينه تواريخ الروايات وتعيين أماكن وقوعها . ولذلك نكتفي بما قدمناه بهذا الشأن ، فانه يغني عن التكرار ، ويعكس بوضوح صفة الحياد التي التزم بها المؤلف .

الفصل الثالث

مصادر ابن المستوفي

إن قارئ "تاريخ إربل" يلاحظ ولاشك ، بأن ابن المستوفي قد اعتمد - بالدرجة الأولى - في جمع المواد لكتابه هذا ، على الاتصال الشخصي والرواية الشفوية ، إلا أنه من الناحية الأخرى ، اعتمد كذلك على الكتب والوثائق الخطية ، كالأجازات والفتاوى ، وطبقات السماع والرسائل ، والتعليقات والحواشي التي كان يعثر عليها ، وهو يطالع في الكتب ، بل توسع فشمل باهتمامه النقوش الجدارية والكتابات التي كانت تخط على الحيطان ، فانتفع بها كمصدر لبعض المعلومات . ومن هذا يتضح بجلاء ، بأن المؤلف كان مؤرخا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى . إلا أننا ينبغي علينا ، تمسكا منا بأمانة التأليف ، أن نشير أيضا الى حقيقة أخرى ، هي ان ابن المستوفي كان يدرج أحيانا بعض المعلومات المتعلقة بمترجميه ، دون الإشارة الى مصادره . وهذا يلاحظ خصوصا ، في مطلع التراجم ، التي يبدأها عادة باسم المترجم له ، ونسبه كاملا ، ثم يذكر وروده الى إربل . ويصف في بعض الأحيان مبلغ علم الشخص وحقل اختصاصه (أنظر مثلا مخ ورقة ٤٩ أ و ٥٠ أ و ٥١ أ وب) . وهنا يعتمد المؤلف على معلوماته الخاصة بالدرجة الأولى ، وقد اكتسبها بالتماس الشخصي وباللقاء والمشاهدة . أما فيما عدا ذلك ، فإنه في الغالب كان يشير الى مصادر المعلومات التي يقوم بتدوينها . ولتلق الآن نظرة سريعة على تلك المصادر :

أولا - الأشخاص :

لقد حرص ابن المستوفي على ذكر رواته ، إلا في مواضع قليلة سبقت الإشارة اليها ، وذلك حينما لا يصحح بأسماء أولئك الرواة ، ويكتفى بالقول بأنه حدثه الثقة ، وما أشبه . وهناك مواضع أخرى ، لم يشأ المؤلف أن يذكر أسماء رواته فيها ، وهي عندما كان ينقل أخبار السوء ، فقد كان يرويها بصيغة الفعل المجهول ، كأن يقول : " يحكى أو حدثت " ، أو يستعمل صيغة التعميم ، فيقول مثلا : " تحدث الناس " ، أو " قال بعض أصحابنا " أو " ذكر أهل مدينة كذا " ، وما الى ذلك ، حرصا منه على عدم التصريح باسم الراوي ،

دفعاً للخرج (مخ ورقة ١٠٠ أ و ١٠٣ ب و ١١٩ ب و ١٥١ ب) . أما فيما سوى ذلك ، فقد ذكر الأسماء صريحة ، في غالب الأحيان .

ويأتي في مقدمة الأشخاص الذين اعتمد عليهم في استقاء المعلومات ، أصحاب التراجم أنفسهم ممن لقيهم شخصياً ، ولقد سبقت الإشارة الى هذا في موضع آخر من هذه الدراسة . فقد كان المؤلف يجتمع بهم ويتحاور معهم ، ويستفسر منهم بما يعنّ له من الأسئلة . في الحقيقة ان الكثير من مادة الكتاب ، هو حصيلة هذا التماس الشخصي . كذلك كان يتصل بنوي قرياهم ، أو بمن كانت له صلة وثيقة بهم ، وهكذا ..

أما الفئة الثانية من رواته ، فهي نخبة من أهل العلم والفضل ، أتيحت لابن المستوفي فرصة لقائهم ، فنقل عنهم أخباراً كثيرة ، ضمنها كتابه هذا . وهؤلاء هم الذين يهمني ذكرهم ، باعتبارهم من مصادر الكتاب . وما انني ذاكر بعضهم ، على سبيل التمثيل ، إذ لو ذكرتهم جميعاً لطال الفصل ، وصار أقرب الى الملل .

١- المؤرخ ابن الديبشي :

لقد زار ابن الديبشي إربل ، ولقيه المؤلف ونقل عنه ، وقد صرح بذلك في عدة مواضع (مخ ورقة ٢٦ ب و ٨٩ ب و ٩٦ ب و ١٣٨ أ و ١٧٧ ب) . كما أنه نقل من خطه ، إذ جرت العادة أن يطلب السامع من الراوي ، أن يكتب بخطه شيئاً مما رواه مشافهة ، زيادة في التوثيق (مخ ورقة ٤١ ب و ١٧٧ ب) . كذلك نقل ابن المستوفي من " ذيل تاريخ بغداد " الذي صنّفه ابن الديبشي ، أكثر من مرة (مخ ورقة ٥٤ أ و ٥٦ أ و ٧٧ أ و ٨٥ أ و ٨٨ ب و ٩١ أ و ٩٣ أ و ب) وقد قمتُ بتحقيق ما نقله المؤلف عن الكتاب المذكور ، بمطابقة بعض النصوص المنقولة مع مخطوطة الكتاب الموجودة في مكتبة جامعة كمبرج (مخطوطتنا ورقة ١٤٤ ب و مخ كمبرج ورقة ١٨٠) . وللوقوف على مدى ما نقله ابن المستوفي عن ابن الديبشي ، يمكن مراجعة مخطوطتنا ، ولاسيما الورقات ٤٤ ب و ٤٩ ب ، و ٥٣ ب و ٥٥ ب و ٧٠ أ - ٧١ ب و ٧٣ أ و ٧٥ ب و ٧٦ أ و ٨٣ أ و ٩٧ أ و ١٠٠ أ و ١٠٥ ب ، و ١١٢ أ و ١٢٥ أ و ١٣٥ أ و ١٣٧ ب و ١٧٦ ب و ١٩٠ أ - ١٩١ أ و ٢٠٠ ب و ٢٠١ أ .

٢- ابن الشعار الموصللي :

سبق وذكرنا ابن الشعار بين تلامذة ابن المستوفي ، إلا أن ابن المستوفي أدرك ما يتمتع به ابن الشعار من الاطلاع الواسع على أخبار شعراء زمانه ، إذ ألف كتاباً ضخماً عنهم ، فاستعان به في استقصاء بعض الاخبار ، كما يتضح من مراجعة " تاريخ إربل " (انظر مخ ورقة ٥٣ أ و ٩٢ أ - ب و ١٨١ أ و ١٩٢ أ و ٢١٠ ب و ٢١١ أ و ٢٢٤ ب و ٢٢٦ ب) . ويبدو أن المؤلف قد نقل عن بعض كتب ابن الشعار ، ولعله نقل من مسودة " عقود الجمان " (مخ ورقة ١٨٢ أ) .

٣- ابن شحانه الحراني :

وابن شحانه محدث ومؤرخ من أهل حران وقد سبق ذكره . زار إربل ونقّيه ابن المستوفي ، وانتفع بالمعلومات التي أدلى بها إليه ، ولاسيما عن الحرانيين ، فقد صنف الموما إليه تاريخاً لحران (مخ ورقة ١٦٥ ب) . وقد روى عنه مؤلفنا في عدة مواضع ، كما يتضح من مراجعة " تاريخ إربل " (انظر مخ ٣٥ ب و ٤٢ أ و ٥٥ أ و ٧٣ ب و ٩٥ ب و ١٠٣ ب و ١٤٢ ب و ١٤٣ أ و ١٦٥ ب - ١٦٦ ب) . كذلك نقل ابن المستوفي بعض الروايات المكتوبة بخطه ، توثيقاً لما رواه عنه مشافهة (مخ ورقة ١٤٤ أ - ١٤٥ ب و ١٦٥ أ) . كما أنه أشار إلى أنه ذكّره بخصوص أحد الأشخاص ، فكتب له ابن شحانه ترجمة ذلك الشخص بيده (مخ ورقة ١٤٣ أ) .

٤- محمد بن بدل :

هو ابن بدل التبريزي الذي تولى مشيخة دار الحديث بارييل . لقيه ابن المستوفي وروى عنه بعض الاخبار في عدة مواضع من " تاريخ إربل " (مخ ورقة ١١ أ و ١٠٠ أ و ١٤٧ ب و ٢١٧ ب و ٢١٩ أ و ٢٢٠ أ) .

٥- العماد الاصبهاني :

هو الكاتب الشهير ، وصاحب المصنفات العديدة التي منها " خريدة القصر " و " الفتح القسي " أجاز لابن المستوفي ، وقد روى عنه في مواضع قليلة في " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٢ ب و ٤١ أ و ٨٦ ب) .

٦ - الخواتيمي :

هو محمود بن علي الاربلي الصائغ ، من أهل النحور ، لقيه ابن المستوفي ونقل عنه بعض المعلومات ، كما يتضح من " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٢٩ ب ، و ٣٩ ب و ٤٠ أ و ٥٠ ب و ٨٢ ب) .

٧ - القيسي :

هو أحمد بن أبي القاسم الاسكندري ، من أهل الموصل . زامل المؤلف في السماع (مخ ورقة ١٥٢ أ) ، وكان يجمع الحديث والشعر ، وقد نقل عنه ابن المستوفي في عدة مواضع من " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٤٤ ب ، ٦٨ أ و ٨٢ أ و ٨٥ ب و ٩٠ ب و ٩٥ أ و ١٠٣ أ و ١٧٤ ب و ١٩٩ أ و ٢٠٤ أ) .

٨ - كوكبوري :

هو ملك إربل الذي تقدمت ترجمته في القسم الاول من هذا الكتاب ، وكان ممن يهتم بالتاريخ والخبار ، وقد نقل عنه المؤلف بعض الاخبار التي أوردها في " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٢٧ ب و ٤٥ أ و ب و ٥٥ أ و ١٧٤ ب و ٢٢٩ أ) .

ثانيا - الكتب :

يبدو ان ابن المستوفي كان قد اطلع على عدد كبير من الكتب ، وان الفرصة قد واثته ليقرأها أو يراها على الأقل ويتصفحها ، بل وكان هو نفسه يملك الكثير منها ، إذ قال ابن خلكان (٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨) ، إنه كان عنده " من الكتب النفيسة شيء كثير " . هذا وقد مر بنا ان عائلة ابن المستوفي ، (ولاسيما عمه صفي الدين) كانت نفسها من أهل العلم ، وانه نقل من تعليقات عمه المذكور فوائد عديدة . ولاشك ان عائلة هذا شأنها ، لابد وانها كانت تملك مكتبة تليق بمقامها . وعلاوة على ماتقدم ، فان ابن المستوفي نفسه قد أشار في الجزء الثاني من " تاريخ إربل " وحده الى ما لا يقل عن ١٥٠ كتابا ، في مختلف العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصره ، وقد اطلع شخصيا على أغلبها . ولوقدّر لنا العثور على بقية الأجزاء من " تاريخ إربل " ، ومصنفات ابن المستوفي الضائعة ، لأمكننا الوقوف على العدد الحقيقي للكتب التي عرفها المؤلف أو راجعها .

والظاهر ان مؤلفنا ، كان من شدة حبه للكتب منذ شبابه ، ينسخها بنفسه ، فقد كتب بخطه " ديوان شعر القطامي " ، ومخطوطته موجودة في دار الكتب المصرية (أعلام الزركلي ٦ مقابل ص ١٥٢) ، كما نسخ بنفسه كتاب " شرح معاني أبي تمام " للأمدى (أنظر ص ٢٩٦ من هذا الكتاب) . هذا وقد نقل أحد المعلقين على " تكملة المنذرى " نصا بخط ابن المستوفى (أعلام الزركلي ٥ / ٢٢٣) ، وربما نقله من كتاب آخر استنسخه المؤلف لنفسه .

وعلى أي حال ، فان ابن المستوفى قد انتفع من هذه الكتب ، واستخدمها في تصنيفه لكتاب (تاريخ إربل) وأشار الى مواضع نقله منها . من ذلك مثلاً تاريخ ابن الجوزي المعروف بـ " المنتظم " ، فانه أشار إليه مرتين (مخ ورقة ١٢ و ٩٦ أ) . كذلك أشار إلى نقله من " تاريخ ابن السمعاني " في عدة مواضع (مخ ورقة ٣ و ٤ و ٤١ ب و ٩٣ ب و ٩٦ أ) . وأشار الى " كتاب الذخيرة " ، تصنيف أبي الفتوح الغزالي (مخ ٣ ب) ، وإلى " مساوى الأخلاق " للخرائطي (مخ ورقة ١٢٢ أ) ، وإلى " تاريخ ابن الديبثي " وفقاً لما أسلفنا (مخ ورقة ٥٦ أ و ٩٣ أ) . وأشار كذلك إلى " تهذيب غريب الحديث " لابن سلام (مخ ورقة ٧٩ ب) وكتاب " برد الأكباد " للشعالبي (مخ ورقة ٩٢ ب) ، وإلى صحيح البخاري ومسلم (مخ ورقة ٩٨ ب) . كذلك نوه بذكر " مقامات الحريري " و " كتاب المعارف " لابن قتيبة (مخ ورقة ١٣٥ ب و ١٤٠ أ) ، كما نوه بذكر " معجم الأدباء " لياقوت الحموي ، ونقل منه (مخ ورقة ١٦٧ ب - ١٦٨ ب) ، وكتاب " الأمكنة " للزمخشري (مخ ورقة ١٦٨ أ) . وأشار ابن المستوفى إلى كتاب ابن الشعار (مخ ورقة ١٨٢ أ) ، وإلى بعض دواوين الشعر كديوان ابن هانى ، وديوان الطغراني ، وديوان الوأواء (مخ ورقة ٣ ب و ١٩ ب و ٢٤ أ) . والحق ان من يقرأ " تاريخ إربل " تحصل لديه القناعة بأن المؤلف قد راجع دواوين عديدة أخرى ، كديوان إمرئ القيس ودواوين المتنبي وجريز وكثير عزة ومجنون ليلي وغيرهم .

وفضلاً عن ذلك فان ابن المستوفى قد نقل عن كتب كثيرة لاتزال مفقودة ، بعضها معروف أسمها ، والبعض غير معروف حتى اسمها ، وانه بذلك قدم لنا خدمة كبيرة ، فقد

أضاف الى معلوماتنا معلومات جديدة عن عالم الكتب (مخ ورقة ٩ أو ١٨ أو ٤٠ أ و ب
و ٥٣ ب و ١٧٨ أ - ٧٩ أو ٨٤ ب و ٩٦ ب و ١٠٢ أو ١٠٣ ب ، و ١٣٠ ب - ١٣١ ب و ١٤١
ب و ١٤٢ أو ١٤٩ ب و ١٥٦ أو ١٦٦ ب و ١٧٨ أ و ب و ١٨٤ ب) .

ومن الطريف أن نذكر أن حب المؤلف للكتب ، جعله ينقب عنها في كل مكان ، من ذلك
مثلا ان أحد الأدباء الغرياء توفي بباريل ، فحرص ابن المستوفي على مراجعة كتبه ، لعله
يجد فيها شيئا يهمه ، وبالفعل فقد وجد بينها جزانات نقل منها بعض المعلومات (مخ
ورقة ١١٦ ب) .

ثالثا - الحواشي والتعليقات :

يبدو ان ابن المستوفي كان يعتقد - وهو مصيب طبعا - بأن كل ما دون على الورق
يصلح أن يكون مادة تاريخية إذا عرف المؤرخ كيف يستفيد منها . ولذلك فانه عملا بهذا
المبدأ ، كان ينقب بين صفحات الكتب التي وقعت بين يديه ، عن الحواشي والتعليقات علّه
يعثر فيها على معلومات تفيده ، وقد حصل ذلك فعلا . ولايضاح هذه النقطة ، اكتفي
بايراد بضعة أمثلة ، الأول ، إنه وجد في آخر كتاب " تهذيب غريب الحديث " لابن سلام
، وقد سبقت الاشارة اليه ، سماع محمد بن محمود الحراني على أحد الشيوخ (مخ
ورقة ٧٩ ب - ٨٠) .

ومن هذه الحاشية تمكن المؤلف من معرفة نسب صاحب العلاقة ، وهو أحمد بن
محمد بن محمود الحراني المذكور .

والثاني ، ان أحد أصحاب التراجم روى له أبياتا من الشعر ، ثم وجدها ابن
المستوفي في آخر " كتاب المعارف " لابن قتيبة (مخ ورقة ١٤٠ أ) ، كما انه وجد أبياتا
مشابهة لها بخط عمه ، وهي مدونة في أول رسالة من رسائل إبراهيم بن هلال الصابي
(مخ ورقة ١٤٠ أ) . وبذلك تمكن من تحقيق صحة تلك الأبيات .

والثالث ، انه وجد إجازة مدرجة في آخر كتاب " المفصل " للزمخشري ، وهي معطاة
لأحد أصحاب التراجم ، فعرف منها المؤلف اسم الشيخ الذي قرأ عليه الشخص المذكور
كتاب " المفصل " آنف الذكر ، وأسماء من قرأ عليه من تلامذته الآخرين (مخ ورقة ١٤٨

أ) . وللاستزادة عن هذا الموضوع تراجع مخطوطتنا (ورقة ٥٤ ب و ١٤٣ ب و ١٢٩ أ و ١٥٩ أ و ١٦٤ أ و ١٦٦ ب و ١٩٧ أ) .

رابعاً - الاجازات والاشهادات والخطوط :

حرص ابن المستوفي على مشاهدة خطوط أصحاب التراجم ، أو من يروي أخبارهم ، لكي ينقل منها المعلومات التي يهمه إدراجها في كتابه ، لان الخطوط المكتوبة تكون في العادة أكثر دقة من الروايات المنقولة بالمشافهة . وكان يبدى اهتماما كبيراً بتلك الكتابات ، فينقلها في كثير من الأحيان ، بالنص الحرفي ويعتبرها من الأدلة التي ترجح رواية على أخرى . ولايضاح هذه النقطة ، أكتفي بإيراد مثل واحد يتعلق بمحدث بغدادي هو محمد بن هبة الله ابن المكرم الذي زار إربل ، وقد سأل ابن المستوفي عن تاريخ ولادته ، فقال : " في سنة ٥٣٦ هـ " ، ثم ان ابن أخيه أخرج لمؤلفنا جزءاً كتب في آخره بخط هبة الله بن المكرم ، والد محمد المذكور ، هذه العبارة : " ولد النجيب أبو جعفر ، محمد ليلة الأحد وقت صلاة العشاء ، ثامن عشر من شهر رمضان من سنة ٥٣٦ ، أنبتة الله نباتا حسنا ، ونشأه نشأة الصالحين " . ثم قال المؤلف بأن ابن الديبشي ، قد أخبره ان المذكور قد ولد في ٢٧ رمضان من السنة المذكورة (مخ ورقة ٢٠٠ ب) .

أما الاجازات ، فقد سبق وأشرنا في الفقرة السابقة إلى إجازة مدرجة في آخر كتاب ، ولكن قد توجد أجازات مكتوبة على أوراق منفصلة ، وهنا أيضا يبدى ابن المستوفي اهتماما كبيراً بها ، وينقلها أحيانا بنصها ، لأنها تتضمن معلومات قيمة عن أسماء الشيوخ وتلامذتهم ، كما تتضمن أحيانا ، وصفا للمُجاز وثناءً عليه . ومن الأمثلة على ذلك ، قول المؤلف عن أحد أصحاب التراجم : " واثني عليه أبو عبد الله محمد بن الديبشي ، في إجازة بيده " ، (مخ ورقة ١٧٦ ب) . هذا وفي كتابنا نماذج كثيرة من هذا القبيل يمكن مراجعتها (مخ ورقة ٦٨ ب و ١٢٧ ب و ١٣١ ب و ١٣٣ ب و ١٥٤ ب و ١٦٢ ب و ١٦٧ ب ، ١٩١ أ) . ومما يلحق بالاجازات ، طبقات السماع ، فهي سجل لجلسات سماع الحديث تتضمن في العادة ، اسم الشيخ المُسمع وأسماء التلامذة الذين سمعوا عليه . وفي كتابنا أمثلة كثيرة عن قيام المؤلف باستخدامها كمصدر للمادة التاريخية (مخ ورقة ٢٨ أ و ٢٩ أ و ١٧٣ ب) .

أما الشهادات ، وهي عادة تتضمن إقرار شخص من الأشخاص بحق للغير قبله ، وتتخذ في العادة صفة شرعية ، فتصدق أمام القاضي والعدول . وهنا أيضا يمكن للمؤرخ أن يستفيد من مادتها للغرض الذي ينشده ، وقد فعل ذلك ابن المستوفى أيضا ، وخير مثل على ذلك ، أنه عندما ترجم لاحد الشهود ، رأى أن يدعم الترجمة بنص إشهاد دونه هذا الشاهد بنفسه ، وختمه بتوقيعه (مخ ورقة ٩٥ ب ، وهناك مثال آخر راجعه مخ ورقة ٢٨ أ) .

ولن أراد الاستزادة عن هذا الموضوع يمكنه مراجعة مخطوطتنا (ورقة ٢٨ أ و ٢٨ ب و ٣٤ ب و ٤١ ب و ٤٥ ب و ٤٩ ب و ٥١ ب و ٥٣ ب و ٥٧ ب و ٥٨ ب ، و ٦٠ أ و ٦٦ ب و ٦٨ ب و ٦٩ أ و ٧٩ ب و ٨٤ أ و ٨٦ أ و ٨٧ ب و ٩٣ ب و ٩٥ ب و ٩٦ أ و ٩٧ أ و ٩٨ ب و ١٠٠ ب و ١٠٢ ب و ١٠٣ ب و ١١٠ ب و ١١١ أ و ١١٢ ب و ١١٦ أ و ١٢٠ ب و ١٢٣ ب و ١٢٥ ب و ١٣٠ ب و ١٣١ أ و ١٣٣ ب و ١٣٤ أ و ١٤٠ أ و ١٥٠ أ ، و ١٥١ ب و ١٥٤ ب و ١٥٧ ب و ١٥٩ أ و ١٦٢ ب و ١٦٤ أ و ١٧٣ أ و ١٧٨ ب و ٢٠٤ أ و ٢٠٥ ب و ٢٠٦ ب و ٢٢٠ أ و ٢٢٤ ب و ٢٢٥ ب) . أنظر ايضا " ذيل اليونيني " ٤ / ١٥٩ ، حيث نقل عن ابن المستوفى ، بأنه نقل من خط أحمد بن خلكان شعراً ، وهو ثلاث أبيات أثبتتها اليونيني .

خامسا - الرسائل :

كان ابن المستوفى يرسل أهل العلم ، ليتحقق من بعض المعلومات التي يهيمه إثباتها في كتابه . وكان يعتبر الرسائل الواردة إليه أو إلى غيره ، نصوصا ذات قيمة تاريخية ، فيبادر إلى إثباتها . ولعل من المفيد أن أُلح هنا إلى ما أشار إليه روزنتال (التاريخ ص ١٦٩) حول استخدام المؤرخين المسلمين للوثائق ، وأن هذا التقليد قد بلغ أوجه لدى العماد الاصبهاني ، في كتابه " البرق الشامي " . ولذا فلم يكن بدعا ما قام به ابن المستوفى ، وقد ذكر ابن خلكان (ج ١ / ١٩) في معرض ترجمته لقاضي السلاجمية ، أن صاحبنا قد ذكره في " تاريخ إربل " ، وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع عديدة " ومكاتبات جرت بينهما " ، إلا أن الجزء الذي فيه ترجمة قاضي السلاجمية ، لا يزال - مع

الأسف - ضائعا . على ان الجزء الذي سلم من الضياع ، يحوي بعض الرسائل ، ومنها نص الرسالة التي تلقاها ابن المستوفي من المحدث البغدادي الكبير ، عبد العزيز بن الأخضر ، بخصوص عبد الرحمن بن الغسال الحنبلي (مخ ورقة ٥٤ أ) ، وهي تمثل نموذجا ممتازا للتعاون الأدبي الذي كان قائما بين أهل العلم في تلك العصور . ونقل ابن المستوفي أيضا ، فقرة من رسالة بعثها اليه المؤرخ المعروف ابن الدبيثي ، بخصوص شخص آخر (مخ ورقة ٩٦ ب) . وعلاوة على ذلك ، فهناك عدة إشارات إلى رسائل أخرى (مخ ورقة ٧٧ ب و ١٣٦ ب - ١٣٧) .

ومن الطريف ، ان ابن المستوفي لم يكتف بالرسائل التي وُجّهت إليه ، وإنما كان يستفيد أيضا من الرسائل الموجهة إلى غيره ، إذا وجد فيها ما يفيد أغراضه ، وفي كتابنا نماذج من تلك الرسائل ، وبعضها موجه الى كوكبوري ، ملك إربل (مخ ورقة ٨٦ أ و ١٠٩ ب) . ومن أطرف تلك الرسائل ، رسالة كتبها أحد أصحاب التراجم ، وهو عبد الكريم الأثري الموصلي الى ابن الشعار ، ردأ على استفسار منه ، وقع بتكليف من ابن المستوفي ، فيما يتعلق بورود الأثري الى إربل ودراسته ومشايخه ، وقد أثبتنا مؤلفنا نصا بكل ما فيها ، ومن ضمن ذلك قصيدة نظمها الأثري في مدح أئمة المذاهب الاربعة - رض - (مخ ورقة ٢٢٤ ب - ٢٢٥ ب) .

سادسا - النقوش الجدارية والكتابات على الحيطان :

لم يفت ابن المستوفي بأن النقوش الجدارية ، مصدر مهم للمادة التاريخية ، فنقل لنا مثلا بعض النصوص التي نُقِشت على جدران مقبرة أحد أصحاب التراجم (مخ ورقة ٦٥ أ - ٦٦ ب) . وبلغ من اهتمامه بهذه النقوش وأمثالها ، انه ناقش المعلومات التي رُويت إليه عن بناء جامع كفر عزة ، على ضوء الكتابة المنقوشة على جداره ، وهي تحمل اسم بانيه الحقيقي (مخ ورقة ١٧٥ ب) .

ولم يكتف المؤلف بتلك النقوش وحدها ، بل انه حرص نقل الكتابات التي كان بعض المسافرين يخطونها على الحيطان ، ولاسيما حيطان الجوامع وبعض المنشآت العامة ، ويبدو ان البعض منهم قد اعتاد على ذلك ، وفقا لما يخبرنا ابن المستوفي (مخ ٦٥ أ

و٦٦ ب) ، وحسنا فعل ، فانها تنطوي على معلومات طريقة قد لانجدها في أي كتاب أو وثيقة مكتوبة ، وفي " تاريخ إربل " عدة نصوص من هذا القبيل (مخ ورقة ٦٧ أ و ١٤٦ أ - ب و ٢٠٤ أ و ٢٣١ أ) .

هذا ومما يجدر ذكره ان روزنتال (التاريخ ص ١٧٣ - ١٨١) أشار الى استخدام المؤرخين المسلمين للنقوش كمصدر للمادة التاريخية ، ولكنه فاتته الإشارة الى الكتابات المخطوطة على الحيطان .

الفصل الرابع أهمية "تاريخ إربل"

١- أهمية كمصدر للمؤرخين :

بعد أن أخذنا علما بمصادر "تاريخ إربل" ، يحسن بنا أن نتناول بالبحث أهمية هذا الكتاب كمصدر للمؤرخين الآخرين ، ومدى اعتمادهم عليه ، وخير وسيلة للوقوف على هذه الناحية ، هي استقصاء المواضع التي نقل فيها المؤرخون عن "تاريخ إربل" . ولقد حاولت جهدي أن أتتبع هؤلاء في المراجع التي تيسر لي الاطلاع عليها ، وفيما يأتي موجز بما وُفِّقْتُ إليه :

١- ابن الشعار :

سبق لنا وأشرنا أكثر من مرة الى ملازمة ابن الشعار (المتوفى في سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) لابن المستوفي مدة ست سنوات في إربل وحدها . ولابد انهما كانا يلتقيان بعد هجرة مؤلفنا الى الموصل ، حيث أمضى ثلاث سنوات قبل وفاته فيها ، مما أتاح لابن الشعار فرصة الاطلاع على "تاريخ إربل" ، والنقل عنه . وقد وقعت مخطوطة الجزء الثاني منه بيده فعلا ، وفيها تعليقات بخطه كما بينا في موضع آخر من هذه الدراسة . إلا أن هناك دليلا أقوى من هذا بكثير ، هو تصريح ابن الشعار في كتابه " عقود الجمال " ، بالرواية عن ابن المستوفي وبالنقل عن كتابه (انظر مخ استانبول مثلا ٤ ورقة ١٨٧ و ٢٠٠ و ٥ ورقة ٣١ و ٢٣٧ و ٦ ورقة ١٨٩ و ٧ ورقة ١٩٠ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٢ و ٢٢٨ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٤٣) ، ولقد نقل ابن الشعار من "تاريخ إربل" ماورد في الورقة ٢١٧ أ من مخطوطتنا حرفيا .

٢- ابن خلكان :

أما ابن خلكان المتوفى في سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، فقد صرح بأنه قد أحال على "تاريخ إربل" (٣ / ٢٩٤) . وإذا راجع القارئ الكريم كتاب "فنيات الأعيان" ، يتضح له ان ابن خلكان عرف "تاريخ إربل" كله ، وليس الجزء الثاني الذي بين أيدينا فحسب ، وانه قد نقل عنه مصرحا في كثير من المواضع . ويكفي ابن المستوفي فخرا ،

أن يعتمد مؤرخ كبير كأبن خلكان . وللوقوف على مواضع هذا النقل انظر " الوفيات " ١ / ١٧ و ١٧٥ و ١٩١ و ٣٧١ و ٤٤١ و ٤٢٠ / ٢ و ٤٢٠ و ١٢٥ و ١٩١ و ٤١٧ و ٣ / ٢٦ و ٣٥ و ١٧٢ و ٢٣٢ و ٢٤٨ و ٢٨٩ و ٢٩٨ و ٣٨٧ و ٤ / ٢٠ و ٢٦ و ٢٨ و ١٠٢ و ١٠٥ و ١٦٣ و ١٦٦ و ١٦٧ و ٣٦٥ و ٣٩٨ و ٥ / ٢٥ و ٣٢ و ١٧٩ .

٣- المنذري :

ان المؤرخ المصري ، زكي الدين عبد العظيم المنذري ، المتوفى في سنة ٦٥٦ هـ . ١٢٥٨ م ، لم يذكر صراحة انه نقل عن " تاريخ إربل " ، وهذا شأنه في كتابه " التكملة " ، إذ قلما يذكر المصادر التي يستقي منها معلوماته ، وقد لاحظ ذلك السيد بشار معروف (المنذري ص ٢٧٢) . ومن المعلوم ان ابن المستوفي كان ممن أجاز للمنذري الذي كان عارفا بوجود " تاريخ إربل " . ولم يستطع السيد بشار أن يقطع برأي ، فيما اذا كان المنذري قد نقل عنه أم لا ، لانه لم يطلع على " تاريخ إربل " ، وكان يظنه ما يزال ضائعا (التكملة ١ / ٥٢) ، غير انني بعد أن قمتُ بمقارنة بعض التراجم الواردة في كلا الكتابين ، يمكنني أن أقول باطمئنان ، بان المنذري قد نقل عن " تاريخ إربل " ، من ذلك مثلا ، انه في ترجمة علي بن الهروي (تكملة ٤ / ١٣٢) نقل عبارة تتطابق حرفيا وما ورد في " تاريخ إربل " ، وهي . " قلما يخلو موضع مشهور من مدينة أو غيرها ، إلا وفيها خطه " (مخ ورقة ٦٥ أ) . ومثل ذلك بالنسبة لترجمة الشيخ عبد اللطيف السهروردي (مخ ورقة ٧٦ ب وتكملة ٤ / ٦٦) ، فانه نقل عن ابن المستوفي بعض العبارات التي منها قوله . " ودفن لوقته بمقبرة الصوفية " ، كما نقل العبارات المتعلقة باتصال السهروردي هذا بصلاح الدين وتوليته إياه أقضية البلاد المفتحة ، علما بأن الشيخ عبد اللطيف توفي بإربل . ويمكننا أن نقول الشيء نفسه بالنسبة لترجمة عبد القادر الرهاوي (مخ ورقة ٥٤ ب وتكملة ٤ / ١٦٣) فانه نقل أيضا عبارة أوردها ابن المستوفي ، وهي : " وولي التحديث بدار الحديث المظفرية بالموصل مدة قريية " .

وهناك أيضا تشابه في الالفاظ في ترجمة يحيى الواسطي في " تكملة المنذري " (٢ / ١٣٠) بما يقابلها في " تاريخ إربل " (مخ ورقة ٢٣٠ ب - ٢٣١ أ) . وفضلا عن

ذلك، فأنني لم أعثر ليحيى المذكور على أية ترجمة في أي مصدر سابق لعهد المنذري ، غير " تاريخ إربل " ، ومثل هذا ينطبق أيضا على ترجمة بارسطغان الحميري (مخ ورقة ١١٦ أ - ب وتكملة ٤ / ٣٧٦) ، فانه لا ترجمة له في أي مرجع معاصر لابن المستوفي أو سابق لعهد المنذري ، لذلك أرجح أن يكون الأخير قد نقل عن " تاريخ إربل " ، ولا سيما وان بارسطغان قد توفي بإربل ثم اننا لو راجعنا تراجم أخرى تخص بعض الأرباة (مخ ورقة ٦ ب و ٨٤ ب و ١١٩ ب و ١٣٧ ب وتكملة ٣ / ٣٩ و ٣ / ٣٦٦ و ٣٧٠ و ٤ / ٣٥) ممن عرفهم ابن المستوفي شخصيا ، وكان أول من ترجم لهم ، أقول اننا لو راجعنا هذه التراجم لتوصلنا الى القول بما يشبه الجزم من أن المنذري ، نقل بعض تراجم هؤلاء - على الأقل - عن ابن المستوفي .

٤- أبو شامة :

عرف المؤرخ أبو شامة (المتوفى في سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) " تاريخ إربل " ونقل عنه في " الروضتين " (١ / ١٢) بعض ترجمة المنتخب البحتري الشاعر . كذلك نقل في " ذيل الروضتين " (ص ٥٢) بعض ترجمة الشاعر علي بن الحسن الحلبي ، المعروف بشميم عن ابن المستوفي ، ولكن اسم مؤلفنا تصحف فأصبح " ابن المشرقي " .

٥- ابن سعيد المغربي :

ونقل ابن سعيد المغربي (المتوفى في سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) في كتابه " الفصون الياينة " عن " تاريخ إربل " ، في عدة مواضع . ويبدو أنه عرف الكتاب كاملا ، لانه نقل من الأجزاء الضائعة (أنظر " الفصون " ص ٢٣ - ٢٥ و ٧٦ - ٧٧ و ٨١ و ٨٣ و ١١٦ - ١١٧) .

٦- ابن الفوطي :

أما ابن الفوطي (المتوفى في سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) ، فقد استفاد كثيراً من " تاريخ إربل " . فنقل عنه في كتابه " معجم الألقاب " ، أو بالأحرى في الجزء الرابع منه ، في مواضع عدة ، وكان نقله منه نقلا مباشراً ، (أنظر " المعجم " ١ / ٧٩ و ٥٧٦ و ٥٨٦ و ٢ / ٨٤١ و ٩٢٣ و ١٠٥٥ و ١١٥٨ و ٣ / ٨٠ و ٢٥٠) .

٧- اليونيني :

ومن الكتب التي اعتمدت في بعض تراجمها على " تاريخ إربل " ، " ذيل مرآة الزمان " لقطب الدين اليونيني المتوفى في سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م ، وهو مؤرخ من أهل بعلبك . وقد نقل صراحة عنه في عدة مواضع ، وذكر أنه وقف على مجلد منه ، إلا أنه لم يعينه (أنظر " الذيل " ١ / ٦٥ و ٧٣ - ٧٥ و ٣٧٧ و ٢ / ٣٠٥ ، و ٤ / ١٥٣ و ١٥٩ و ٢٢١) . وأظنه أنه عرف جزء غير الذي بين أيدينا ، لأنه نقل تراجم غير موجودة في هذا الجزء (أنظر ١ / ٣٣٧ و ٤ / ٣٢١) .

٨- الصفدي :

وكذلك الصفدي المتوفى في سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م ، قد عرف " تاريخ إربل " ، ونقل عنه أكثر من مرة ، في كتابه " الوافي بالوفيات " (انظر مخطوطة اكسفورد ورقة ١٢١ والمطبوع ١ / ٢٨٦) .

٩ - الكتبي :

ابن شاکر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م نقل عن " تاريخ إربل " في كتابه " عيون التواريخ " ، من ذلك نقله أخبار القاسم بن المظفر الشهرزوري ، إذ صرح يقول عنه ان أبا البركات ابن المستوفي ذكره في " تاريخ إربل " ، (" عيون التواريخ " طبعة بغداد ١٩٧٧ ، ج ١٢ ، ص ٣٩٢) .

١٠ - اليافعي :

أما اليافعي المتوفى في سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ، مؤلف " مرآة الجنان " ، فإنه أيضا عرف " تاريخ إربل " ، ونقل عنه عدة مرات . ويبدو أنه عرف بعض الأجزاء الضائعة منه ، لأن نقله جاء بمعلومات غير موجودة في الجزء الثاني منه (مرآة ٣ / ١٥٠ و ١٢ / ٦٨) .

١١ - السبكي :

ونقل السبكي المتوفى في سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م ، مصنف " طبقات الشافعية " عن " تاريخ إربل " ، وفقا لما ورد في الطبقات (٨ / ٣٨٣) .

١٢ - القرشي :

أما القرشي المتوفى في سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م ، مصنف " الجواهر المضية في طبقات الحنفية " ، فإنه هو الآخر قد عرف " تاريخ إربل " ، ونقل عنه في أكثر من موضع في طبقاته - الجواهر ٢ / ٥ و ١١١) .

١٣- ابن رجب :

وكذلك فعل ابن رجب المتوفى في سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م ، الذي عرف " تاريخ إربل " ، ونقل عنه في كتابه " ذيل طبقات الحنابلة " (انظر ٢ / ١٥٢) .

١٤ - ابن الفرات :

وعرف ابن الفرات المتوفى في سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م " تاريخ إربل " ، ونقل عنه في تاريخه عدة مرات ، ويبدو أنه عرف بعض الأجزاء الضائعة ، للسبب الذي أشرنا إليه آنفا (أنظر " تاريخ ابن الفرات " ٥ / ٣٤ و ١٣٩) .

١٥ - الفاسي :

أما تقي الدين الفاسي المكي المتوفى في سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م ، فإنه أيضا عرف " تاريخ إربل " واستفاد منه في كتابه " منتخب المختار في علماء بغداد " (انظر ص ١٣١ و ١٧٦ - ١٧٧) ، وكتابه الآخر " العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين " (انظر ٣ / ٣١١ و ٤ / ٣١٧ و ٦ / ١٥٠) ، وهو تراجم المكيين والواردين الى مكة المكرمة . والطريف في هذا الكتاب ، ان الفاسي نقل عن " تاريخ إربل " ترجمة أحد مواطني مكة ، سليمان بن عبد الله الريحاني ، الذي كان قد ورد إربل وترجمه ابن المستوفي ، ولم يجد الفاسي مرجعا غيره يعتمد عليه في ترجمة أحد مواطنيه .

وقد سبق أن أشرنا الى سماع الفاسي " تاريخ إربل " على أبي هريرة بن الحافظ الذهبي ، وإلى نقله عنه ترجمة إسماعيل بن مسلم بن سليمان الاربلي (العقد الثمين ، ج ١ ص ٢٢ و ج ٣ ص ٣١١) ، مما يؤكد اعتماد الفاسي على " تاريخ إربل " .

١٦- ابن قطلويعا :

أما ابن قطلويعا المتوفى في سنة ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م ، وهو مصنف كتاب " تاج

التراجم في طبقات الحنفية " ، فقد عرف " تاريخ إربيل " ونقل عنه في موضع واحد على الأقل (أنظر تاج ص ٥٩) .

١٧- السيوطي :

وحيث أن ابن المستوفي كان معدوداً في النحويين ، فإن السيوطي قد ترجم له في " بغية الوعاة " ، كما أنه استفاد مما جاء في " تاريخ إربيل " عن النحاة ، ونقل عنه كثيراً . ويبدو أنه عرف الأجزاء الضائعة منه ، ونقل منها (بغية ١ / ٩٢ و ١٨٢ و ٢١٢ و ٢٦٠ و ٢٨٦ و ٥٨٢ و ٢ / ١٥١ و ١٨٤ و ٢١٦ ، و ٢٢٠ و ٢٢٤ و ٢٧٢ و ٢٧٦ و ٢٧٩ و ٢٩٩ و ٢٣٤) . علماً بأن السيوطي توفي في سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

١٨ - المقرئ :

أما المقرئ الأندلسي المتوفى في سنة ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ، فإنه هو الآخر قد عرف " تاريخ إربيل " ونقل عنه ، ولاسيما ترجمة عيسى بن عبد الله الحميري ، وهو أندلسي زار إربيل (أنظر نفح الطيب ٢ / ٨٧٧) .

١٩ - ابن العماد :

أما ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م ، وهو " شذرات الذهب " ، فإنه نقل عن " تاريخ إربيل " بعض ترجمة المبارك ابن الاثير ، وذلك عن القسم الضائع منه ، كما أشار الى ما نقله ابن خلكان عن " تاريخ إربيل " من ترجمة محمد بن الخضر ابن تيمية . كذلك نقل عن السخاوي - ولم يصرح باسم المرجع الذي نقل عنه - بعض ما يتعلق بترجمة عدي بن مسافر - نقلاً - على ما أظن - عن ابن المستوفي بالنظر لتطابق الألفاظ والعبارات المتعلقة بأصله ومكان إقامته وصحبته ، بالعبارات المماثلة في " تاريخ إربيل " (مخ ورقة ٣٤ ب و ٤٥ أ و ٤٦ أ والشذرات ٤ / ١٨٠ و ٥ / ٢٢ و ١٠٢) .

٢٠ - نقله آخرون :

ومناك نقله آخرون ، إلا أنه ليس بوسعي التحقق من صحة نقلهم عن " تاريخ إربيل " ، من ذلك مثلاً Heer ذكر (ص ٣٦) أن ياقوت الحموي الذي كان معاصراً لابن المستوفي ، قد نقل عن «تاريخ إربيل» مشيراً إلى «معجم البلدان» (١/١٨٧) ، ولدى

رجوعي إلى هذه الإشارة في المعجم المذكور ، لم أجد فيها ما يفيد أن ياقوتاً قد نقل أي شيء عن «تاريخ إربل» ، بل وليس في المعجم ما يدل على أنه عرف هذا الكتاب ، وإنما فيه ذكر لزيارة ياقوت إلى إربل واجتماعه بابن المستوفي .

وذكر السيد بشار معروف (تكملة ١٨٠/٢ - حاشية) بأن بدر الدين العيني المتوفى في سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٥١ م ، نقل في كتابه «عقد الجمان» بعض ترجمة مكي ابن ريان الماكسيني - وهو أستاذ ابن المستوفي - عن «تاريخ إربل» . ولكنني لم أستطع التحقق من ذلك ، لعدم تمكني من الاطلاع على مخطوطة «عقد الجمان» ، كذلك ذكر السيد معروف (تكملة ٥٧/١ - المقدمة) بأن أحمد بن عبد القادر التميمي نقل عن «تاريخ إربل» في كتابه «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» . وهنا أيضاً لا يسعني أن أقول شيئاً حول هذا النقل ، إذ لم أتمكن من الإطلاع على مخطوطة «الطبقات السنية» ، وبالتالي فلا أدري مدى اعتماد التميمي على «تاريخ إربل» .

هذا وذكر مصنف كتاب «الذريعة» (٢٧٨/٥) خبراً حكاه «صاحب الرياض» - وهو شخص لم أتأكد - نقلاً عن «تاريخ إربل» ، وهذا الخبر يتعلق بسماع أبي عبد الله البُستي لكتاب «جواهر الكلام» على مؤلفه عبد الواحد الأمدي ، مما هو مذكور في «تاريخ إربل» بالفعل (انظر مخ ورقة ٤٤ أ) .

أشار الدكتور عبده إسماعيل الطهطاوي في مقال له في مجلة «دعوة الحق» المغربية (العدد ٨ لشهر أيلول - سبتمبر ١٩٧٠ م ، ص ٨٠) إلى قصيدة قيلت في نور الدين بن زنكي منقولة عن «تاريخ إربل» ، إلا أنه لم يذكر المصدر الذي نقل عنه القصيدة مباشرة . وقد كتبتُ إليه مستفسراً عن مرجعه الذي نقل عنه ، فأخبرتُ بأنه قد توفى إلى رحمة الله ، وأن المرجع الذي نقل عنه ، لابد وأن يكون مخطوطة كتاب «الكواكب الدرية» لابن قاضي شعبة ، الذي كان المرحوم الطهطاوي بصدد تحقيقه ونشره (تفضل بإعلامي ما تقدم ، الدكتور محمد كمال شبانه برسالته المؤرخة في ١٥/١/١٩٧١ م ، الرسالة من المغرب فإليه مني الشكر والامتنان) .

وهكذا يتضح لنا مما تقدم ، بأن «تاريخ إربل» كان مصدراً رجع إليه المؤرخون من

مختلف العصور ، وبينهم بعض معاصري ابن المستوفي ، وكذلك الذين جاؤا بعده ، إلى القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) ، كذلك كان بينهم مؤرخون عراقيون وسوريون ومصريون وحجازيون ، بل ومغاربة وأندلسيون أيضاً . فضلاً عن ذلك ، فقد اعتمد عليه مؤرخو الطبقات ، سواء منهم طبقات الفقهاء كالحنفية والشافعية والحنابلة ، أو مؤرخو طبقات الشعراء ، كابن الشعار وابن سعيد المغربي ، أو أصحاب التواريخ المحلية ، كالفاسي في كتابيه "علماء بغداد" و"العقد الثمين" في أهل مكة ومن وردوا ، والمقري في "نفع الطيب" ، أو مؤرخو الوفيات بصورة عامة كالمنذري في "التكملة" ، وأبي شامة في كتابيه "الروستين" وذيلها ، وابن خلكان في "الوفيات" ، وابن الفوطي في "معجم الألقاب" ، والصفدي في "الوافي" ، أو مؤرخو التاريخ العام ، كابن الفرات في تاريخه ، وابن العماد في "الشذرات" . وهذا يبرز - ولاشك - الأهمية التي يتمتع بها "تاريخ إربل" .

ثانياً - مزايا "تاريخ إربل" :

بيّنا في الفقرة السابقة أهمية "تاريخ إربل" كمصدر للمؤرخين ، وقصرنا حديثنا فيها على الكتب التي نقلت عنه لغرض تبيان تلك الأهمية . أما الآن ، فنتناول مزايا هذا الكتاب ، التي قد ينفرد ببعضها دون غيره من كتب التاريخ ، ومن تلك المزايا .

١- أهمية التراجم الواردة فيه :

لاشك أن أهمية "تاريخ إربل" تكمن بالدرجة الأولى ، في كونه كتاب تراجم ، لانه يترجم للأربلة ولأهل المناطق المجاورة لإربل والموصل ، كالبوازيج وكفر عزة والكرخيني وحديثة (انظر التراجم المرقمة ٢ و ٣ و ٥ - ١٠ و ١٣ - ١٤ و ١٦ و ١٧ و ٢٢ - ٢٥ و ٣٥ و ٤١ - ٤٤ و ٥٠ و ٦٠ و ٧١ و ٧٣ و ٧٧ و ٨٤ - ٩١ و ١٠٣ - ١١٧ و ١٤٩ - ١٥٤ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٦ - ١٧٤ و ٢١٠ و ٢١٧ و ٢٢٠ و ٢٢٩ - ٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٠ و ٢٥٦ و ٢٥٩ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٦ - ٢٧١ و ٢٧٣ و ٢٧٦ - ٢٨٠ و ٢٨٨ - ٢٩٠ و ٢٩٢ و ٢٩٥ و ٣٠٠ و ٣٠٣ و ٣١٣ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٥ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٤) ، مما لانجده في أي مرجع آخر ، كما انه يترجم لأشخاص قد لانجد لهم ترجمة في المصادر الاخرى على

الاطلاق ، وأقصد في المراجع التي تيسر لي الرجوع إليها (انظر التراجم مثلا ، رقم ١٥ و١٦ - ٤٢ و٥٦ و٧١ و٧٤ و٧٧ و٧٨ و٨٩ و١٠٢ و١١٣ و١١٦ و١٣٧ و١٤١ و١٤٤ و١٤٥ و١٤٨ و١٥٠ و١٥٧ و١٦١ و١٦٧ - ١٧٠ و١٧٣ و١٧٤ و١٧٧ و١٧٨ و١٩٤ و١٩٦ و٢٤٠ و٢٨٧ و٢٨٨ و٣١٣ و٣٢٠ و٣٢٨) ، أو ان تراجمهم وردت في مصدر واحد لا يزال مخطوطا بعيداً عن متناول القراء ، أو ان التراجم في :ـ المراجع جاءت موجزة جداً (كالتراجم المرقمة ١٤ و٩٩ و١٣٨ و١٥٨ و١٥٩ - ١٨٣) ، فمساب الترجمة رقم ٩٩ مثلا ، ترجم له ابن كثير في تاريخه (١٣ / ١١١) بسطرين فقط ، مما جعلها خالية من المعلومات التي تهتم المؤرخ ، وهنا يقوم " تاريخ إربل " بملء هذا النقص .

والصفة الغالبة على التراجم في كتابنا - لاسيما تراجم الارابطة ، أو الاشخاص الذين سنحت للمؤلف فرصة لقائهم - فانها ضافية اذا ماقيست بكتب التراجم الأخرى ، مثل " تاريخ ابن الديبشي " و " معجم الالقاب " لابن الفوطي . والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها التراجم المرقمة ٢ و٣ و٩ و١٣ و١٤ و١٧ و٢٩ و٥٩ و٦٣ و١٢٤ و١٣٢ . وعلاوة على ذلك ، ففي " تاريخ إربل " تراجم لارابطة بارزين ، ولكن ابن خلكان - رغم كونه إربليا - لم يترجم لهم ، بل أنه لم يترجم حتى لعميه ، وكانا من الفقهاء المدرسين باربل ، بينما ترجم لهما ابن المستوفي (مخ ورقة ١٣٧ ب و١٦٣ ب) ، مما يجعل كتابنا أكثر شمولاً . وفضلا عن ذلك ، فان ابن المستوفي قد ترجم للواردين الى إربل ، بصرف النظر عن غناهم أو فقرهم ، أو كونهم احراراً أم عبيداً ، أو أنهم رجال أم نساء ، وبالفعل فاننا نجد عدداً غير قليل من الفقراء الذين لايمك بعضهم عشاء ليلة ، وبينهم من كان يبيع الخبز أو اللبن ، كل هؤلاء ترجم له مؤلفنا (مخ ورقة ٢٩ أ و٥١ ب و١٣٧ أ و١٣٩ ب و١٨٠ أ و٢٢٦ ب و٢٢٧ أ و٢٢٨ أ و٢٣١ أ) . كما انه ترجم لبعض العبيد والاماء ، ماداموا من أهل العلم ، بل وقد سمع على البعض منهم (مخ ١١٣ أ و١٤٥ ب و١٦١ أ) ، كذلك اهتم ابن المستوفي بأخبار النساء ، وقد ترجم لبعضهن (مخ ورقة ٢٩ ب و١١٢ ب - ١١٣ أ و١١٧ ب) ، وتحدث عن نشاطات عدد منهن ، كسماع

الحديث عليهن ، واصدارهن الاجازات للسامعين عليهن وكتابتها بخطهن ، وقيامهن بوعظ النساء (يبدو ان وعظ النساء كان معروفا في عصر المؤلف ، فقد ذكر الذهبي في " العبر " ١٦٨ / ٥ ، بأن عائشة بنت محمد بن علي بن البل البغدادية ، الواعظة المتوفاة في سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م كانت تعظ النساء) ، بل انه سمع بنفسه على بعض هؤلاء النسوة (مخ ورقة ٢٦ ب و ٢٧ أ و ٢٩ ب و ٦٨ ب و ٧٣ ب و ٧٦ أ و ٧٨ أ و ٨٣ ب و ١٠٥ ب و ١١٢ ب - ١١٣ ، و ١١٧ ب و ١١٨ ب و ١٤٥ أ و ١٦١ أ و ١٦٧ أ و ١٨٥ أ و ١٨٨ ب) . وحتى السن لم يكن له أي اعتبار عند ابن المستوفي ، فانه ترجم لأحد الصبيان ، وهو عمر الدنيسري ، الذي ورد إربل للسماع على ابن طبرزد (مخ ورقة ١١٠ ب) ، وفي الكتاب تراجم لعدد من الشبان ، مثل نجل ابن عساكر (مخ ورقة ١١١ ب) .

٢- الكتاب حصيلة لقاءات شخصية :

ان كتب التاريخ ، في غالبيتها ، يُعتمد في تأليفها على المراجع الاخرى وهي في العادة ، كتب ووثائق ، وان العنصر الشخصي فيها محدود قليل . أما بالنسبة لكتابنا ، فالعكس هو الصحيح ، فلم يعتمد المؤلف على ماكتبه غيره فحسب ، بل انه كان حريصا على الاستفادة من معلومات الأحياء ، سواءً أكان هؤلاء من أصحاب التراجم أو من أهل التأليف ، أو كانوا من نوى القربي لأصحاب التراجم ، أو على صلة بهم . وقد كان التعاون بين هؤلاء الاشخاص رائعا حقا ، رغم صعوبات النقل والمواصلات . وخير مثال نسوقه لايضاح هذا التعاون والتماس ، هو ما استفاده ابن المستوفي من اتصاله الشخصي بابن الديبشي المؤرخ وابن الشعار الموصللي وابن شحاته الحراني . ومما جعل هذا الاتصال الشخصي ممكنا سعة الرحلات التي كان أهل العلم والأدب يقومون بها ، ولاسيما المحدثون منهم خاصة . وكتابنا ، بحد ذاته ، دليل ساطع على مدى سعة تلك الرحلات ونفعها في هذا الصدد .

هذا وقد حرص ابن المستوفي على لقاء من يرد إربل من أهل الفضل ، والمذاكرة معهم ، فكان يستشدهم الشعر ، بل ويطلب إليهم - أحيانا - أن يكتبوا بخطهم ماينشدونه إياه ، كما أجازة البعض منهم . وكان يطلب من هؤلاء في بعض الأحيان ، أن

ينظموا الشعر ، ليكون سببا لذكرهم في " تاريخ إربل " وربما حملهم على ان يتكفوا قول الشعر لهذا الغرض . كذلك كان حريصا على مشاهدة الخطوط المكتوبة والاجازات والاشهادات والتعليق ، وما إليها . والكتاب مليء بالشواهد على ما قدمنا (مخ ورقة ٧٢ ب و ٧٤ أ و ٨٤ أ و ٨٦ أ و ٨٩ ب و ٩٢ أ و ١٠٠ ب و ١٠١ أ و ١٠٢ ب و ١٠٣ أ و ١٠٥ أ و ١٠٦ أ و ١٠٧ أ ، و ١٠٨ ب و ١٠٩ ب و ١١١ ب و ١١٣ أ و ١١٦ ب و ١١٧ ب و ١١٨ ب و ١١٩ أ و ١٢٠ أ ، و ١٢٢ ب و ١٢٣ ب - ١٢٤ أ و ١٢٥ أ و ١٣٤ ب و ١٣٦ ب و ١٣٧ أ و ١٣٨ أ و ١٣٩ ب و ١٤٠ ب و ١٤٤ أ - ١٤٥ ب و ١٤٦ ب و ١٤٧ أ و ١٤٨ ب و ١٤٩ ب و ١٥٠ ب و ١٥١ أ و ١٥٢ ب - ١٥٣ ب و ١٥٤ ب - ١٥٦ أ و ١٥٧ ب و ١٦٠ أ و ١٦١ ب و ١٦٤ ب و ١٦٥ أ و ١٦٧ أ و ١٧٠ أ - ١٧١ أ و ١٧٢ ب و ١٧٤ أ و ١٧٥ ب و ١٧٦ ب و ١٨٠ أ و ١٨١ أ و ب ، و ١٨٢ ب و ١٨٥ ب ، و ١٨٧ ب - ١٨٨ ب و ١٨٩ ب و ١٩١ أ و ١٩٢ ب و ١٩٥ أ و ١٩٦ أ و ١٩٨ ب و ١٩٩ أ و ٢٠٠ ب و ٢٠٤ ب و ٢٠٥ ب و ٢٠٩ أ و ب ٢١٣ أ و ٢١٥ ب و ٢١٦ أ و ٢١٧ ب و ٢٢١ ب و ٢٢٢ أ و ٢٢٣ ب و ٢٢٦ ب و ٢٢٨ أ و ٢٣٠ ب) .

٣- الكتاب يضم نصوصا أدبية مهمة :

ان حرص ابن المستوفي على إدراج المقتبسات بنصها الحرفي ، في بعض الأحيان ، قد جعل من " تاريخ إربل " مرجعا لكثير من النصوص الادبية والتاريخية ، لاسيما المنقولة من كتب لاتزال ضائعة ، أو من وثائق لانجدها في أي كتاب آخر ، ومن هذا الصنف التعليقات والرسائل والاجازات والفتاوى ، وما إليها مما يهم الباحثين ، ويقدم اليهم مادة جديدة تساعدهم في أبحاثهم . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نقتطف منها :

أ / نقل المؤلف بعض القصيدة المزبوجة ، التي نظمها عمر بن شماس الخزرجي في التاريخ ، وهي تتناول تاريخ البشر من أول الخليقة حتى خلافة الناصر العباسي (مخ ورقة ١٩ ب) . والقصيدة تمثل نموذجا للتصنيف التاريخي نظما ، والذي يزيد في أهميتها كونها مفقودة بالاصل . وكذلك نقل لنا رسائل ومقدمات كتب ، مفقودة هي الاخرى (مخ ورقة ٩ أ و ٧٨ - ٧٩ و ١٤٩ ب) . ونقل أيضا مقدمة " معجم الادباء "

لياقوت الحموي (مخ ورقة ١٥٧ - ١٥٩) ، وبذلك يقدم مساعدة ثمينة للمحققين ، إذ يمكنهم من المقارنة والتصحيح . كذلك حفظ لنا ابن المستوفي أسماء كتب لم ترد - حتى مجرد أسمائها - في أي مرجع آخر ، من ذلك مثلاً ، انه ذكر ثلاثة كتب من تصنيف محمد بن عبد الكريم الرافي (مخ ورقة ٢٧ ب) ، لا ذكر لها في المراجع التي تيسر لي الرجوع اليها . وفي حالة أخرى ، ذكر لنا أوصافاً لكتب ضائعة ، ونقل لنا نماذج من محتوياتها (مخ ورقة ٤٠ أ - ب) ، مما قد ييسر على الباحثين أمر العثور عليها (ومن الأمثلة على الكتب التي قد لا تكون مذكورة في المراجع الأخرى ، أو تعد من المفقودات ، انظر مخ ورقة ٢١ أ و ٧٨ أ و ٨٨ ب و ١٢٩ ب و ١٣١ أ و ١٣٣ ب و ١٣٥ ب و ١٥٦ أ و ١٦٤ أ و ١٧٣ ب و ١٧٨ ب - ١٧٩ ب و ١٨٤ ب و ١٨٩ ب و ١٩٠ أ و ٢١٧ ب و ٢٢٩ أ) . ب / كذلك حفظ لنا ابن المستوفي نصوص بعض الرسائل ، كالرسالة التي بعثها الشيخ الصوفي ، عمر السهروردي الى كوكبوري ملك إيرل ، وهي رسالة توصية بأحد العلماء (مخ ورقة ٨٦ أ) . كما حفظ لنا نص رسالة الفخر ابن تيمية المرسله الى كوكبوري أيضا (مخ ورقة ١٣٥ أ) . وهاتان الرسالتان تليان الضوء على الأسلوب الذي كان يتخاطب به العلماء مع الحكام . كذلك حفظ لنا " تاريخ إيرل " نصاً كاملاً لرسالة تزكية ، بعثها أحد علماء بغداد الى المؤلف نفسه (مخ ورقة ٥٤ أ) ، وهي الأخرى يمكن أن تكون نموذجاً جيداً لأدب الرسائل المتبادلة بين العلماء . وهناك رسالة رابعة (مخ ورقة ١٤٠ ب - ١٤١) تمثل نوعاً آخر من الرسائل ، وهي التي يكون الغرض منها إثبات بعض محتوياتها في الكتب ، ومثلها الرسالة الواردة في المخطوطة (ورقة ٢٢٤ ب - ٢٢٥ ر) .

ت / وحفظ لنا " تاريخ إيرل " كذلك ، نماذج لبعض التعليقات التي كان العلماء يدونونها في حواشي الكتب ، تصحيحاً لخبر ، أو تعليقا على رأي ، أو إبداء رأي في كتاب من الكتب (مخ ورقة ١٣٢ أ - ب و ١٥٩ أ) .

ث / وفي الكتاب أيضا نصوص استجازات وإجازات ، وقد ورد بعضها شعراً (مخ ورقة ١٠٢ أ و ١٢٧ ب و ١٣٣ أ) ، وهذه الاجازات المنظومة - فضلا عن قيمتها التاريخية

- تهم دأرسي أدب الاجازات أيضا ، وكذلك في كتابنا ، يوجد نص استفتاء وفتوى (مخ ورقة ٤٧ ب -- ٤٨ ب) ، وبعض النصوص التي يمكن اعتبارها من النثر الفني (مخ ورقة ٦٠ ب) .

٤- الكتاب غني بالشعر :

سبق وبيننا بأن " تاريخ إربل " حافل بالشعر ، حتى بلغ عدد الأبيات في الجزء الثاني منه فقط ، ٢٥٠٠ بيت تقريبا ، ولكي ندرك مدى أهمية هذه الكمية من الشعر لابد لنا من مقارنتها بالمجموعات الشعرية المتخصصة ، مثل " المفضليات " التي بلغت أبياتها ٢٧٢٧ بيتا ، و " الأصمعيات " التي لم تزد أبياتها على ١٤٣٩ بيتا ، ثم " جمهرة أشعار العرب " لأبي زيد القرشي التي بلغت أبياتها ٢٦٨١ بيتا ، و " الحماسة الصغرى " لأبي تمام التي لم تتجاوز أبياتها ٢٠٤٦ بيتا (جليل العطية : التذكرة السعدية ، مقال في مجلة عالم الكتب ، مج ٩ عدد ٢ لسنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ٢٢٥ - ٢٢٦) وينبغي أن نتذكر أن ٢٥٠٠ بيت جمعها ابن المستوفي هي في جزء واحد فقط من تاريخه ، وهذا بحد ذاته يعطيه أهمية خاصة .

والحق أن ابن المستوفي الشاعر والنقاد الأديب ، لم يستطيع أن يتخلى عن دأرسته هذه ، فقد ألزم نفسه أن لا يترجم إلا لمن يقول شيئا من الشعر ، وهذا واضح في ثنايا الكتاب . أما إذا وجد بين أصحاب التراجم من لم يقل شعراً ، فمرجع ذلك الى أن المؤلف لم يحظ بمقابلة هؤلاء الأشخاص فيستتشدهم ، أو أنه لم يجد لهم أي شعر في المراجع التي نقل عنها ، أو أنه لم يجده لدى الرواة الذين حدثوه عن أولئك الأشخاص . والشعر الذي جمعه ابن المستوفي ، له أهمية كبيرة بالنسبة لمؤرخي الأدب ، إذ قد جمع أشعار أدباء جاؤا من مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، مشرقه ومغربه وأندلسه (ولزيادة الاطلاع ، انظر مخ ورقة ١٥٢ أ - ١٥٤ ب و ١٦١ أ و ١٦٥ ب - ١٦٦ ب و ١٧٦ ب - ١٧٧ أ و ١٨٠ ب - ١٨٤ ب و ١٩٦ أ - ب و ٢٠٧ أ - ٢٠٨ ب و ٢١١ ب) وسواء كان هؤلاء من المكثرين أو المقلين ، لذلك نجده قد روى أشعارا لانجدها حتى في مظانها وفي الكتب المتخصصة بالموضوع ، بل لعل بعضها لانجده في أي كتاب آخر

على الإطلاق ، كالشعر الذي نظمه أحد أصحاب التراجم خصيصاً لطيفي ، ظمأ ابن المستوفي ، وحلف له بأنه لم يعمل غيره (مخ ورقة ١٨٧ أ) ، ومن الطبيعي أن لانتوقع العثور على مثل هذه الأبيات في أي مرجع آخر ، كذلك روى ابن المستوفي شعراً منسوباً لجنون ليلى وابن الرومي ، إلا أنني لم أجد له أثراً في ديوانيهما المطبوعين ، ولزيادة إيضاح هذه النقطة ، رأيت من المفيد إيراد بعض الأمثلة :

أ / روى ابن المستوفي شعراً لعلّي بن محمد البُستي (مخ ورقة ٩٤ ب) لانجده في مظانه كيتيمة الدبر للثعالبي ، التي ترجمت للشاعر المذكور وأوردت الكثير من مقطوعاته (يتيمة ٤ / ٣٠٢ - ٣٣٤) ، وكذلك لم يذكر ابن خلكان (٢ / ٥٨) هذا الشعر في ترجمته للبستي .

ب / في " تاريخ إربيل " شعر لعلّي بن أحمد الحرالي الأندلسي (مخ ورقة ٢١٥ ب - ٢١٦ أ) ليس له ذكر في " نفح الطيب " رغم كونه خاصاً بالاندلسيين ، وفيه ترجمة ضافية لعلّي هذا (نفح ١ / ٥٨٤ - ٥٨٦) . ويمكننا أن نقول مثل ذلك بالنسبة لبعض شعر عبد الوهاب المالقي والهيثم بن جعفر الاشبيلي (مخ ورقة ٢١٢ ب و ٢١٤ ب) ، فإن شعرهما الذي أورده ابن المستوفي ، لم يرد في المراجع الأندلسية التي ترجمت لهما ، مثل " الذيل والتكملة " و " القدح الملقى " وغيرهما . وقد ترجم المقرئ (نفح ١ / ٥٠٢) لمحمد بن محمد الأنصاري الأندلسي ، ولم يذكر من أشعاره التي رواها ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٢٩ أ - ب) سوى مقطوعة واحدة . كما أن في كتابنا (مخ ورقة ٢١٤ ب) مقطوعة للشاعر الأندلسي أبي عبد الله الرصافي ، غير موجودة في ديوانه المطبوع .

ت / على الرغم من حرص ابن الشعر على جمع أشعار معاصريه في كتابه الخاص بالشعراء ، فقد فاتته بعض شعرهم ، مما هو موجود في " تاريخ إربيل " رغم أن هذا الكتاب ليس بمعجم للشعراء ، من ذلك مثلاً أنه قد فات ابن الشعر أن يروي في ترجمة قيصر بن السوداء (مخ استانبول ٦ ورقة ١ - ٢) ، بيتين رواهما ابن المستوفي (مخ ورقة ١٤٧ ب) لهذا الشاعر .

ث / روى مؤلفنا (مخ ورقة ١٦٠ ب) شعراً لمحمد بن الحسن الحلبي ، لم أعثر عليه في مظانه التي يُفترض وجوده فيها ، مثل " خريدة القصر " و " تاريخ حلب " و " المحدثون من الشعراء " .

ج / روى ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٣٠ ب) مقطوعة لشاعر ترجم له ابن الشعار (مخ استانبول ٧ ورقة ١٠٢) ولم يذكرها على الرغم من كون كتابه معجماً للشعراء ، ورغم روايته عدة مقطوعات أخرى للشاعر المذكور .

ح / في كتابنا أبيات من شعر إسماعيل بن علي العين زربي (مخ ورقة ١٦٧) ، وهي غير موجودة في المراجع التي ترجمت للعين زربي ، مثل " تاريخ ابن عساكر " و " فوات الوفيات " .

خ / ترجم اليونيني - وهو سوري - لنصر الله بن عبد المنعم التنوخي (الذيل ٤ / ١٠٢) ، وروى له عدة قصائد ، لكنه لم يورِ المقطوعة التي رواها عنه بصورة مباشرة ابن المستوفي (مخ ورقة ٢٢٨ أ) ، علماً بأن التنوخي سوري أيضاً .

د / روى المؤلف (مخ ورقة ١٩٦ ب) شعراً للحسين بن عبد الله بن رواحة ، لم يذكرها العماد في " الخريدة " (١ / ٤٨١ - شام) رغم أنه ترجم للحسين هذا ، وإن " الخريدة " كتاب شعر بالدرجة الأولى .

ذ / في " تاريخ إربل " شعر لابن البرني الحنبلي (مخ ورقة ١٦٨ أ) ، غير أن ابن رجب (الذيل ٢ / ١٤٩) الذي ترجم لابن البرني هذا وروى بعض شعره ، لم يذكر المقطوعة التي رواها ابن المستوفي .

وعلاوة على ماتقدم ، ففي كتابنا نماذج للشعر المتعلق بالالغاز والمعميات ، وهو بذلك يقدم مادة غير قليلة ، لمن تهمة دراسة هذا الفن من المنظوم (مخ ورقة ١١١ أ - ب و ١١٢ أ و ١٧١ أ و ١٩٥ ب و ٢٠٣ ب و ٢٠٤ ب و ٢٢٩ أ - ب) .

هـ - الكتاب يلقي الضوء على بعض أحوال عصره :

لاشك أن ابن المستوفي لم يقصد من وراء كتابه ، تأريخ أحوال عصره ، إلا أن الكتاب قد تضمن إشارات كثيرة من شأنها أن تلقي بعض الضوء على تلك الأحوال ،

وتمكن المؤرخ من الوقوف على بعض جوانبها ، ولعله قد انفرد في إيراد تلك الاشارات ، لاسيما ما تعلق منها بمنطقة إربل نفسها ، ولايضاح هذه النقطة ، أضرب بعض الامثلة :
أ / في الكتاب إشارات الى بعض الأحوال السياسية والادارية ، كنزول صلاح الدين على الموصل ، وتعيينه واليا على شهرزور من قبله ، وتعرض التتر لخوارزم ، وهروب قاضي مصري خوفا على نفسه من أحد الوزراء ولجؤه الى إربل ، واستجابة كركبوري لاستغاثة أهل جزيرة " ميورقة " التي احتلها الاسبان ، لاجل فكاك أسراهم ، وذكر بعض أحوال الاندلس في تلك الفترة (مخ ورقة ١٤٣ أ و ١٤٧ ب و ١٥٦ أ و ١٥٧ أ و ١٩٨ ب و ٢١٥ ب) . كما ان فيه إشارات الى ورود الرسل من دار الخلافة ، ومن ملوك بني أيوب وغيرهم ، الى إربل ، وعن تبعية شهرزور والكرخيني لاربل ، وان شيخا إربليا أسره الاقرنج في القدس ، وآخر قُتل في معركة حارم التي خاضها زنكي ضد الصليبيين ، وان عالما اصفهانيا أسره الروم . وفيه أيضا أخبار عن حالة الامن في طريق الحج في سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (مخ ورقة ١٠٤ ب و ١٨٢ أ و ٢٠٠ أ و ٢١٩ ب) .

كذلك يلقي " تاريخ إربل " الضوء على النظام الاداري ، فيخبرنا مثلا عن القضاة ، بأنهم كانوا يعينون نوابا لهم في المدن التابعة لحكمهم ، وانهم كان لهم حجاب ، وان القضاء كان مستقلا ، ويتم عزل القضاة من قبل قاضي القضاة . ويشير أيضا الى وجود هؤلاء في بعض المدن ، مثل دقوقا وحصن كيفا والسويداء ، مما يعطي فكرة ما عن مدى سعة تلك المدن وأهميتها . ومثل ذلك يتحدث الكتاب عن وجود كُتّاب مختصين بكتابة الشروط ، وان الكتب كانت تثبت لدى القاضي بشهادة الشهود ، وان هناك أشخاصا كانوا يُسمون بـ " العدول " وهم الذين يشهدون عند القضاة ، وآخرين كانوا يُنصبون أوصياء على أموال اليتامى ، وتودع عندهم الودائع . كذلك يتحدث عن وجود ولاية للموصل والبصرة والكرخيني وشهرزور ، وعن وجود " دزدار " لقلعة الموصل ، ومحتسب وناظر لواسط ، ومستوف للبوازيج ، وانه كان للاوقاف نُظّار ، ولدور المضيف متولون ، والربط شيوخ وعليهم " شيخ الشيوخ " ، والربط أيضا عمال يتولون النظر في

حاصلها ، وانهم عرضة للمحاسبة . ويشير الى ان الدولة كانت تحاسب من يبقى عليه شيء من أموالها ، وتعزل من يُتهم بالرشوة ، وهكذا (مخ ورقة ١٤ ب و ١٧ ب و ٣١ ب و ٥١ أ و ٦٨ أ و ب و ٦٩ ب و ٧٦ ب و ١٧٧ أ ، و ٨٨ أ و ب و ٩٢ أ و ٩٧ أ و ب و ١٠٤ أ و ب و ١٠٦ ب و ١١١ ب و ١١٤ ب و ١١٥ أ ، و ١٢١ ب - ١٢٢ ب و ١٢٦ ب و ١٢٨ ب و ١٣١ ب و ١٤٧ ب و ١٤٩ أ و ١٧٠ ب و ١٧٩ أ و ب ، و ١٨٢ أ و ١٨٤ ب و ١٨٧ أ و ١٨٨ ب و ١٨٩ ب و ١٩٤ أ و ١٩٨ ب و ٢٠٠ أ و ٢٠٣ ب و ٢١٩ ب ، و ٢٢٠ ب و ٢٢١ أ و ٢٢٢ أ و ٢٢٣ أ و ٢٢٧ ب و ٢٣١ أ) .

وفيقيدنا الكتاب بأن العلماء كانوا يوفدون رسلا أو سفراء من قبل ديوان الخلافة الى بعض الحكام ، أو يبين هؤلاء الحكام أنفسهم (مخ ورقة ٨٦ أ و ٨٨ أ و ١١٤ ب و ١١٥ أ و ١٤٧ ب و ١٤٩ أ و ١٧٣ أ و ١٧٧ ب و ١٩٩ أ و ٢٢١ أ) .

وان الولاة كانوا يتوددون الى العامة بواسطة العلماء ، وان الناس كانوا يلتجئون إلى العلماء لحمايتهم من بطش السلطة ، وان الحكام كانوا يتقبلون شفاعات هؤلاء العلماء برحابة صدر (مخ ورقة ٦ ب ، ١٢٠ ب و ١٣١ ب و ١٣٨ أ و ١٧١ ب) . وفي الكتاب إشارة الى ان حاكما مسلما قد قرر شيئا لنصراني من أهل الذمة (مخ ورقة ٩٥ ب) . وما الى ذلك .

ب/ في " تاريخ إيرل " إشارات الى بعض الأمور الاقتصادية ، من ذلك مثلا ، ان الدنانير المصرية كانت تتداول بباريل (مخ ورقة ٧٢ أ) ، وان تجارة التمور كانت رائجة ، فترسل السفن محملة بها الى بغداد ، وان البصرة كانت مشهورة بجيد تمورها منذ ذلك الزمن (مخ ورقة ١٩١ ب و ٢٢٠ أ) ، وان المواصلات - رغم صعوبتها - كانت مؤمنة ، بحيث أمكن جلب حمار من مصر الى إيرل (مخ ورقة ٩٩ ب) . كذلك هناك إشارات الى وجود بعض الخضر والنباتات التي عرفها أهل ذلك العصر ، كالباذنجان والقتاء والباقلاء والدباء والشعير والماش ، وما أشبه (مخ ورقة ١٩ ب و ٢١ أ و ٢٠٣ ب - ٢٠٤ أ و ٢٢٦ ب) . كما تضمن الكتاب وصفا للعيون المعدنية في القيارة (مخ ورقة ٥٧ أ) . وفي الكتاب أيضا إشارات الى عدد من المهن التي كانت معروفة في عصر المؤلف ، ومنها

مهنة الشعار أو المرحل الذي يعمل آلة الجمال ، والصفار والخرائط والحائك والنساج بالأجرة ، والفحام ، ودلال الدور ، ويأثع الكتب والصفير واللبن ، وكذلك حرفة الطواف بالازقة لبيع الخرز على النساء ، وما الى ذلك مما يهم دارسي الحياة الاقتصادية (مخ ورقة ٥١ ب و ٦٥ أ و ٧١ ب و ٩١ أ - ٢٠٩ ب و ١٧٧ ب و ١٧٨ أ و ١٨٠ أ و ١٨١ أ و ١٩٧ ب) . وكذلك فيه اشارة الى ان من الصللات التي كان الكبراء ينعمون بها على أهل العلم وغيرهم ، في جهات الموصل تمكينهم من زراعة قطعة من الارض (مخ ورقة ٢٢٦ أ) ، وان قيمة الدينار كانت عالية جداً الى درجة ان صلة مقدارها ديناران في الشهر ، جعلت أحد أئمة الحرم المكي بحال حسن (مخ ورقة ١٧٢ ب) .

ت / والكتاب أيضا حافل بالأخبار التي تلقي الضوء على الحياة الأدبية في عصر المؤلف - وأحيانا في العصور السابقة أيضا - ، فيروى لنا بعض القصص الأدبية ، ويصف مجالس الانس وما يدور فيها من غناء وانشاد للقريض . كذلك يروي لنا عدداً من المقطوعات الشعرية التي تضمنت غزلا بالغلمان ، أو أدبا بذيئا . وفيه ذكر عن استعمال " اللغة العجمية " في بعض المجالس الأدبية ، وأنه كان للمطربين أمير ، وأن الشعر كان يستخدم أحيانا ، في نقد أعمال الموظفين أو لكيل الثناء عليهم (مخ ورقة ١١٣ أ و ١١٩ أ و ١٢١ ب و ١٣٠ أ و ١٣٦ أ و ١٥٢ أ و ١٦٠ ب و ١٦٦ أ و ١٦٩ أ و ١٨٢ أ و ١٨٣ ب ، و ١٨٤ أ و ١٨٨ أ و ١٩١ ب و ١٩٥ ب - ١٩٦ ب و ١٩٨ ب و ٢٠١ أ و ٢٠٧ أ - ٢٠٨ أ و ٢٠٩ ب و ٢١١ ب و ٢١٤ ب و ٢١٥ أ و ٢٢١ ب و ٢٢٧ ب - ٢٢٨ ب) .

ث / وفضلا عن ذلك ، فالكتاب يشير بوضوح الى ان عدداً من المدن الصغيرة التي لاشأن لها في يومنا هذا ، كانت ذات شأن يذكر ، إذ خرج منها علماء أفاضل ، مثل حران وواسط وهيت وتكريت وحديثة والبوازيج وما اليها . وهذا يدل بطبيعة الحال ، على ان النهضة العلمية كانت مشاعا ، وانها لم تكن وقفا على الحواضر الكبرى في العراق ومصر والحجاز والشام والجزيرة ، مثل بغداد ودمشق والقاهرة والموصل ، أو مثل همدان واصفهان ونيسابور ، وكلها اشار اليها مؤلفنا أيضا (مخ ورقة ٣٤ ب و ٣٥ ب و ٣٦ أ و ٣٨ أ و ٤٤ أ و ٥٤ ب و ١٠٩ ب و ١٢٠ ب و ١٢٦ ب و ١٦٧ ب و ١٦٩ أ و ١٨٨ أ و ١٩٠ ب

و ١٩٢ أو ١٩٢ ب) ، ويؤكد الكتاب استمرار بغداد كمركز أول للنشاط العلمي ، وإن الانتظار كانت تتجه إليها باستمرار ، ولاسيما إلى مدرستها النظامية التي استمرت مركزاً للإشعاع خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وإن تجارة الكتب كانت تنبعث من بغداد أيضا ، إذ ، كانت المجهز لمختلف البلدان ، ومنها إربل (مخ ورقة ١٣ أو ٣٧ ب و ٤٠ ب و ٤١ ب و ٧٣ أو ١١٣ أ و ب و ١٢٢ ب و ١٤٧ ب و ١٦٢ أو ١٧٢ ب و ١٧٤ أو ١٧٧ ب و ١٩٢ أ و ب و ٢٠٩ أو ٢١٧ ب و ٢٢٩ أ) .

ج / ويفيدنا " تاريخ إربل " ، بأن العلماء كانوا على اتصال وثيق ببعضهم بعضا ، وكان بينهم تعاون مثمر ، إذ كانوا يتراسلون حول ما يهمهم من المواضيع ، ويتبادلون الرأي من أجل الوصول إلى الحقائق . من ذلك مثلا ، أن صاعد بن علي - من شيوخ ابن المستوفي - قد تسلّم قصيدة من نظم عبد الحق بن الدجاني ، وكان هذا الأخير ممن ورد إربل ، فبادر صاعد إلى إرسال القصيدة إلى ابن المستوفي الذي كان يؤرخ الواردين إلى إربل (مخ ورقة ٥٤ أو ١٣٨ أ و ١٤٠ ب - ١٤١ أو ١٥٥ أ و ١٢٢ أ) . كما أنه يفيدنا بأن تداول الكتب كان سريعا بين المتعاصرين ، إذ كانوا - عند الأسفار - ينقلون معهم مصنفاتهم ومجلداتهم ، مما أتاح لزملائهم في البلدان الأخرى فرصة الاطلاع عليها . وخير مثال على هذا الاتجاه ، ما فعله ياقوت الحموي ، إذ مكّن ابن المستوفي من الاطلاع على مصنفه " معجم الأدباء " (مخ ورقة ١٥٧ ب) ، كما أن المؤرخ ابن الدبيثي فعل الشيء نفسه ، وبذلك تمكّن مؤلفنا من رؤية مصنفه " ذيل تاريخ بغداد " ، والنقل منه (مخ ورقة ٥٦ أ و ٩٣ أ) . ثم أن الأخبار كانت تنتقل من بلد لآخر بسرعة أيضا ، رغم صعوبة المواصلات ، فها أن ابن المستوفي يخبرنا بأنه علم في شعبان من سنة ٦١٢ هـ ، نبأ وفاة الشيخ عبد القادر الرهاوي ، الذي توفي بعيداً بحران في شهر رجب من السنة المذكورة (مخ ورقة ٥٥ أ) . وهو يروي لنا أيضا شعراً من نظم محمد بن إدريس بن مرج الكحل الاندلسي المتوفى في سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م (مخ ورقة ٢١٢ ب) رغم بُعد الشقة بين إربل والاندلس ، ورغم أن مؤلفنا لم يلق ابن مرج الكحل هذا .

ح / ويشير الكتاب الى بعض العادات والتقاليد التي كانت جارية في عصر المؤلف ، من ذلك مثلاً عادة وقف الكتب في المساجد والمشاهد ، وعادة تصدير الرسائل بأبيات من الشعر ، ومنح الطالب الذي يدرس الحديث جراية ، وان الحديث كان يملأ في الجوامع (مخ ورقة ١٣٥ أ و ١٦٠ أ و ١٨٧ أ و ٢٢٨ ب) ، وان الولد وأباه كانا يسمعان الحديث سوية ، ولا يجدان في ذلك حرجا ، وكانا يسافران معا في طلب العلم . والجدير بالذكر ان ابن الديبشي (المختصر المحتاج ٢ / ١٢) ذكر بأنه وابنه قد سمعا الحديث علي عبد المنعم بن عبد الوهاب ، ويفيد " تاريخ إربل " أيضا بأن الصبيان كانوا يرحلون لوحدهم أحيانا في طلب العلم . وهناك أمثلة كثيرة على مثل هذه السماعات المشتركة والاسفار (مخ ورقة ٥٣ أ و ٥٦ أ و ٥٨ أ و ٩٥ ب و ٩٦ أ و ١٠٠ أ و ١١٠ ب و ١١١ ب و ١٢١ ب و ١٣١ ب و ١٤٨ أ) . ويفيدنا أيضا عن وجود عادة تقضي بأن من يقرأ على شيخ من الشيوخ أن يأخذ عنه شيئا من شعره ، ليذكره فيما أخذه عنه (مخ ورقة ١٩٩ ب ، وقد ذكر الدكتور إحسان عباس بأن الحافظ السلفي قد فعل مثل هذا ، عندما استجاز الزمخشري - انظر تراجم الاندلسية مستخلصة من معجم السفر ، ص ١٠ - المقدمة) ، وان كتب الدين والأدب والتاريخ وأمثالها ، وكذا الشعر ، كانت كلها تروى بالاجازة شأنها شأن الحدث (مخ ورقة ٧ ب و ١٨٩ ب - ١٩٠ ب و ٢٢٥ أ ، وفي الحقيقة ان ابن المستوفي قد روى " ديوان أبي تمام " بسند متصل ينتهي عند أبي تمام نفسه وفقا لما ذكره هو في كتابه " النظام " - انظر ص ٣١٧ من هذه الدراسة) .

خ / ويحدثنا " تاريخ إربل " بان الاهتمام بالعلم والأدب ، لم يكن وقفا على فئة معينة من الناس ، بل كان يتساوى فيه أكابر الناس بفقرائهم ، فذكر لنا أسماء عدد من أحفاد خلفاء بني العباس ممن رحل من أجل طلب العلم ، وقد برز منهم غير واحد في الحديث خاصة (مخ ورقة ٧ ب و ٢٦ أ و ٣٣ ب و ٣٤ أ و ٧٥ ب و ٨١ ب و ٩٠ ب و ٩١ أ و ١٠٥ أ و ١٠٦ أ و ١١٥ ب و ١٤٦ أ و ١٥١ ب ، و ١٩٩ أ) ، كما ترجم لعدد غير قليل من الفقهاء الذين كانوا من أهل العلم أيضا (مخ ورقة ٣٩ أ و ٥١ ب و ١٣٧ أ و ١٣٩ ب و ١٧٤ أ و ١٨٠ ب و ٢٢٦ ب ، و ٢٢٧ أ و ٢٢٨ أ و ٢٣١ أ) . والكتاب كذلك طافح بذكر أرباب المهن

والحرف الذين أبدوا اهتماما كبيرا بتدريس العلم والأدب ، وبين هؤلاء عدد من الصنائع والتجار والنساخين بالأجر والأطباء (مخ ورقة ٤٨ ب و ٥١ ب و ٦١ أ - ٦٥ ب و ٦٧ أ و ٧٠ أ و ٧١ ب و ٨٠ أ - ٨١ أ و ٨٢ ب و ٨٣ ب و ٨٤ أ و ٨٥ أ و ٩١ أ و ٩٤ أ و ٩٥ أ و ١٠٩ ب و ١١٤ ب و ١٢٠ أ و ١٢١ ب و ١٣٤ ب و ١٣٥ أ و ١٤٥ أ و ١٤٧ أ و ١٥٤ أ و ١٥٥ ب و ١٦٩ أ و ١٧٢ ب و ١٧٧ ب و ١٧٨ أ و ١٨٠ أ و ١٨١ أ - ١٨٢ أ و ١٨٨ ب و ١٨٩ أ و ١٩٧ ب و ٢٠٣ ب و ٢١٠ ب و ٢٢٣ ب و ٢٢٦ ب) . كذلك كان يتساوى في طلب العلم الحر والعبد ، بل وحتى الاماء . ولقد سمعت إحدى الجوارى ومولاهما الحديث سوية ، وقد قرأ عليها ابن المستوفي (مخ ورقة ١١٣ أ ، انظر أيضا مخ ورقة ٥٤ ب و ٩٠ ب و ١٠٠ أ و ١٤٥ ب و ١٦١ أ و ١٨٧ ب) . كذلك يسجل لنا الكتاب بأن المرء كان لها شأن كبير في العلم ، إذ كان يقرأ عليها الكبراء ويروون عنها أمور دينهم ودنياهم ، وكان البعض منهن يمتحن الوعظ (مخ ورقة ٢٦ ب و ٢٧ أ و ٢٩ ب و ٦٨ ب و ٧٣ ب و ٧٦ أ و ٧٨ أ و ٨٣ ب و ١٠٥ ب و ١١٢ ب و ١١٣ أ و ١١٧ ب و ١١٨ ب و ١٤٥ أ و ١٦١ أ و ١٦٧ أ و ١٨٥ أ و ١٨٨ ب) ، وحتى ذوي العاهات ، كالعميان وأمثالهم ، لم تكن تمنعهم عاهاتهم من المشاركة في النشاط العلمي ، وتولي بعض المسؤوليات ، حتى أن أحدهم كان ناظر وقف في الموصل (مخ ورقة ١٧٠ ب ، انظر أيضا مخ ورقة ٢٨ أ و ٩٠ أ و ٩٨ أ و ١٦١ ب و ١٧٦ أ و ٢٠٠ أ و ٢٠٣ أ) .

د/ وفي الكتاب إشارات ، هنا وهناك ، لاتخلو من فائدة ، من ذلك مثلا ان عدم تنقيط الكتابة ظل مألوفاً لدى البعض حتى الثلث الاول من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادي) ، وأن اللغة الكردية كانت تستعمل أحيانا في منطقة إربل (مخ ورقة ٦٩ ب و ١٠٤ أ و ١٣٧ ب و ٢٢١ ب) . وأنه كانت هناك لهجة عامية ، وإن بين الوظائف المعروفة في عصر المؤلف وظيفة كل من المدرس والمعيد ، وهما من وظائف التدريس (مخ ورقة ١١٢ ب ، و ٢٢٦ ب و ١٤٢ ب و ١٧٣ أ و ١٧٤ أ) ، وإن بعض الناس كانوا يمتحنون مهنة نقل الاستجازات والاجازات بين مختلف المدن الاسلامية ، فيسافرون مثلاً بين بغداد ودمشق والقاهرة والاسكندرية ، ليوصلوا الاستجازات الى أصحابها ويأخذوا منهم الاجازات المطلوب أخذها (مخ ورقة ٢٣١ أ - ب) .

ذ/ كذلك يلقي " تاريخ إيربل " بعض الضوء على الحياة الاجتماعية لذلك العصر ، ففيه إشارات الى الازياء التي كانت تلبسها بعض الطوائف كالصوفية والقلندرية والفقهاء (مخ ورقة ١٢٦ أ و ١٥٠ ب و ١٥١ ب و ١٨٧) . كما أنه يتحدث عن بعض العادات التي كانت سائدة في عصره كعادة حفظ شجرة النسب لدى بعض الناس ، كالإشراف وأبناء الخلفاء ، وعادة تبادل التهاني بالأعياد ، وزيارة قبور الصالحين والتبرك بجنائز الزهاد ، وعادة نقل رفات الموتى من أماكن دفنها أحيانا ، إلى أماكن أخرى ، وعادة الوعظ في المقابر ، والتصدق في مجالس الوعظ . ويتحدث أيضا عن عادة اللعب بالطيور ، واعتياد بعض الأدباء على الجلوس لدى أصحاب الدكاكين (مخ ورقة ١٣٤ ب و ١٣٥ ب و ١٣٦ أ و ١٧٤ أ و ب و ١٨٠ أ و ١٨٢ أ و ١٩٩ ب) . وعادة طريفة أخرى يسجلها الكتاب ، هي عادة الكتابة على الحيطان ، ولاسيما حيطان المساجد والأماكن العامة (مخ ورقة ٦٥ أ و ٦٦ ب و ٦٧ أ و ١٤٦ أ و ب و ٢٠٤ أ و ٢٣١ أ) ، أقول ولعل هذه العادة ، كانت هي الأصل فيما اتخذها الناس بعدئذ من سجلات الزيارات تحفظ في الأماكن العامة ، ليسجل فيها الزوار أسماءهم . وقد كان لتلك العادة - أي عادة الكتابة على الحيطان - بعض الفائدة ، إذ تضمنت الكتابات معلومات تاريخية مفيدة (مخ ورقة ٦٥ أ و ٦٦ ب و ٦٧ أ و ١٤٦ أ و ب و ٢٠٤ أ و ٢٣١ أ) .

ر/ وعلاوة على ذلك ، ففي الكتاب بعض الأخبار المتعلقة بالتنجيم وبصناعة الكيمياء (أي تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة) ، وما يتصل بها من أمور الشعوذة ، لغرض ابتزاز الأموال وخداع الناس ، بما في ذلك بعض الحكام (مخ ورقة ٧٤ ب - ٧٥ و ١٢٢ أ و ١٥٠ ب) . كذلك فيه إشارات الى وجود عدد من الأمراض التي كانت معروفة آنذاك ، وطريقة علاج بعضها ، ومنها الزكام ، والسكته والجذام ، وما إليها (مخ ورقة ١٩ ب و ٢١ أ و ٧٤ ب و ٧٧ أ و ٨١ ب و ١١٨ ب و ١٤٤ ب و ١٩٧ ب) .

ز / يلقي " تاريخ إيربل " بصيصا من النور على دور الاكراد في الحياة العامة لمنطقة إيربل . ولعله أول كتاب من نوعه أشار الى وجود عدد من العلماء الاكراد ، ساهموا بقسط

- ولو قليل - في النشاط الثقافي والحياة العامة في تلك المنطقة ، خلال العصر الذي أُرِخ له ابن المستوفي (مخ ورقة ٤ أ - ب و ١٢ ب و ٣٦ ب - ٣٧ أ و ٦٩ ب و ٧٧ أ و ١٠٤ أ و ١٠٨ ب و ١٣٠ ب و ١٣٣ ب و ١٦٢ أ و ١٦٤ أ و ب) ، الامر الذي يسهل على الباحثين معرفة حقيقة الدور الذي لعبه هؤلاء . إلا أنني أود أن أشير الى نقطة أخرى ، هي أن ابن المستوفي لم يهمل الإشارة الى الانتماء القومي أو القبلي أو القطري أو المدني ، للأشخاص الذين يتعرض لذكرهم ، ولا سيما العرب منهم ، وهم الأغلبية الساحقة ، فقد نسبهم إلى قبائلهم أو مدنهم في كثير من الاحيان (مخ ورقة ٦ أ - ب و ٩ أ و ١٢ ب - ١٤ ب و ١٧ ب و ٢٦ أ و ب و ٢٧ ب و ٢٩ ب و ٣١ ب و ٣٢ ب و ٣٤ ب و ٣٨ أ و ٤٠ ب و ٤٩ أ و ٥٥ أ - ب و ٥٩ ب و ٦٧ أ و ٦٩ أ و ٧٢ أ و ٧٥ ب و ٧٦ أ و ٧٧ أ و ٧٩ ب و ٨٣ ب و ٨٤ أ و ٨٧ أ و ٨٨ أ و ٩٦ أ و ١٠١ أ و ١٠٢ أ و ب و ١٠٦ أ و ١٠٧ ب و ١٠٨ ب و ١٠٩ ب و ١١١ أ و ب و ١١٣ أ و ١١٤ ب و ١١٦ أ و ب و ١١٧ ب و ١٢٢ أ و ١٣٧ ب و ١٤٣ أ و ١٤٤ أ و ١٥٢ أ - ١٥٣ أ و ١٥٤ ب و ١٥٥ ب و ١٦٠ ب ، ١٦٦ ب و ١٦٨ ب و ١٦٩ ب و ١٧١ أ و ١٧٢ أ و ١٧٦ أ و ١٨٥ ب و ١٩٢ أ و ١٩٦ أ و ١٩٩ أ و ٢٠٤ ب و ٢١١ أ و ٢١٦ أ و ٢١٧ ب و ٢٢٧ أ - ٢٢٨ أ و ٢٢٩ أ) . في الحقيقة ان المؤلف لم يكن غرضه من ذكر تلك الانتماءات ، على الاطلاق ، التمييز بين القوميات التي كان المجتمع الاسلامي يتألف منها ، وإنما كان يذكر تلك النسبة - أي النسبة الى القومية والقبيلة - والمدينة والقطر - لان ذكرها جزء لا يتجزأ من التعريف بالشخص الذي يترجم له أو يتعرض لذكره ، بل صارت النسبة جزء من اسم الشخص ذي العلاقة ، ولا يعرف إلا بها . وهذا تقليد سار عليه المؤرخون المسلمون في مختلف العصور ، وكان سببا في ظهور كتب " الأنساب " ، ومن أشهرها " أنساب ابن السمعاني " و " اللباب " لابن الاثير ، وقد اختصر به " أنساب ابن السمعاني " ، وذيل عليه .

س / وفي الكتاب أيضا إشارات الى بعض الامور الدينية ، من ذلك ، مثلا ، انه يروي بعض المعلومات المهمة عن جذور الطائفة العدوية - أتباع الشيخ عدي بن مسافر - ، وهى الطائفة المسماة الآن بـ " اليزيدية " (انظر عن الموضوع " منتظم ابن الجوزي " ٨

/ ٦٣ هـ ٣٠ و ٩ / ٤٠٣ و " كامل ابن الاثير " في حوادث السنوات ٤٤٧ و ٤٦٩ و ٤٧٥ و " تاريخ ابن كثير " ١٢ / ١١٥ و " العراق في العصر السلجوقي " لحسين امين ص ٤٢٧ ، وأخبار الخلافات التي كانت قائمة بينهم وبين بعض العلماء في ذلك الحين ، مما قد أدى الى وقوع فتن وصدامات حملت السلطة على التدخل (مخ ورقة ٤٥ أ - ٤٦ ب و ١٢٠ ب) ، وأشار الكتاب الى الخلافات بين الحنابلة والأشاعرة (مخ ٤٥ أ - حاشية ٦٧ ب - ٦٨ أ و ١٣١ ب و ١٥٦ أ - ب) ، علاوة على الاشارات المتعلقة ببعض العقائد ذات الصلة بخلق القرآن الكريم وقدمه ، مما كان مصدر خلاف في تلك العصور ، كالقول بالأصوات والحروف والنقط (أنظر كتاب " النقط " للداني ص ١٣٢ - ١٣٨) والشكل والأعشار ، ويصدر الفتاوى بتكفير القائلين يقدم الأصوات والحروف والنقط وما الى ذلك (مخ ورقة ٤٥ أ و ٤٧ ب - ٤٨ ب و ٦٧ ب - ٦٨ أ و ١٢٤ أ و ١٧٠ ب) . كما ان هناك إشارة إلى رأي قال به البعض ، وهو ضلال من لا يترحم على معاوية ابن أبي سفيان ، وبتكفير من يقول بتفضيل الإمام علي - رض - على الأنبياء - ع - (مخ ورقة ١٣١ أ) . وكذلك يتحدث الكتاب عن بعض الشؤون الصوفية ، كانشادهم الأناشيد وضربهم على الدفوف واتخاذهم أزياء خاصة ، ويشير الى طريقتهم في تربية المنضمين الى زميرتهم ، والى خدمة الزهاد (مخ ورقة ١٢٦ أ و ب و ١٥٠ ب و ١٧٢ أ و ب و ١٨٧ ب) . وفيه أيضا بعض القصص عن تخلى بعض الأغنياء عن أملاكهم ومماليكهم ، وانقطاعهم الى الزهد وخدمة الشيوخ ، كما يشير الى تصدق بعض أثرياء المسلمين بأموال طائلة لوجه الله تعالى (مخ ورقة ١٧١ ب - ١٧٢ ب و ١٨٠ أ) .

ش / أما بالنسبة لغير المسلمين ، فان في الكتاب إشارات طريفة تلقي بعض الضوء على علاقات النصارى بالمسلمين في ذلك العصر . من ذلك مثلا ، انه يسجل لنا بأن حاكم إربل في سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ، قد قرر شيئا لشخص نصراني من مدينة إربل ، وأثبت الاقرار من قبل القاضي ، وان نصارى قرية باصيدا التابعة لاربيل ، قد حاولوا رشوة الحاكم في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م ، لكي لا يبني الجامع قريبا من

كنيستهم ، وإن فقيها مسلما أسره الروم ، ثم أطلقوه ، وكان يثني عليهم في شعره ،
بينما أسر أحد الصوفية - وهو إربلي - من قبل الصليبيين في القدس ، وكانوا يعذبونه
لأجل النّيل من عقيدته ، فلم يفلحوا ، وإن أحد كبار المحدثين الحنابلة ، كان أبوه
افرنجيا ، وإن أمه نصرانية وقد ظلت على دينها (مخ ورقة ٥٤ ب و ٥٥ أ و ٩٥ ب و ١٠٤
ب و ٢٠٤ ب و ٢١٨ ب) .

ص / وينفرد " تاريخ إربل " برواية قصة بناء الحجرة النبوية المطهرة بمسجد المدينة
المنورة ، في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . فقد روى ضمن ترجمة
شخص يدعى " الشيخ حسين الكيلي " ، الذي زار المسجد ولم تعجبه حالة الحجرة
الشريفة ، فعمل على استحصال الاموال اللازمة من الخليفة المسترشد ، أو من بعض
ملوك السلاجقة - على اختلاف الروايات - ، فبناها بالشكل الذي يليق بها ، بكلفة ٥٠
ألف دينار أو مائة ألف - على اختلاف الروايات - (مخ ورقة ١٠٣ ب - ١٠٤) . وأهمية
هذه القصة أنها فريدة في بابها ، فلقد راجعت الكتب التي أرخت لخلافة المسترشد ، وقد
حكم بين سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م وسنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م ، وكذلك الكتب التي تناولت
تاريخ المدينة والمسجد النبوي ، فلم أجد فيها أي خبر ذي علاقة بالقصة المذكورة (أنظر
أتابكية ابن الاثير ص ٨٥ - ٩٣ والكامل له ١٠ / ١٨٩ و ٢١١ و امرأة السبط ٨ / ٧٠ -
١٥٦ و تاريخ ابن كثير ١٢ / ١٨٢ - ٢٠٨ وإشارات الهروي ص ٩٠ وكتاب السمعودي
ص ١٤٣ وما بعدها ، وقد ذكر الأخير ص ١٤٦ - ١٤٨ ، إجراء بعض الترميمات في
الحجرة النبوية في السنوات ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م و ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م و ٥٧٠ هـ /
١١٧٤ م ، وإن الجمال الاصفهاني وزير صاحب الموصل ، قد عمل للحجرة مشبكا من
الصندل والابنوس ، وأداره عليها . إلا أنه لم يشر الى شيء له علاقة بقصتنا . ولم يذكر
هذه القصة البتوني في رحلته ص ٢١٢ ولا سوفاجيه Sauveget ولا ابن فضل الله
العمري في مسالك الابصار ١ / ١٢٣ ، أو القلقشندي في صبحه ٤ / ٢٨٨ ، مع أن
الاخير تناول عماره المسجد النبوي والحجرة ، لكنه لم يتعرض لقصة الشيخ الكيلي ،
وذكر اليافعي في مرآته ٤ / ١٣٤ حريق المسجد النبوي الشريف في سنة ٦٥٤ هـ /

١٢٥٦ م والتعميرات التي أمر باجرائها الخليفة المستعصم ، ومنها تسقيف الحجرة وماحولها ، ولكن هذا تم بعد وفاة مؤلفنا ، ولذلك فلا علاقة له بالموضوع الذي نحن بصدده) .

ض / وأخيراً ، فإن كتابنا يلقي بعض الأضواء على خطط إربل ، إذ هو يساعدنا في التعرف على هذه المدينة بأسوارها وأبوابها وأسواقها ومساجدها وربطها ومدارسها ومقابرها وقيسارياتها ومستشفاهها ، ويقلعها وربضها وقراها وملحقاتها ، ومدى مابلغته المدينة من اتساع وتقدم في العمران . والاشارات الى هذه الاماكن مثبتة في ثانيا الكتاب (أنظر مثلامخ ورقة ١ ب وه ٦ ب و ٩ ب و ٤٤ ب و ٤٥ ب و ٤٩ ب و ٦٩ ب و ٧٥ ب و ٨١ ب و ٨٣ ب و ٨٤ ب و ٩٩ ب و ١٠٣ ب و ١٠٤ ب و ١٠٩ ب و ١١٣ ب و ١١٥ ب و ١١٦ ب و ١٢٦ ب و ١٣٧ ب و ١٦٢ ب و ١٧١ ب و ١٧٢ ب و ١٧٥ ب و ١٧٦ ب و ١٧٨ ب و ٢٠٤) .

٦- الكتاب دليل ساطع على وحدة العالم الاسلامي :

إن دارسي التاريخ واقفون ، ولاشك ، على أن العالم الاسلامي قد أصابه الضعف والانحلال في القرنين الاخيرين من حياة الدولة العباسية ، التي تحولت الى دول ودويلات وامارات متعددة متنازعة فيما بينها ، تغطي رقعة هذه الدولة ، في مختلف أنحائها القريبة من مركز الخلافة والبعيدة عنها على السواء ، فقد تمزقت وحدة الامة ، واضطرب حبل الأمن ، ووقعت حروب داخلية طاحنة بين حكام تلك الدويلات ، طمعا فيما تحت أيدي بعضهم البعض . وزاد من الطين بلة الخطر الخارجي الداهم ، الذي تمثل في الغزو الصليبي القادم من الغرب ، والغزو المغولي الآتي من الشرق ، علاوة على غزوات الاسبان لاقاليم الاندلس وبعض نواحي المغرب العربي . والحق ان القارئ لتاريخ هذه الفترة ليصاب بالالام والحسرة ، ويأخذه الحزن واليأس ، إلا أنه واجد ما قد يخفف عنه آلامه ، يعزّيه عن تلك المصائب ، إذا ما تذكر النهضة الثقافية الكبرى التي حمل لواءها رجال الدين وأهل العلم والادب من أبناء ذلك العصر ، فكانت حصيلتها إنتاجاً ضخماً في مختلف أبواب المعرفة ، من علوم الشريعة والتصوف والادب ، والفلسفة والطب

والرياضيات وغيرها . إذ شهد العالم الاسلامي آنذاك ظهور عدد من الشخصيات الفذة ، من أمثال الامام أبي حامد الغزالي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني (الكيلاني) ، وأبي القاسم القشيري وإمام الحرمين ، وأبي إسحق الشرازي ، والزمخشري ، وابن عساكر ، وابن السمعاني والعماد الكاتب ، وياقوت الحموي ، وابن المستوفي وأبناء الأثير ، وغيرهم ممن يعدون بالملأى . فقد أضاء هؤلاء الطريق أمام الأمة بما صنّفوه من كتب وموسوعات زخرت بها المكتبات ولا يزال الكثير منها شاهد حق على عظمتهم - على الرغم من ضياع عدد كبير منها بسبب الحروب والآفات الطبيعية ، علاوة على جهل الأجيال التالية وإهمالها - وبذلك عوضوا للامة عما خسرت في ميادين السياسة والحرب ، ومنحوها بديلا من فُرقتها ، وحدة قائمة على الفكر والعلم والعرفان ، وحملوا لواء التبشير بهذه الوحدة الروحية بأنفسهم فكانوا في رحلة دائمة ، وتنقل مستمر بين مشرق العالم الاسلامي ومغربه بروح لاتعرف الكلل ، وبهمة لاتعرف الملل . وكانوا أينما حلّوا ، شموسا مشرقة تبدد دياجير الظلام ، وتبهر السبيل أمام المؤمنين ، فكانوا يلقون دروسهم ومواعظهم وتوجيهاتهم في المساجد والربط ، وفي المدارس ودور الحديث ، ويعقدون مجالس المحاضرة والمناظرة في كل مكان يحلّون فيه ، وكانوا يجدون الاحترام والتكريم من أهل البلاد ، حكاما ومواطنين على السواء ، ولم يعرف الشعور بالغربة الى قلوبهم سبيلا ، فالأهل أهلهم ، والأوطان ، كل الأوطان أوطانهم .

هذه حقيقة واضحة معروفة ، لامراء فيها ، ولاسبيل إلى إنكارها ، وان " تاريخ إربل" لدليل ساطع على وجودها وقوة رسوخها في النفوس ، فهو برهان قاطع على وحدة العالم الاسلامي - آنذاك - ثقافيا وروحيا وفكاريا ، رغم تمزقه السياسي ، وصعوبة التنقل والمواصلات من الناحية المادية . لاحظ جردينباو في كتابه " حضارة الاسلام " ان الوحدة التي تجمع المسلمين بسبب الرابطة الاسلامية واللغة العربية ، كانت دائما قائمة رغم تفرق المسلمين سياسيا (أنظر الترجمة العربية ، القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩) . كما أن الجغرافيين المسلمين أدركوا حقيقة هذه الوحدة قسموا العالم الاسلامي " مملكة الاسلام " ، وبهذا الاسم سماه المقدسي ، رغم أنه صنّف كتابه في عصر تفرق

فيه المسلمون في عدة دول (أحسن التقاسيم ، ص ٩ و ٦٢) . فتاريخ إربل ماهو الا قصة العلماء الذين كانوا يضربون في مناكب الارض من أدناها الى أقصاها ، ولا هدف لهم إلا التعارف مع أخوان لهم في العقيدة ، ولاغرض لهم سوى طلب العلم والاستزادة منه ، والنهل من ينابيعه الصافية ، ثم إشاعة روح الود والاخاء بين المواطنين : ولقد كان لاريل - على الرغم من صغرها وقلة شأنها - نصيب وافر من تلك الرحلات التي أخذت تزداد وتتسع بمرور الأيام ، مما حمل ابن المستوفي على تصنيف كتابه ، لكي يؤرخ الواردين الى إربل . وقد يكون من المفيد أن أقتبس هنا بعض الأمثلة على تلك الرحلات التي كانت لها أهمية عظمى في تبادل الافكار ، وتداول الآراء ، واستقاء المعلومات من منابعها الأصلية ، الأمر الذي أدى بدوره الى إشاعة العلم وانتشار المعرفة ، وتبادل التجارب والخبرات بين المواطنين في كل مكان من العالم الاسلامي الواسع الكبير . ومن تلك الامثلة نجتزئ مايتى :

أ / يحدثنا ابن المستوفي عن أرابلة رحلوا الى مختلف انحاء العالم الاسلامي ، فهناك مثلاً رجل منهم رحل الى مكة المكرمة ، حيث أصبح إماماً للحرم ومدرساً وقاضياً فيه ، ولما عاد الى إربل ، ابتنى فيها داراً على هيئة دور مكة ، وآخر أقام بمكة حتى توفي بها بعد أن أصبح شيخاً للصوفية هناك ، وشخص ثالث زار خراسان وغيرها من الاقاليم المجاورة ، ثم عاد الى إربل حيث تولى منصباً قضائياً . وهناك فقيه إربلي هاجر الى الشام وقُتل في معركة حارم التي خاضها زنكي ضد الصليبيين ، وإربلي آخر نزل دمشق واتخذها مقاما له ، بينما أقام إربلي سادس في البصرة وبها توفي (مخ ورقة ٨٤ ب و ١٢٧ ب - ١٢٨ ب و ١٣١ ب - ١٣٢ ب أو ١٥٥ ب و ١٧٢ ب و ١٧٨ ب) .

ب / كثير من المحدثين والأدباء رحلوا من بغداد الى أنحاء أخرى ، ومنها إربل ودمشق وخراسان وخوارزم واصبهان وغيرها . كما كان آخرون يرحلون مثلاً من مصر الى بغداد وواسط وإربل . فلدينا مثلاً رجل من أهل واسط رحل الى بغداد وإربل والشام ، لسماع الحديث . وهذا ابن عساكر الدمشقي ، قدم الى إربل ومعه ابنه ، ثم توجهوا الى خراسان لسماع الحديث أيضا . أما ياقوت الحموي - وهو رومي الأصل ،

حموي الولاء - نشأ ببغداد ، وسافر في طول العالم الاسلامي وعرضه ، وزار خراسان وإربل ، ثم توفي بحلب ، لكنه وقف كتبه على مشهد ببغداد (مخ ورقة ٧٠ أ و ٧١ أ و ٧٢ أ و ٧٤ ب و ١٠٠ ب و ١١١ ب ، و ١١٥ أ و ١١٨ أ و ١٢٢ أ و ١٣٥ ب و ١٤٣ أ و ١٤٦ ب و ١٤٧ ب و ١٥٢ ب و ١٥٧ أ و ١٦١ ب و ١٦٧ أ و ١٨١ أ و ١٩٢ أ و ١٩٥ أ و ٢٠٤ ب و ٢٠٩ أ و ٢١٧ ب و ٢٢٣ ب و ٢٣٠ ب) .

ت / وهناك رجل من أهل اذربيجان ، طلب العلم ببغداد ، ثم عاد الى بلده ، نخجوان فتولى التدريس بها ، وعُين بعد ذلك قاضيا في تبريز . ثم أوفد رسولا الى إربل ، وآخر من أهل اصفهان ، زار بغداد ونظم قصيدة في مدح الخليفة بها ، ثم توجه إلى زيارة إربل . وشخص ثالث من أهل البحرين ، هاجر الى إربل فأقام بها ، وفيها توفي (مخ ورقة ٢٦ ب و ١٤٧ ب و ١٧٥ أ - ٢١٧ ب) .

ث / وقد رحل رجل من أهل غزة إلى الاسكندرية ، فولّي قضاها ، ثم زار إربل وبها مات . وهناك مواطن إسكندري نزل الموصل فأقام بها . وورد إربل محدث من أهل دمياط ، فأجاز بها لجماعة . وفرّ قاض مصري ، خوفا على نفسه من أحد وزراء مصر ، فلقا إلى حلب ، ومنها الى إربل . وقدم الى إربل رجل من أهل حران ، ثم تولى قضاء شهرزور . وقام أحد أمراء ميفارقين بأكمال ببناء جامع كفر عزة ، إحدى المدن التابعة لإربل (مخ ورقة ٢٨ أ و ٧٣ أ و ١٠٣ أ و ١١٦ أ و ١٤٣ أ و ١٥٢ أ و ١٨٤ ب و ١٩٨ ب و ١٩٩ أ) .

ج / وهناك المغاربة أيضا ، فهذا رجل منهم ولد بمدينة سوسة ونشأ بتونس ، ثم سكن بغداد ورحل الى الموصل فأقام بها حتى وفاته . وشيخ من أهل القيروان ، زار بغداد وفيها سمع كتاب " الشهاب " . وشخص ثالث من أهل طنجة ، ورد الى إربل ، وكان من الزهاد . كذلك ورد الى إربل مغربي آخر من قبيلة صنهاجة (مخ ورقة ٢٧ ب و ٧٣ أ و ١٠٤ ب و ١١٩ أ و ١٣٦ أ و ١٥٢ ب و ١٥٣ أ و ٢٠٤ أ و ٢١٦ أ و ٢٢٩ ب) .

ح / ومن صقلية قدم ابن رواحة ، فنزل أولا في الاسكندرية ، وبها سمع من الحافظ السلفي ، ثم توجه الى إربل بعد أن مر بالشام ، وحصل على إجازة من الحافظ بن عساكر (مخ ورقة ١٩٦ أ) .

خ / وقدم كثيرون من الاندلس ، وكان بعضهم يقيم مجالس الواغظ باربل ، فيحظى بالقبول لدى العامة . ومن هؤلاء ، محدث أندلسي زار نيسابور وخوارزم ودمشق ، ثم توفي بالبصرة . وآخر من أهل جيان ، ورد الى الموصل وحدث بها ، وشخص ثالث من أهل غرناطة ، زار بغداد ، وبها أجاز لابن الدبيثي ، كما زار فارس وكرمان والهند وسمرقند ، ثم قُتل في هراة . ومحدث أندلسي رابع ، ورد الى بغداد للسمع ، ثم زار إربل . كذلك هناك طالب حديث من أهل اشبيلية ، زار بلاد العجم وورد الى إربل . وورد الى إربل أيضا شاعر من أهل قرطبة ، فروى فيها بعض شعره . وأخيراً قدم الى إربل أحد فضلاء الاندلس ، وهو من أهل جزيرة " سيورقة " ، وقد جاء مستغيثاً بالملك كوكبوري ، ليساعد في فكك الأسرى من أهل بلاده ، يدفع الفدية عنهم ، وقد فعل (مخ ورقة ٣١ أ و ١٦١ أ و ١٧٧ أ و ٢١١ ب و ٢١٥ أ - ب و ٢٢٩ أ) .

هذا قليل من كثير ، من الشواهد على قيام الوحدة الروحية والفكرية والثقافية بين أقطار العالم الاسلامي ، بل ويمكن القول ، انها شواهد على الوحدة الجغرافية التي كانت تجمع أطراف العالم الاسلامي ، إذ جعلها هؤلاء الرحالون وحدة جغرافية متماسكة الأجزاء ، على الرغم من سعة رقعتها ، وكانت بالتالي عاملاً مهماً في تيسير تبادل الافكار ، وانتقال المعارف ، وانتشار الكتب بين مختلف الانحاء ، بسرعة عجيبة ، رغم جميع العقبات المادية والصعاب .

الفصل الخامس

الخاتمة

قال المرحوم عباس العزاوي في كتابه " التعريف بالمؤرخين " (ص ١٥) : " أن أواخر القرن السادس الهجري ، وأوائل السابع - كسائر العصور السابقة - قد طفق بالعلماء ، وفاض بالعلوم الاسلامية في بغداد ، وفي العراق . وتوسع في الاقطار العربية والاسلامية ، مثل الشام ومصر وإيران . بل لاتخلو بلدة صغيرة أو كبيرة من علماء ، وكان الممالك الاسلامية انقلبت الى دور معرفة ، فاهتمت الاهتمام كله في الثقافة ، وبذلك ما في الوسع لتمكينها .. بحيث صار تُشد إليها الرجال .. " .

والحق ، ان هذه الفترة ، رغم اتصافها بالاضطراب السياسي ، والتدهور العسكري ، وتمزق الدولة الاسلامية ، إذ كان الملوك والأمراء فيها يتقاتلون ويسفكون الدماء ، ويدكون المدن والقرى ، نقول رغم ذلك كله ، فان العلماء لم يتأثروا بتلك الأوضاع المحزنة ، إذ واصلوا رحلاتهم في سبيل العلم ، من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، وبالعكس ، وهكذا ، وفقاً بيناه في الفصل السابق . وقد أدى ذلك ، بطبيعة الحال ، الى ظهور طبقة كبيرة كثيرة العطاء ، من أهل الدين والأدب والتاريخ ، ترك لنا أعضاؤها مؤلفات ضخمة تشهد على طول باعهم في التصنيف ، وعمق ثقافتهم ومعرفتهم بالمواضيع التي تصدوا لدراستها . فقد عرفت هذه الفترة ابن عساكر ، وابن الجوزي ، وابن السمعاني ، والعماد الاصفهاني والحاظ السلفي ، وابن الديبشي ، وياقوت الحموي ، وابن أبي الحديد ، وأبناء الاثير الثلاثة ، وابن القطيعي ، وابن خلكان وابن الساعي ، وابن النجار ، وابن دحية ، وابن نقطة ، وابن الفارض والقفطي ، وابن ماتي ، وعبد اللطيف البغدادي ، وابن أبي الدم الحموي ، والمنشيء النسوي ، وسبط ابن الجوزي ، وابن الشعار ، وأبا شامة وابن شداد ، وغيرهم كثير ، ممن لو استقصينا ذكرهم ، لاحتجنا الى صفحات عديدة . وقد كان ابن المستوفي واحداً من هؤلاء .

كذلك تميّز هذا العصر بظهور عدد غير قليل من المجموعات الموسوعية والمعاجم ، أمثال " معجم السفر " للسلفي ، و" تاريخ دمشق " ، لابن عساكر و" المنتظم " لابن

الجوزي و" الكامل " لابن الاثير و" الأنساب " لابن السمعاني ، و" ذيل تاريخ بغداد " لابن الدُبَيْثي ، و" معجم الأدباء " و" معجم البلدان " لياقوت الحموي ، و" الجامع المختصر " لابن الساعي و" مرآة الزمان " لسبط ابن الجوزي ، و" ذيل تاريخ بغداد " لابن النجار ، و" عقود الجمان في شعراء هذا الزمان " لابن الشعار ، و" خريدة القصر " للعماد الاصبهاني ، و" كتاب الروضتين " وذيله لأبي شامة ، و" وفيات الاعيان " لابن خلكان ، وأمثالها . وقد تناولت هذه الكتب حياة الشخصيات التي ساهمت في بناء الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، خلال القرن السادس الهجري وشطر من القرن السابع ، بالدرجة الأولى . وهنا يمكننا أن نضيف - بطبيعة الحال - " تاريخ إربل " لابن المستوفي ، فإنه واحد من هذه المعاجم الموسوعية .

ان الفترة التي تناولها ابن المستوفي في تاريخه ، تقرب من قرنين من الزمان ، إذ ترجم لاشخاص كانوا أحياء في سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ، وآخرين وردوا الى إربل في سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م . وبمطالعة هذا الكتاب يمكننا الوقوف على حياة عدد كبير من أهل الفضل والأدب ، ولاسيما الزهاد والمحدثين والشعراء منهم ، بالنظر لولع المؤلف الخاص بالحديث وبالشعر . وأكثر هؤلاء كانوا من معاصريه الذين يندر العثور على تراجمهم في الكتب الأخرى ، ومن بينهم بعض النساء اللواتي ، يصعب الوقوف علي سيرهن في غير هذا الكتاب . كما ان الكتاب يساعدنا في التعرف على وجود حركة أدبية علمية واسعة ، ازدهرت لا في العراق فحسب ، بل وفي مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، لاسيما في القرن السادس الهجري ، وبعض القرن السابع (أي القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) . وقد اتصلت شعلة هذه الحركة بالنهضة العلمية العظيمة التي شهدتها العراق وبلاد الخلافة العباسية ، في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وكانت مراكز إشعاعها بغداد بالدرجة الأولى ، وبعض المدن العراقية الاخرى ، مثل واسط والكوفة والبصرة . أما في القرنين الأخيرين ، أي السادس والسابع ، فان هذه الحركة المباركة قد شملت تقريبا كل مدن العراق الصغيرة منها والكبيرة على السواء ، وخير دليل على ذلك نسبة العلماء الى مدنهم وقراهم ، التي

بدأوا تعليمهم فيها قبل نزوحهم الى المراكز الكبرى . ومن هذه المدن البوازيج وكفر عزة وتكريت وحديثة وهيت وبلد وعكبرا ، فضلا عن الموصل وشهرزور وسنجار التي كانت تتمتع بمراكز أكبر شأنًا منها . أما إربل فلم تكن إلا واحدة من تلك المدن الصغرى التي لم يعرّها المؤرخون أية أهمية قبل انتصاف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، كما رأينا في القسم الاول من هذه الدراسة .

ومما هو بالذکر جدير ، ان الحركة الثقافية التي أرخ بعض وجوهها ابن المستوفي ، لم تكن حكرًا على من احترف العلم والأدب وحدهم ، بل لقد شارك فيها الخلفاء والأمراء والوزراء وأعيان البلاد ، ولم تمنعهم مشاغلهم السياسية والإدارية ، على كثرتها ، من الادلاء بدلوهم بين الدلاء ، بل أن ابن المستوفي نفسه يصلح أن يكون أحسن ممثل على مدى مشاركة أهل السلطة والجاه في تلك الحركة الفكرية المباركة . كذلك يجدر بنا أن نشير الى ان ذلك النشاط لم يكن مقصوراً على الرجال دون النساء ، إذ كان للمرأة المسلمة والعربية بالذات ، دور كدور الرجل ، لا ينقص عنه بشيء ، اللهم إلا أن عدد النساء كان أقل من عدد الرجال في هذا المضمار ، وهذه ظاهرة طبيعية لازالت قائمة حتى يومنا هذا في جميع أنحاء العالم ، إذ لم تزل مشاركة النساء في الحياة العامة ، وفي مجالات البحث والتأليف ، أقل من مشاركة الرجل لأسباب ليس هنا موضع بحثها .

هذا ومن المعالم البارزة التي يسجلها " تاريخ إربل " ، ان النشاط العلمي كان آنذاك شاملاً لمختلف أنحاء العالم الاسلامي ، من أواسط آسيا الى الأندلس . ولعل أسطح دليل على ذلك ، هو ان الواردين الى إربل كانوا من تلك البقاع جميعها ، وكانوا كلهم يتكلمون اللغة العربية المجيدة التي كان يجري التفاهم بها بين هؤلاء وبين أهل البلاد التي يحلون فيها ، بل كانوا ينظمون الشعر بها ، وبها يصنفون مؤلفاتهم ، كما ان أهل إربل كانوا يفهمونها ، ويفهمون حتى تلك اللغة العربية - بلهجتها الأندلسية - التي وعظهم بها واعظ من أهل غرناطة ، الى درجة انهم منحوه من لدنهم القبول التام ، والتمسوا ملكهم كركبوري أن يستبقه في إربل عندما أزمع على الرحيل (مخ ورقة ١٦١ أ) .

والظاهرة الأخرى ، التي تستوقف النظر هي ان اللغة العربية ، وإن كانت هي اللغة

الوحيدة التي عبر بها أولئك الأفاضل عن أفكارهم وخلجات نفوسهم ، فالتقوا بها ودرسوا بها ، كما نظموا بها الشعر ، وألقوا بها المواعظ ، فان هؤلاء لم يكونوا كلهم من العرب في الأصل والنجار ، بل كان بينهم عدد غير قليل من العلماء والأدباء المنحدرين من أصول أخرى ، ولاسيما الاكراد سكان المناطق المجاورة لاربيل . أما إربيل نفسها ، فلم تكن كردية في عصر ابن المستوفي ، إذ كان أهلها - كما بينت أنفا - يتكلمون العربية ويستمعون الى المواعظ بها ، وقد قال عنهم ياقوت الحموي - وقد زار إربيل في زمن ابن المستوفي ، ولقيه - بأنهم استعربوا . فضلا عن ذلك ، فان كثيرين من العرب المنسوين الى قبائل معروفة ، كانوا قد استوطنوها وأصبحوا من أهلها البارزين فيها ، مثل عائلة ابن المستوفي اللخمية ، وعائلة الخزرجي التي منها الوزير علي بن شماس وأخوه الأديب الشاعر عمر ، وعائلة الخزاعي التي منها المبارك بن طاهر ، أحد شيوخ ابن المستوفي . وليس غريباً أن تستقطب إربيل هذا العدد الضخم من أهل العلم والادب ، فلم تكن بعيدة عن بغداد مركز الخلافة ، ومصدر النور والاشعاع ، ومنبع العلم والأدب ، ومهوى أفئدة المسلمين ، والعلماء منهم خاصة . ولا شك ان حكام إربيل قد تأثروا الى حد كبير بما كان يجري في بغداد والموصل ، وأرادوا لمدينتهم الخاملة بعض الذكر والنباهة . فحنوا حنوحكام الحواضر الكبرى ، فشجعوا أهل العلم ، وأقاموا المدارس ودور الحديث وأنشأوا المساجد والربط ، ودعوا العلماء والمحدثين والأدباء ، وبألقوا في إكرامهم ، ولا سيما عندما تولى ابن المستوفي - المؤرخ العالم والأديب - مراكز عالية فيها تُرجب بمنصب الوزارة ، وخير ما نستشهد به في هذا المقام اقتراحه على الملك كوكبوري دعوة المحدثين الكبارين ابن طبرزد وحنبل ، ومن بغداد ليحدثا في دار الحديث المظفرية باربيل . ويبدو ان إربيل حظيت في هذه الفترة بسمعة كبيرة وصيت واسع ، مما حمل العديد من العلماء والأدباء أن يهرعوا إليها من مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، بل جاء بعضهم ، كما أسلفنا ، من أواسط آسيا وبلاد الاندلس ، لينعموا بمكارم حكامها ، وليفوزوا بصلاتهم السخية .

ومن حسن الحظ ، ان ابن المستوفي قد سجل بعض مظاهر الحياة الثقافية باربيل ،

وان الجزء الذي بين أيدينا من " تاريخ إربل " يلقي ضوءاً ساطعاً على تلك المظاهر ،
و" تاريخ إربل " هذا يختلف عن كتاب الوفيات ، كوفيات ابن خلكان وتكملة المنذري ، كما
يختلف عن كتب الطبقات ، كتذكرة الحفاظ للذهبي أو طبقات الشافعية للسبكي أو
طبقات الحنفية للقرشي أو طبقات الحنابلة لابن رجب . لان المهم في تلك الكتب هو
معرفة تاريخ الولادة والوفاة للأشخاص المترجم لهم ، ل يتم التحقق - بالدرجة الأولى -
من معاصرة رجال السند في الفئة الاولى ، وبين الشيوخ وتلامذتهم في الفئة الثانية من
هذه الكتب ، لبعضهم البعض . كما انه يختلف عن كتب التاريخ العامة التي تؤرخ لحقبة
من الزمان ، وفقاً لتعاقب السنين وهي " الحوليات " ، فيذكر المؤرخ حوادث كل سنة ، ثم
يتبعها بذكر الأشخاص الذين توفوا في تلك السنة ، ومن هذه الفئة " المنتظم لابن
الجوزي ، و" الكامل لابن الأثير ، و" العبر " للذهبي و" الشذرات " لابن العماد ، اما
ابن المستوفي ، فقد كان همه ذكر الأربلة ومن ورد إربل من الغريباء ، الأمثال منهم
خاصة . وقد حشد جميع المعلومات المتوفرة لديه عنهم ، سواء أكانت منقولة عنهم
شخصياً ، أو عمن روى عنهم أو عاصروهم وكانت له صلة بهم من تلمذة أو زمائل أو
قريبى ، أو ان المؤلف وجد تلك المعلومات مكتوبة في الكتب - في صلب متونها ، أو
تعليقات مدونة في حواشيها كملاحظات القراء ، أو الاجازات التي تُوشَّح بها ذيول تلك
الكتب - أو كانت مجرد خطوط كتبها أصحابها كمذكرات لانفسهم ، أو خطوطا مكتوبة
على الجدران ، أو نقل تلك المعلومات من بعض الوثائق كالأشهاديات والرسائل أو
الاجازات المحررة وفقاً للتقاليد الجارية في ذلك العصر .

ولذلك فان " تاريخ إربل " قد حوى معلومات ضخمة ، تناولت مختلف المعارف
المعروفة آنذاك ، من قرآن وحديث ، وتاريخ وأدب ، ولغة وشعر . وكان بعض الحديث الذي
أثبتته ابن المستوفي ، فريداً في نصه وسنده ، وليس له ذكر في كتب الحديث المتداولة ،
ولاشك ان كتابنا هذا يهم أهل الحديث ، إذ ورد فيه ٧٤ حديثاً ، وقد اعتنى المؤلف عناية
خاصة بسلاسل السند ، بل حرص على رواية بعض تلك الأحاديث من أكثر من طريق .
والكتاب أيضاً غني بالشعر ، فقد شحنته مؤلفه بالعديد من القصائد والمقطوعات حتى

شارفت على ٢٥٠٠ بيت ، في حين اننا لانجد في كتب التراجم عادة ، مثل هذا المقدار الكبير منه . ولاغربة في ذلك فان ابن المستوفي نفسه كان أديبا شاعراً ، وله ولع خاص بالشعر وروايته ، حتى انه نسخ بخطه " ديوان شعر القطامي " ولما يبلغ الثامنة عشرة من عمره ، كما نسخ بيده " شرح ديوان أبي تمام " للأكمدي وهو بعد في سن الشباب ، ثم انه قرأ " ديوان أبي تمام " بكامله على أحد شيوخه بسند متصل ينتهي عند أبي تمام نفسه ، وعلاوة على ذلك ، فانه صنف " النظام " في شرح شعر المتنبي وأبي تمام . والجدير بالذكر ان المؤلف قد روى في " تاريخ إربل " ، شعراً قد لانجده حتى في دواوين الشعراء ذوى العلاقة ، أوفي المظان المختصة بأمر الشعراء ، على الرغم من كونه ليس معجماً للشعراء ، أو كتاباً من كتب الأدب .

كذلك يحوى " تاريخ إربل " معلومات كثيرة أخرى عن أصحاب التراجم ، من ولادة ووفاة ، ودراسة ورواية ، وسفر وولاية أعمال ، وما الى ذلك مما قد لانجده في الكتب الأخرى ، ولاسيما بالنسبة للأربالة أو لبعضهم على الأقل ، ممن لم تتعرض الكتب لذكرهم . ثم ان الكتاب - كما أسلفنا - ليس من كتب الطبقات التى تختص بأهل علم معين ، أو بأصحاب مذهب محدد ، فقد جمع بين تراجم الشوافع والحنابلة والحنفية ، كما جمع بين تراجم المحدثين والفقهاء والعدول والزهاد ، على السواء . وفوق ذلك فانه حوى - أحيانا - ما لانجده عن هؤلاء حتى في كتب طبقاتهم .

والحق ، فان ابن المستوفي ، علاوة على ترجمته أشخاصاً لم أجد لهم ذكراً في أي مرجع تيسر لي الاطلاع عليه ، فانه ذكر على - سبيل الاستطراد - عدداً كبيراً من الأشخاص من أهل العلم والأدب ، ممن لا نذكر لهم في المراجع المتيسرة أيضاً . كذلك يتضمن " تاريخ إربل " ذكراً لعدد غير قليل من الكتب المفقودة ، وقد نقل عنها المؤلف ، في بعض الاحيان ، مقتبسات مفيدة . وبذلك حفظ لنا هذا الكتاب معلومات غير قليلة ، كانت معرضة للضياع ، لو لم يبادر ابن المستوفي الى تدوينها .

وغنى عن القول ، بأن المعلومات التى يحتويها " تاريخ إربل " لها أهمية كبيرة في تكوين المادة التاريخية المتعلقة بالعصر الذى تناوله ابن المستوفي ، سواء أكان ذلك في

المجالات الدينية ، أو الاجتماعية أو الفكرية أو الاقتصادية . ومن هذه المعلومات ، يستطيع القارئ أن يتبين مدى اهتمام العلماء المسلمين بالرحلة ، ولاسيما في طلب الحديث وغيره من العلوم الدينية بصورة عامة ، كما يقف على شدة حرصهم على لقاء المشايخ شخصيا ، والسماع عليهم والانتفاع بصحبتهم . وأنها تشير ، كذلك ، الى المناهج الدقيقة التي اتبعوها في النقد والتصحيح وتحري الحقائق . فضلا عن ذلك ، فإننا نزودنا بتفاهيل كثيرة عن أعمار الناس في تلك الأزمان ، والأمراض التي تنقابهم ، والحوادث التي أدت الى وفاتهم في بعض الأحيان ، وتعيين أماكن دفنهم من مقابر وغيرها ، وهذه - أي المقابر - بدورها تلقي الأضواء على خطط المدن التي تقع فيها ، واتساع عمرانها ، ولاسيما بالنسبة لخطط إربل بالذات . فالمعروف مثلا ، ان المقابر تكون عادة ، في أطراف المدن ، فإذا ما عرفنا موقع مقبرة ما ، أمكننا بالذات معرفة سعة المدينة التي تقع فيها تلك المقبرة ، وما الى ذلك من الأمور التي يهتم بها المختصون بعلم الخطط . وفي " تاريخ إربل " الكثير من هذه المعلومات ، التي يظهر بعضها الى النور لأول مرة ، مما يعين الباحث على رسم صورة جيدة لخطط إربل .

ومما يزيد في قيمة " تاريخ إربل " وأهميته ، ان مصنفه ابن المستوفي كان من أعلام الأدباء في عصره ، ومن أئمة الحديث البارعين ، ومن أهل الدين والورع والتقوى ، علاوة على تبريزه في النحو والشعر وعلمي البيان والمعاني والحساب وفن ضبط الديوان ، هذا فضلا عن تولّيه لعدد من المناصب العالية في الدولة . وقد أتاح ذلك له اطلاعا واسعا ، ومكّنه من إصدار أحكامه رصينة بعيدة عن الجهل والهوى ، تقوم بالدرجة الأولى على الاتصال الشخصي والمشاهدة العيانية . والحق ان تمتع المؤلف بحاسة نقدية حادة وفكر جوال ، وخلق رصين يترفع عن الدنايا ، وما الى ذلك من الصفات العالية ، قد ساعدته على كشف الحقائق وإزالة الشائبات التي علق بها ، ثم عرضها بأسلوب واضح مبين .

وعلى أي حال فإن " تاريخ إربل " ، بمجمله ، سجل حافل بكل مفيد ، ومن هنا نشأت أهميته كمصدر للمؤرخين الذين جاؤا بعد ابن المستوفي ، من أمثال ابن الشعار وابن خلكان وابن الفوطي وغيرهم ممن ذكرنا في موضع آخر من هذه الدراسة ، إذ

عرف هؤلاء قيمته حق المعرفة ، وأنزلوه المنزلة التي يستحقها . وإنني - بعد أن درستُه خلال مدة تزيد على خمس سنوات - لأشاركهم في تقديرهم لهذا الكتاب ، واقفُ إلى جانبهم في تقديم الاحترام لمصنّفه الفذ ، وأرجو أن أكون قد وفّقتُ في إنصافه وإعطائه حقه من التقدير والاهتمام ، والله ولي التوفيق ..

ثبت المراجع

هذه المراجع ، وهي تتألف من المخطوطات والكتب المطبوعة والمقالات ، التي استعملت في تحقيق " تاريخ اربل " ، وفي اعداد الدراسة ، قد رتبت حسب الترتيب الهجائي لاسماء المؤلفين او شهرتهم . ويلى اسم كل مؤلف من هؤلاء ، اسم مصنفه او مصنفاته - أن كانت اكثر من واحد - التي روجعت في هذه الدراسة .

اولا - المخطوطات

الأدقوي - كمال الدين جعفر بن ثعلب (او تغلب) المتوفي سنة ٧٤٩ هـ

١- البدر السافر وتحفة السافر في الوفيات - مخطوطة في مكتبة " فاتيح " باستانبول برقم ٤٢٠١ .

ابن خلكان (فى الواقع ان المصنف مجهول ، ونسبنا أن نذكر ابن خلكان ، لان المخطوطة هي مختصر لوفياته)

٢- حقائق العيان في مختصر وفيات الاعيان - مخطوطة في مكتبة جامعة كمبرج برقم (٨) ١٦٦ OR (a) ٣٩١ وهي ناقصة الآخر ، اذ تنقطع عند حرف " ن " ، وقد كتبت للسلطان العثماني " عثمان الثاني " الذي حكم بين ١٠٢٨ - ١٠٣١ هـ (١٦١٩ - ١٦٢٢ م) .

ابن الديبثي - محمد بن سعيد الواسطي ، المتوفي سنة ٦٣٧ هـ .

٣- ذيل تاريخ بغداد - مخطوطة في مكتبة جامعة كمبرج - برقم ٢٩٢٤ ، add ، تتناول حرف " ع " ولعلها الجزء ٣ .

السخاوى - محمد بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٩٠٢ هـ .

٤- ارتياح الاكباد ياربياح فقد الاولاد - مخطوطة مكتبة جيستر بيتي في دبلن بارلنده ، وهي برقم ٥١٧٤ .

السلفى - احمد بن محمد بن احمد الاصفهاني المتوفي سنة ٥٧٦ هـ .

٥- معجم السفر - مخطوطة في مكتبة دبلن أنفة الذكر ، وهي برقم ٣٨٨٠ .

- السمعاني - عبد الكريم بن محمد المتوفي سنة ٥٦٢ هـ .
- ٦- مختصر كتاب الانساب ، مخطوطة بمكتبة جامعة كمبرج ، برقم (١٢) OR٩٢٧ (a) ١٠١٠ ، وهي ناقصة من آخرها وتتناول بعض حرف " ح " .
- ابن الشعار - المبارك بن ابي بكر بن حمدان الموصلي المتوفي سنة ٦٥٤ هـ .
- ٧- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان - مخطوطة بثمانية اجزاء ، في مكتبة " اسعد افندي " باستانبول ، وهي برقم ٢٣٢٣ - ٢٣٣٠ (يقع الاصل بعشرة اجزاء ، غير ان جزئين منه ما يزالان مفقودين)
- الشعراني - عبد الوهاب بن احمد الانصاري المتوفي سنة ٩٧٣ هـ .
- ٨- الطبقات الكبرى - مخطوطة مكتبة دبلن أنفة الذكر ، وهي برقم ٥١٨٨ (علما بان الاستاذ اربري الذي اعد فهرس مخطوطات المكتبة المذكورة نسبها الى مؤلف مجهول ، ولكنني استطعت ، بعد مقارنتها بالمطبوع من الطبقات ، الاهتداء الى معرفة المؤلف ، فضلا عما وجدته في ترجمة والده الواردة في المخطوطة نفسها) .
- الشهرستاني - محمد بن عبد الكريم الشافعي المتوفي سنة ٥٤٨ هـ .
- ٩- كتاب الملل والنحل - مخطوطة مكتبة جامعة كمبرج ، وهي برقم ٢٩٢٩ add .
- الصفدي - صلاح الدين خليل بن ايبك المتوفي سنة ٧٦٤ هـ .
- ١٠ - الوافي بالوفيات - مخطوطة مكتبة بودليان باكسفورد ، وهي برقم ٦٦٦ و ٦٧٢ و ٦٧٩ وهذه ثلاثة اجزاء من اجزائه .
- الكناني - القاضي احمد بن ابراهيم العسقلاني المتوفي سنة ٨٧٦ هـ .
- ١١- شفاء القلوب في مناقب بني ايوب - مخطوطة المتحف البريطاني برقم ٢١٤ (علما بان المفهرس عدها مجهولة المؤلف ، الا ان المرجوح مصطفى جواد حقق نسبته الى الكناني المذكور ، وفقا لما ذكره السخاوي في " الذيل على رفع الاصر " ص ٢٩ ، انظر " مجلة المجمع العراقي " ج ٢ / ١٠٥) .

- ابن المستوفى - المبارك بن احمد الاربلى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ .
- ١٢ - النظام في شرح ديوان المتنبي وديوان ابي تمام - مخطوطة مكتبة السليمانية باستانبول ، وهى الجزء الثاني .
- ١٣ - تاريخ اربل - مخطوط مكتبة دبلن أنفة الذكر ، وهى برقم ٤٠٩٨ الجزء الثاني منه .
- ابن المكرم - جمال الدين محمد بن مكرم ، المعروف بابن منظور ، المتوفى سنة ٧١١ هـ .
- ١٤ - مختار ذيل تاريخ بغداد ، للسمعاني - مخطوطة " كلية ترينيتي " بكمبرج ، برقم (a) ، ٢٣٠ ، ٦٦ ، ١٣ R .
- المنذرى - عبد العظيم بن عبد القوي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .
- ١٥ - التكملة لوفيات النقلة - مخطوطة مكتبة جامعة كمبرج برقم ٥٨ Q9 ، وهى تحتوي على الاجزاء ١١ - ٤٧ و ٤٨ .
- ابن النجار - محمد بن محمود (محب الدين) المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .
- ١٦ - ذيل تاريخ بغداد - مخطوطة جامعة كمبرج برقم (١٠) ١٤٠٣ OR ، وتشمل حرف " ع " ، وهى منقولة عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق .

ثانيا - الكتب العربية المطبوعة

- ١٧ - القرآن الكريم - طبعة G . FLUGEL في سنة ١٨٩٣ في ليبزغ ، وطبعة مصلحة المساحة المصرية في سنة ١٣٤٢ هـ .
- ابن الأبار - محمد بن عبد الله القضاعى المتوفى سنة ٦٥٩ هـ .
- ١٨ - التكملة لكتاب الصلة - تحقيق ف . كويديره - مدريد ، ١٨٨٦ م .
- ١٩ - الحلة السيرة - تحقيق عبد الله انيس الطباع - بيروت ، ١٩٦٢ م .
- ابن الاثير - على بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .
- ٢٠ - الكامل - طبعة بولاق ، وطبعة اربل سنة ١٨٧٦ م .
- ٢١ - الباهر - تحقيق عبد القادر طليمات - مصر ١٩٦٣ م ، وهو " تاريخ اتابكة

- الموصل " الذي حققه ايضا الفرنسي RECUIL وطبعة ضمن مجموعة النصوص التاريخية المتعلقة بالصليبيين - لندن ١٩٦٧ م .
- ٢٢ - اسد الغابة في معرفة الصحابة - جمعية المعارف الوهبية - ١٢٨٠ هـ .
- ٢٣ - اللباب في تهذيب الانساب - القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .
- ابن الاثير - المبارك بن محمد المتوفي سنة ٦٠٦ هـ .
- ٢٤ - جامع الاصول من احاديث الرسول - تحقيق عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي - القاهرة ، ١٩٤٩ - ١٩٥٠ .
- ٢٥ - النهاية في غريب الحديث - مصر (بدون تاريخ) .
- ابن الاثير - ضياء الدين نصر الله بن محمد المتوفي سنة ٦٢٧ هـ .
- ٢٦ - رسائل ضياء الدين ابن الاثير - تحقيق انيس المقدسي - بيروت ، ١٩٥٩ م .
- الادريسي (الشريف) - محمد بن محمد الحسن المتوفي سنة ٥٦٠ هـ .
- ٢٧ - جغرافية الاندلس - تحقيق كوندي - مدريد ، ١٧٩٩ م
- ٢٨ - وصف الهند وماجاورها (من نزهة المشتاق) تحقيق مقبول احمد - لايدن ، ١٩٦٠ م .
- ٢٩ - صفة المغرب واراض السودان ومصر والاندلس (من نزهة المشتاق) - طبع بريل ، ١٨٦٤ م .
- ٣٠ - كتاب وصف افريقيا الشمالية (من نزهة المشتاق) تحقيق هنري بيرص - الجزائر ، ١٩٥٧ م .
- الاربلى - عبد الرحمن بن ابراهيم (سبط قنيتو) المتوفي سنة ٧١٧ هـ .
- ٣١ - خلاصة الذهب المسبوك - المطبعة الارثوذكسية ، ١٨٨٥ م ، بيروت .
- الاربلى - عبد القادر بن محيي الدين المتوفي سنة ١٣١٥ هـ
- ٣٢ - تفريح خاطر - القاهرة ، ١٩٤٩ م .
- الاربلى - على بن عيسى بن ابي الفتح ، المتوفي سنة ٦٨٧ هـ .
- ٣٣ - كشف الغمة لمعرفة الأئمة - تبريز ، ١٢٨١ هـ .

- الاربلى - محمد بن على الخطيب المتوفي سنة ٧٥٥ هـ ، ولقبه بدر الدين .
- ٣٤ - ارجوزة الانغام (في الموسيقى العراقية ، وقد نظمها سنة ٧٢٩ هـ) - تحقيق عباس العزاوي - بغداد ، ١٩٥١ م .
- الازدى - ابو زكريا يزيد بن محمد ، المتوفي سنة ٣٣٤ هـ .
- ٣٥ - تاريخ الموصل - تحقيق الدكتور على حبيبة - القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- الاسنوى - جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن ، المتوفي سنة ٧٧٢ هـ .
- ٣٦ - طبقات الشافعية - تحقيق عبد الله الجبوري - بغداد ، ١٣٩٠ هـ .
- الاشعري - محمد بن يحيى بن ابي بكر الاندلسى ، المتوفي سنة ٧٤١ هـ .
- ٣٧ - مقتل عثمان - تحقيق محمود يوسف زايد - بيروت ، ١٩٦٤ م .
- الاصطخرى - ابراهيم بن محمد الكرخى ، المتوفي ٣٤٦ هـ .
- ٣٨ - المسالك والممالك - تحقيق محمد جابر الحيني - مصر ، ١٩٦١ م .
- الاصمعى - عبد الملك بن قريب ، المتوفي سنة ٢١٦ هـ .
- ٣٩ - الاصمعيات - تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - مصر ، ١٩٥٥ م .
- ٤٠ - كتاب النبات - تحقيق عبد الله الغنيم - القاهرة ، ١٩٧٢ م .
- ابن ابي اصيبعة - احمد بن القاسم السعدى ، المتوفي سنة ٦٦٨ هـ .
- ٤١ - عيون الانباء في طبقات الاطباء - مصر ١٣٠٠ هـ .
- الفخانى - محمد بن عمر المكى (كان حيا سنة ١٥٩٥ م) .
- " تاريخ كجرات " - لندن ١٩١٠ تحقيق E D.ROSS .
- الافغانى - سعيد الافغانى
- ٤٢ - اسواق العرب في الجاهلية والاسلام - بيروت ، ١٩٦٠ م .
- امروء القيس بن حجر ، المتوفي سنة ٨٠ قبل الهجرة .
- ٤٣ - ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - مصر ، ١٩٥٨ م .

- امين - حسين امين .
- ٤٤ - العراق في العصر السلجوقي - بغداد ، ١٩٦٥ م .
- الامين - محسن الامين (محسن بن عبد الكريم ، المتوفي سنة ١٣٧١ هـ) .
- ٤٥ - اعيان الشيعة - بيروت ، ١٩٦٠ - ١٩٦١ م .
- ابن الانباري - عبد الرحمن بن محمد ، المتوفي سنة ٥٧٧ هـ .
- ٤٦ - نزهة الالباء في طبقات الادباء - تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي - بغداد ، ١٩٥٩ م .
- الانصاري - احمد عبد الله الخزرجي (صفى الدين) المتوفي سنة ٩٢٣ هـ .
- ٤٧ - تذهيب الكمال في اسماء الرجال - مصر سنة ١٣٢٢ هـ .
- الانصاري - محمد بن محمد بن عبد الملك الاندلسي المراكشي ، المتوفي سنة ٧٠٣ هـ .
- ٤٨ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة - تحقيق الدكتور احسان عباس - بيروت ، ١٩٦٤ م .
- اهلوارت (W.AHLWARDT) المتوفي سنة ١٩٠٩ م .
- ٤٩ - العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين - لندن ، ١٨٧٠ و ١٨٩٩ م .
- الباخرزي - على بن الحسن ، المتوفي سنة ٤٦٧ هـ .
- ٥٠ - دمية القصر - تحقيق محمد راغب الطباخ - حلب ، ١٩٣٠ م .
- البتنوني - محمد لبیب ، المتوفي سنة ١٣٥٧ هـ .
- ٥١ - الرحلة الحجازية - القاهرة ، ١٣٢٧ هـ .
- بحشل - اسلم بن سهل الرزاز الواسطي ، المتوفي سنة ٢٩٢ هـ .
- ٥٢ - تاريخ واسط - تحقيق كوركيس عواد - بغداد ، ١٩٦٧ م .
- البخاري - محمد بن اسماعيل المتوفي سنة ٢٥٦ هـ .
- ٥٣ - الجامع الصحيح - طبعة لايدان ، ١٨٦٢ ، طبعة الحلبي ، ١٣٤٥ هـ .
- ٥٤ - تاريخ البخاري الكبير - طبعة حيدر اباد ، ١٣٦١ هـ .

- بدران - عبد القادر بدران ، المتوفي سنة ١٣٤٦ هـ .
- ٥٥ - تهذيب تاريخ ابن عساكر - دمشق ، ١٣٢٩ - ١٣٤٩ هـ .
- بدوى - الدكتور احمد احمد بدوى .
- ٥٦ - الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية - القاهرة (بدون تاريخ) .
- ٥٧ - الحياة " العقلية " في عصر الحروب الصليبية - القاهرة (بدون تاريخ) .
- بركات - محمد فارس .
- ٥٨ - المرشد الى آيات القرآن الكريم - دمشق ، ١٩٣٩ م .
- برهان قاطع .
- ٥٩ - معجم فارسي - طبعة كلكتا ، ١٢٣٢ هـ (ادرج ضمن المطبوعات العربية ، لانه مكتوب باحرف عربية) .
- ابن بسام - على بن بسام الشنقريني ، المتوفي سنة ٥٤٢ هـ .
- ٦٠ - الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة - القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م .
- البستاني - بطرس البستاني ، المتوفي سنة ١٨٨٣ م .
- ٦١ - دائرة معارف البستاني - بيروت ، ١٨٧٦ م .
- ٦٢ - محيط المحيط (قاموس) - بيروت ، ١٨٦٧ م .
- البستاني - عبد الله بن مخائيل اللبناني ، المتوفي سنة ١٩٣٠ م .
- ٦٣ - معجم البستان - بيروت ، ١٩٢٧ م .
- ابن بشكوال - ابو القاسم خلف بن عبد الملك ، المتوفي سنة ٥٧٨ هـ .
- ٦٤ - الصلة - تحقيق كويدره ، مدريد ، ١٨٨٢ م ، وتحقيق عزت العطار الحسيني - القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- بغداد - معهد الدراسات الاسلامية ببغداد .
- ٦٥ - فهرس مخطوطات المعهد (مطبوع بالاستانسل) بغداد ، ١٩٦٨ م .
- البغدادي - اسماعيل باشا الباباني ، المتوفي سنة ١٣٣٩ هـ .
- ٦٦ - ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون - استانبول ، ١٩٤٧ م .

- ٦٧ - هدية العارفين الى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين - استانبول ، ١٩٥١ م .
- البغدادى - عبد القادر بن عمر ، المتوفى سنة ١٠٩ هـ .
- ٦٨ - خزانة الادب - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- البغدادى - عبد القاهر بن طاهر ، المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ .
- ٦٩ - الثرق بين الفرق - تحقيق عزت العطار الحسيني - القاهرة ، ١٩٤٨ م ،
وتحقيق محمد بدر - القاهرة (بدون تاريخ) .
- البغدادى (ابو الحسن على بن محمد الماوردى البصرى) المتوفى سنة
٤٥٠ هـ .
- ٧٠ - الاحكام السلطانية - مصر ، ١٢٩٨ هـ .
- البكرى - عبد الله بن عبد العزيز البكرى الاندلسي ، المتوفى سنة ٤٨٧ هـ .
- ٧١ - معجم ما استعجم - تحقيق مصطفى السقا - القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٥١ م .
- ٧٢ - كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب (من المسالك والممالك) تحقيق
دي سلين - الجزائر ١٨٥٧ م .
- البازرى - ابو الحسن احمد بن يحيى ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ .
- ٧٣ - فتوح البلدان - تحقيق دي غوييه - لايدن ١٨٦٦ م ، وتحقيق رضوان محمد
رضوان - مصر ، ١٩٣٢ وتحقيق صلاح الدين المنجد ، ١٩٥٦ و ١٩٥٧ و ١٩٦٠
- القاهرة .
- البلفيقى - ابراهيم بن محمد بن ابراهيم (لم اهتمد الي تاريخ وفاته) .
- ٧٤ - المختضب من كتاب تحفة القادم لابن البار - تحقيق ابراهيم اليباري -
القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- البندارى - الفتح بن على بن محمد الاصفهاني ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .
- ٧٥ - زبدة النصر ونخبة العصر (وهو مختصر تاريخ دولة آل سلجوق للعماد
الاصفهاني) - تحقيق هوتسمه - لايدن ، ١٨٨٩ م ، وطبعة مصر ، ١٩٠٠ م .
- البيرونى - محمد بن احمد ، المتوفى سنة ٤٤٠ هـ .

- ٧٦ - تحقيق مال الهند من مقالة - تحقيق سخاو - لندن ، ١٨٨٧ م ، وطبعة حيدر
 آباد ، ١٩٥٨ م وطبعة حيدر آباد ، ١٣٥٥ هـ .
- ٧٧ - الجماهر فى معرفة الجواهر .
- البيضاوى - عبد الله بن عمر ، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ .
- ٧٨ - تفسير القرآن الكريم - طبعة ليبزغ - ١٨٧٨ م .
- الثالثى - يوسف بن يحيى بن عيسى المتوفى سنة ٦٢٧ هـ (ويعرف بابن
 الزيات) .
- ٧٩ - التشوف الى رجال التصوف - الرباط ، ١٩٥٨ م .
- تامر - عارف تامر
- ٨٠ - ابن هاني ، متنبى المغرب - بيروت ، ١٩٦١ م .
- التبريزى (الخطيب) - يحيى بن على الشيبانى ، المتوفى سنة ٥٠٢ هـ .
- ٨١ - شرح ديوان ابي تمام - تحقيق الدكتور محمد عبده عزام - القاهرة ،
 ١٩٥١ م .
- التجيبى - صفوان بن ادريس المرسى ، المتوفى سنة ٥٩٨ هـ .
- ٨٢ - كتاب زاد المسافر وغرة محيا الادب السافر - بيروت ، ١٩٣٩ م .
- الترمذى - محمد بن عيسى بن سورة ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ .
- ٨٣ - الجامع الصحيح - طبعة بولاق ، ١٢٩٢ هـ ، وتحقيق احمد محمد شاكر ،
 القاهرة - ١٩٣٧ م .
- ابن تغرى بردى - ابو الحسن يوسف بن تغرى بردى ، المتوفى سنة
 ٨٧٤ هـ .
- ٨٤ - النجوم الزاهرة - طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة - ١٩٢٩ م .
- التهانوى - محمد بن على الفارقى (كان حيا سنة ١١٥٨ هـ) .
- ٨٥ - كشاف اصطلاحات الفنون - تحقيق وايم ليس - كلكتا ، ١٨٦٢ م .
- التوحيدى - ابو حيان على بن محمد ، المتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

- ٨٦ - كتاب اخلاق الوزيرين - تحقيق محمد بن تاويت الطنجي - دمشق ، ١٩٦٥ م .
التيمورية - دار الكتب المصرية .
- ٨٧ - فهرس الخزانة التيمورية - القاهرة ، ١٩٤٨ - ١٩٥٠ م .
- الثعالبي - عهد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري ، المتوفي سنة ٤٢٩ هـ .
- ٨٨ - يتيمة الدهر - طبعة استانبول ، ١٩١٤ ، وتحقيق محمد محيي عبد الحميد - مصر ، ١٩٤٧ م .
- ٨٩ - تنمة اليتيمة - طبعة طهران ، ١٣٥٣ هـ .
- ٩٠ - لطائف المعارف - تحقيق ابراهيم الايباري وحسن كامل الصيرفي - مصر ، ١٩٦٠ م .
- ٩١ - خاص الخاص - قدمه حسن الامين - بيروت ، ١٩٦٦ م .
- ٩٢ - برد الاكباد في الاعداد - استانبول ، ١٣٠١ هـ .
- جاد المولي - محمد جاد المولي
- ٩٣ - ايام العرب في الجاهلية - القاهرة ، ١٩٤٢ م .
- الjasر - حمد الجاسر .
- ٩٤ - رسائل في تاريخ المدينة - تحقيق الجاسر ، الرياض ، ١٩٧٢ م .
- الجاحظ - عمرو بن بحر ، المتوفي سنة ٢٥٥ هـ .
- ٩٥ - الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون - مصر ، ١٩٣٧ م ، والطبعة الثانية سنة ١٩٦٥ م .
- الجبوري - عبد الله الجبوري .
- ٩٦ - المستدرك على الكشف عن مخطوطات كتب خزائن الاوقاف - بغداد ، ١٩٦٥ م .
- ٩٧ - مخطوطات حسن الانكلي في مكتبة الاوقاف ببغداد - بغداد ، ١٩٦٧ م .
- ٩٨ - مكتبة الاوقاف العامة ، تاريخها ونواير مخطوطاتها - بغداد ، ١٩٦٩ م .

- ابن جبير - محمد بن احمد الكنانى ، المتوفى سنة ٦١٤ هـ .
- ٩٩ - رحلة ابن جبير - تحقيق رايت - لايدن ، ١٨٥٢ م ، وتحقيق حسين نصار - القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- الجرجاني - عبد القاهر بن عبد الرحمن ، المتوفى سنة ٤٧١ هـ .
- ١٠٠ - اسرار البلاغة - تحقيق محمد رشيد رضا - مصر ١٩٣٩ م .
- الجرجاني - على بن محمد على الحسينى ، المتوفى سنة ٨١٦ هـ .
- ١٠١ - التعريفات - طبعة الطلي - مصر ، ١٩٣٨ م .
- جرير - جرير بن عطية ، المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- ١٠٢ - ديوان جرير - طبعة المطبعة العلمية بمصر ، ١٣١٣ هـ ، وتحقيق محمد امين طه - القاهرة ١٩٦٩ م .
- ابن الجوزي - محمد بن محمد ، المتوفى سنة ٨٣٣ هـ .
- ١٠٣ - غاية النهاية في طبقات القراء - تحقيق G.BERGSTRAESSER - القاهرة ، ١٩٣٢ م .
- الجعدى - عمر بن على بن سمرة اليمنى ، المتوفى سنة ٥٨٦ هـ .
- ١٠٤ - طبقات فقهاء اليمن - تحقيق فؤاد سيد - القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- الجلبي - الدكتور داود الجلبي الموصلى ، المتوفى سنة ١٣٧٩ هـ .
- ١٠٥ - مخطوطات الموصل - بغداد ، ١٩٢٧ م .
- الجمحى - محمد بن سلام ، المتوفى سنة ٢٣١ هـ .
- ١٠٦ - طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود محمد شاكر - مصر ، ١٩٥٢ م .
- جميل - فؤاد جميل .
- ١٠٧ - مقال عن سهل حدياب في العصور القديمة - مجلة " سومر " المجلد ٢٥ ص ٢١٩ لسنة ١٩٦٩ م .
- الجميلى - رشيد الجميلى .
- ١٠٨ - دولة الاتاكبة في الموصل - بيروت ، ١٩٧٠ م .

- ابن الجوزي - عبد الرحمن بن علي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ .
- ١٠٩ - المنتظم - طبعة حيدر اباد ، ١٣٥٧ - ١٣٥٨ هـ .
- ١١٠ - مناقب بغداد - تحقيق محمد بهجة الانثري - بغداد ، ١٣٤٢ هـ .
- ١١١ - مناقب احمد بن حنبل - القاهرة ، ١٩٣١ هـ .
- ١١٢ - صفوة الصفوة - طبعة حيدر اباد ، ١٣٥٥ هـ .
- ١١٣ - كتاب القصاص والمذكرين - تحقيق M.S.SWARTZ - بيروت ، ١٩٧١ م .
- جول - اسماعيل بك جول ، أمير اليزيدية في سنجار .
- ١١٤ - اليزيدية قديما وحديثا - تحقيق الدكتور قسطنطين زريق - بيروت ، ١٩٣٤ م .
- الجوهري - اسماعيل بن حماد ، المتوفي سنة ٣٩٣ هـ .
- ١١٥ - الصحاح - طبعة مصر ، سنة ١٢٧٢ هـ . واخرى بمصر في سنة ١٣١١ هـ .
- حاجي خليفة - مصطفى بن عبد الله ، المتوفي سنة ١٠٦٧ هـ .
- ١١٦ - كشف الظنون - استانبول ، ١٩٤١ م .
- الحاكم - محمد بن عبد الله النيسابوري ، المتوفي سنة ٤٠٥ هـ .
- ١١٧ - المستدرک على الصحيحين ، الرياض (بدون تاريخ) .
- ١١٨ - كتاب معرفة علوم الحديث - تقديم الدكتور معظم حسين - القاهرة ، ١٩٣٧ م .
- ابن حبان - محمد بن حبان البستي ، المتوفي سنة ٣٥٤ هـ .
- ١١٩ - مشاهير علماء الامصار - تحقيق M.FLEISCH HAMMER - طبعة ويسبادن ، ١٩٥٩ م .
- ابن حجر العسقلاني - احمد بن علي بن حجر ، المتوفي سنة ٨٥٢ هـ .
- ١٢٠ - الاصابة في تمييز الصحابة - كلكتا ، ١٨٥٦ م .
- ١٢١ - لسان الميزان - طبعة حيدر اباد ، ١٣٢٩ هـ .

- ١٢٢ - تهذيب التهذيب - طبعة حيدر اباد ، ١٣٢٥ هـ .
- ١٢٣ - النكت الظراف على الاطراف (مطبوع مع "فتح الاشراف بمعرفة الاطراف" للمزي) - تحقيق عبد الصمد شرف الدين - بمباي ، ١٩٦٥ م (وهو معجم مفهرس لمسانيد الصحابة والرواة لاحاديث الكتب الستة) .
- ١٢٤ - تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه - تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد علي النجار - مصر ، ١٩٦٥ م .
- ١٢٥ - الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة - حيدر اباد ، ١٣٤٨ هـ .
- ابن ابى الحديد - عبد الحميد بن هبة الله ، المتوفي سنة ٦٥٥ هـ .
- ١٢٦ - شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - مصر ، ١٩٥٩ م .
- الحريري - القاسم بن علي ، المتوفي سنة ٥١٦ هـ .
- ١٢٧ - مقامات الحريري - تحقيق M-F.STEINGASS لندن ، ١٨٩٧ م .
- ابن حزم - علي بن سعيد الاندلسي ، المتوفي سنة ٤٥٦ هـ .
- ١٢٨ - جمهرة انساب العرب - تحقيق ليفي بروفنسال - مصر ، ١٩٤٨ م .
- ١٢٩ - كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل - مطبوع سنة ١٣٢١ هـ (لم يذكر مكان الطبع) ، واخرى بمصر ، ١٣٤٧ هـ .
- حسن ابراهيم حسن
- ١٣٠ - تاريخ الدولة الفاطمية - مصر ، ١٩٥٨ م .
- ١٣١ - النظم الاسلامية (بالاشتراك مع علي ابراهيم حسن) - القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- الحسنى - عبد الرزاق الحسنى
- ١٣٢ - الوزارات العراقية - صيدا ، ١٩٦٥ م .
- حسين - سيد كامل حسين
- ١٣٣ - فهرست المخطوطات والمطبوعات في مكتبة " سبحان الله اورينتال لايبيري " - عليكره ، ١٩٢٩ م .

- حسين - طه حسين
- ١٣٤ - الفتنة الكبرى (مقتل عثمان - رض) - مصر ، ١٩٦٨ م .
- حسين - فاضل حسين
- ١٣٥ - مشكلة الموصل - بغداد ، ١٩٥٥ م .
- الحسين - صدر الدين على بن ابي الفوارس ناصر ، المتوفي سنة ٦٢٢ هـ .
- ١٣٦ - اخبار الدولة السلجوقية - تحقيق محمد اقبال - لاهور ، ١٩٣٣ م .
- الحلاج - الحسين بن منصور ، المتوفي سنة ٣٠٩ هـ .
- ١٣٧ - ديوان الحلاج - تحقيق لويس ماسينيون - باريس ، ١٩٥٥ م .
- الحلبى - على بن ابراهيم ، المتوفي سنة ١٠٤٤ هـ
- ١٣٨ - السيرة الحلبيّة - مصر ، ١٣٤٩ هـ ..
- حمزة بن يوسف السهمى ، المتوفي سنة ٤٢٧ هـ .
- ١٣٩ - تاريخ جرجان - حيدر اباد ، ١٩٥٠ م .
- الحميدى - محمد بن فتوح بن عبد الله ، المتوفي سنة ٤٨٨ هـ .
- ١٤٠ - جذوة المقتبس - تحقيق محمد بن تاويت الطنجي - القاهرة ، ١٩٥٣ م ..
- الحميرى - محمد بن محمد بن عبد المؤمن المتوفي سنة ٩٠٠ هـ .
- ١٤١ - الروض المعطار - تحقيق M GONZALEZ - بلنسية ، ١٩٦٣ م .
- ١٤٢ - صفة جزيرة الاندلس (منتخبة من الروض المعطار) - القاهرة ، ١٩٣٧ م .
- ابن حنبل - احمد بن حنبل الشيبانى المتوفي سنة ٢٤١ هـ .
- ١٤٣ - المسند - طبعة بولاق ، ١٣١٣ هـ ، وتحقيق احمد محمد شاكر - مصر ، ١٩٥٤ م .
- ابن حوقل - محمد بن على البغدادى ، المتوفي سنة ٣٦٧ هـ .
- ١٤٤ - المسالك والممالك - تحقيق السروليم اوسلي - بريطانيا ، ١٨٠٠ م (OUSELEY)

- ابن حيان الاندلسي - حيان بن خلف ، المتوفي سنة ٤٦٩ هـ .
- ١٤٥ - المقتبس من تاريخ الاندلس - تحقيق عبد الرحمن علي الحجي - بيروت ، ١٩٦٥ م .
- الخانجي - محمد أمين
- ١٤٦ - منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان ، مصر ١٩٠٧ م .
- ابن خردادويه - عبيد الله بن احمد الخراساني ، المتوفي سنة ٣٠٠ هـ .
- ١٤٧ - المسالك والممالك - تحقيق دي فوييه - طبعة بريل ، ١٨٨٩ م .
- الخطيب البغدادي - احمد بن علي ، المتوفي سنة ٤٦٣ هـ .
- ١٤٨ - تاريخ بغداد - مصر ١٩٢١ م .
- الخطيب - محمد بن عبد الله (كان حيا في سنة ٧٣٧ هـ)
- ١٤٩ - مشكاة المصابيح - كراحي ، ١٣٥٠ هـ (والكتاب ترجمة انكليزية)
- ١٥٠ - الاكمال في اسماء الرجال (مطبوع "بذيل" المشكاة " المذكور أنفا) .
- ابن الخطيب (لسان الدين) - محمد بن عبد الله ، المتوفي سنة ٧٧٦ هـ .
- ١٥١ - الاحاطة في اخبار غرناطة - مصر ، ١٣١٩ هـ ، وتحقيق محمد عبد الله عنان - مصر (بدون تاريخ) .
- ١٥٢ - كناسة الدكان بعد انتقال السكان - تحقيق الدكتور محمد كمال شبانه - القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- ابن خفاجة - ابراهيم بن عبد الله الاندلسي ، المتوفي سنة ٥٣٣ هـ .
- ١٥٣ - ديوان ابن خفاجة - طبعة جمعية المعارف - مصر ، ١٢٨٦ هـ .
- ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، المتوفي سنة ٨٠٨ هـ .
- ١٥٤ - تاريخ العير .. الخ - دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ١٩٥٦ م .
- ابن خلكان - احمد بن محمد بن أبي بكر الاربلي ، المتوفي سنة ٦٨١ هـ .
- ١٥٥ - وفيات الاعيان -- تحقيق محمد محيي عبد الحميد - مصر ، ١٩٤٨ ، وتحقيق الدكتور احسان عباس - بيروت سنة ١٩٦٨ م ، واخرى بتحقيق

- المستشرق وستنفيلد ، سنة ١٨٣٧ م ، ورابعة طبعة بولاق ، وخامسة طبعة ايران .
- خليل - الدكتور عماد الدين خليل .
- ١٥٦ - عماد الدين زنكي - بيروت ، ١٩٧١ م .
- الخليلي - جعفر الخليلي .
- ١٥٧ - موسوعة العتبات المقدسة (قسم الكاظمين) بالاشتراك مع الدكتور مصطفى جواد - بغداد ، ١٩٦٧ م .
- ١٥٨ - موسوعة العتبات المقدسة (قسم مكة المكرمة) بغداد ، ١٩٦٧ م .
- الخوارزمي - محمد بن احمد ، المتوفي سنة ٣٨٧ هـ .
- ١٥٩ - مفاتيح العلوم - تحقيق فان فلوطن - طبعة بريل ، ١٨٩٥ م .
- الخوانساري - محمد باقر الموسوي ، المتوفي سنة ١٣٠٧ هـ .
- ١٦٠ - رياضات الجنات - طبعة ايران ، ١٣٠٧ هـ .
- ابن الخوجة - محمد بن الخوجة (كان حيا سنة ١٣١٤ هـ) .
- ١٦١ - تحفة الانجاد بمقابلة تاريخي الهجرة والميلاد - تونس ، ١٨٩٧ م .
- الدارمي - عبد الله بن عبد الرحمن ، المتوفي سنة ٢٥٥ هـ .
- ١٦٢ - السنن - تحقيق عبد الله هاشم يمانى المدني - القاهرة ، ١٩٦٦ م .
- الداني - عثمان بن سعيد المتوفي سنة ٤٤٤ هـ .
- ١٦٣ - كتاب النقط - تحقيق OTTOPRETZL - استانبول ، ١٩٣٢ م .
- ١٦٤ - المحكم في نقط المصاحف - تحقيق عزة حسن - دمشق ، ١٩٦٠ م .
- ابو داود - سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني ، المتوفي سنة ٢٧٥ هـ .
- ١٦٥ - السنن - تحقيق احمد سعد علي - القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- ابن الديبثي (انظر الذهبي فيما يتعلق بالمختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الديبثي) .
- دحلان - احمد بن زيني دحلان المكي ، المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ ..
- ١٦٦ - الفتوحات الإسلامية - مكة المكرمة ، ١٣٠٢ هـ .

- ابن دحية - عمر بن الحسن الكلبى (ابو الخطاب) ، المتوفى سنة ٦٣٣ هـ .
- ١٦٧ - النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس - تحقيق عباس العزاوي - بغداد ، ١٩٤٦ م .
- ١٦٨ - المطرب في اشعار اهل المغرب - تحقيق مصطفى عوض عبد الكريم - الخرطوم ، سنة ١٩٥٤ م ، واخرى تحقيق ابراهيم الابياري وحامد عبد المجيد - القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- ابن دريد - محمد بن الحسن بن دريد الازدى ، المتوفى سنة ٣٢١ هـ .
- ١٦٩ - جهرة اللغة - حيدر آباد ، ١٣٤٤ هـ .
- ١٧٠ - كتاب الاشتقاق - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- درويش - عبد الله درويش .
- ١٧١ - دراسات في العروض والقافية - القاهرة (بنون تاريخ) .
- درويش - عدنان درويش .
- ١٧٢ - المخطوطات العربية المصورة بدمشق - دمشق ، ١٩٦٨ م .
- ابن نقيماق - ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلائى ، المتوفى سنة ٨٠٩ هـ .
- ١٧٣ - كتاب الانتصار (الجزء الرابع والخامس في خطط مصر) - بولاق ، ١٣٠٩ هـ .
- الدمشقى - ابو للحاسن محمد بن على الحسينى ، المتوفى سنة ٧٦٥ هـ .
- ١٧٤ - ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي - تحقيق محمد زاهد الكوثري - بيروت (بنون تاريخ) .
- الدميرى - محمد بن موسى الشافعى ، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ .
- ١٧٥ - حياة الحيوان الكبرى - طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ .
- الدينورى - ابو حنيفة احمد بن داود ، المتوفى سنة ٢٨٢ هـ .
- ١٧٦ - الاخبار الطوال - تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الشيال - القاهرة ، ١٩٦٠ م .

- الديوه جى - سعيد الديوه جى .
- ١٧٧ - الفترة في الاسلام - الموصل ، ١٩٤٠ م .
- الذهبي - محمد بن احمد . المتوفي سنة ٧٤٨ هـ .
- ١٧٨ - تلخيص المستدرك على الصحيحين - الرياض (بدون تاريخ) .
- ١٧٩ - سير اعلام النبلاء - تحقيق صلاح الدين المنجد - القاهرة ، ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م .
- ١٨٠ - العبر في خبر من غير - تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد - الكويت ، ١٩٦١ م .
- ١٨١ - المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الديبشي - تحقيق الدكتور مصطفى جواد - بغداد ، ١٩٥١ و ١٩٦٣ م .
- ١٨٢ - تذكرة الحفاظ - طبعة بيروت (بدون تاريخ)
- ١٨٣ - المشتبه في اسماء الرجال - لايدن ، ١٨٩٣ م ، واخرى مصر ، ١٩٦٢ م .
- ١٨٤ - تاريخ الاسلام - مصر ١٣٦٧ هـ (خمسة اجزاء فقط) .
- ١٨٥ - دول الاسلام - حيدر اباد ، ١٣٣٧ هـ .
- ١٨٦ - ميزان الاعتدال - تحقيق علي محمد البجاوي - مصر ، ١٩٦٣ م .
- ١٨٧ - المغني في الضعفاء - تحقيق نور الدين عتر - حلب ١٩٧١ م .
- الراجكوتى - عبد العزيز الميمنى السلفى ، المتوفى (؟) .
- ١٨٨ - كتاب بعنوان " ابن رشيق " والقسم الثاني بعنوان ابن شرف - القاهرة - المطبعة السلفية ، ١٣٤٣ هـ .
- ١٨٩ - الننف من شعر ابن رشيق وابن شرف القيروانيين - القاهرة - المطبعة السلفية ، ١٣٤٣ هـ .
- الرازي (الفخر) - الامام محمد بن عمر الشافعى ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .
- ١٩٠ - التفسير الكبير - مصر ، ١٣٠٨ هـ .

الرباط - الخزائن العامة .

١٩١ - فهرس المخطوطات العربية في الخزائن العامة - الرباط ، ١٩٥٨ م .

الربداوى - الدكتور محمد الربداوى .

١٩٢ - الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام - بيروت ، ١٩٦٧ م .

ابن رجب - عبد الرحمن بن شهاب البغدادى دمشقى الحنبلى ، المتوفى سنة ٧٩٥ هـ .

١٩٣ - ذيل طبقات الحنابلة - تحقيق سامي الدهان - دمشق ، ١٩٥١ ، وتحقيق محمد حامد الفقى - القاهرة ، ١٩٥٣ م .

ابن رشيق - الحسن بن رشيق القيروانى ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .

١٩٤ - العمدة - مصر ، ١٩٠٧ م ، واخرى بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مصر ، ١٩٣٤ م .

١٩٥ - ديوان ابن رشيق - تحقيق عبد الرحمن ياغي - بيروت (بدون تاريخ)
(انظر ايضا الراجكوتى) .

الرصافى - ابو عبد الله محمد بن غالب ، المتوفى سنة ٥٧٢ هـ .

١٩٦ - ديوان الرصافى - جمع وتحقيق الدكتور احسان عباس - بيروت ، ١٩٦٠ م .

الرضى (الشريف) - محمد بن احمد الحسينى ، المتوفى سنة ٤٠٦ هـ .

١٩٧ - نهج البلاغة - تحقيق محمد حسن نائل المرصفي - مصر ، ١٣٢٨ هـ ..

الرُعيني - على بن محمد بن على الرعيني الاشبيلي ، المتوفى سنة ٦٦٦ هـ .

١٩٨ - برنامج شيوخ الرعيني - تحقيق ابراهيم شيوخ - دمشق ، ١٩٦٢ م .

الرُعيني - محمد بن ابي القاسم الرعيني القيروانى ، المتوفى سنة ١١١٠ هـ .

١٩٩ - المؤنس في اخبار افريقيا وتونس - تحقيق محمد شمام -

تونس ، ١٢٨٦ هـ .

رمزي - محمد رمزي .

- ٢٠٠ - القاموس الجغرافي للبلاد المصرية - القاهرة ، ١٩٥٤ .
- روزنتال - فرانس .
- ٢٠١ - علم التاريخ عند المسلمين - ترجمة الدكتور صالح احمد العلي - بغداد ، ١٩٦٣ م .
- ابن الرومي - علي بن العباس ، المتوفي سنة ٢٨٣ هـ .
- ٢٠٢ - ديوان ابن الرومي - تحقيق كامل كيلاني - مصر (بدون تاريخ) .
- الرويشدي - سوادي عند محمد .
- ٢٠٣ - امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ - بغداد ، ١٩٧١ م .
- الزبيدي - محمد مرتضي بن محمد الحسيني ، المتوفي سنة ١٢٠٥ هـ .
- ٢٠٤ - ترح القاموس المسمى " تاح العروس " - مصر ، ١٣٠٦ هـ .
- ٢٠٥ - ترويح القلوب في ملوك بني ايوب - تحقيق صلاح الدين المنجد - دمشق ، ١٩٦٩ م .
- الزمير بن بكار ، المتوفي سنة ٢٥٦ هـ .
- ٢٠٦ - جمهرة نسب قريش - تحقيق محمود محمد شاكر - القاهرة ، ١٣٨١ هـ .
- ابن الزبير - احمد بن ابراهيم بن الزبير ، المتوفي سنة ٧٠٨ هـ .
- ٢٠٧ - حلة الصلة - تحقيق ليفي بروفنسال - الرباط ، ١٩٣٨ م .
- الزركلي - خير الدين .
- ٢٠٨ - الاعلام - مصر ، ١٩٥٤ - ١٩٥٩ م . وكتاب " ما رأيت وما سمعت " - مصر ، ١٩٢٣ م .
- زكي - محمد امين زكي ، المتوفي سنة ١٣٦٧ هـ .
- ٢٠٩ - خلاصة تاريخ الكرد وكردستان - القاهرة ، ١٩٣٩ م .
- الزمخشري - محمود بن عمر بن محمد ، المتوفي سنة ٥٣٨ هـ .
- ٢١٠ - تفسير الكشاف - القاهرة ، ١٣٠٧ هـ .
- ٢١١ - اساس البلاغة (معجم) - بيروت ، ١٩٦٥ م .

- ٢١٢ - الجبال والامكنة والمياه - النجف ، ١٣٥٧ هـ .
- ٢١٣ - المفصل - الاسكندرية ، ١٢٩١ هـ ، واخرى بتحقيق J.P. BROCH طبعت في اوربا - باريس ، ١٨٧٩ م .
- الزوزنى - الحسين بن احمد بن الحسين ، المتوفي سنة ٤٨٦ هـ .
- ٢١٤ - نيل الارب في شرح معلقات العرب - مصر ، ١٣٢٨ هـ ، وطبعة اخرى في بيروت (بدون تاريخ) .
- زيدان - جرجى زيدان ، المتوفي سنة ١٩١٤ م .
- ٢١٥ - تاريخ آداب اللغة العربية - مصر ، ١٩١١ م .
- ابن الساعي - على بن انجب ، المتوفي سنة ٦٧٤ هـ .
- ٢١٦ - الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير - تحقيق الدكتور مصطفى جواد - بغداد ، ١٩٣٤ م .
- سالم - الدكتور عبد العزيز سالم .
- ٢١٧ - التاريخ والمؤرخون العرب - مصر ، ١٩٦٧ م .
- سبط ابن الجوزى - يوسف بن قز! اوغلى ، المتوفي سنة ٦٥٤ هـ .
- ٢١٨ - مرآة الزمان - حيدر اباد ، ١٩٥١ م ، وطبعة مصورة بالفوتوستات - شيكاغو ، ١٩٠٧ م .
- ٢١٩ - تذكرة الخواص (في خصائص آل البيت - ع) - النجف ، ١٩٦٤ م .
- السبكى - عبد الوهاب بن على ، المتوفي سنة ٧٧١ هـ .
- ٢٢٠ - طبقات الشافعية الكبرى - مصر ١٣٢٤ هـ ، وتحقيق محمود محمد الطناجي - مصر ، ١٩٦٤ م .
- السخاوى - محمد بن عبد الرحمن ، المتوفي سنة ٩٠٢ هـ .
- ٢٢١ - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - دمشق ، ١٣٤٩ هـ .
- ٢٢٢ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - القاهرة ، ١٣٥٤ هـ .

٢٢٣ - الذيل على رفع الاصر - تحقيق جوده هلال ومحمد محمود صبح - القاهرة ، ١٩٦٦ م .

سركيس - يوسف اليان سركيس ، المتوفي سنة ١٣٥١ هـ .

٢٢٤ - معجم المطبوعات العربية والمعربة - القاهرة ، ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م .

٢٢٥ - جامع التصانيف الحديثة المطبوعة (ذيل المعجم) - القاهرة ، ١٩٢٧ وما بعدها .

سري - حسين سري .

٢٢٦ - اطلس مصر - القاهرة ، ١٩٢٨ م .

ابن سعد - محمد بن سعد الزهرى ، المتوفي سنة ٢٣٠ هـ .

٢٢٧ - الطبقات الكبرى - تحقيق سخاو - لايدن ، ١٣٤٧ هـ .

ابن سعيد المغربي - على بن موسى الاندلسى ، المتوفي سنة ٦٨٥ هـ .

٢٢٨ - الفصون الياقة في محاسن شعراء المائة السابعة - تحقيق ابراهيم الابياري - مصر ، ١٩٤٥ م .

٢٢٩ - المغرب في حلي المغرب (لابن سعيد وجماعة من اهل الاندلس) تحقيق شوقي ضيف - مصر ١٩٥٥ م .

٢٣٠ - اختصار " القدر المولى " ، الاصل لابن سعيد ، ومختصره لمحمد بن عبد الله

ابن خليل - تحقيق ابراهيم الابياري - القاهرة ، ١٩٥٩ م .

سفر - فؤاد سفر .

٢٣١ - مقال عن اعمال الارواء التي قام بها سنحاريب في نينوى واريل ، مجلة "سومر" مج ٣ لسنة ١٩٤٧ ص ٧٧ - ٨٦ .

سلام - محمد زغلول سلام .

٢٣٢ - الادب في العصر الايوبي - القاهرة ، ١٩٦٨ م .

السلفى - احمد بن محمد بن احمد الاصفهانى ، المتوفي سنة ٥٧٦ هـ .

٢٣٣ - اخبار وتراجم اندلسية من معجم السفر - تحقيق الدكتور احسان عباس - بيروت ، ١٩٦٣ م .

السلمى - محمد بن الحسين بن محمد ، المتوفي سنة ٤١٢ هـ .

٢٣٤ - طبقات الصوفية - تحقيق JOHANNES PEDERSEN - لايدن ، ١٩٦٠ .

٢٣٥ - رسالة الملامتية - تحقيق ابو العلا عفيفي - مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة - مايو ١٩٤٢ .

السمعاني - ابو سعد عبد الكريم بن محمد ، المتوفي سنة ٥٦٢ هـ .

٢٣٦ - كتاب الانساب - تحقيق عبد الرحمن بن يحيى العلمي - حيدر اباد ، ١٩٦٢

- ١٩٦٣ م ، ونسخة مصورة بالفوتوستات - لندن ، ١٩١٢ م .

السمهودي - نور الدين علي بن عبد الله ، المتوفي سنة ٩١١ هـ .

٢٣٧ - خلاصة الوقفا باخبار دار المصطفى - بولاق ، ١٢٨٥ هـ .

السهروردي - عمر بن محمد بن عبد الله البكري ، المتوفي سنة ٦٣٢ هـ .

٢٣٨ - عوارف المعارف - مصر ، ١٢٩٢ هـ (توجد ترجمة انكليزية للكتاب ، مطبوعة سنة ١٨٩١ م) .

السهيلي - ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الاندلسي ، المتوفي سنة ٥٨١ هـ .

٢٣٩ - الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام - مصر ، ١٩١٤ م ، وبتحقيق عبد

الرحمن الوكيل - مصر ، ١٩٦٧ م .

سومر - مجلة سومر .

٢٤٠ - مقالات لها علاقة بارييل يقلم كل من المرحوم ناجي الاصيل وكوركيس عواد

ويشير فرنسي ، في الاعداد (٣ و ٨ ، ص ٢٢١ و ٢٥٠ على التوالي) وهي

للسنوات ١٩٤٩ و ١٩٥٢ م .

سيد - فؤاد سيد .

- ٢٤١ - فهرس المخطوطات المصورة في الجامعة العربية - القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- ٢٤٢ - فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية (القسم الثاني) - القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- السيرافى - الحسن بن عبد الله ، المتوفى سنة ٣٦٨ هـ .
- ٢٤٣ - اخبار النحويين البصريين - تحقيق كرنكاو - بيروت ، ١٩٣٦ م .
- السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، المتوفى سنة ٩١١ هـ .
- ٢٤٤ - ذيل طبقات الحفاظ - بيروت (بدون تاريخ) .
- ٢٤٥ - الجامع الصغير في احاديث البشير النذير - القاهرة ، ١٣٢١ هـ .
- ٢٤٦ - تفسير الجلالين - دمشق ، ١٣٨٥ هـ .
- ٢٤٧ - بغية الرعاة - طبعة الخانجي - مصر ، ١٣٢٦ هـ ، ويتحقق محمد ابو الفضل ابراهيم . مصر ، ١٩٦٤ م .
- ٢٤٨ - الزهر في علوم اللغة - تحقيق محمد جاد المولى وآخرين - القاهرة (بدون تاريخ) .
- ٢٤٩ - حسن المحاضرة - مصر ، ١٢٩٩ - ١٣٢١ هـ .
- ٢٥٠ - تاريخ الخلفاء (من عهد ابي بكر - رض - الى سنة ٩١١ هـ) - مصر ، ١٣٥١ هـ .
- ٢٥١ - الاتقان في علوم القرآن - مصر ، ١٩٢٥ م .
- ٢٥٢ - لب اللباب (مختصر انساب السمعاني) - تحقيق P.J.NETH - طبعة بريل .
- السيوطى - عبد الرحيم السيوطى الجرجاوى (غير معروف الوفاة) .
- ٢٥٣ - ثالث القمرين على بيتي الرقمتين - مطبعة النيل - مصر ، ١٣٢٥ هـ .
- شاد - محمد بادشاه شاد .
- ٢٥٤ - فريهك انندراج (قاموس فارسي) - طهران ، ١٣٣٥ شمسي (ادرج ضمن المطبوعات العربية لانه بحروف عربية) .

- الشافعي - الامام محمد بن ادريس ، المتوفي سنة ٢٠٤ هـ .
- ٢٥٥ - ديوان الشافعي - تحقيق زهدي يكن - بيروت ، ١٩٦١ م .
- ابو شامة - عبد الرحمن بن اسماعيل ، المتوفي سنة ٦٦٥ هـ .
- ٢٥٦ - كتاب الروضتين - القاهرة ، ١٢٨٧ هـ .
- ٢٥٧ - ذيل الروضتين - تحقيق عزة العطار الحسيني - دمشق ، ١٩٤٧ م .
- ابن الشحنة - ابو الوليد محمد بن محمد بن الشحنة ، المتوفي سنة ٨٩٠ هـ .
- ٢٥٨ - روضة المناظر في اخبار الاولائل والاواخر (مطبوع بهامش الجزئين ١١ و ١٢ من كامل ابن الاثير) بولاق ، ١٣٠٢ هـ .
- ابن شداد - محمد بن علي بن ابراهيم ، المتوفي سنة ٦٨٤ هـ .
- ٢٥٩ - الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة - تحقيق الدكتور سامي الدهان - دمشق ، ١٩٥٦ م .
- ابن شداد - القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدي ، المتوفي سنة ٦٣٢ هـ .
- ٢٦٠ - سيرة صلاح الدين الايوبي - مصر ، ١٣١٧ هـ ، وبتحقيق جمال الشيال - القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- الشعراني - عبد الوهاب بن احمد الانصارى ، المتوفي سنة ٩٧٣ هـ .
- ٢٦١ - الطبقات الكبرى - مصر ١٩٢٥ م .
- الشنطوقي - علي بن يوسف ، المتوفي سنة ٧١٣ هـ .
- ٢٦٢ - بهجة الاسرار - القاهرة ، ١٣٠٤ هـ .
- ابن شهر آشوب - محمد بن علي السروي المارندرائي ، المتوفي سنة ٥٨٨ هـ .
- ٢٦٣ - مناقب آل ابي طالب - النجف ، ١٩٥٦ م .
- الشهرستاني - محمد بن عبد الكريم الشافعي ، المتوفي سنة ٥٤٨ هـ .
- ٢٦٤ - كتاب الملل والنحل - تحقيق احمد فهمي محمد - مصر ، ١٩٤٨ ، ومطبوع

- ايضا في هامش " الفصل " لابن حزم .
- الشيال - الدكتور جمال الدين الشيال .
- ٢٦٥ - اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي - الاسكندرية ، ١٩٦٥ م .
- شيخو - الطران بولس شيخو .
- ٢٦٦ - القيمة التاريخية لتاريخ اربل - مقال في مجلة " النجم " الذي يصدرها بطركية الكلدان بالموصل ، العدد ٨ لسنة ١٩٣٦ م ص ١٠٤ - ١٠٧ و ١٧٥ - ١٨٠ .
- شيخ الربوة - محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي ، المتوفي سنة ٧٢٧ هـ .
- ٢٦٧ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر - تحقيق . M.FRAEHN and M.A.F.MEHREN لينغ ، ١٩٢٢ م .
- ابن الصابوني - محمد بن علي ، المتوفي سنة ٦٨٠ هـ .
- ٢٦٨ - تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقب - تحقيق الدكتور مصطفى جواد - بغداد ، ١٩٥٧ م .
- صاعد بن احمد الاندلسي ، المتوفي سنة ٤٦٢ هـ .
- ٢٦٩ - طبقات الامم - تحقيق لويس شيخو - بيروت ، ١٩١٢ م .
- الصالح - صبحي الصالح .
- ٢٧٠ - علوم الحديث ومصطلحه - بيروت ، ١٩٦٥ م .
- الصائغ - القس سليمان الصائغ .
- ٢٧١ - اربيل عند رأي الآثار فيكتور بلاس - مقال في مجلة " النجم " - العدد ١٣ لسنة ١٩٥٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٤ .
- الصفدي - صلاح الدين خليل بن أيبك ، المتوفي سنة ٧٦٤ هـ .
- ٢٧٢ - الوافي بالوفيات - تحقيق عدد من العلماء - استانبول ودمشق وغيرهما ، ١٩٣١ وما بعدها .

- ٢٧٣ - نكت الهميان في نكت العميان - تحقيق احمد زكي باشا - مصر ، ١٩١١ م .
- الضبي - احمد بن يحيى بن احمد بن عميرة ، المتوفي سنة ٥٩٩ هـ .
- ٢٧٤ - بغية الملتبس - مدريد ، ١٨٨٥ م .
- الطبراني - ميمون بن القاسم ، المتوفي سنة ١٠٣٥ هـ .
- ٢٧٥ - مجموع الاعياد - تحقيق R.STROTHMANA في مجلة "DERISLAM" مج ٢٧ - برلين ١٩٤٦ م .
- الطبري - محمد بن جرير ، المتوفي سنة ٣١٠ هـ .
- ٢٧٦ - تفسير القران الكريم - مصر ، ١٣٢١ هـ .
- ٢٧٧ - تاريخ الطبري - تحقيق دي غوييه - لايدن ، ١٨٨٣ م
- طلس - محمد اسعد طلس .
- ٢٧٨ - الكشف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف - بغداد ، ١٩٥٣ م .
- طليمات - الدكتور عبد القادر احمد طليمات .
- ٢٧٩ - مظفر الدين كوكبوري ، امير اربل - القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ابن الطقطقي - محمد بن علي بن طباطبا ، المتوفي سنة ٧٠٩ هـ .
- ٢٨٠ - الفخرى في الآداب السلطانية - تحقيق H.DERENBOURG - باريس ، ١٨٩٥ م .
- الطهراني - اغايرك محمد محسن ، المتوفي سنة ١٩٧٠ م .
- ٢٨١ - الذريعة الى تصانيف الشيعة - طهران ، ١٩٤٧ م .
- ٢٨٢ - كتاب الانوار الساطعة - بيروت ، ١٩٧٢ م .
- الطهطاوي - احمد رافع الحسيني القاسمي ، المتوفي سنة ١٣٥٥ هـ .
- ٢٨٣ - التنبيه والايقاظ لما في زيول طبقات الحفاظ للذهبي - بيروت (بدون تاريخ) .

الطهطاوى - عبده اسماعيل الطهطاوى .

٢٨٤ - مقال عن " نور الدين زنكي " في مجلة " دعوة الحق " المغربية - عدد

سبتمبر ١٩٧٠ م ص ٨٠ .

الطوسي، - محمد بن محمود المتوفي سنة ٤٦٠ هـ (ويعرف بشيخ الطائفة) .

المبسوط - طهران ، ١٣٨٧ هـ تهذيب الاحكام - طهران ، ١٣٩٠ هـ . النهاية في

مجرد الفقه والفتاوى - بيروت ١٩٧٠ م .

١٨٥ - تفسير النبيان - تحقيق احمد حبيب العاملي - النجف ، ١٩٦٣ م .

ابن طولون - شمس الدين ، محمد بن علي ، المتوفي سنة ٩٥٣ هـ .

٢٨٦ - قضاة دمشق - تحقيق صلاح الدين المنجد - دمشق ، ١٩٥٦ م .

الظاهرية - دار الكتب الظاهرية بدمشق .

٢٨٧ - قهارس المخطوطات - دمشق ، ١٩٤٧ و ١٩٦٢ و ١٩٦٣ و ١٩٦٤ م (وضعها

السادة يوسف العش وعزة حسن وعبد الغني الدقر)

العبادي - ابو عاصم محمد بن احمد ، المتوفي سنة ٤٥٨ هـ .

٢٨٨ - طبقات فقهاء الشافعية - تحقيق GOSTANTTESTAM - لايدن

١٩٦٤ .

عبد الباقي : محمد قواد .

٢٨٩ - تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث

النبيوي - مصر ، ١٩٣٥ م .

ابن عبد البر - يوسف بن عبد الله النمرى القرطبي ، المتوفي سنة ٤٦٣ هـ .

٢٩٠ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب - حيدر اباد ، ١٣١٨ هـ .

عبد الجبار عبد الرحمن .

٢٩١ - دليل المراجع العربية والمعربة - البصرة ، ١٩٧٠ م .

ابن عبد الحق - عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، المتوفي سنة ٧٣٩ هـ .

- ٢٩٢ - مرصد الاطالع في اسماء الاماكن والبقاع -
تحقيق T.G. JUYNBOLL - لايدن ، ١٨٤٢ م .
- ابن عبد الحكم - عبد الله بن عبد الحكم ، المتوفي سنة ٢١٤ هـ .
- ٢٩٣ - سيرة عمر بن عبد العزيز - القاهرة ، ١٩٢٧ م .
- ابن عبد ربه - احمد بن محمد الاندلسي ، المتوفي سنة ٣٢٨ هـ .
- ٢٩٤ - العقد الفريد ، تحقيق احمد امين وآخرين - القاهرة ، ١٩٤٠ (قهارس
الكتاب من اعداد محمد شفيق ، طبعت في كلكتا سنة ١٩٣٥) .
- ابو عبيد - القاسم بن سلام النحوي الهروي ، المتوفي سنة ٢٢٤ هـ .
- ٢٩٥ - كتاب الاجناس - تحقيق امتياز علي الرامقوري - بمباي ، ١٩٣٨ م .
- ٢٩٦ - غريب الحديث - حيدر اباد ، ١٩٦٤ م .
- ابو العتاهية - اسماعيل بن القاسم ، المتوفي سنة ٢١٣ هـ .
- ٢٩٧ - ديوان ابي العتاهية - طبعة صادر - بيروت ، ١٩٦٤ م .
- العتبي - محمد بن عبد الجبار العتبي ، المتوفي سنة ٤٢٧ هـ .
- ٢٩٨ - تاريخ العتبي وشرحه المسمى " الفتح الوهبي " للشيخ المنيني - مصر ،
١٢٨٦ هـ .
- ابن العديم - عمر بن احمد بن هبة الله ، المتوفي سنة ٦٦٦ هـ .
- ٢٩٩ - بغية الطلب في تاريخ حلب - تحقيق الدكتور سامي الدمان - دمشق ، ١٩٥١ .
- ١٩٦٨ م .
- العراق - المجمع العلمي العراقي .
- ٣٠٠ - مجلة المجمع العلمي العراقي
- العراق - الحكومة العراقية - وزارة التخطيط .
- ٣٠١ - المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة ١٩٦٥ - دائرة الاحصاء المركزية
- بغداد ، ١٩٦٦ م .
- العراق - وزارة الداخلية (مديرية تسجيل الاحوال المدنية العامة) .

- ٣٠٢ - دليل التعداد العام لسنة ١٩٦٥ - بغداد ، ١٩٦٥ م .
- العربي - مجلة كوييتية العددان ١٦٧ و ١٩٦ لشهرى تشرين اول ١٩٧٢
- وأذار ١٩٧٥ ص ٨٨ و ص ٧٠ علي التوالي .
- ابن العربي - محمد بن علي بن محمد الطائي ، المتوفي سنة ٦٣٨ هـ .
- ٣٠٣ - كتاب الفناء في المشاهدة - حيدر اباد ، ١٣٦١ هـ .
- عزام - الدكتور محمد عبده عزام .
- ٣٠٤ - شرح التبريزي لديوان ابي تمام - القاهرة ، ١٩٥١ م .
- العزاوى - عباس العزاوى .
- ٣٠٥ - التعريف بالمؤرخين في العراق - بغداد ، ١٩٥٧ م .
- ٣٠٦ - العراق بين احتلالين - بغداد ، ١٩٣٥ م .
- ٣٠٧ - اماره آل بكتكين بارييل - مجلة المجمع العربي بدمشق - اعداد المجلدين ٢١ و ٢٢ لسنتي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ م .
- ابن عساكر - علي بن الحسن الدمشقي ، المتوفي سنة ٥٧١ هـ .
- ٣٠٨ - تاريخ دمشق - تحقيق صلاح الدين المنجد - دمشق ، ١٩٥١ - ١٩٥٤ م ،
- وذيله لابي يعلى حمزة بن القلانسي - بيروت ، ١٩٠٨ م ، و تهذيب تاريخ دمشق
- لابن بدران ، المطبوع بدمشق سنة ١٣٣١ هـ .
- ابو العلا عفيفي .
- ٣٠٩ - مقال " الملامتية والصوفية واهل الفتوة " في مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة - عدد مايو ١٩٤٣ م .
- العماد الاصفهاني - محمد بن محمد بن حامد ، المتوفي سنة ٥٩٧ هـ .
- ٣١٠ - خريدة القصر (قسم العراق - تحقيق محمد بهجة الاثري - بغداد ، ١٩٦٤ .
- ٣١١ - خريدة القصر (قسم الشام) - تحقيق شكري فيصل - دمشق ، ١٩٥٥ -
- ١٩٥٩ م .

- ٣١٢ - خريدة القصر (قسم مصر) - تحقيق احمد امين وآخرين - القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- ٣١٣ - خريدة القصر (قسم المغرب) - تحقيق محمد المرزوقي - تونس ، ١٩٦٦ م ،
، واخرى بتحقيق عمر الدسوقي - القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ٣١٤ - تاريخ دولة سلجوق - مصر ، ١٩٠٠ م .
- ٣١٥ - الفتح القسي في الفتح القدسي - مصر ، ١٣٢١ هـ ، وتحقيق يسق
CARLODE LANOBERG - لايدن ١٨٨٨ م .
- ابن العماد - عبد الحى بن العماد الحنبلى ، المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ .
- ٣١٦ - شذرات الذهب - مصر ، ١٣٥٠ هـ .
- العمري (ابن فضل الله) - احمد بن يحيى ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .
- ٣١٧ - مسالك الابصار في ممالك الامصار - تحقيق احمد زكي باشا - القاهرة ،
١٩٢٤ م .
- ابن عنبه - احمد بن على الحسينى ، المتوفى ٨٢٨ هـ .
- ٣١٨ - عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب - النجف ، ١٩٦١ م .
- ابن عَنِين - محمد بن نصر الدمشقى ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ .
- ٣١٩ - ديوان ابن عنين - تحقيق خليل مردم - دمشق ، ١٩٤٦ م .
- عواد - كوكيس عواد .
- ٣٢٠ - المخطوطات في مكتبة يعقوب سرقيس - بغداد ، ١٩٦٦ م .
- ٣٢١ - المخطوطات التاريخية في مكتبة المتحف العراقي - مجلة " سومر " - مج ١٣
لسنة ١٩٥٧ م .
- ٣٢٢ - خزائن الكتب القديمة في العراق - بغداد ، ١٩٤٨ م .
- ٣٢٣ - بلدان الخلافة الشرقية (الاصل من تأليف لوسترانج ، وقد ترجمه عواد مع
بشير فرنسيس) بغداد ، ١٩٥٤ م .
- العينتابى - سامى اسعد .

- ٣٢٤ - فهرس المطبوعات العربية في مكتبة العينتابي - حلب ، ١٩٦٣ م .
 غالب - اسماعيل غالب .
- ٣٢٥ - موزه همايون ، مسكوكات قديمة اسلامية قتالوغي - استامبول ، ١٣١٢ هـ (ادرج ضمن المطبوعات العربية لانه مطبوع باحرف عربية) .
- الشُّبريني - ابو العباس احمد بن احمد بن عبد الله ، المتوفي سنة ٧١٤ هـ .
- ٣٢٦ - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - تحقيق عادل نويهض - بيروت ، ١٩٦٩ م .
- الغزالي - ابو حامد محمد بن محمد ، المتوفي سنة ٥٠٥ هـ .
- ٣٢٧ - احياء علوم الدين - مصر ، ١٢٨٢ هـ .
- ٣٢٨ - المنقذ من الضلال - دمشق ، ١٩٣٤ م .
- الغلامي - عبد المنعم .
- ٣٢٩ - الانساب والاسر - بغداد ، ١٩٦٥ م .
- ابن فاتك - مبشر بن فاتك ، المتوفي سنة ٤٨٠ هـ (وقيل ٥٠٠ هـ) .
- ٣٣٠ - مختار الحكم ومحاسن الكلم - تحقيق عبد الرحمن بدوي - مدريد ، ١٩٥٨ م .
- ابن الفارض - عمر بن علي المصري ، المتوفي سنة ٦٣٢ هـ .
- ٣٣١ - ديوان ابن الفارض - طبع بالقاهرة باشراف مصطفى سلامة البخاري ، سنة ١٢٧٥ هـ (قام المستشرق البريطاني المعروف آربري بترجمة بعض قصائد ابن الفارض الى الانكليزية وقد طبعت بلندن سنة ١٩٥٢ م) .
- الفارقي - احمد بن يوسف بن علي بن الازرق ، المتوفي في اواخر القرن السادس الهجري .
- ٣٣٢ - تاريخ ميافارقين وآمد (تاريخ الفارقي) - تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض - القاهرة ، ١٩٥٩ م .

- الفقاسى - تقي الدين محمد بن احمد بن اسماعيل المكي ، المتوفي سنة ٨٣٢ هـ .
- ٣٣٣ - العقد الثمين في تاريخ البلد الامين - القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- ٣٣٤ - منتخب المختار في علماء بغداد والواردين اليها المذيل على تاريخ بغداد / ابن النجار (الاصل تأليف ابن رافع السلامي ، ومختصره للفاقي) - تحقيق ع. س. العزاوي - بغداد ، ١٩٣٨ م .
- فان دايك - ادورد ، المتوفي سنة ١٨٩٣ م .
- ٣٣٥ - اكتفاء القنوع بما هو مطبوع - مصر ، ١٨٩٧ م ..
- الفتح بن خاقان ، المتوفي سنة ٥٣٠ هـ .
- ٣٣٦ - قلائد العقيان في محاسن الاعيان - تحقيق محمد العناني - من . ، ١٩٦٦ م .
- ابو الفداء - الملك المؤيد اسماعيل بن علي ، صاحب حماة ، المتوفي سنة ٧٣٢ هـ .
- ٣٣٧ - كتاب المختصر في اخبار البشر - مصر (بدون تاريخ) ، وطبعة اوربية - تحقيق I. REISKII .
- ٣٣٨ - تقويم البلدان - تحقيق CHARLES SCHIER - درسدن ، ١٨٤٦
- واخرى بتحقيق دي سلين - باريس سنة ١٨٤٠ م .
- ابن الفرات - محمد بن عبد الرحيم ، المتوفي سنة ٨٠٧ هـ .
- ٣٣٩ - تاريخ ابن الفرات - المجلد التاسع بتحقيق الدكتور قسطنطين زريق - بيروت ، ١٩٣٦ م ، والمجلد الخامس بتحقيق حسن الشماع - البصرة ، ١٩٧٠ م (المطبوع هو الجزء الاول من كلا المجلدين) .
- ابو الفرج الاصبهاني - علي بن الحسين ، المتوفي ٣٥٦ هـ .
- ٣٤٠ - كتاب الاغاني -- طبعة بولاق ، وطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٨ م ، و « مهذب الاغاني » ل محمد الخضري ، طبعة القاهرة . (اما فهرس « الاغاني » فهي من اعداد المستشرق غويدي) .

- ٣٤١ - مقاتل الطالبيين - تحقيق احمد صقر ، القاهرة - ١٩٤٩ م .
- ابن الفقيه - احمد بن محمد الهمذاني ، المتوفي سنة ٣٦٥ هـ .
- ٣٤٢ - كتاب البلدان - تحقيق دي غوييه - لايدان ، ١٨٨٥ م .
- ابن الفوطى - عبد الرزاق بن احمد الشيبانى ، المتوفي سنة ٧٢٣ هـ .
- ٣٤٣ - تلخيص معجم الالقباب - تحقيق الدكتور مصطفى جواد - دمشق ، ١٩٦٢ - ١٩٦٧ م .
- ٣٤٤ - الحوادث الجامعة - تحقيق الدكتور مصطفى جواد - بغداد ، ١٣٥١ هـ (علما بان المحقق يميل الى نسبة هذا الكتاب الى مؤلف آخر غير ابن الفوطى ، لاسباب رأها بعد النشر) .
- الفيومى - احمد بن محمد بن على الفيومى ، المتوفي سنة ٧٧٠ هـ .
- ٣٤٥ - المصباح المنير (معجم) - مصر ، ١٣١٢ هـ .
- القاري - على بن محمد المعروف بملا على القاري ، المتوفي سنة ١٠١٤ هـ .
- « كتاب الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة » . تحقيق محمد الصباغ بيروت ١٩٧١ م .
- ابن قتيبة الدينورى - عبد الله بن مسلم ، المتوفي سنة ٢٧٦ هـ .
- ٣٤٦ - كتاب المعارف - مصر ، ١٩٣٤ م .
- ابن قدامة - عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة ، المتوفي سنة ٦٢٠ هـ .
- ٣٤٧ - المغني - تحقيق محمد رشيد رضا - مصر ، ١٣٦٧ هـ (كتاب فقه) .
- القرشى - عبد القادر بن ابي الوفاء محمد المصرى ، المتوفي سنة ٧٧٥ هـ .
- ٣٤٨ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية - حيدر اباد ، ١٣٣٢ هـ .
- القرطبى - محمد بن احمد الانصارى ، المتوفي سنة ٦٧١ هـ .
- ٣٤٩ - الجامع لاحكام القرآن (تفسير) - مصر ، ١٩٣٩ م .
- القزاز - الأنسة وداد على .
- ٣٥٠ - مقال صغير في وصف بقايا " المنارة المظفرية " بباربل - مجلة " سومر " مج

١٦ لسنة ١٩٦٠ م ص ١٢٧ .

القزويني - زكريا بن محمد بن محمود ، المتوفي سنة ٦٨٢ هـ .

٣٥١ - اثار البلاد واخبار العباد - تحقيق وستفيلد - كوتنكن ، ١٨٤٩ م .

القطامي - عمير بن شبيب التغلبي ، المتوفي سنة ١٣٠ هـ .

٣٥٢ - ديوان القطامي - تحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب -

بيروت ، ١٩٦٠ م .

ابن قطلوبغا - زين الدين قاسم بن قطلوبغا ، المتوفي سنة ٨٧٩ هـ .

٣٥٣ - تاج التراجم في طبقات الحنفية - بغداد ، ١٩٦٢ م .

القفطي - علي بن يوسف ، المتوفي سنة ٦٤٦ هـ .

٣٥٤ - المحمدون من الشعراء - تحقيق حسن معمرى - بيروت ، ١٩٧٠ م .

٣٥٥ - انباه الرواة على انباه النحاة - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - القاهرة ،

١٩٥٠ م .

٣٥٦ - تاريخ الحكماء (اخبار العلماء باخبار الحكماء) - طبعة مصر سنة ١٢٢٦ هـ ،

واخرى بتحقيق JULUSLIPPERT طبعت في ليبزغ - ١٩٠٣ م .

القلانسي - ابو يعلى حمزة بن اسد ، المتوفي سنة ٥٥٥ هـ .

٣٥٧ - ذيل تاريخ دمشق - بيروت ، ١٩٠٨ م .

القلقشندي - ابو العباس احمد بن علي ، المتوفي سنة ٨٢١ هـ .

٣٥٨ - صبح الاعشى - طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٢٢ م .

٣٥٩ - نهاية الارب في معرفة انساب العرب - تحقيق علي الخاقاني - بغداد ،

١٩٥٨ م ، واخرى بتحقيق ابراهيم الابياري - القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٣٦٠ - قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان - تحقيق ابراهيم الابياري -

القاهرة ، ١٩٦٣ م .

ابن قنفذ القسنطيني - احمد بن حسن بن علي الخطيب ، المتوفي سنة

٨٠٩ هـ .

- ٣٦١ - كتاب الوفيات - تحقيق عادل نويهض - بيروت ، ١٩٧١ م .
- ابن قديم الجوزية - محمد بن ابي بكر الزرعى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ (اختلافاً ناشر ، زاد المعاد ، فسماه محمد بن بكر) .
- ٣٦٢ - زاد المعاد - مصر (بدون تاريخ) .
- ٣٦٣ - اخبار النساء - بيروت (بدون تاريخ) .
- الكتانى - محمد بن جعفر ، المتوفى سنة ١٣٤٥ هـ .
- ٣٦٤ - الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة - كراجي ، ١٩٦٠ م ، لها طبعة اخرى في بيروت .
- الكتبى - محمد بن شاكر ، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ .
- ٣٦٥ - قوات الوفيات - تحقيق محمد محيي عبد الحميد - مصر (بدون تاريخ) ، وطبعة اخرى ببولاق ، ١٢٩٩ هـ .
- كثير عزة - كثير بن عبد الرحمن الخزاعى ، المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
- ٣٦٦ - شرح ديوان كثير - تحقيق هنري بيرص - الجزائر وباريس ، ١٩٢٨ م .
- ابن كثير - اسماعيل بن عمر القرشى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .
- ٣٦٧ - شمائل الرسول (ﷺ) - تحقيق مصطفى عبد الواحد - القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- ٣٦٨ - البداية والنهاية (التاريخ) - طبعة مصر ، ١٩٣٢ م .
- كحالة - عمر رضا كحالة .
- ٣٦٩ - معجم المؤلفين - دمشق ، ١٩٥٧ م .
- ٣٧٠ - معجم القبائل - دمشق ، ١٩٤٩ م .
- ٣٧١ - جغرافية جزيرة العرب - دمشق ، ١٩٤٥ م .
- الكردى - محمد بن سليمان المدنى ، المتوفى سنة ١١٩٤ م .
- ٣٧٢ - الحواشي المدنية في الفقه الشافعي - مصر ، ١٣٠٣ هـ .
- الكلينى - محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٣٢٩ هـ - الكافى - النجف ، ٣٩١ هـ .
- لبيد بن ربيعة ، المتوفى سنة ٤١ هـ .

- ٣٧٣ - ديوان لبيد - تحقيق الدكتور احسان عباس - الكويت ، ١٩٦٢ م .
- الكنوى - محمد عبد الحى بن محمد ، المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ .
- ٣٧٤ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية - مصر ، ١٢٢٤ هـ .
- الماتريدى - محمد بن محمد بن محمود السمرقندى ، المتوفي سنة ٣٣٣ هـ .
- ٣٧٥ - كتاب التوحيد - تحقيق فتح الله خليف - بيروت ، ١٩٧٠ م .
- ابن ماجه - محمد بن يزيد القزوينى ، المتوفي سنة ٢٧٥ هـ .
- ٣٧٦ - السنن - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مصر ، ١٩٥٢ م .
- ابن ماكولا - علي بن هبة الله ، المتوفي سنة ٤٧٥ هـ .
- ٣٧٧ - الاكمال - تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني - حيدر اباد ، ١٩٦٢ م .
- مالك بن انس الاصبهى (الامام) ، المتوفي سنة ١٧٩ هـ .
- ٣٧٨ - الموطأ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مصر ، ١٩٥١ م .
- المامقانى - الحاج عبد الله بن محمد حسن ، المتوفي سنة ١٣٥١ هـ .
- ٣٧٩ - تنقيح المقال في احوال الرجال - النجف ، ١٣٥٠ هـ .
- المبرد - محمد بن يزيد الازدى ، المتوفي سنة ٢٨٦ هـ .
- ٣٨٠ - الكامل - تحقيق رايت - ليبزغ ، ١٨٨٢ م .
- الملقى الهندى - على بن حسام الدين ، المتوفي سنة ٩٧٥ هـ .
- ٢٨١ - كنز العمال في سنن الاقوال والافعال - حيدر اباد ، ١٩٤٥ م ، وطبعة اخرى في بولاق بهامش « مسند » احمد بن حنبل ، و « منتخب كنز العمال » مطبوع ايضا في هامش « المسند » المذكور ، سنة ١٣١٣ هـ .
- المتنبى - احمد بن الحسين الجعفى ، المتوفي سنة ٣٥٤ هـ .
- ٢٨٢ - ديوان المتنبى - طبعة كلكتا ، ١٢٣٠ هـ .
- المجلسى - محمد باقر ، المتوفي سنة ١١١١ هـ .
- ٢٨٣ - بحار الانوار - طهران ، ١٣٧٦ - ١٣٩٢ هـ .
- مجنون ليلى - قيس بن الملوح ، المتوفي سنة ٦٨ هـ .

٣٨٤ - ديوان مجنون ليلى - جمع ابي بكر الالباني - مصر ، ١٢٩٤ و ٢٣٠١ هـ
١٩٣٩ م ، وطبعة رابعة بتحقيق عبد الستار احمد فراج ، طبعت بمصر ايضا
(بدون تاريخ) .

محمد بن سليمان

٣٨٥ - جمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد - تحقيق عبد الله هاشم
اليمني المدني - المدينة المنورة ، ١٩٦١ م .
محمد بن عبد الله بن خليل (تاريخ وقاته غير معروف) .
٣٨٦ - اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلى (الاصل لابن سعيد الاندلسي) -
تحقيق ابراهيم الابياري - القاهرة ١٩٥٩ م .
ابن مخرمة - عبد الله بن الطيب بن عبد الله ، المتوفي سنة ٩٥٧ هـ (ابا
مخرمة) .

٣٨٧ - تاريخ ثغر عدن (مع نخب من تواريخ اخرى) - تحقيق
LOFGREN OSCAR - لايدن ، ١٩٣٦ م .
مريد - المكتبة الوطنية .

٣٨٨ - فهرس المخطوطات العربية - مريد ، ١٨٨٩ م .
الراكشي - محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي ، المتوفي سنة
٧٠٣ هـ .

٣٨٩ - الذيل والتكملة - تحقيق الدكتور احسان عباس - بيروت ، ١٩٦٥ م .
المرزباني - محمد بن عمران ، المتوفي سنة ٣٨٤ هـ .
٣٩٠ - معجم الشعراء - تحقيق كرنكو - القاهرة (بدون تاريخ) ، وتحقيق عبد
الستار فراج - مصر ، ١٩٦٠ م .

الزبي - يوسف بن الزكي المزني ، المتوفي سنة ٧٤٢ هـ .
٣٩١ - فتح الاشراف بمعرفة الاطراف (انظر المرجع ١٢٣ أعلاه) - تحقيق عبد
الصمد شرف الدين - بومبي ، ١٩٦٥ م (للمحقق كتاب " الكشف عن ابواب
مراجع فتح الاشراف " - بومبي ، ١٩٦٦) .

- مسلم بن الحجاج القشيري ، المتوفي سنة ٢٦١ هـ .
- ٣٩٢ - الجامع الصحيح - استانبول ، ١٣٢٩ هـ .
- مصر - دار الكتب المصرية .
- ٣٩٣ - فهرس الكتب العربية الواردة للدار - القاهرة ، ١٩٤٢ م .
- ٣٩٤ - فهرس مخطوطات مصطلح الحديث للدار - القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- ٣٩٥ - فهرس المخطوطات بدار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٦١ - ١٩٦٣ م .
- معروف - بشار عواد معروف .
- ٣٩٦ - المنذري وكتابه التكملة - النجف ، ١٩٦٨ م .
- ٣٩٧ - مقال عن « كتب الوفيات وأهميتها في دراسة التاريخ الاسلامي » - مجلة كلية الدراسات الاسلامية ببغداد .
- معروف - الدكتور ناجي معروف .
- ٣٩٨ - علماء المستنصرية - بغداد ، ١٩٥٩ م .
- المعري احمد بن عبد الله التنوخي ، المتوفي سنة ٤٤٩ هـ .
- ٣٩٩ - لزوم مالايلزم - تحقيق امين عبد العزيز - مصر ، ١٩١٥ م .
- المغربى - احمد بن خالد الناصرى السلاوى ، المتوفي سنة ١٣١٥ هـ .
- ٤٠٠ - الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى - الدار البيضاء ، ١٩٥٤ م .
- المفضل بن محمد الضبى ، المتوفي سنة ١٦٨ هـ .
- ٤٠١ - المفضليات - تحقيق لـ LYAL - بيروت ، ١٩٢٠ م .
- المقدسى - انيس المقدسى .
- ٤٠٢ - امراء الشعر في العصر العباسي - بيروت ، ١٩٥٣ م .
- المقرئ - احمد بن محمد بن احمد التلمسانى المالكى ، المتوفي سنة ١٠٤١ هـ .
- ٤٠٣ - نفع الطيب - تحقيق لوزي - لابدن ، ١٨٥٥ م ، ويتحقق محمد محيي عبد الحميد سنة ١٩٤٩ م ، وطبعة بولاق ١٢٧٩ هـ ، وطبعة مصر ، ١٣٠٢ هـ .
- المقريزى - احمد بن على الحسينى ، المتوفي سنة ٨٤٥ هـ .

- ٤٠٤ - كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطا والآثار - بإشراف WIET - القاهرة ، ١٩١٣ م ، وطبعة بولاق (بدون تاريخ) .
- ٤٠٥ - كتاب السلوك - تحقيق محمد مصطفى زيادة - مصر ، ١٩٣٤ م .
- المكي - تقي الدين محمد بن فهد ، المتوفي سنة ٨٧١ هـ .
- ٤٠٦ -- لحظ اللاحاظ بذيل طبقات الحفاظ للذهبي - تحقيق الكوثري - بيروت (بدون تاريخ) .
- الخواوي - عبد الرؤوف الخاوي ، المتوفي سنة ١٠٢٩ هـ .
- ٤٠٧ - كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق - القاهرة ، ١٣٢١ هـ (مطبوع بهامش الجامع الصغير للسيوطي) .
- ٤٠٨ - الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية - القاهرة ، ١٩٣٨ م .
- المنجد - الدكتور صلاح الدين .
- ٤٠٩ - اعلام التاريخ والجغرافية - بيروت ، ١٩٥٩ م .
- المنذري - عبد العظيم بن عبد القوى ، المتوفي سنة ٦٥٦ هـ .
- ٤١٠ - التكملة لوفيات النقلة - تحقيق بشار عواد معروف - النجف ، ١٩٦٨ م .
- ٤١١ - مختصر صحيح مسلم - تحقيق « محمد ناصر الدين الالباني » - الكويت ، ١٩٦٩ م .
- منصور - عبد الحفيظ منصور .
- ٤١٢ - فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس - بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ابن منظور - محمد بن مكرم ، المتوفي سنة ٧١١ هـ .
- ٤١٣ - معجم لسان العرب - بيروت ، ١٩٥٥ م .
- ابن منقذ - اسامة بن مرشد الكنانى ، المتوفي سنة ٥٨٤ هـ .
- ٤١٤ - كتاب الاعتبار - تحقيق هارتويغ ديرينبرغ - لايدن ، ١٨٨٤ م ، وطبعة فيليب حتي ، اميركا ، ١٩٣٠ م .

- ٤١٥ - المنازل والديار - تحقيق انس خالدوف - موسكو ، ١٩٦١ م .
- الميداني - احمد بن محمد بن احمد النيسابوري ، المتوفي سنة ٥١٨ هـ .
- ٤١٦ - مجمع الامثال - تحقيق محمد محيي عبد الحميد - مصر ، ١٩٥٩ م ، وطبع
اخرى بمصر ، ١٣١٠ هـ .
- الضايفه الذبياني - زياد بن معاوية ، المتوفي سنة ١٨ قبل الهجرة .
- ٤١٧ - ديوان النابغة - تحقيق R.FESTSCHRIFF - سان بطرسبرغ ، ١٨٩٧ م ،
وبتحقيق دير ينبرغ - باريس ، ١٨٩٩ م .
- النايلسي - محمد بن عبد القادر ، المتوفي سنة ٧٩٧ هـ .
- ٤١٨ - مختصر طبقات الحنابلة لمحمد بن ابي يعلى الفراء - تحقيق احمد سبيح -
دمشق ، ١٣٥٠ هـ .
- ابن ناquia البغدادي - عبد الله بن محمد بن الحسين ، المتوفي سنة ٤٨٥ هـ .
- ٤١٩ - الجمان في تشبيهات القرآن - تحقيق عدنان محمد زرزور وزميله - الكويت
١٩٦٨ م .
- النجف - مكتبة آية الله الحكيم العامة ..
- ٤٢٠ - فهرس نواذر المخطوطات في المكتبة - الحلقة الاولى - النجف ، ١٩٦٢ م .
- ابن النديم - محمد بن اسحق ، المتوفي سنة ٣٨٥ هـ .
- ٤٢١ - كتاب الفهرست - مصر ، ١٣٤٨ هـ ، له ترجمة بالانكليزية قام بها الدكتور
بيارد دودج .
- النسائي - احمد بن شعيب ، المتوفي سنة ٣٠٣ هـ .
- ٤٢٢ - السنن - شرح السيوطي - القاهرة ، ١٩٣٠ م .
- النسوي - محمد بن احمد المنشيء ، المتوفي سنة ٦٣٩ هـ .
- ٤٢٣ - سيرة جلال الدين منكوبرتي - تحقيق هوداس - باريس ، ١٨٩٩ م . النشر
- على سامي .
- ٤٢٤ - فهرس مخطوطات المسجد الاحمدي بطنطا - الاسكندرية ، ١٩٦٤ م .

- ابو نعيم - احمد بن عبد الله الاصبهاني ، المتوفي سنة ٤٣٠ هـ .
- ٤٢٥ - ذكر اخبار اصبهان - لايدن ، ١٩٣١ م .
- ٤٢٦ - حلية الاولياء - مصر ، ١٩٣٢ م .
- ٤٢٧ - مختصر الصفوة لابن الجوزي - مصر ، ١٣٣٩ هـ .
- النعيمي - عبد القادر بن محمد ، المتوفي سنة ٩٢٧ هـ .
- ٤٢٨ - الدارس في تاريخ المدارس - تحقيق جعفر الحسني - دمشق ، ١٩٤٨ م .
- النقشبندی - السيد ناصر .
- ٤٢٩ - الدينار الاسلامي في المتحف العراقي - بغداد ، ١٩٥٣ م .
- النهر والى - قطب الدين محمد بن احمد المكي ، مفتي الحرمين المتوفي سنة ٩٩٨ هـ .
- ٤٣٠ - الاعلام باعلام بلد الله الحرام - تحقيق وستفيلد - ليبزغ ، ١٨٥٧ م ،
واخرى طبعت بمصر ، ١٣٠٣ هـ .
- النووى - محيى الدين يحيى بن شرف ، المتوفي سنة ٦٧٦ هـ .
- ٤٣١ - شرح صحيح مسلم - القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٣٠ م .
- ٤٣٢ - تهذيب الاسماء واللغات - مصر (بدون تاريخ) .
- النويرى - احمد بن عبد الوهاب ، المتوفي سنة ٧٣٣ هـ .
- ٤٣٣ - نهاية الارب في فنون الادب - القاهرة ، ١٩٣١ م .
- هارون - عبد السلام هارون .
- ٤٣٤ - تهذيب سيرة ابن هشام - القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- الهاشمى - طه الهاشمى
- ٤٣٥ - مفصل جغرافية العراق - بغداد ، ١٩٣٠ م .
- ابن هانى الاندلسى - محمد بن هانى ، المتوفي سنة ٣٦٢ هـ .
- ٤٣٦ - ديوان ابن هاني - بيروت ، ١٩٦٤ م .
- الهجویری - على بن عثمان الجالبي ، المتوفي سنة ٤٦٥ هـ .

- ٤٣٧ - كشف المحجوب (ترجمة نيكلسون من الفارسية الى الانكليزية) لايدن ،
١٩١١ م ، وبالفارسية طبعتان ، احدهما في لنغراد ، ١٩٢٦ م ، والاخرى سنة
١٣٣٠ هـ (المكان غير معروف) .
- الهروى - على بن ابي بكر الموصلى ، المتوفى سنة ٦١١ هـ .
- ٤٣٨ - كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات - تحقيق _ J SOURDEL
THOMINE - دمشق ، ١٩٥٣ (له ترجمة فرنسية) .
- ٤٣٩ - التذكرة الهروية (مايتعلق بالخطب الهروية) - تحقيق مطيع الم رابط -
دمشق ، ١٩٧٢ م .
- ابن هشام - عبد الملك بن هشام الحميرى ، المتوفى سنة ٢١٨ هـ .
- ٤٤٠ - السيرة النبوية - تحقيق وستنفيلد - كوتنكن ، ١٨٥٩ م ، وتحقيق مصطفى
السقا وآخرين - القاهرة ، ١٩٣٦ و ١٩٥٥ م .
- الهيتمى - الشهاب احمد بن حجر المكى الشافعى ، المتوفى سنة ٩٧٤ هـ .
- ٤٤١ - الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة - القاهرة ، ١٣١٥ هـ .
- ٤٤٢ - تطهير الجنان واللسان (في النهي عن ثلب معاوية بن ابي سفيان ، وهو
مطبوع بذيال الكتاب السابق) .
- ابن واصل - جمال الدين محمد بن سالم ، المتوفى سنة ٦٩٧ هـ .
- ٤٤٣ - مفرج الكرب - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- الواقدي - محمد بن عمر بن واقد ، المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .
- ٤٤٤ - كتاب المغازي - تحقيق م . جونز - طبعة اوكسفورد ، ١٩٦٦ م .
- الوواء الدمشقى - محمد بن احمد الغسانى ، المتوفى ٣٧٨ هـ .
- ٤٤٥ - ديوان شعره - تحقيق الدكتور سامى الدهان - دمشق ، ١٩٥٠ ، واخرى
طبعة اوربا .
- ابن الوردى - عمر بن مظفر ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ .

- ٤٤٦ - تنمة المختصر في اخبار البشر - تحقيق احمد رفعت البدرابي - بيروت ، ١٩٧٠ م .
- وكيع - محمد بن خلف بن حيان ، المتوفي سنة ٣٦ هـ .
- ٤٤٧ - اخبار القضاة - تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي - مصر ، ١٩٤٧ م .
- اليافعي - عبد الله بن اسعد بن علي ، المتوفي سنة ٧٦٨ هـ .
- ٤٤٨ - مرآة الجنان - حيدر اباد ، ١٣٣٨ هـ .
- ياقوت الحموي - ياقوت بن عبد الله ، المتوفي سنة ٦٢٦ هـ .
- ٤٤٩ - المشترك وضعا والمفترق صقعا - طبعة كوتنكن ، ١٨٤٦ م .
- ٤٥٠ - معجم البلدان - تحقيق وستنفيلد - ليبزغ ، ١٨٦٦ م ، واخرى طبعة مصر ، ١٩٠٦ م .
- ٤٥١ - معجم الادباء - تحقيق مرغوليوث - مصر ، ١٩٢٣ م ، واخرى طبعة وزارة المعارف المصرية - القاهرة ، ١٩٣٨ م .
- اليعقوبي - احمد بن اسحق بن واضح ، المتوفي سنة ٢٩٢ هـ .
- ٤٥٢ - كتاب البلدان - تحقيق دي غوييه - لايدن ، ١٨٩٢ م .
- ابن ابي يعلى - محمد بن ابي يعلى بن الفراء ، المتوفي سنة ٥٢٦ هـ .
- ٤٥٣ - طبقات الحنابلة - تحقيق محمد حامد الفقي - القاهرة ، ١٩٥٢ م (انظر مختصره للنابلسي برقم ٤١٨ أعلاه) .
- اليغموري - يوسف بن احمد الدمشقي ، المتوفي سنة ٦٧٣ هـ .
- ٤٥٤ - نور القبس المختصر من المقتبس في اخبار النحاة والادباء والشعراء والعلماء للمرزباني - تحقيق VON RUDOLF SELLHEIM - طبع ويسبادن ، ١٩٦٤ م .
- اليونيني - قطب الدين موسي بن محمد بن احمد البعلبكي الحنبلي ، المتوفي سنة ٧٢٦ هـ .
- ٤٥٥ - ذيل مرآة الزمان - حيدر اباد ، ١٩٥٤ م .

ثالثا - المطبوعات الاجنبية .

- AHMAD, M. HILMY M.
Some Notes on Arabic Historiography During the Zengid and Ayyubid Period (521 - 648 - 1127 - 1250) P P. 79 - 97.
- 456 - AINSWORTH, W.F.
Traveland Researches in Asia Minor , Mesopotamia Chaldis and Armenia , London (m.d.)
- 457 - AINSWORTH, W.F.
Researches in Assyria, Babylonia and chaldis London (m.d.)
- 458 - ALTAMIRA, R.
A History of Spain, New York 1918
- 459 - AMARI, M.
STORIA DEI MUSULMAN DI SICILIA, catania 1938
- 460 - AMELINEAU, E.
La Geographie De l'Egypte Paris 1892.
- 461 - ARBERRY, A. J.
Handlist of the Arabic Mss in the Chester Beatly library, Dublin 1962
- 462 - ARBERRY, A. J.
A Second Supp. of Handlist of Muhammadan M.S.S. in Cambridge University Library Cambridge 1952.
- 463 - BELCT, Jean - Baptiste
Dictionnaire Français - Arabe, Beyrouth 1952
- 464 - BENJAMIN DE TUDELA
VIAJE DE BENJAMIN DE TUDELA, Madrid 1918
- 465 - BENJAMIN DE TUDELA
The Itinerary of Benjamin of tudela, by M.N. Adler, London 1907
- 466 - BERLIN
DIE HANSCHRIFTEN VERZEICHNISSE DER KÖNIGLICHEN BIBLIOTHEK ZU BERLIN, 1899
- 467 - BERTRAND, L.
The History of Spain, London 1969
- 468 - BOWEN, H.
Life and Time of Ali. ibn Isa, cambridge, 1928
- 469 - BROWNE, E.G.
Handlist of the Muhammadan Mss in Cambridge University Library, Cambridge 1900 and 1922.

- 470 - BROCKLMAN, C. GESCHICHTE DER ARABISCHEN
LITTERATUR LEIDEN 1898.
- 471 - BUCKINGHAM, J.S. Travels in Mesopotamia, London
1827.
- 472 - BUCKINGHAM, J.S. Travels in Assyria, Media and Persia
London 1830.
- 473 - CAHEN, CL. BEGTEGINIDS, Encyl Islam, ed
1960 (1,1160).
- 474 - CLAUSON, Sir Gerard An Etymological Dictionary Ox-
ford 1972.
- 475 - DE GOEJE Catalogue of Leiden Library, Leiden
1907.
- 476 - DOZY, R. History of Moslems in Spain, Lon-
don 1913.
- 477 - DOZY, R. NOMS DES VETEMENTS,
Amsterdam 1845.
- 478 - DOZY, R. Supplement etc Leiden 1927.
- 479 - EDHEM. I.G. Catalogue des Monnaies Turco-
manes, Muséx Imperial Uttoman, Bo-
logna 1965.
- 480 - EGYPT Liste des Provinces, villes et villag-
es d'Egypte, published by Institute
Francais d'Archeologie Orientale, du
caire 1919.
- 481 - ELLIS, A.G. C'at. Arabic Books in the British
Museum, London 1894, 1901 and
1935.
- 482 - ELLIS, A.G. Supl. c'at Arabic Books in the Brit-
ish Museum, London, 1926.
- 483 - EN - BR. Arbila, Encyl. Brit. ed 11th, Vol II,
323
- 484 - FIEY, J.M. Assyries Chrétienne, Beirut 1965 -
1968.
- 485 - FIEY, J.M. Mossul Chrétienne, Beirut 1960.
- 486 - FLUGEL, G CONCORD ANTIAE, CORANI
ARABICAE, LIPSLIAE 1898.

- 487 - FOULTON, A.S. Supl. Cat. Arabic books in the British Museum, London, 1959.
- 488 - FRASER, J.B. Mesopotamia and Assyria, Edinburgh 1841.
- 489 - FUCHS, H. MAWLID, Encyl. ISLAM ed. 1936, III, 419 - 422.
- 490 - GIBB, Sir Hamilton Islamic Biographical Literature, Historians of the Middle East p.p. 54 - 68. London 1962.
- 491 - GRENVILLE, G.S.P. FREEMA The Muslim and Christian Calendars, London 1963.
- 492 - GUIDI, I. Tables Alphabetiques du Kitab al - Aghani, Leiden 1895.
- 493 - GUILLAUME, A. The Traditions of Islam (Hadith Literature), Oxford. 1924.
- 494 - HARTMANN, R. Erbil, Encyl. Islam (ed. 1927) vol 2.28
- 495 - HARTMANN, R. Malamatiyya, Der Islam, vol 8, April 1918
- 496 - HAUSSLEITER, H. Register Zum Qoran kommentor Des Tabari, strasburg 1912.
- 497 - HEER, F.J. JAQUT GEOGRAPHISCHEN WERTERBUCH, Strasburg 1898.
- 498 - LANE, E.W. Arabic- English Lexicon, London 1863 - 1893.
- 499 - LANE - POOLE, S. The Turkmen Houses etc. London 1877.
- 500 - LANE - POOLE, S. Mohammadan Dynasties, Westminster 1893
- 501 - LATRIE, M.le CTE. DEMAS Trésor de chronologie, Paris 1889
- 502 - LE STRANGE, G. Baghdad during the Abbassid Caliphate, oxford 1924.
- 503 - LE STRANGE, G. The lands of Eastern Caliphate, Cambridge 1930.
- 504 - LE STRANGE, G. Palestine under the Moslems, London 1890.

- 505 - MADRID CATALOGO Des lesMss. Arabes, Biblioteca Nacional de Madrid, Madrid 1889.
- 506 - MASSIGNON, L. RECUEIL de Textes CONCERNANT L'Histoire de la Mystique en Pays D'Islam, Paris 1920.
- 507 - GORIAWALA, MUIZZ Catalogue of FYZEE collection of Islamic Mss, Bombay 1969.
- 508 - NAINAR, Muhd. Indian Geographers, Madras 1942.
- 509 - NICOLL, A. Catalogue of Mss. in the Bodleian Library, Oxford 1787.
- 510 - OKUTAN, AHMET Catalogue, Kayseri Umumi KUTUBHANESI, Istanbul 1964.
- PEARSON, J.N. Index Islamicus, London 1958 - 1972
- 511 - PENRICE, J. Dictionary and Glossary of the Koran, London 1971.
- 512 - REDHOUSE. NEW REDHOUSE Turkish - English Dictionary Istanbul 1968.
- 513 - RICH, C.J. Narratives in Koordination, London 1836.
- 514 - ROSENTHAL, Franz A History of Muslim Historiography, Leiden 1952
- 515 - RECUIL Des Historiens Des croisides, Paris 1872 - 1906
- 516 - SAUVAGET, J. La Mosquée Omayyade de Médine, Paris 1947.
- 517 - SEZGIN, FUAT GESCHICHTE DES ARABISHIN SCHRIFTTUMS, Leiden 1967
- 518 - STRECK, M. Irbil, Encycl - Islam (II, 521 - 523) ed 1927
- 519 - WENSINCK, A.J. CONCORDANCE et INDICES de la Tradition Musulman, Leiden 1935.
- 520 - WETZSTEIN J. G. Catalog Arabischen Mss. in Damascus, Berlin 1863

521 - WRIGHT, W.

A Grammer of Arabic Language,
London 1875.

522 - WOSTENFELD, F.

ABHANDLUNGEN Der
KONIGLICHEN GESLLSCHAFT
Der WISSENSCHAFTZUGÖTT-
INGEN, Vol 28, 1882 P.P. 119 - 120.

523 - ZAMBAUR, E.V.

Manuel de Geneslogie et de chronol-
ogie pour L'Histoire de L'Islam, Hu.

524 - ZAMBAUR, E.V.

Die MUNZPAAGUNGEN des Is-
lam, WIESBADEN 1968.

فهرس الصور واللوحات

- ١- الشكل رقم - ١ ، خريطة المنطقة الشمالية في العراق (نقلا عن مجلة "سومر" العدد ٩ لسنة ١٩٥٣ ص ١٠) .
- ٢- الشكل رقم ٢ ، خريطة اقليم حدياب ، (وهو الاقليم الذي تقع فيه مدينة اربل)
الخريطتان منقولتان من كتاب " البلاد الآشورية المسيحية " وهو باللغة الفرنسية ،
تأليف FIEY ج ١ ص ٩ و ٤٠ .
- ٣- الشكل رقم - ٢ مكرر خريطة اقليم حدياب والمناطق المجاورة له) .
- ٤- الشكل رقم - ٣ ، صورة المنارة المظفرية باربيل (نقلا عن مجلة " سومر " العدد ١٦ لسنة ١٩٦٠) .
- ٥- الشكل رقم - ٤ ، نماذج من خط ابن المستوفي (نقلا عن مخطوطة " ديوان القطامي " - انظر « اعلام الزركلي » اللوحتين المرقمتين ٨٩٧ و ٨٩٨) .
- ٦- الشكل رقم - ٥ ، صفحة الغلاف لمخطوطة « تاريخ اربل »
- ٧ - الشكل رقم - ٦ ، الصفحة الاولى (ورقة ١ - ب) من المخطوطة ، وهي الورقة المضافة بدلا من الورقة الاصلية التي تمزقت - على ما يبدو - وهي بخط وحبر مختلفين عن الاصل . ويلاحظ فيها اولا ماكتب في اعلاها ، فوق البسطة ، بالحبر الاحمر هذه العبارة " الجزء الثاني من تاريخ من (كذا) بني العباس " . ويلاحظ ثانيا ماكتب في الحاشية للتعريف بالكتاب وباسم مؤلفه . ان طريقة الكتابة في هذه الصفحة تختلف عما في الصفحات الاخرى ، لاسيما وقد اعتاد الناسخ ان يكتب في بدايات التراجم ، اسماء المترجم لهم بحروف غليظة تلفت النظر ، بينما كتب اسم ابي الفتح الغزالي في بداية ترجمته ، في هذه الصفحة ، بحروف صغيرة متساوية في الحجم مع حروف بقية الصفحة ، وقد ادى هذا الى ان تحتل الكتابة حجما اقل من المعتاد ، فلم تغط الصفحة كلها ، خلافا للمعتاد ، وقد حاول الكاتب تضخيم حجم الكلمات في السطرين الاخيرين منها لكي يملأ الفراغ ، فلم يفلح .

٨ - الشكل رقم ٧ - ، الورقة ٤٧ - أ وهي تمثل ما طرأ على المخطوطة من تغييرات ، فالكتابة الباهتة هي الاصلية وجبرها فاتح اللون ، ثم كتب احد القراء فوق حروف الاسطر ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ بحبر اسود لغرض جعلها اكثر وضوحا ، وقد وقع مثل هذا في كثير من صفحات المخطوطة ، الامر الذي ادى في بعض الاحيان الى شيء من التصحيف والتحريف ، وفي هذه الصفحة سمح احد القراء ، وهو محمد علي بن محمد راضي النجفي ، اقول سمح لنفسه ان يضيف بيتا من الشعر الى احدى المقطوعات ، اذ زجّه بين اسطرها (راجع ماكتب في الفراغ المحاذي للسطر السادس) . كذلك سمح لنفسه بان يعلق في الحاشية بايراد آية من القرآن الكريم ، وكتابة بعض الابيات من نظمه ، وهي - على ما يبدو - مستوحاة من الشعر الوارد في متن الكتاب .

٩ - الشكل رقم ٨ ، الورقة ٥٣ - أ ، وهي تمثل الاصل الباهت الذي يغطي الصفحة بكاملها ، ولم يطرأ على الكتابة أي تغيير ، الا ان هناك حاشية من نوع جديد كتبها - على ما يستفاد من النص ، المبارك بن ابي بكر بن حمدان الموصلي ، المعروف بابن الشعار - وهي تتضمن بعض المعلومات التي فاتت على المؤلف ، بصدد وفاة احد المترجم لهم . والجدير بالذكر أن ابن الشعار قد خط عددا من الحواشي في مواضع اخرى من المخطوطة ، وبالامكان تمييزها من نوع الخط والحبر الاسود .

١٠ - الشكل رقم ٩ ، الورقة ٧١ - أ ، وقد جاءت هذه الصفحة كلها بخط الناسخ دون أي تغيير . ووردت فيها اضافة في الحاشية بخط الناسخ نفسه ، اذ فاته بعض العبارات - على ما يظهر - فتداركها في الحاشية .

١١ - الشكل رقم ١٠ ، الورقة ١١١ - أ ، وتمثل الاصل وما طرأ عليه من اعادة تحرير الاسطر بحبر اسود ، كما وقع في الاسطر ٨ و ٩ و ١٠ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ . كذلك تصور هذه الصفحة البياض الذي كان يتركه الناسخ لغرض ملأه ، بالمعلومات التي لم تتيسر للمؤلف حين الكتابة ، فترك مواضعها

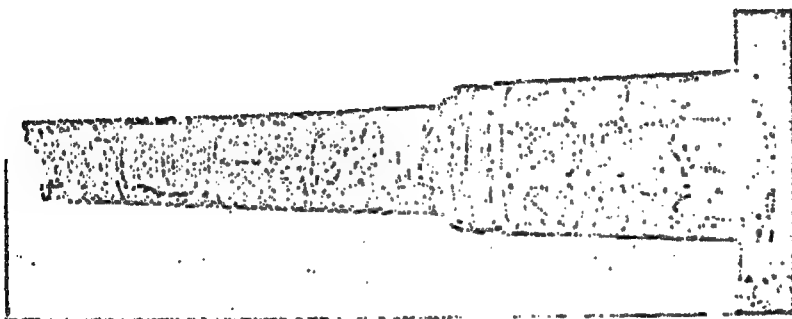
ببساطة الى ان يتيسر له الوقوف على المظان التي تحوي تلك المعلومات .
والظاهر ان الفرصة لم تسنح له لادراك غرضه ، ويوجد عدد غير قليل من هذه
الفراغات (كمثال لها ، انظر الفراغ الواقع بين السطرين الرابع والخامس من
هذه الصفحة ، وهو مخصص لشيء من الشعر) .

١٢ - الشكل رقم - ١١ ، الورقة ١٧٧ - أ ، وهي تمثل الاصل المكتوب بخط
واضح هذه المرة ، إذ بدأ الناسخ في استعمال نوع جديد من الحبر ، اعتبارا
من الورقة ١٦٤ وما بعدها . ويلاحظ في هذه الصفحة اسلوب الناسخ في
التصحيح ، من ذلك مثلا كلمة " عجائب " المكتوبة في الحاشية ، وقد أراد بها
تصحيح الكلمة المغلوطة الواردة في المتن . كذلك يمكن ملاحظة كلمة " عثرون "
المكتوبة في طرف الزاوية اليسرى من اعلى هذه الصفحة ، وهي تشير الى رقم
احدى الكرايس التي تتألف منها المخطوطة ، وتوجد اشارات مماثلة في بعض
المواضع الاخرى من الكتاب .

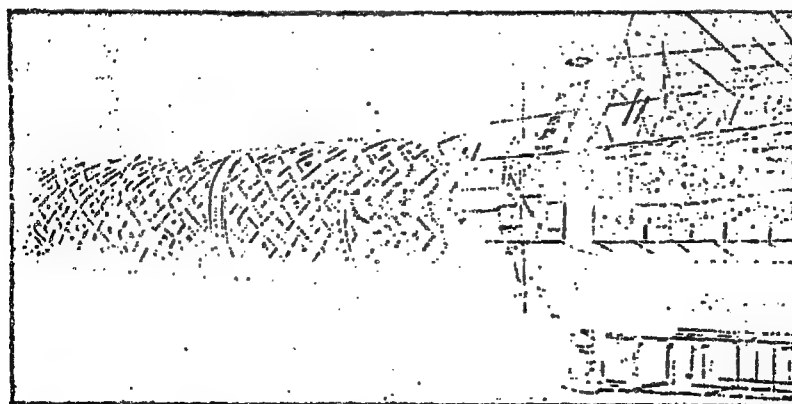
١٣ - الشكل رقم - ١٢ ، الورقة ٢٢٧ - أ ، وفيها يظهر تأثير الرطوبة وكثرة
الاستعمال ، مما ادى الى تشويه اطراف الورقة ، بل ان بعض الكلمات قد
انخرمت . من ذلك مثلا كلمة (والفو ...) الواردة في وسط الصفحة من ناحية
اقصى اليسار ، فقد حال الخرم دون امكان قراءتها . ويلاحظ فيها وجود حاشية
كتبها احد القراء على الهامش ، ومنها يتضح ان صاحب الترجمة الواردة في
المتن قد انشد كاتب الحاشية نفسه الابيات الواردة في الترجمة ، في شهر
رمضان من سنة ٦٤١ هـ ، وهي السنة التي انجز فيها نسخ المخطوطة ، كذلك
يلاحظ في هذه الصفحة الاسلوب الذي يتبعه الناسخ في كتابة الاضافات
المستدركة ، انظر مثلا كلمة (يغلب) المكتوبة في الحاشية ، وقد اشر موضعها
في المتن برسم خط افقي بين كلمتي (لم) و (عليها) .

١٤ - الشكل رقم - ١٣ ، الورقة ٢٣١ ب ، وهي الصفحة الاخيرة من المخطوطة ،
وقد قام احد القراء باعادة تحبير الكتابة بحبر اسود لجعلها اكثر وضوحا بعد

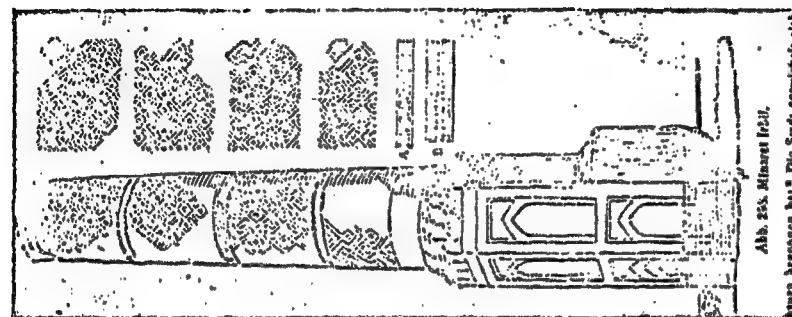
ان يهت لونها ، وتوجد فيها اضافة مكتوبة بحبر احمر ويخط غليظ ، وهي تطابق الحاشية المكتوبة في الصفحة الاولى (اي الورقة ١ - ب) ، وذلك لغرض التعريف بعنوان الكتاب واسم مؤلفه . كذلك توجد اضافة اخرى مكتوبة بحبر اسود ويخط عادي ، نصها « مجموع عدد اوراق هذا الكتاب تاريخ دولة بني العباس مائتين وثمانية وعشرون ورقة » (كذا بالاصل) . واظن بانها بخط محمد علي بن محمد راضي النجفي الذي كتب عدة حواش اخرى . والظاهر انه اخطأ في الحساب لان العدد الصحيح هو ٢٣١ ورقة .



(أ)



(ب)



(ج)

(أ) المئذنة المظفرة في أوريل ، قبل الصيانة ، (ب) بعد عمليات الصيانة الثانية ، (ج) رسم المئذنة وتفاصيل زخارفها
[نقلا عن مرتينيل]

Figure _ 3

المئذنة

MS 4.099

قال جبال الخليل

الحل
100
الحل
100



بافاريات كتاب
الحل
الحل
الحل

الحل

Figure 5

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الفصل الثاني في ذكر الاخيار الطيارين

والمتسعين بسم الله انا اذكر في هذا الباب المتقطعين الى
الزهادة والموسمين بالعدالة والمبرزين بالزهد والرياسة ممن اشتهر
وعرفت صيانتهم وظهرت امانتهم موقدا فيهم حققة ومعطية
مستحقة غير بايل اليه ولا متعامل عليه والله تعالى اسئل
حسن العاقبة وحيل الذكر في العبادات والاعمال بمسئله

ابو الفتح احمد الغزالي هو ابو الفتح احمد بن محمد بن محمد بن
احمد اخو ابو حامد النعمان الطوسي الغزالي الامام الزاهد والعالم
العاقل ذوالكرامات الظاهر والذليل الباطن الباعث في شدة
مؤنته عن نفسه وصفته كان عالما غير ابد مال الى

الريضة وشهريته فاعترف في الشيخ ابو اليمن صبيح ابن عبد الله
المتزهد الحششي عتيق اخو لجة عبد الله انه
حدثه فحضر مجلس الغزالي هذا وهو يعظ

الناس بقلعة اربل وسمعت بعض اصحابنا
يذكر ان للغزالي انما هو بالثمين

الشيخ الغزالي
في كتابه في
الزهد والرياسة
والمتسعين
والفصل الثاني
في ذكر الاخيار
الطيارين
والمتسعين
بسم الله
الرحمن الرحيم
وبه نستعين

في نفسه
في كتابه في
الزهد والرياسة
والمتسعين

قالوا يا محمد اني قد اصابنا من هذا ما لم يصاب به احد من
 خلق الله من قبلنا ولا بعده ولا نرى فيك شيئا من ذلك
 الا انك قد اصابنا من هذا ما لم يصاب به احد من
 خلق الله من قبلنا ولا بعده ولا نرى فيك شيئا من ذلك
 الا انك قد اصابنا من هذا ما لم يصاب به احد من
 خلق الله من قبلنا ولا بعده ولا نرى فيك شيئا من ذلك

ابو القاسم عبد الرحمن بن ابي
 ل

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
الذين هم خير البرية وأفضلها خلقاً وخلقاً وخلقاً

وان حل رطاحل فيها بعقله وما عاقله لمدة بغيره
 والشهد بان الشهد يا هبة الله من قسام القاضي بواسطة محمد الله وقد جرى
 ذكره اسف

انما المكت في ابناءزل عيب فاعتم منه ولا شلث
 فكذا ان في العذر لال كلاما ان كتته تحب
 ابن خنولة هو احمد بن احمد
 المسلم ابو جعفر العزني الهندسي في اهل حوله من اهل غناطه
 شرف في الهندية وفيه وصل حل في الفاد وبلاد فارس وكرمان والافور
 وعزته وتطعد من بلاد الهند ودخل سمرقند وسكن مع هرة واشج
 الملوک واكتسب ما ذوروني في تطوارة قال في الهند في نفسه
 واحار في اربعة كتابه

اذا ما اردت شي من طبعه اتمه واكتسب
 شئت عليه من طبعه حيا امير به الدالة والكتاب
 وكتب انص من شتم المياح عجائب شة فالبها ارباب
 اربع بها التسلي مستجابا ليم على الزمانها غناء
 قال ابن ادرسي سنة عن مولد فيقال في سنة ١٠٠٠ وثمان سنة ثلاث في مدين
 وثمانية بغرناطة وبلغنا انه قد راكفنا زهدا في ربع ارباب
 سنة ثمان مائة وستماية
 في ارباب الامم الجليلي هو عبد الله الام

از نوله صبر بر نفس - هب - ا : د

چاشنی که از اذل نزل بسؤال بر تو ما الحیا
 اری واقفا بباب لیم بر منی شمع کفه فیحیا
 ملارجی الزمان العیش والشر الیف العفاد ما دمن حیا

معلی - فیه

همه در کی ازهار لونا جام سما به زهر النجوم
 حوی جزا و برآبا عند ال نولدشها طبا الغیم
 ینفس روحه عن کل روح و ینشیء ارض الجسم السقیم
 یریک العرش کیف یکند غشا و کیف تزاح غریبه الهوم
 و انشد فی قال الشریف و هباز لنفسه ملغرا انهم سرقد

اسمہ ایف فنان
بانی ادارہ اور شریک
نائب صدر
صدر اور ممبران
نائب صدر

[illegible]

وفا

ان

باور کشف شد و انصاف نور افشاند از آن تعلیمات و
 واعیان و انوار و فاضله و انوار و انوار و انوار
 لایسته

ما بين شينين في المعنى والخيال من دور
الخطيب

عزت کثیر ای بلور د خله اخذ منما خدایا من به من اربابك الحکمت و در اربابك
سنة و الحما فی هب من سنة ثمان و عشرين سنه و سافریه شهر در ده
٢٠ رجب من سنة ثمان و عشرين سنه و سافریه شهر در ده

تمن محمد و عونه و ناپید و هون فی یوم الجمعة عند الراح فلاح
نشره شهر الثمان و عشرين سنه و سافریه شهر در ده
و لا حول و لا قوة الا بالله العلی العلی و انما له استغفر له ولی ذلک
اجاز الی فی

مجموعه
هذا الكتاب
بمنا العبد
غایب و غریز و رتبه
٩

دار الشواف للنشر والتوزيع

الرياض - العليا - شارع الثلاثين - شرق بنده ت. ٤٦٢٢٦٣٠ - ٤٦٢٢٦١٧ فاكس ٤٦٢٢٨١٦
Riyad - Olaiya, Thalatheen St. (East to Panda) Tel. 4622630 - 4622667 Fax 4622866

طبع بالمطبعة الفنية ت ٣٩١١٨٦٢